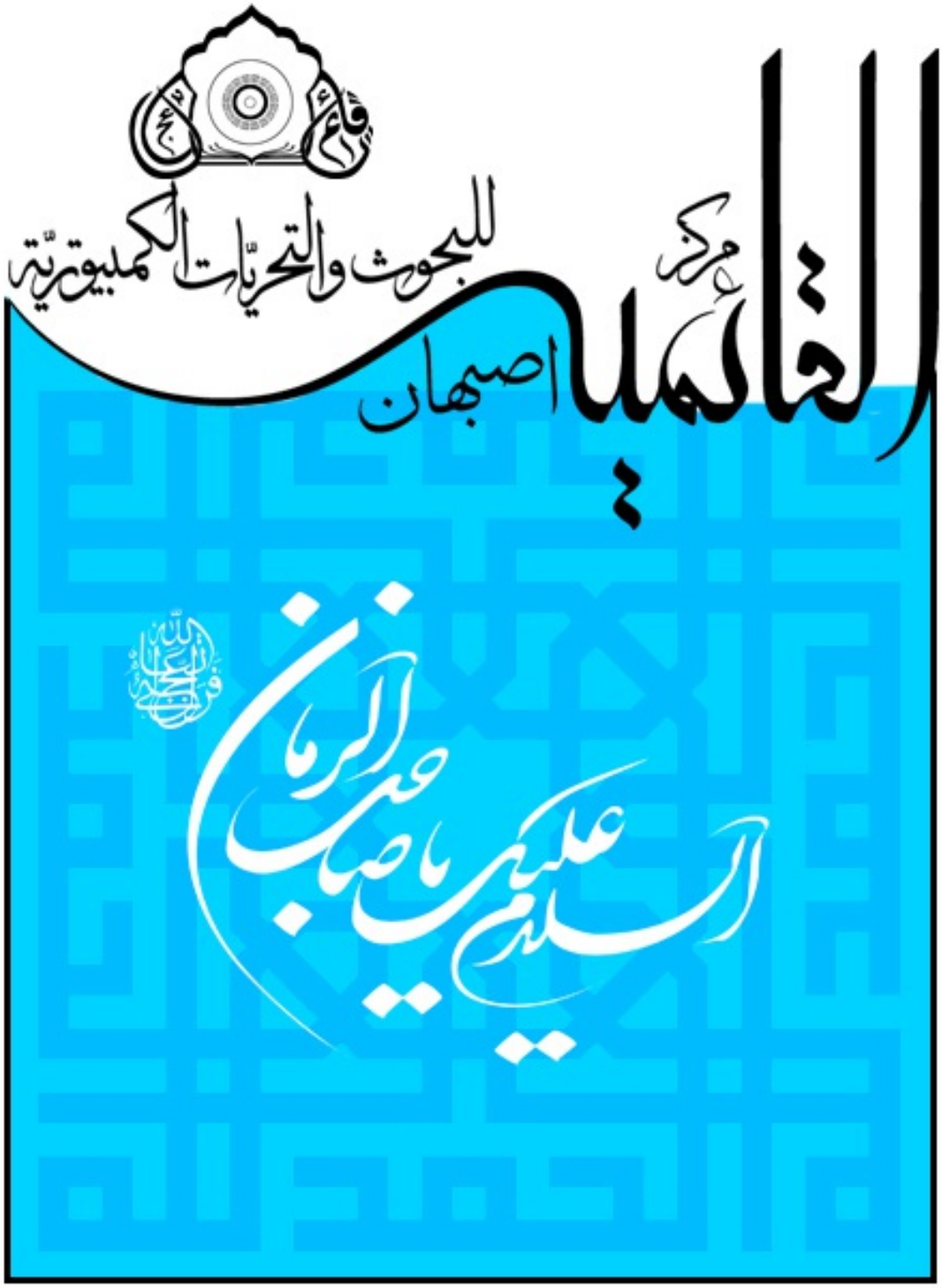

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

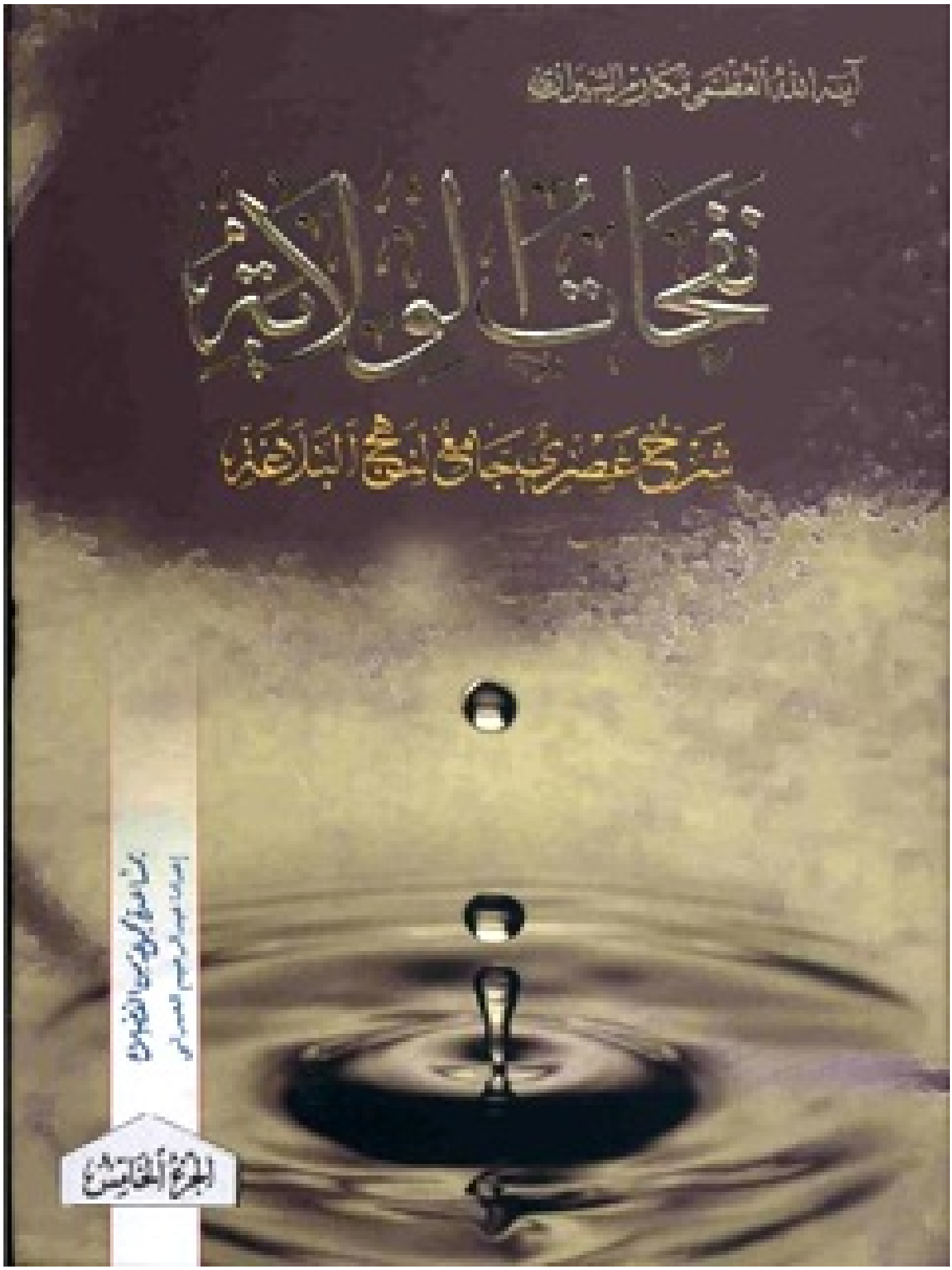

آية الله العظمى مكارم الشيرازي
نفحات الولاية
شرح عصري جامع لنهج البلاغة
الجزء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحات الولايه: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفحات الولایة المجلد ۵ ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
الخطبة[۱] المأة وإحدی عشرة ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
نظرة إلی الخطبة ----- ۲۰
القسم الأول: الدنیا الغرارة! ----- ۲۰
القسم الثانی: الدنیا کل یوم بلباس ----- ۲۲
القسم الثالث: الدنیا سند هش خاوی! ----- ۲۳
القسم الرابع: تأملوا الماضی قلیلًا ----- ۲۴
القسم الخامس: الاعتبار بالموتی ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
تأمّلان ----- ۲۹
۱- سبل مواجهة التعلق بالدنیا ----- ۲۹
۲- الردّ علی سؤال ----- ۳۰
الخطبة[۷۲] المأة و إثنتا عشرة ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۳۱
أینما تکونوا یدرککم الموت ----- ۳۱
تأمّلات ----- ۳۲
۱- ملک الموت أم ملائکة الموت ----- ۳۲
۲- کیفیة قبض الأرواح ----- ۳۲
الخطبة[۷۷] المأة ثلاثة عشرة ----- ۳۳

اشارة ----- ۳۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۳۳
القسم الأول: التحذير من الدنيا ----- ۳۴
القسم الثانی: صفات الزهّاد فی الدنيا ----- ۳۵
القسم الثالث: العود على ذمّ أصحاب الدنيا ----- ۳۶
الخطبة[۸۶] المأة و أربة عشرة ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۳۸
القسم الأول: الثقة القيّمة ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
تأمّل ----- ۴۰
اسس الموفقية والنجاة ----- ۴۰
القسم الثانی: أعظم الفضائل ----- ۴۰
القسم الثالث: العبر والاعتبار ----- ۴۲
القسم الرابع: الحرص على الدنيا ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
تأمّلات ----- ۴۷
۱- غرور عن بعد ورعب من قرب ----- ۴۸
۲- الدنيا وآراء الناس ----- ۴۸
۳- كيف نبحث عن سعادة الآخرة فی الدنيا؟ ----- ۴۹
الخطبة[۱۲۵] المأة و خمسه عشرة ----- ۴۹
اشارة ----- ۴۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۵۰
القسم الاوّل: الأمل باللّه فی القحط والجفاف ----- ۵۰

القسم الثانی: اللّهم أمطرنا بوابل رحمتک ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
تفسیر ما فی هذه الخطبة من الغریب ----- ۵۳
تأمّلان ----- ۵۳
۱- صلاة الاستسقاء ----- ۵۳
۲- الذنب وزوال البرکة ----- ۵۴
الخطبة[۱۸۲] المأة و سادسة عشرة ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
نظرة إلی الخطبة ----- ۵۵
القسم الاوّل: عدم التوانی فی الجهاد ----- ۵۵
القسم الثانی: الآفات المظلمة من ورائکم ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
مظلومیة أمیر المؤمنین علی علیه السلام ----- ۵۷
القسم الثالث: الانتقام الإلهی ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
من هو الحجاج؟ ----- ۵۹
الخطبة[۲۰۴] المأة و سبعة عشرة ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۶۰
الفکر والاعتبار ----- ۶۰
الخطبة[۲۰۷] المأة و ثامنة عشرة ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
نظرة إلی الخطبة ----- ۶۱
الأصحاب الأوفیاء ----- ۶۲

الثناء على الأصحاب ----- ۶۳
الخطبة[۲۱۱] المأة و تاسعه عشرة ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۴
القسم الأول: المخلّفون الضعفاء والجهّال ----- ۶۴
القسم الثانی: لولا رجآء الشهادة ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
القلوب الواعیة ----- ۶۷
الخطبة[۲۲۶] المأة و عشرون ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۶۸
المواعظ القیمة ----- ۶۸
الخطبة[۲۴۰] المأة والحادی العشرون ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۷۱
القسم الأول: الداء ولیس الدواء ----- ۷۲
القسم الثانی: إخوتی فی الجهاد ----- ۷۳
القسم الثالث: الحذار من وساوس الشیطان ----- ۷۴
الخطبة[۲۶۷] والثانیة والعشرون ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۶
نظرة إلى الخطبة ----- ۷۶
القسم الأول: کیف وقعتم فی فخ العدو ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
نبذة عن شخصیة معاویة ----- ۷۸

القسم الثانی: بذلنا ما فی‌الوسع من أجل الوحدة ----- ۷۹
الخطبة[۲۷۸] المائة والثلاثة والعشرون ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۸۰
القسم اول: شکر القدرة ----- ۸۱
اشارة ----- ۸۱
الشهادة عرس الأبطال ----- ۸۲
القسم الثانی: عاقبة السوء ----- ۸۳
الخطبة[۲۸۸] المأة و الرابعه والعشرون ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
نظرة إلی الخطبة ----- ۸۴
القسم الأول: سبع وصایا فی فنون القتال ----- ۸۴
القسم الثانی: الجنّة تحت ظلال السیوف ----- ۸۷
القسم الثالث: القضاء علی آخر معاقل العدو ----- ۸۸
الخطبة[۳۳۰] المأة والخامسة والعشرون ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
نظرة إلی الخطبة ----- ۸۹
القسم الأول: الردّ علی الخوارج ----- ۹۰
اشارة ----- ۹۰
قضیة التحکیم ----- ۹۱
القسم الثانی: لستم من أهل الجهاد ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۲
تأمّلان ----- ۹۵
۱- عهد صفین ----- ۹۵

۲- حوار الإمام علیه السلام مع الخوارج ----- ۹۵
الخطبة[۳۵۹] المأة والسادسة والعشرون ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
نظرة إلی الخطبة ----- ۹۶
المنصب والعدالة ----- ۹۷
بحث فی اسلوب تقسیم العطاء ----- ۹۸
الخطبة[۳۶۹] المأة والسابعة والعشرون ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۰۰
القسم الأول: العنف الهمجی للخوارج ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
تأمّلات ----- ۱۰۱
۱- الخوارج وتکفیر أهل الذنوب ----- ۱۰۱
۲- جانب من جنایات الخوارج ----- ۱۰۲
۳- الردّ علی سؤال ----- ۱۰۳
القسم الثانی: شر الناس ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
تأمّلات ----- ۱۰۵
۱- الحذر من الإفراط والتفریط ----- ۱۰۵
۲- ید اللّه مع الجماعة ----- ۱۰۵
۳- شرار الخلق ----- ۱۰۶
القسم الثالث: انحراف الحکمین ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۷
تأمّل ----- ۱۰۸

دروس التحکیم ----- ۱۰۸
الخطبة[۳۹۸] المأة والثامنة والعشرون ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۰۹
القسم الأول: الفتنة المرعبة بالمرصاد ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
تأمّل: قیام صاحب الزنج ----- ۱۱۱
القسم الثانی: نبوءة أخری ----- ۱۱۲
اشارة ----- ۱۱۲
فتنة المغول ----- ۱۱۳
القسم الثالث: الغیب للّه‌ولکن ... ----- ۱۱۴
اشارة ----- ۱۱۴
وهنا لابدّ من طرح هذه الأسئلة ----- ۱۱۵
علم الغیب فی الآیات والروایات ----- ۱۱۶
الخطبة[۴۲۸] المأة والتاسعة والعشرون ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۱۸
القسم الأول: التحذیر من الفساد الاجتماعی ----- ۱۱۸
القسم الثانی: أین الأخیار؟ ----- ۱۲۰
اشارة ----- ۱۲۰
شکوی أهل الزمان ----- ۱۲۱
الخطبة[۴۴۹] المأة والثلاثون ----- ۱۲۲
اشارة ----- ۱۲۲
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۲۲

القسم الأول: أبو ذر رحمه الله بطل مقارعة الفساد ----- ۱۲۲
اشارة ----- ۱۲۲
تأمّلات ----- ۱۲۴
۱- من هو أبو ذر رحمه الله ----- ۱۲۴
۲- أبو ذر رحمه الله والاشتراكية ----- ۱۲۶
۳- العاقبة المريرة لأبى ذر ----- ۱۲۶
۴- كلمات الموّدعين لأبى ذر ----- ۱۲۷
الخطبة[۴۷۰] المأة والحادية والثلاثون ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۲۸
القسم الأول: لستم من الأصحاب الأخيار ----- ۱۲۸
اشارة ----- ۱۲۸
العوامل الرئيسية للفشل ----- ۱۲۹
القسم الثانى: الهدف هو إقامة الحق وبسط العدل ----- ۱۳۰
القسم الثالث: شرائط حكّام العدل ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
آفة الحكومات ----- ۱۳۲
الخطبة[۴۸۸] المأة والثانية والثلاثون ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۳۳
القسم الأول: صفات اللّه الخاصة ----- ۱۳۳
القسم الثانى: نزول الموت؟ ----- ۱۳۴
القسم الثالث: ممر يعرف باسم الدنيا ----- ۱۳۵
اشارة ----- ۱۳۶

نتیجة الخطبة ----- ۱۳۶
الخطبة[۵۰۲] المأة والثالثة والثلاثون ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۳۷
القسم الأول: انقیاد ما فی الدنیا لله ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
اسجام الآیات والروایات ----- ۱۳۸
القسم الثانی: إعجاز القرآن ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
القرآن الناطق ----- ۱۳۹
القسم الثالث: رسالة خاتم الأنبیاء صلی الله علیه و آله ----- ۱۴۰
القسم الرابع: الدنیا غایة بصر الأعمی ----- ۱۴۱
اشارة ----- ۱۴۱
التعامل مع الدنیا ----- ۱۴۲
القسم الخامس: أهمیة القرآن و دور عبادة الدنیا فی الصراعات ----- ۱۴۲
الخطبة[۵۴۶] المأة والرابعة والثلاثون ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
نظرة إلی الخطبة ----- ۱۴۶
الحضور الخطیر ----- ۱۴۶
تأمّلات ----- ۱۴۸
۱- الردّ علی سؤال ----- ۱۴۸
۲- شبهة أخری ----- ۱۴۸
۳- الأمانة فی الاستشارة ----- ۱۴۸
۴- إستنتاج خاطیء ----- ۱۴۹

الخطبة[۵۶۱] المأة والخامسة والثلاثون ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۴۹
أنت عاجز ----- ۱۵۰
سلوک الإمام علیه السلام تجاه الفرد العدیم المنطق ----- ۱۵۱
الخطبة[۵۷۱] المأة والسادسة والثلاثون ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۱
أنصف المظلوم من الظالم ----- ۱۵۱
الخطبة[۵۷۷] المأة والسابعة والثلاثون ----- ۱۵۲
اشارة ----- ۱۵۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۳
القسم الأول: الحاقدون الظالمون ----- ۱۵۳
القسم الثانی: إصراركم على البیعة ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
القاتل یطالب بالثأر ----- ۱۵۶
الخطبة[۶۰۱] المأة والرابعة والثلاثون ----- ۱۵۷
اشارة ----- ۱۵۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۵۷
القسم الأول: خصائص الإمام المهدی علیه السلام ----- ۱۵۷
القسم الثانی: جانب من الحوادث المرعبة آخر الزمان ----- ۱۵۸
القسم الثالث: خصائص ذلک الحاکم الدموی ----- ۱۵۹
الخطبة[۶۲۵] المأة والتاسعة والثلاثون ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۱
تحذير من الحوادث المستقبلية ----- ۱۶۱
جذور الفساد ----- ۱۶۲
الخطبة[۶۳۲] المأة والأربعون ----- ۱۶۳
اشارة ----- ۱۶۳
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۳
القسم الأول: التغابى عن عيوب الذات ----- ۱۶۳
القسم الثانى: اقتفاء العيوب جحود عظيم ----- ۱۶۴
اشارة ----- ۱۶۴
الغيبة والبحث عن العيوب آفة المجتمعات الإنسانية ----- ۱۶۵
الخطبة[۶۳۹] المأة والحادية والأربعون ----- ۱۶۷
اشارة ----- ۱۶۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۷
المسافة بين الحق الباطل ----- ۱۶۸
درس أخلاقى رفيع ----- ۱۶۹
الخطبة[۶۴۴] المأة والحادية والأربعون ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۶۹
القسم الأول: المعروف فى موضعه ----- ۱۷۰
القسم الثانى ----- ۱۷۱
الخطبة[۶۵۶] المأة والثلاثة والاربعون ----- ۱۷۲
اشارة ----- ۱۷۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۷۲
القسم الأول: درس فى التوحيد والأخلاق ----- ۱۷۳

القسم الثانی: الذنب وقلّة البرکة ---- ۱۷۳
اشارة ---- ۱۷۳
جانب من فلسفة البلاء ---- ۱۷۴
القسم الثالث: إلهی أمطرنا مطراً مبارکاً ---- ۱۷۵
اشارة ---- ۱۷۵
سل اللّه کل شیء ---- ۱۷۷
الخطبة[۶۷۸] المأة والرابعة والاربعون ---- ۱۷۷
اشارة ---- ۱۷۷
نظرة إلی الخطبة ---- ۱۷۷
القسم الأول: فلسفة الإمتحان الإلهی ---- ۱۷۷
القسم الثانی: منزلة الولایة ---- ۱۷۹
اشارة ---- ۱۷۹
قبسات من علم علی علیه السلام ---- ۱۷۹
روایة أنّ الأئمّة من قریش ---- ۱۸۱
منزلة بنی هاشم فی الإسلام ---- ۱۸۱
القسم الثالث: هؤلاء الجفاة یحرقون الأخضر والیابس ---- ۱۸۲
القسم الرابع: دعاة الحق و أتباع الشیطان ---- ۱۸۲
الخطبة[۷۱۱] المأة والخامسة و الأربعون ---- ۱۸۳
اشارة ---- ۱۸۳
نظرة إلی الخطبة ---- ۱۸۳
القسم الأول: تضارب نعم الدنیا ---- ۱۸۳
القسم الثانی: موت السنن بظهور البدع ---- ۱۸۵
الخطبة[۷۲۲] المأة والسادسة والأربعون ---- ۱۸۶
اشارة ---- ۱۸۷

نظرة إلى الخطبة ----- ۱۸۷
القسم الأول: الالتصاق بمركز الدولة ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
فائدة ----- ۱۸۹
القسم الثانی: الكثرة لا تسبب النصر ----- ۱۸۹
اشارة ----- ۱۸۹
معركة القادسية ونهاوند ----- ۱۹۰
الخطبة[۷۳۷] المأة والسابعة والأربعون ----- ۱۹۱
اشارة ----- ۱۹۱
نظرة إلى الخطبة ----- ۱۹۱
القسم الأول: تجلى اللّه لعباده فى القرآن ----- ۱۹۲
اشارة ----- ۱۹۲
كيفية تجلى اللّه فى القرآن ----- ۱۹۳
القسم الثانی: لا يبقى من القرآن سوى اسمه ----- ۱۹۴
اشارة ----- ۱۹۴
تأمّلان ----- ۱۹۵
۱- أبشع عصور الإسلام ----- ۱۹۵
۲- التاريخ يعيد نفسه ----- ۱۹۶
القسم الثالث: أسباب شقاء الإنسان ----- ۱۹۷
القسم الرابع: سبيل النجاة ----- ۱۹۷
اشارة ----- ۱۹۷
تأمّل: معرفة الأشياء بأضدادها ----- ۱۹۹
الخطبة[۷۶۴] المأة والثامنة والأربعون ----- ۲۰۰
اشارة ----- ۲۰۰

نظرة إلى الخطبة ----- ۲۰۰
الإتحاد الظاهری والعداء الباطنی ----- ۲۰۰
تأمّل: أصدقاء الأمس وأعداء الیوم ----- ۲۰۲
الخطبة[۷۷۳] المأة والتاسعة والأربعون ----- ۲۰۲
اشارة ----- ۲۰۲
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۰۲
القسم الأول: إستحالة الهروب من الموت ----- ۲۰۳
القسم الثانی: وصیّة الإمام علیه السلام ----- ۲۰۴
القسم الثالث: معرفتی بعد موتی ----- ۲۰۵
الخطبة[۷۹۹] المأة والخمسون ----- ۲۰۷
اشارة ----- ۲۰۷
نظرة إلى الخطبة ----- ۲۰۷
القسم الأول: إنتظام کل شیء فی ظل وجوده ----- ۲۰۷
اشارة ----- ۲۰۷
تأمّل: قطعیة قیام المهدی الموعود علیه السلام ----- ۲۰۹
القسم الثانی: خصائص أنصار النبی صلی الله علیه و آله ----- ۲۰۹
القسم الثالث: العودة إلى القیم الجاهلیة ----- ۲۱۰
اشارة ----- ۲۱۱
تأمّل: مصیر جاحدوا الولایة ----- ۲۱۲
حسن الختام ----- ۲۱۳
تعریف مرکز ----- ۲۴۸

نفحات الولایة المجلد ۵

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : نفحات الولایه: شرح عصری جامع لنهج‌البلاغه/ ناصرمکارم شیرازی، بمساعده مجموعه من‌الفضلاء؛ اعداد عبدالرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم : مدرسه‌الامام علی‌ابن‌ابی‌طالب (ع) ، ۱۴۲۶ق.-= ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال : دوره ۹۶۴-۸۱۳-۹۵۸-X: ؛ ج. ۱ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۷-۵ : ؛ ج. ۲ ۹۶۴-۸۱۳-۹۰۸-۳ : ؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۷-۲ : ؛ ج. ۴ ۹۶۴-۸۱۳-۹۱۸-۰ : ؛ ج.۵ : ۹۶۴-۸۱۳-۹۴۱-۵ ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۶۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۰-۵ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۷۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۱-۲ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۸۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۲-۹ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۹۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۳-۶ : ؛ ۷۰۰۰۰ ریال: ج. ۱۰۹۷۸-۹۶۴-۵۳۳-۱۲۴-۳ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج ۱- ۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

یادداشت : ج. ۶- ۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق.= ۱۳۹۰).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : .- ج. ۶. من خطبة ۱۵۱ الی ۱۸۰.- ج. ۷. من خطبة ۱۸۱ الی ۲۰۰.- ج. ۸. من خطبة ۲۰۱ الی ۲۴۱.- ج. ۹. من رسالة ۱ الی ۳۱.- ج. ۱۰. من رسالة ۳۲ الی ۵۳

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه‌ها

موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : حمرانی، عبدالرحیم

شناسه افزوده : علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. شرح

شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره : BP۳۸/۰۲ /م۷ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۴۰۳۴۷

الخطبة[۱] المأة وإحدی عشرة

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ علیه السلام

فِی ذَمِّ الدُّنَیا

نظرة إلى الخطبة

تحدثت هذه الخطبة بصورة عامّة- كما ورد فى عنوانها عن ذمّ الدنيا، الدنيا التى تغرق الإنسان فى لذاتها وزخارفها الزائلة اللامشروعة، ومتعها الرخيصة، بحيث يتناسى اللَّه والخلق ومصيره وعاقبته، الدنيا التى تغيب فيها معانى القيم والمثل ولا يعد فيها من مفهوم للحلال والحرام والظلم والعدل.

والخطبة التى نحن بصددها على أقسام:

القسم الأول: فيها يتعرض إلى خداع الدنيا وغرورها وزبرجها وظاهرها الأجوف الذى لا باطن له.

القسم الثانى: فيتناول تقلب أحوال الدنيا وعدم ثباتها، إلى جانب الحديث عن النعم التى قد تتبدل نقماً والنجاحات التى تتحول فشلًا.

القسم الثالث: خاض عليه السلام فى بيان فناء الدنيا وزوالها، حيث تضمّن عبارات رائعة مؤثرة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶

تكشف النقاب عن حقيقة هذا الأمر.

القسم الرابع: فكأنّه يأخذ بيد الناس ويغوص بهم فى أعماق تاريخ الماضيين، والعاقبة المريرة التى طالت الأقوام من ذات القوّة والسطوة لتهز عروشهم وتحيلهم أجساداً خاوية قبرت تحت التراب.

وأخيراً القسم الخامس: الذى تطرق إلى الموت والأموات الذين عاشوا دهراً بيننا بذلك النشاط والحيوية وقد ذاع صيتهم ليعمّ الأرجاء، والحال قد ذهبت تلك الحيوية أدراج الرياح وتبدل ذلك النشاط إلى خمول وضمور بعد أن أتاهم الموت وأحال أجسادهم تراباً.

هذا وقد أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة بعبارات لطيفة بالغة التأثر شأنها إيقاظ أسوأ الأفراد الذين يغطّون فى سبات الغفلة ونفث النور والأمل فى أوراحهم المظلمة البائسة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷

القسم الأول: الدنيا الغرارة!

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ. لَا تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا- أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَیْءٍ مُقْتَدِراً».

الشرح والتفسير

إستهل الإمام عليه السلام الخطبة بتحذير الجميع من هذه الدنيا الفانية والغرارة، ثم أماط اللثام عن ماهية واقعها وحقيقتها من خلال وصفها والتعرض لغرورها وخداعها بثمان عشرة عبارة، فقال عليه السلام أحذركم من هذه الدنيا ذات الظاهر اللطيف الذى إنطوى على اللذّات والشهوات، الأمر الذى يجعلها تشد إليها الأنظار بفعل عينيتها ومثولها للإنسان رغم ضحالة نعمها وتفاهتها، إلّاأنّها تحلّت بالآمال وتزيّنت بالغرور لتسوق إليها هذا الإنسان:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّی أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸

بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ ۲] بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ».

فالإمام عليه السلام يرى خداع الدنيا فى حلوّ ظاهرها المحفوف بالشهوات، فهى محببة إلى النفوس كونها ماثلة للعيان ملموسة، وهذا هو المعنى المراد من العبارة

«تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ».

أمّا العبارة

«رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ»

، فهى إشارة إلى أنّ الدنيا قد زينت متاعها القليل بالشكل الذى جعلها تستقطب قلوب عبدة الدنيا المتكالبين على حطامها.

بينما أشارت العبارت

«تَحَلَّتْ بِالْآمَالِ»

إلى زيف هذه الزينة التى تحلّت بها الدنيا، حيث تفتقر إلى الواقع، بل زينت مظهرها بالآمال والخيالات الفارغة الزائفة، وهذا هو المعنى الذى أكدته العبارة

«تَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ»

، فرصيدها الرئيسى الذى يشكل عنصر التزيين إنّما هو الغرور الخداع، ولعل الوقوف على عمق هذا المعنى يتجسد من خلال النظر من بعيد إلى قصور الملوك وسلطتهم الظاهرية المرعبة، وسعة حجم أموالهم وثرواتهم، وأبهة وجلال مراكبهم وملابسهم النفيسة الفاخرة وسائر الوسائل والأدوات التى يعتمدونها فى حياتهم ومعيشتهم التى تخطف الأبصار وتسحر القلوب، بينما الاقتراب منهم والغوص فى واقع حياتهم لا يرى سوى البؤس والشقاء وسبل المصاعب والمشاكل التى تلف حياتهم ومدى القلق والاضطراب الذى يسودهم من جراء المؤامرات والدسائس التى يخطط لها أعداؤهم إلى جانب الحسد والطمع الذى تكنّه لهم بطانتهم وقرابتهم.

والواقع هو أنّ هذه العبارات إقتباس ممّا صرحت به بعض الآيات القرآنية، فقد جاء فى القرآن الكريم بشأن الحياة الدنيا:

«وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ...»[۳].

وجاء فى موضع آخر: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ...»[۴].

كما جاء أيضاً: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ...»[۵]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹

. وقال تعالى أيضاً: «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»[۶].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأنّ نِعم الدنيا وسرورها إلى إنقطاع ولا دوام لها، وليس هناك من شخص بمنأى عن مشاكلها وفجائعها، ورصيدها الخداع والغرور والضرر والخسران، معروفة بالفناء والزوال وعاقبة أمر سكانها وعمارها الهلاك والعدم:

«لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا[۷]، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ[۸] زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ[۹] بَائِدَةٌ[۱۰]، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ[۱۱]».

نقد تناول الإمام عليه السلام الدنيا ليتحدث بهذه العبارات الرائعة البيان عن تقلب أحوالها وعدم ثباتها، فليس هنالك من دوام واستمرار لأىمن مفرداتها من قبيل حلاوتها وطلاوتها ونعمها وثرواتها وإمكاناتها وآمالها ورغباتها ونشاطها وعنفوان الشباب فيها، فكل هذه الامور محكومة بالفناء والزوال، وبناءاً على هذا فلا يركن إليها إلّاالجاهل الغافل.

ثم اختتم عليه السلام كلامه- فى هذا القسم من الخطبة- بالقول:

«لَا تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا- أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً[۱۲] تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً»[۱۳]».

فقد عزز الإمام عليه السلام إثبات مراده من خلال التمسك والاستشهاد بالتشبيه الرائع الذى أورده القرآن فى سورة الكهف بشأن الدنيا، وكأنّى به قد اصطحب المخاطب إلى حيث الصحراء

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰

ليريهم صورة الربيع والخريف واهتزاز الأرض وحيوتها من نزول المظر وخروج النباتات وتفتح البراعم والزهور وحمل الأشجار للفاكهة والثمار، غير أنّ هذه الامور لا يكتب لها الاستمرار والدوام، فلم تشهد هذه الحالة سوى بضعة شهور لتذبل تلك الأوراق وتنتهى تلك الثمار وتنقطع زقزقة العصافير والطيور وتتبدل الخضرة يبوسة وجفافاً، وهذه بالضبط حقيقة الحياة الدنيا التى تعيشها البشرية حيث يتّجه كل شيء فيها نحو الزوال فيا له من تشبيه رائع وعجيب!

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱

القسم الثانى: الدنيا كل يوم بلباس

«لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِى حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ فِى سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً؛ وَلَمْ تُطَلَّهُ فِيهَا دِيْمَةُ رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ، وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِىَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى! لَايَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً. وَلَا يُمْسِى مِنْهَا فِى جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ. غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِى شَىْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة مواصلة لذمّ الحياة المادية الدنيوية إلى صفة أخرى من صفاتها البارزة الأخرى والمتمثلة بسرعة تغيّرها وتبدّلها، إلى جانب تبدّل نعمها ونقمها، فلم يصب أحد منها سروراً إلّاأتبعته حزناً وحسرة، ولم يذق حلاوتها إلّااستشعر مرارتها:

«لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِى حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ فِى سَرَّائِهَا بَطْناً، إِلَّا مَنَحَتْهُ ۱۴] مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲

ثم أكّد عليه السلام هذا المعنى بأنّه لم يستشعر هبوب الرياح اللطيفة والأمطار الملائمة حتى يغرق فى سبيل من البلاء:

«وَلَمْ تُطَلَّهُ ۱۵] فِيهَا دِيْمَةُ[۱۶] رَخَاءٍ، إِلَّا هَتَنَتْ ۱۷] عَلَيْهِ مُزْنَةُ[۱۸] بَلَاءٍ».

ومن هنا فلا وجه للغرابة والتعجب إذا انتصرت لأحد صباحاً تنكرت له مساءاً، وإن حملت بيد ظرفاً حلواً حملت بأخرى ظرفاً مرّاً:

«وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِىَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ ۱۹] وَاحْلَوْلَى ۲۰]، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى![۲۱]».

نعم، هذه هى طبيعة الدنيا وستكون كذلك، حيث تستحيل حلاوتها مرارة، ونصرها هزمة، وحياتها موتاً، وليست هناك أية قدرة يسعها الحيلولة دون هذه الاستحالة والتغيير.

ثم واصل عليه السلام تأكيد هذه الحقيقة فى أنّ الإنسان لا يصيب منها لذّة ونعمة إلّاأتبعته غصّة ورهقة، ودفعت به إلى ما يتعبه من الشدائد والنوائب، فلا يكاد يتمتع بلذّة الأمن حتى يزعجه ألم الخوف والخطر:

«لَايَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا[۲۲] رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ ۲۳] مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلَا يُمْسِى مِنْهَا فِى جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ ۲۴] خَوْفٍ».

أجل، ليست هناك من فاصلة يؤبه بها فى هذه الدنيا لا مكانية ولا زمانية بين السعادة والشقاء، فقد تراه أحياناً جن عليه الليل وقد غرق فى لذاته وشهواته وهنيىء عيشه ودعته فى هالة من فرحه وسروره، ولم يكد يطلع الصبح عليه حتى تتعالى الأصوت بالنحيب والبكاء تنعى فقده ومفارقته لهذه الدنيا، بل لعله يتجرع كأس المنون من يد أقرب مقربيه:

ثم استمر عليه السلام فى الحديث عن غرور الدنيا وزوالها فقال:

«غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِى شَىْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنِ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳

اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ ۲۵]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ».

وهكذا أورد الإمام عليه السلام هذه الصفات التى تصور تغير أحوال الدنيا وعدم ثباتها وأفول قدرتها وزوال موفقياتها ليخلص إلى نتيجة مفادها ضرورة قناعة العاقل بالقليل منها (على قدر الكفاف) ليمهد السبل أمام أمنه واستقراره وراحة باله، وذلك لأنّ من طلب المزيد فيها غامر بنفسه وقذف بها فى لهوات المخاطر، فيكون بذلك قد مهد السبيل أمام شقاء نفسه وبؤسها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵

القسم الثالث: الدنيا سند هش خاوى!

«كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِى طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِى أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِى نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ. حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ. وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ!»

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة- إلى أمرين مهمين آخرين بشأن الحياة الدنيا ووضاعة متاعها المادية:

الأمر الأول: أنّ لا شىء فيها يمكن الاعتماد عليه والوثوق به، فقد قال عليه السلام بهذا الشأن كم من وثق بهذه الدنيا وسكن إليها فجرعته الألم والمعاناة، وما أكثر الأفراد الذين اطمئنوا إليها فصرعتهم، وما أكثر الأفراد الذين كانوا من أهل السطوة والشوكة، فأذاقتهم لباس الذلّة والمسكنة:

«كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِى طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِى أُبَّهَةٍ[۲۶] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِى نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا».

نعم، ليس هنالك من فرد مهما كان مقامه، وموقعه بمأمن من الحوادث الخطيرة والمكاره

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶

التى تصيب الإنسان بغتة، فعظام الملوك والسلاطين والأبطال الأشداء أصحاب رؤوس المال من أهل الجاه والسطوة والشباب الذين يعيشون عنفوان النشاط والحيوية والجمال، كل هؤلاء ومن شاكلهم إنّما يخضعون لهذه الحوادث التى تجرى عليهم وهم صاغرون، الحوادث التى تأتى على جميع النعم واللذات فتخطفها فى لحظة وتذل الأعزّة والجبابرة وما التاريخ عنك ببعيد، فقد شحن بمثل هذه الحوادث، وقد ورد فى تاريخ الطبرى أنّ سليمان بن عبدالملك لبس ذات يوم لباساً فاخراً واعتم بعمة خضراء وأخذ ينظر فى المرآة (وهو يتلذذ بما يشاهد من نفسه فدفعه الفخر لأن) يقول: أنا ملك شاب سعيد الحظ، فلم يعمر بعد ذلك أكثر من سبعة أيّام ۲۷].

الأمر الثانى: هو أنّ حلاوتها قد عجنت بالمرارة وانتصاراتها بالهزائم:

«سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ ۲۸] وَعَيْشُهَا رَنِقٌ ۲۹]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ ۳۰]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[۳۱]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ۳۲]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ۳۳]».

ثم تطرق الإمام عليه السلام إلى حال ساكن الدنيا من أنّ حياته معرّض للموت والسقم والمرض يتربص بعافيته وصحته، ملك هذه الدنيا يستبطن الزوال والفناء، وعزيزها آيل إلى الانكسار، ووفرة نعمها تحمل معها مفردات النفاد والانقضاء:

«حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَ صَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا[۳۴] مَنْكُوبٌ ۳۵]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ![۳۶]».

نعم، فمتع الدنيا ولذاتها إن وجدت، فهى مشوبة بأنواع المعاناة والألم، والحكام فى ذوى القدرة والسطوة الذين نغبطهم على مدى قدرتهم وشدّة شوكتهم وتربعهم على العرش نراهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷

حين الاقتراب منهم أخوف ما يخافون حتى من مقربيهم، وأكثر الناس طاعة لأوامرهم، بل هم فى غاية القلق والاضطراب ممّا يخبىء

لهم الغد والمستقبل القريب.

ولعل هذا الأمر أشبه شيئاً بتلك القصّة التى تحدثت عن ذلك الفرد الذى كان يتمنى التربع على العرش السلطة ولو ليوم واحد، فحققوا له ما يريد، غير أنّهم عقلّوا على رأسه خنجراً حاداً ربطوه بشعرة، فكان يتوقع فى كل آن قطع تلك الشعرة ونزول ذلك الخنجر على هامته، فكان يرجو بفارغ الصبر انقضاء ذلك اليوم والخلاص من مسند العرش الذى انطوى على ذلك الخطر، فما أورع الصورة التى رسمها الإمام عليه السلام لهذه الدنيا الغرور حين قال:

«كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِى طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ».

فليس هنالك ما يوثق به منها ولا يعتمد عليه فيها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹

القسم الرابع: تأملوا الماضى قليلًا

«أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ منْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ! أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!»

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام الخطبة التى أوردها فى ذم الدنيا وسرعة زوالها وخداعها وغرورها مصطحباً مخاطبيه هذه المرة ليغوص فى أعماق تاريخ الامم السالفة، ليصور من خلالها حياة أصحاب السلطة والقدرة ممن ملأ صيتهم الأرجاء وكانت تقوم الدنيا وتقعد بين أيديهم، وكذلك أصحاب الثروة والمال ليتساءل عليه السلام ألستم تحلون محلّ من كان قبلكم وتسكنون مساكنهم، ممن عمروا كثيراً وتركوا آثاراً وكانت لهم أمنياتهم وآمالهم ورغباتهم، وكانت لهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰

جنودهم وحماتهم:

«أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ منْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيداً[۳۷]، وَأَكْثَفَ ۳۸] جُنُوداً!».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى خمس خصائص إمتازت بها الأقوام السابقة وهى: طول العمر، وبقاء الآثار والمخلفات، وطول الآمال، وكثرة السكان، وكثرة الجنود، فهى خصائص منحتهم التفوق على سائر من سواهم، وإلّا أنّ أى من هذه الامتيازات لم يحل دون زحف العدم والفناء لقصورهم وأديتهم، فكان مصيرهم أن تلاشوا وتساقطوا ركوعاً للموت تساقط أوراق الشجر فى فصل الخريف.

ثم أضاف عليه السلام مواصلًا كلامه بهذا الشأن: «تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ».

نعم، فرغم كلّ سعيهم وجهدهم فى سبيل عبادة الدنيا والذوبان فيها وتجنيد كافة قواهم وطاقاتهم فى هذا الاتجاه، إلّاأنّهم لم يصيبوا أى شىء منها، ثم مشوا إلى حتوفهم وقد خلت جعبهم من الزاد والمتاع ودون حمل الورع والتقوى التى لا يجدى غيرها نفعاً هناك، فطريق الآخرة شاق طويل لا يجتازه إلّاأهل الورع والتقى.

ثم خاطب عليه السلام صحبه: هل بلغكم أنّ الدنيا قدمت لأحدهم فدية لتنجيه من الموت أو سكراته؟ أم هل أعانتهم بشىء فى هذا

السبيل؟ أم هل كانت على الأقل صاحباً حسناً لهم:

«فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ ۳۹] لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً!».

نعم، لم تقدم لهم أى عون ولم تنجيهم عن المكاره والأهاويل، أفلا يكون ذلك عبرة لم اعتبر من أبناء الدنياأ!

ثمّ واصل الإمام عليه السلام كلامه بهذا الخصوص قائلًا:

«بَلْ أَرْهَقَتْهُم ۴۰] بِالْقَوَادِحِ ۴۱]، وَأَوْهَقَتْهُمْ ۴۲]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱

بِالْقَوَارِعِ ۴۳]، وَضَعْضَعَتْهُمْ ۴۴] بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ ۴۵] لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ۴۶]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ ۴۷]».

فهذه العبارة المؤثرة تشير إلى أنّ الدنيا ليس فقط لم تقدم العون والمساعدة لعبادها وأصحابها، بل سارعت بكل ما أوتيت من وقوّة لتوجيه ضرباتها الماحقة إليهم بغية إبادتهم، وإستئصال شوكتهم، حتى جندت جميع قواها وطاقاتها ضدهم.

والطريف فى بيان الإمام عليه السلام هو أنّه بدأ من المراحل الكبرى نزولًا إلى الصغرى فى إطار تصويره لإعانة الدنيا وما يمكنها أن تقدمه من نصرة ومساعدة، بينما تدرج فى أضرارها التى تصيب من تعلق بها من المراحل السفلى إلى المراحل العليا المتمثلة بالانقضاض عليهم وإزالتهم من صحفة الوجود، ولعمرى هذه قمة الفصاحة والبلاغة فى بيان الحقائق المريرة والأليمة ويكشف النقاب عن مدى وضاعة الدنيا وانحطاطها وتنكرها لمن أخلد إليها واطمأن بها.

ثم خلص عليه السلام إلى نتيجة ممّا سبق مفادها تنكر الدنيا لأصحابها ممن آثرها على كلّ شيء وهو الأمر الذى رأوه بأم أعينهم (أو لعلهم طالعوه بشأن الامم التى سبقتهم) فقد سلمتهم للأقدار وساقتهم نحو الموت دون أن يعدّوا الزاد والمتاع لتلك الدار الآخرة:

«رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ[۴۸] لَهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ».

فهل أمدتهم هذه الدنيا بشيء سوى الجوع والفقر؟ وهل عرضتهم سوى للتعب والارهاق

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲

والضنك؟ وهل وهبتهم إلّاالظلمة التى ليس معها نور؟ (أبداً، بل أودعتهم حفراً مظلمة موحشة تفيض رعباً وخشية)، وهل بقى لديهم من شيء سوى الحسرة والندم:

«وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ۴۹]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ!».

فكيف الوثوق بهذه الدنيا التى لا تضمر لمن تعلق بها سوى البؤس والشقاء والهزيمة والفشل والظلمة، ولا تعقبه سوى الندم؟! أم كيف له التضحية بالغالى والنفيس فى سبيل الحصول على بعض حطام الدنيا وجعلها هدفاً فى حياته؟!

ومن هنا تساءل الإمام عليه السلام مستنكراً:

«أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!».

حقاً، ليست هناك من عبارات أوضح وأفصح من هذه العبارات التى وردت بشأن تفاهة الدنيا والمصير والعاقبة المريرة التى تنتظر من تعلق بها وسكن إليها، وهدف الإمام عليه السلام من هذه التأكيدات المتواصلة والعبارات المنبهة الشديدة إلى الوقوف بوجه الريح الدنيوية العاتية، وما إنطوت عليه من نعم جمّة أفرزتها قضية الفتوحات الإسلامية والتى إستهوت قطاعات واسعة من المسلمين لتقذف بهم فى أتون الرفاهية والراحة والدعة بما ينسيهم القيم والمثل والمبادىء السماوية الخالدة، ويجعلهم يغطّون فى سبات الغفلة، علّهم يفيقون إلى أنفسهم ويعودون إلى رشدهم فيهبوا لإحياء القيم الإسلامية المغيبة، إلى جانب محاولة الإمام عليه السلام إعادة الامّة- لا سيما أولئك الأفراد الذين تكالبوا على الدنيا وثرواتها إبان عهد عثمان- إلى المسار الإسلامى الصحيح.

وما أورع هذه المواعظ والنصائح البليغة الواضحة للمتكالبين على الدنيا من أبناء عصرنا الراهن حيث يشهدون ذات الظروف، بل أسوأ منها والتى عصفت بالمجتمع وجعلته يتعلق بالدنيا، والحق لو لم يلتفتوا إلى هذا الأمر ويفكروا فى علاج وضعهم فلا من دين ولا دنيا

معقولة يمكنهم أن يظفروا بها ويحصلوا عليها.

والعبارات تنسجم تماماً وما صرحت به الأحاديث النبوية الشريفة وروايات وكلمات

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳

المعصومين عليهم السلام وبالتالى الآيات القرآنية، فقد صرّحت الآية ۹، من سورة الروم:

«أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

كما صرّحت الآية ۷- ۸ من سورة يونس:

«إِنَّ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»

وورد فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ زَهِدَ فِى الدُّنيا أَثبَتَ اللَّهُ الحِكمَةَ فِى قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِها لِسانَهُ وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ الدُّنيا دَاءَها وَدَواءَها وَأَخرَجَهُ مِنَ الدُّنيا سالِماً إلى دارِ السَّلامِ»[۵۰].

كما ورد عنه عليه السلام أنّه قال:

«مَن أَصبَحَ وَأَمسَى وَالدُّنيا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعالى الفَقرَ بَينَ عَينَيهِ وَشَتَّتَ أَمرَهُ، وَلَم يَنَلْ مِنَ الدُّنيا إلّاما قَسَّمَ اللَّهُ لَهُ، مَن أَصبَحَ وَأَمسَى وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ الغِنى فِى قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمرَهُ».[۵۱]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵

القسم الخامس: الاعتبار بالموتى

اشارة

«فَاعْلَمُوا- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِيْنَ قَالُوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً. إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا.

جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ. وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

«كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالحديث مرّة أخرى عن تقلب أحوال الدنيا وغدرها وتنكرها لمن تعلّق بها، إلى جانب الكلام عن المصير الحتمى الذى ينتظر كل إنسان والذى يتمثل بمفارقة الدنيا والرحيل إلى عالم الآخرة، فقال عليه السلام: «فَاعْلَمُوا- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ ۵۲] عَنْهَا».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶

نعم، فلابدّ لكل إنسان أن يذوق طعم الموت: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ...»[۵۳].

وقال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[۵۴].

ولعل الإنسان يشك فى كل شىء، غير أنّه لا يشك فى حقيقة الموت: «واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ»[۵۵].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بضرورة الاتعاظ بمن كان قبلهم من الامم ممن غرّتهم قواهم، فلم تنفعهم تلك القوّة شيئاً حتى حملوا راغمين إلى قبورهم، فلم يحلوا ضيوفاً على تلك القبور بعد أن ورد وهاقراً وإكراهاً دون أن يكون لهم أدنى إرادة واختيار: «وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِيْنَ قَالُوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً»[۵۶]. حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً[۵۷]، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ ۵۸] فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً».

ولعل العبارة إشارة لما ورد فى الآية ۱۵ من سورة فصلت القائلة: «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ...».

فالمعروف أنّ قوم عاد كانوا ذوى جثث ضخمة وقصور وبيوت فارهة عملاقة ينحتونها وسط الجبال، الأمر الذى جعلهم يصابون بالكبر والغرور، فلمّا عتوا عن أمر اللَّه وعصوه أرسل اللَّه عليهم ريحاً عاتية فأحالت جثثهم الضخمة إلى ما يشبه أوراق الأشجار التى تتناثر على الأرض، حيث حدّث عنهم القرآن الكريم بهذا الشأن قائلًا: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ».[۵۹]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷

أمّا قوله عليه السلام

«فَلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً»

والركبان جمع راكب وذلك لأنّ الراكب من يكون مختاراً، ولا اختيار لهؤلاء، وقوله عليه السلام

«فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً»

لأنّ الضيف يرد برغبته وإرادته إلى المكان الذى يستقبل فيه، وقد ورد مثل هذا المعنى فى الخطبة ۱۸۸ من نهج البلاغة إذ قال عليه السلام:

«حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ».

ثم قال الإمام عليه السلام مواصلة لوصفهم:

«وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ ۶۰] أَجْنَانٌ ۶۱]، وَمِنْ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنْ الرُّفَاتِ ۶۲] جِيرانٌ».

فالعبارة إشارة إلى أنّ قبورهم خالية من البناء والسقوف والأعمدة والأبواب والنوافذ، فهى ليست أكثر من قبضة من الحجر والتراب على وجه الأرض، والتعبير عن التراب بالكفن فذلك لأنّه يحيط ببدن الميت ويواريه كالكفن، وأمّا ذلك الكفن الذى يلف به الميت فهو مؤقت سرعان ما يبلى ويزول، ولا يبقى سوى الكفن الأصلى وهو التراب.

والجدير بالذكر هو أنّ الإمام عليه السلام واصل كلامه بالحديث عن هؤلاء الجيران وهم ليسوا أكثر من عظام نخرة، فيكشف النقاب عن حقيقة وضعهم بعبارات غاية فى الجمال والروعة، وبما يدعو للتأمل والاعتبار: «فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً[۶۳]، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[۶۴]».

أضف إلى ذلك فهم على درجة من عدم الإكتراث بأى شىء بحيث:

«إِنْ جِيدُوا[۶۵] لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ[۶۶] وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ».

حقاً، أنّهم عبرة لمن اعتبر وأوضاعهم مدعاة إلى التأمل والنظر، فكل شأن من شؤونهم يختلف ماماً وما عليه الحال بالنسبة لأهل الدنيا، فقد كانوا معاً حتى أمس القريب، ينجد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸

بعضهم البعض الآخر، يهرعون لاستقبال السنين التى تدر عليهم النعم والمنافع، بينما كانوا ينزعجون من القحط والجدب، كما كانوا يطوون المسافات القريبة والبعيدة لرؤية بعضهم البعض الآخر، لكن دون خبر عن أوضاعهم وما عليه أحوالهم، قبورهم متصلة متلاصقة مع بعضها، إلّاأنّ المسافة بينهما كأنّها ما بين المشرق والمغرب، ومن كان منهم يأن ليل نهار من عذاب البرزخ فلا يسمع أنينه أقرب

مقربيه من صحبه من أهل القبور، بل حتى لو سمع صراخه وألمه لما وسعه نجدته وتقديم العون له.

وما أروع ما كان يردده الإمام السجاد عليه السلام حين مناجاته باكياً وهو يجسد ما أورده الإمام على عليه السلام بهذا الشأن، إذ كان يقول:

وأضحَوا رِمِيماً فِي التُّرابِ وَاقفَرَتْمَجالِسُ مِنهُم عُطِّلَتْ وَمَقاصِرُ

وَحَلُّوا بِدارٍ لا تَزاورُ بَينَهُموَأنّى لِسُكانِ القُبُورِ تَزاوُرُ

فَما أن تَرى إلّاجُثىً قَدْ تَوَوا بِهامُسَنَّمَةً تَسفِي عَلَيهِ الأعاصِيرُ[۶۷]

ثم واصل الإمام عليه السلام حديثه عن أصحاب القبور بأنّهم عقلاء قد ذهبت عداوتهم وخصومتهم، وفى نفس الوقت هم جهّال قد طرحت أحقادهم وأضغانهم، فليس هناك ما يدعو للخشية من ضررهم وشرهم، كما لا يؤمل أن يدافعوا عن أنفسهم، فقد انسلخوا من ظاهر الأرض ليوطنوا باطنها، فاستبدلوا بتلك السعة ضيقاً وبالأهل والوطن والنور غربة وظلمة:

«حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ. وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَت أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنَاً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً».

والعجيب فى الأمر أنّه يصفهم فى عبارة بالعقلاء، ثم يردفها بالعبارة التالية بوصفهم بالجهلاء، والواقع هو أنّهم جثث خاوية قد خلت من الأرواح، فهم ليسوا بعقلاء ولا جهلاء، بل وضعهم فى موضع جعلهم أشبه بالعقلاء حيث زالت العداوة بينهم، وفى موضع آخر تشبهوا بالجهلاء حيث ماتت بينهم روح الحسد ودوافعه، فقد تغييرت جميع مفرداتهم فى لحظة حيث استبدلوا بظاهر الأرض باطنها وبالدور الواسعة المنيرة المليئة بالأهل والعيال، القبور الضيقة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹

والمظلمة الموحشة الخالية من الصخب والضجيج.

ثم إختتم حديثه عليه السلام بالقول:

«فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً»[۶۸].

والعبارة مستوحاة من الآية القرآنية الشريفة: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»[۶۹].

نعم كما خلق آدم عليه السلام من التراب، كذلك أولاده سيعودن حفاة عراة إلى هذه الأرض على غرار ولادتهم وقدومهم إليها، وإن حملوا معهم كفناً، فهو ليس كذلك فى الواقع، إذا سرعان ما يبلى ويزول ولا يعدّ له من وجود، بالتالى سيودع هذا الإنسان شاء أم أبى يوماً كل ما جمعه من أموال وأعدّ لنفسه من قصور ودور فارهة وحدائق ومراكب وإمكانات ووسائل، لينزل تلك الحفرة حافياً عرياناً وعليه أن يستعد لتلك الظلمة والوحشة.

نعم، الشىء الوحيد الذى يحمله معه هو عمله والذى قد يكون أحياناً وبالًا عليه وأعظم بلاء يصيبه، وهو الأمر الذى أكّده الإمام عليه السلام فقال:

«قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»[۷۰]».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أشار فى ختام هذه الخطبة إلى نقطتين:

الأولى: عودة الإنسان إلى الأرض كما خلق منها.

والثانية: النشأة الجديدة فى الآخرة.

ثم استشهد عليه السلام بالآية القرآنية الكريمة: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ»، لكى لا يبقى أدنى مجال للشك

فی حقیقة عودة الإنسان إلی التراب الذی خلق منه فیری هناک جزاء أعماله من ثواب أو عقاب.

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۳۰

تأمّلان

۱- سبل مواجهة التعلق بالدنیا

إنّ حبّ الدنیا کما ورد فی الروایة هو رأس کل خطیئة وأساس جمیع الذنوب والمعاصی، کما أنّ التعلّق بها والاغترار بزخارفها وحطامها یصد الإنسان عن ربّه وینسیه الآخرة والحساب یوم القیامة، ومن شأن هذه الغفلة والصدود أن تشکل أحد العوامل المهمّة التی تقذف بالإنسان فی وحل الخطایا والذنوب، وقد شهد عصر الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام تنامی الأموال والثروات إثر التقدم السریع الذی أحرزه الإسلام والغنائم المتحصلة من الغزوات، وهو الأمر الذی لفت إنتباه طائفة عظیمة من المسلمین لیشدّه إلی الدنیا ویدفع بها إلی التکالب علیها، وأفضل شاهد علی ذلک الفساد المالی العظیم الذی حصل علی عهد عثمان، ومن هنا لم ینفک الإمام علیه السلام فی أغلب خطب نهج البلاغة من ذمّ الدنیا والتحذیر من الانخداع بها والرکون إلیها والوثوق بها، وقد أورد عباراته بمنتهی الفصاحة والبلاغة وبالشکل الذی یجعلها تثیر حساسیة أهل الغفلة ممن نسوا أنفسهم وتعلّقوا بالدنیا، ولا سیّما فی هذه الخطبة التی مرّ علینا شرحها، فقد سارت مواکبة للقرآن الکریم فی ذمّه للدنیا، وقد سلک الإمام علیه السلام مختلف الطرق من أجل بیان هذه الحقیقة منها:

۱- تحدّث علیه السلام بادیء ذی بدء عن

«غدر الدنیا وعدم ثباتها»

وکیف استقطبت کل من تطلّع إلیها بینما ولّت ظهرها وتنکرت له وقذفت به فی وحل البؤس والشقاء.

۲- تحدّث أحیاناً عن

«تقلب الدنیا السریع»

حیث سرعان ما تتبدل القوّة ضعفاً، والانتصار هزیمة، والغنی فقراً، والعافیة مرضاً.

۳- کما تحدّث أحیاناً أخری عن إختلاط النعم بالآلام، والمعافاة والعذوبة بالمرارة، فهنالک الاشواک حیث الأزهار، والأفاعی حیث الکنوز، بهدف عدم اغترار الناس بالدنیا والتعلّق بها والانخداع بزخارفها.

۴- کما یصحب علیه السلام مخاطبیه تارة أخری لیوقفهم علی نماذج عینیة ملموسة للغدر وعدم الثبات الذی تنطوی علیه طبیعة الدنیا، فیقول لهم: إنظروا إلی الدنیا ماذا فعلت بمن کان أشدّ منکم قوّة وأکثر جمعاً للأموال وأعظم جنداً.

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۳۱

۵- وأحیاناً أخری یکون علی غرار الرسّام الماهر الذی أمسک بریشته وجعل یرسم علی لوحته الحالات المرعبة للإنسان علی أعتاب الموت، وإنفصاله عن الأهل والولد والمال والثروة والجاه والمنصب، فیضع تلک اللوحة أمام أعینهم لیروها عن قرب فیعتبروا ویفکروا فی مصیرهم.

۶- کما یعمد أحیاناً أخری لرسم لوحة صادقة معبّرة عن ضیق القبر وظلمته والذی یمثل آخر منازل الدنیا، فهو یحکی عن وحدة الإنسان وغربته وسط ما یجاوره من قبور صامتة، فلیس هناک من تزاور بینهم قط، کما لیس لأحد منهم علم عن آخر، إلی جانب تصویره لانقطاع الإنسان عن زوجته وولده ومدی عجزه وحاجته.

والملفت للنظر هو أنّ جمیع هذه المباحث والمضامین إنّما تتحرک فی ظلّ آیات القرآن الکریم، فأحیاناً تشیر صراحة إلی تلک

الآيات، وأخرى تكون العبارات مستقاة من الآيات القرآنيـة، وهـذا ما يسيغ نوراً ولمسات روحية، وجذبات معنوية على كلمات الإمام على عليه السلام وبالتالى مضاعفة مدى تأثيرها.

يـاليت أهل الـدنيا ممن اغتروا بها وخـدعوا بحطامها وزيفها وتزينها أن يلتفتوا لأنفسـهم ولو لحظـة واحـدة طيلـة عمرهم فيطالعوا هـذه الخطبـة الموقظة ويتدبّروا عباراتها ومفاهيمها، بل ما أحرانا نحن أيضاً أن نتأمل هذه الخطبة وما شابهها من الخطب التى وردت فى نهج البلاغة لتتعمق معرفتنا بخصوص الدنيا والوقوف على مدى ضحالتها وتفاهتها فتتجدد فينا روح الطاعة والابتعاد عن الخطيئة والمعصية.

جـدير بالـذكر أنّ العديـد من الأدباء والشـعراء قـد انطلقوا أيضاً فى ظلّ الآيات القرآنيـة والروايات الشـريفة والمفاهيم الدينيـة فانشدوا أشـعاراً تهزّ الضـمير وتوقفه على واقع الـدنيا، من اولئك الشـعراء الايرانيين هو الشاعر الكبير والفريـد «الحافظ الشـيرازى» الـذى أنشـد أشعاراً كثيرة بشأن سرعة زوال نعم الدنيا وغدرها وأنّ حلاوتها قد مزجت بالمرارة وراحتها بالألم وسلامتها بالمرض والسقم، كما نظم قصائداً فى تقلب أحوال الدنيا وتغيرها المفاجىء وعدم استقرارها على حال.

قصر الجديد إلى بلىوالوصل فى الدنيا انقطاعه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲

أى اجتماع لم يعديتفرق منها اجتماعه

أم أى شعب ذى إلتئاملم يبدده انصداعه

أم أى منتفع بشىءثم تمّ له انتفاعه

يا بؤس للدهر الذىما زال مختلفاً طباعه

قد قيل فى مثل خلايكفيك من شر سماعه

ومن كلام الحكيم فى الـدنيا: «إنـا قـد أصبحنا فى دار رابحهـا خاسـر، ونائلها قاصـر، وعزيزها ذليل، وصـحيحها عليل، والـداخل إليها مخرج، والمطمئن فيهـا مزعـج، والـذائق من شـرابها سـكران، والواثق بسـرابها ظمـآن، ظاهرهـا غرور، وباطنها شـرور، وطالبها مكـدود، وتاركها محمود».

۲- الردّ على سؤال

حين نطـالع مـا أورده الإمـام عليه السـلام فى هـذه الخطبـة حول «أهـل القبور» فى أنّهم جيرة لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون وما إلى ذلك، يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال وهو أنّه وردت عدّة روايات صرّحت بعضـها بأنّ أهل القبور يجتمعون أحياناً مع بعضـهم ويطلع كل منهم على أوضاع الآخر وأنّ لهم مجالسهم وحلقاتهم، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«كَأَنِّى بِهِم حِلَقٌ حِلَقٌ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ»[۷۱].

فكيف الجمع بين هذه الروايات وما ورد فى عبارات الخطبة المذكورة؟

ولعـل الآجابـة على هـذا السؤال تتضـح من خلال الالتفات إلى أنّ الروايات المـذكورة إنّما وردت بشأن المؤمنين وأصـحاب الأعمال الصالحـة، وأمّا ما جاء فى هـذه الخطبـة، فإنّما ورد بشأن أصـحاب الـدنيا من أهل الأعمال السيئة، وعليه فليس هنالك من تعارض بين هذه الخطبة وما صرّحت به الروايات.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳

الخطبة[۷۲] المأة و إثنتا عشرة

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفيه النفس وعجز الخلق عن وصف اللَّه

نظرة إلى الخطبة

تفيد بعض القرائن أنّ هذه الخطبة جزء من خطبة مفصلة طويلة، وهى تهدف فى الواقع إلى بيان هذه الحقيقة التى تكمن فى عجز البشرية عن إدراك كنه الذات وصفات اللَّه سبحانه وتعالى، وذلك لأنّ الإنسان إن عجز عن معرفة ملك الموت وصفاته وطبيعة أعماله، فكيف يتوقع أن يقف على كنه الذات والصفات للخالق سبحانه كما هى عليه.

والذى يفهم من كتاب «تمام نهج البلاغة» أنّ هذه الخطبة هى جزء من الخطبة المعروفة بالأشباح والتى أوردها الإمام على عليه السلام بشأن عجز الإنسان عن إدراك كنه الذات والصفات الإلهيّة، والحق إنّ عبارة هذه الخطبة تنسجم تماماً وعبارات خطبة الأشباح، فاذا ما وضعت الخطبتان مع بعضهما لتوصلنا إلى أنّ الخطبة التى بين أيدينا هى جزء من تلك الخطبة[۷۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵

«هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِيْنَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ. أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمِ الرُّوحُ أَجابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فى أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!».

الشرح والتفسير

أينما تكونوا يدرككم الموت

كما ورد سابقاً فانّ هذه الخطبة فى الواقع جزء من خطبة التى تصدت لبيان صفات اللَّه تعالى وعجز البشرية عن إدراك كنهه وصفاته سبحانه، وقد استدل الإمام عليه السلام بمثال فى هذه الخطبة يشخص الحقيقة المذكورة ويبيّن عجز الإنسان عن الوقوف على كنه ذات أغلب المخلوقات، وبناءاً على ما سبق فكيف يمكن توقع وقوف هذا الإنسان على كنه ذات وصفات الخالق المطلق بينما لا يسعه إدراك كنه مخلوق مثله؟

فقد قال عليه السلام:

«هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟».

قطعاً أنّ روح الإنسان تفصل عن جسده من قبل ملك الموت، كما صرحت بذلك العديد من الآيات القرآنية، والحال ليس لدينا أى علم بولوجه من أجل قبض الروح ولا خروجه، كما لا نراه حين يقبض الروح، رغم أنّه مخلوق من مخلوقات اللَّه سبحانه، وما أكثر من مثله من الملائكة الذين يتعذر علينا رؤيتهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالتطرق إلى مورد خاص بشأن قبض الروح والذى يتصف بالتعقيد والغموض، وهو قبض روح الجنين فى بطن امّه، فقال عليه السلام:

«بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِيْنَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ. أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمِ الرُّوحُ أَجابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فى أَحْشَائِهَا؟».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶

فمن البديهى أنّه يشق على كل عالم بانتقاء أى من الأجوبة الثلاث على سؤال المذكور، فليس هنالك دليل يثبت أى منها، وعليه فقضية قبض الروح بواسطة ملك الموت بحدّ ذاتها قضية شائكة غاية فى التعقيد يعجز عن إدراكها الإنسان فضلًا عن قبض روح

الجنين فى بطن امّه.

ثم يخلص الإمام عليه السلام من العبارات السابقة إلى هذه النتيجة:

«كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!».

نعم، فهناك الألوف المؤلفة من المخلوقات والكائنات التى عجز الإنسان عن إدراكها حتى بعد تطور العلوم وتقدمها، فما حقيقة الروح؟ وما كيفية إرتباطها بالجسد؟ كيف تنسلخ عن الجسد؟ وأين تتجه هذه الروح بعد انفصالها من البدن؟ ما حقيقة الحياة؟ لم استطاع العلماء جمع كافة العناصر الموجودة فى الخلية الحية فى مختبراتهم بصورة صناعية إلّاأنّهم عجزوا عن نفخ الروح فيها؟!

ما حقيقة الزمان والمكان؟ ما كيفية أمواج الجاذبية التى تربط شرق العالم بغربه؟ ومئات الأسئلة من هذا القبيل.

فاذا عجزنا عن وصف هذه المخلوقات التى نشترك معها فى كثير من الأمور، فكيف نتوقع إمكانية وصفنا للّه‌الذى لا يشترك معنا فى أى أمر؟! بلى، لدينا علم إجمالى بوجوده وصفاته سبحانه، حيث نعلم أنّه موجود وله الصفة الفلانية على سبيل الإجمال، إلّاأنّ الكل يعرب عن عجزه وفشله من اقتحام ميدان العلم التفصيلى، بما فيهم أنبياء اللّه سبحانه وتعالى.

تأمّلات

۱- ملك الموت أم ملائكة الموت

هل ملك واحد أم جماعة؟ سؤال يتبادر إلى أذهان الكثيرين، فقد وردت بعض الآيات القرآنية التى نسبت إلى اللّه تعالى قبض الأرواح: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...»[۷۴].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷

بينما نسبت البعض الآخر منها قبض الروح إلى الملائكة، كما نسبته إلى ملك الموت الذى عبّرت عنه أيضاً بالملائكة، فقد صرحت الآية ۱۱ من سورة السجدة قائلة: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ...». وقالت الآية ۸، من سورة النحل: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ».

ويعلم أرباب التفسير وأهل التحقيق قى القرآن أن ليس هنالك أى تعارض بين الآيات الثلاثة المذكورة، وذلك لأنّ السنة الإلهيّة جرت فى تفويض الملائكة تدبير شؤون الخلق وأمور العالم، وعليه فالفعل المذكور هو فعل اللّه سبحانه من جانب حيث منه يصدر الأمر، وهو فعل الملائكة من جانب آخر كونها تباشر ذلك العمل، على سبيل المثال يقال الحاكم الفلانى جدد بناء المسجد الحرام فى التاريخ الفلانى، يعنى أنّه أصدر أوامره للمهندسين والمقاولين والبنائين بمباشرة ذلك البناء، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: لملك الموت معنى الجنس، ونعلم أن الجنس يستعمل فى مفهوم العموم ومعنى الجمع أيضاً.

واستناداً لما مرّ معنا فانّ قبضة الأرواح هو طائفة من الملائكة يباشرنا ذلك العمل بأمر اللّه سبحانه وكبير هذه الملائكة هو «عزرائيل».

ويعتقد البعض بأنّ الملكين المأمورين بكتابة أعمال الإنسان هما اللذان يتوليان قبض روح الإنسان إذا انتهى أجله، ولعل العبارة الواردة فى الآية الشريفة: «وكّل بكم» أشارت إلى هذا المعنى.

ولما كان الصلحاء والاتقياء يتميزون بجميع خصائصهم عن الطلحاء والمتهتكين، فمن الممكن أن تختلف الملائكة التى تتولى قبض أرواحهم، ولقبض الروح الطاهرة لعظماء الناس كالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فانّ شخص ملك عزرائيل عليه السلام هو الذى يتولى هذه المهمّة[۷۵].

۲- كيفية قبض الأرواح

تبدو قضية قبض الروح مبهمة وغامضة لدينا على غرار الابهام الذى يكتنف ولوج

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸

الروح فى البدن، وكل الذى نعرفه بهذا الخصوص هو قطع الرابطة القائمة بين الروح والجسد حين قبض الروح، ولكن كيف يحصل ذلك وبأية صيغة؟ فهذا ما يكتنفه الغموض والابهام.

ويبدو أنّ كل ما ورد فى الروايات الإسلامية يكون من قبيل التلميحات والتشبيهات، وإلّا فليس لدينا سجناء عالم المادة من سبيل إلى مثل هذه الأمور المتعلّقة بعالم ما وراء الطبيعة.

فهل ملك الموت كائن فى موضع- كما ورد فى بعض الروايات- والدنيا لديه كالدرهم فى كف اليد يقلبه كيف يشاء بحيث يتوفى كل أحد إذا ما صدر أمر وفاته، فيقبض روحه، أم أنّ ملائكة الموت انتشروا فى كل مكان من العالم ويتجهون لقبض الأرواح إذا حان أجلها؟

لقد ذكرت ثلاثة احتمالات فى الخطبة بشأن الأطفال الذين تقبض أرواحهم وهم أجنة فى بطون أمهاتهم:

الأول: ورود ملك الموت فى أحشاء الام من بعض جوارحها.

والثانى: يدعو روح الجنين اليه وهو فى الخارج.

الثالث: كونه مع الجنين فى أحشاء الام منذ البداية، ولذا عدم ترجيح الامام عليه السلام أحد هذه الاحتمالات الثلاثة إشارة الى حقيقة أنَّ صعوبة إدراكنا لجزئيات هذه الأمور بفعل وجودنا فى عالم المادة.

وقد ركز بعض شرّاح نهج البلاغة على الاحتمال الثانى من بين الاحتمالات الثلاثة المذكورة، ولعل دليلهم فى ذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قيل لملك الموت عليه السلام: كيف تقبض الأرواح وبعضها فى المغرب وبعضها فى المشرق فى ساعة واحدة؟

فقال: أدعوها فتجيبنى، قال: ثم قال ملك‌الموت: إنّ الدنيا بين يدى كالقصعة بين يدى أحدكم يتناول منها ما شاء»[۷۶].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹

الخطبة[۷۷] المأة ثلاثة عشرة

اشارة

مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

فى ذمّ الدنيا

نظرة إلى الخطبة

تحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن عدّة مسائل مهمّة مرتبطة مع بعضها البعض الآخر.

فقد حذر عليه السلام فى القسم الأول من الخطبة من الدنيا، ثم ذكر عيوبها ومصائبها، حيث شبّهها بالدار الآيلة للسقوط فلا ينبغى الاغترار بها، ثم واصل فى القسم الثانى كلامه بهذا الخصوص موصياً بعدم نسيان الموت والزهد فى الدنيا من خلال عدم التعلّق بها.

وأخيراً إختتم الخطبة بالإشارة إلى تشتت المسلمين واختلافهم وإسناد ذلك إلى التهافت على الدنيا، وإنّ صلاح المجتمع فى الحذر منها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱

القسم الأول: التحذير من الدنيا

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ. وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ! اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ. وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ».

الشرح والتفسير

إتّجه الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة نحو ذمّ الدنيا وأصحابها المتكالبين عليها، ثم حقّرها وعدّد عيوبها بما يوقظ كل عاقل وينبهه إلى أنّ الدنيا لا يمكنها أن تكون سبيل للنجاة وأداة للسعادة.

فقد استهل عليه السلام الخطبة بتحذير مخاطبيه بما فيهم الناس آنذاك واليوم وسائر الأفراد فى كل العصور من الدنيا قائلًا:

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ. وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ».

«القلعة»

بضم القاف وسكون اللام المشتقة من مادة «قلع» الموضع غير المستوطن الذى يجب أن يرحل عنه الإنسان فى أى زمان.

و

«النجعة»

بضم النون عكس سابقتها فهى تعنى الموضع الذى عثر فيه الإنسان على الخير

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲

والبركة، وقد عزم قطعاً على الاستقرار فيه، وعليه فمفهوم كلامه عليه السلام أنّ الدنيا منزل مؤقت عابر ولا قيمة لها لكى يتخذها الإنسان موضعاً للإقامة والاستقرار، ثم واصل عليه السلام الكلام بالإشارة إلى أدلّة المطلب السابق ليقول:

«قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ[۷۸] هَانَتْ

عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا».

إذا أردت الحصول على الرزق الحلال فانّ عليك أن تتحمل آلاف المصاعب والمعاناة وأن تتجاوز الطرق الوعرة والمطبات الشائكة، كما عليك أن تعد بدنك لوخز الأشواك كلما حاولت غرس الزهور، وإن إبتغيت العسل فما عليك إلّاأن تتوقع لدغ الزنابير، فالواقع هناك أفعى كامنة فى كل كنز ومرارة فى كل حلاوة، وعلى سبيل المثال فمن لم يرزقه اللّه الولد عاش الهم والغم الذى يثقل كاهله ويكدّر روحه، ولكن ما إن يرزق الولد حتى يواجه سيل المشاكل التى تعقب ذلك، وهكذا سائر النعم التى يثير فقدانها الغم ووجودها التعب والإرهاق.

ثم أكّد عليه السلام ذلك الكلام على أنّه هو السبب الذى لم يجعل اللّه سبحانه يرضها ثواباً لأوليائه ولم يمنعها عن أعدائه:

«لَمْ يُصْفِهَا[۷۹] اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَ ۸۰] بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ».

نعم، لو كان متاع الدنيا ثمين لخصّ بها الحق سبحانه أولياءه وزواها عن أعدائه، لكنّها لما كانت زهيدة لا قيمة لها، فهو يهبها لكل شخص.

ثم أضاف عليه السلام:

«خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[۸۱]. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا

يَخْرَبُ».

والعجيب ليس هناك من تدريج فى هذه التغييرات وزوال النعم وانهيار الحكومات وخراب المعمور، بل أحياناً يتغير كل شىء خلال

ساعة، بل فی برهة من الزمان والتاريخ مليیء بمثل هذه الحوادث المرعبة والتی تنطوی علی العبر والدروس.

فكيف والحال هذه يتعلق بالدنيا عاقل؟ ويثق بنعمها؟ ويفرح باقبالها ويحزن لإدبارها؟

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳

ثم واصل الإمام عليه السلام الكلام بهذا الخصوص من خلال طرحه علی شكل سؤال، لينطلق الجواب عليه من باطن قلب المخاطب فيكون له أثره البالغ والعميق:

«فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ!».

لقد استعمل الإمام عليه السلام قمّة الفصاحة والبلاغة فی هذه التشبيهات الثلاث، فقد شبّه بادیء الأمر الدنيا بدار خاوية بالية قد انفطرت جدرانها وأشرفت سقوطها علی الانهيار، ثم شبّه عمر الإنسان بالأطعمة التی توضع علی المائدة وتأخذ بالتناقص مع مرور الزمان إثر تناولها، وأخيراً شبّه فترة بقاء الإنسان فی هذا العالم بالأسفار القصيرة التی لا يكاد المسافر يحث خطاه فيها حتی ينقطع أمدها.

ثم إختتم عليه السلام هذا القسم من الخطبة بثلاث وصايا خاطب بها الجميع فقال:

«اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَی بِكُمْ».

فقد أوصی الناس فی العبارة الاولی أن يهتم الناس علی الأقل بالفرائض الشرعية بقدر طلباتهم الشخصية فيجدوا ويجتهدوا فی هذا الأمر، لا أن يجعلوا الصدارة لحاجاتهم الدنيوية ويهمّشوا الفرائض الإلهيّة والواجبات الشرعية.

كما يحتمل أن يكون المراد اجعلوا التوفيق للإتيان بالفرائض والواجبات الشرعية من حاجاتكم وطلباتكم بين يدی اللَّه تبارك وتعالی، غير أنّ المعنی الأول يبدو هو الأنسب وذلك للإشارة إلی هذا المعنی والتی وردت فی العبارة الثانية إذ قال:

«وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ»

، وعليه سيكون تفسير الجملتين تكرار لمفهوم واحد.

وأخيراً أشارت العبارة الثالثة إلی التأهب والاستعداد لمواجهة الموت من خلال أداء حقوق الناس والتوبة من الذنوب وتدارك ما فرط، وبخلافه فانّ الموت سيباغت الإنسان ويقذف به فی عالم لم يعد العدّة لدخوله.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵

القسم الثانی: صفات الزهّاد فی الدنيا

«إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِی الدُّنْيَا تَبْكِی قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَی دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلی ثلاث نقاط تكمل المقطع المذكور من الخطبة وتؤكّده، وهی مقدمة للقسم القادم من الخطبة.

فقد إتّجه أولًا إلی وصف الزهّاد فی الدنيا ليتضح وضع كل فرد من خلال مقارنة أحوال المخاطبين مع أحوال اولئك، فذكر ثلاث خصائص يتحلی بها الزهّاد قائلًا:

«إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِی الدُّنْيَا تَبْكِی قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا».

صفتهم الثانية تكمن فی شدّة حزنهم رغم فرحهم وسرورهم:

«وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا».

وأمّا صفتهم الثالثة فهم ناقمون على أنفسهم ساخطون عليها (وهم ليسوا راضين عن أعمالهم وطاعاتهم) رغم شكرهم اللَّه سبحانه وتعالى على موفور الرزق والنعمة:

«وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا[۸۲] بِمَا رُزِقُوا».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶

نعم، فعيون قلوبهم باكية لما يرون فى أنفسهم من نقائص وعيوب وما يبتدر منهم من زلّات أحياناً، وإن عاشوا حالة من السرور والضحك على مستوى الآداب الاجتماعية والأخلاقية، إنّهم يأسفون على ماضيهم ويغتمون لما كانت فى أيديهم من فرص لم يستثمروها، رغم ما هم عليه ظاهرياً من الفرح والسرور، إلى جانب ذلك فانّ لسانهم يلهج بحمد اللَّه وشكره على ما حباهم به من نعم مادية ومعنوية من جهة، ومن جهة أخرى فهم لا ينفكون عن مقتهم لأنفسهم وتوبيخها لشعورهم بالتقصير فى عدم استثمارها بالشكل الصحيح.

وخاصة القول فهم فى مقام النقد لأنفسهم وإصلاح نقائصهم ومعايبهم المعنوية وهذا هوالسبب فى حركتهم التكاملية نحو اللَّه سبحانه، فهم لا يقنعون بوضعهم السائد قط ليكون ذلك مدعاة لتخلفهم وإنحطاطهم.

ثم شرح فى النقطة الثانية وضع مخاطبيه ليقارنوا أنفسهم بالزهّاد فيقفوا على عيوبهم، وقد بيّن لهم ثلاث صفات:

«قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ».

نعم، فالدنيا تستولى على عقل الإنسان وفكره وينسى الآخرة إذا ما غاب عن قلبه ذكر الموت وإنهمك فى هذه الدنيا العابرة واحاطة القلب بالأمانى الخيالية الكاذبة.

ثم إختتم عليه السلام هذا المقطع من الخطبة ببيان هذه النتيجة:

«وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ ۸۳] وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ».

فالعبارة تشير إلى توفر سبل الوحدة بينكم من خلال الإخاء الإسلامى وقد تصدعت هذه السبل بفعل الاختلافات التى تستند إلى التعصب والحقد والحسد وحبّ الدنيا وضيق الافق، فأدّى ذلك بالتبع إلى ضعف الأمن الداخلى والعجز أمام العدو الخارجى وبالنتيجة قطعت عنكم البركات الاجتماعية كالتعاون والموازرة وإسداء الخدمات المتبادلة أواصر المحبّة والصداقة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۷

فهذه العبارة تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ حبّ الدنيا وخبث السريرة وسوء النيّة والأخلاق لا يفسد الآخرة فحسب، بل يحيل المجتمع البشرى إلى بؤرة للتوتر والنزاع والاصطدام بحيث تنعدم فيه مظاهر التعاون والمساعدة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۹

القسم الثالث: العود على ذمّ أصحاب الدنيا

«مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ. صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام- فى القسم من الخطبة والذى يمثل آخرها- أصحاب الدنيا وهو يسعى لإيقاظهم من سباتهم وغفلتهم من خلال الذم واللوم القائم على أساس الدليل والبرهان فقال:

«مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ ۸۴] مِنْهَا عَنْكُمْ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ».

نعم، هذا حال أغلب أهل الدنيا الذين لا يحزنهم فوات الأمور المعنوية بينما تنقلب أحوالهم لأدنى ضرر مادى يحيق بهم، على سبيل المثال ليس هناك ما يقلقهم إذا فاتتهم صلاة الفجر

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۰

لعدّة أيّام متتاليات، أو لا- يغتمون إن حرموا لسنوات من فيوضات التهجد وقيام الليل، بينما يضجرهم خسران بضعة دارهم، فلا يتمالكون أنفسهم عن الزعيق بمن حولهم، ولعل هذا التفاوت الواضح والمخجل يستند إلى أحد أمرين: إمّا ضعف إيمانهم بالآخرة والوعد والوعيد الإلهى، أو أنّهم مؤمنون بالآخرة والوعد والوعيد غير أنّ الهوى قد أحاط بقلوبهم واستولى على أنفسهم وسيطرت عليهم الغفلة بحيث لم يعودوا يروا سوى الدنيا وحطامها ومتاعها الزائل.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالحديث عن نقطة ضعف أخرى يمتاز بها طلّاب الدنيا والتى تتمثل بعدم قدرة أى أحد منهم على التعرض لعيوب أخيه (بهدف الإصلاح والنهى عن المنكر) ما ذلك إلّاخشية أنّ يجابهه بنفس ذلك العيب:

«وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ».

فالعبارة تشير إلى حرمانهم من إصلاح بعضهم البعض الآخر رغم إتصافهم بكل تلك العيوب الناشئة من حبّ الدنيا، وذلك لأنّه لا يجرأ أحد منهم أن يتصدى للإصلاح فهو يخشى الردّ من الآخرين الذين ينبرون له ويقولون: إنّ هذا العمل أو ذاك شيئاً فلم نفعله؟ وإن كنت طبيباً فهلّاً عالجت نفسك قبل أن تهم بعلاج الآخرين (طبيب يداوى الناس وهو عليل)؟

وهل يصح اطلاق الحجر ممن كان بيته من الزجاج؟!

ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالقول كأنّكم قد اتفقتم على نبذ الآخرة والذوبان فى الدنيا وقد أصبح الدين لقلقة لسان، وأنّكم لأشبه بمن قام بعمله وأحرز رضى سيده ومولاه:

«قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً[۸۵] عَلَى لِسَانِهِ. صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ».

قد تحصل أحياناً بعض الأفعال الشائنة بين الناس دون أن يكون هناك إتفاق مسبق عليها، إلّاأنّها على درجة من التناغم والتنسيق والانسجام وكأنّهم حضروا عدّة جلسات مخططة ومبرمجة، وقد اتفقوا على كل شىء، وما هذا إلّالتشابه الدوافع فى مثل هذه الامور،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۱

وأحد مصاديقها الواضحة يتمثل بعدم المبالاة بالقضايا المرتبطة بالآخرة والخلود إلى الدنيا المادية.

يمكن أن يكون مثل هؤلاء الأفراد الطلّاب للدنيا من المتدينيين ظاهرياً، غير أن تدينهم لا يتجاوز سلسلة من الشعارات والمزاعم والألفاظ وأحياناً القليل من العبادات، والمفردة «لعقة» تشير إلى هذا المعنى، وقد يعيشون أحياناً حالة من الرضى عن أنفسهم وكأنّهم عملوا بكل تكاليفهم الشرعية ووظائفهم الإنسانية وقد فازوا بمقام القرب الإلهى وبلوغ رضاه، والواقع هذا انحراف خطير أشار الإمام عليه السلام إليه فى آخر هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۳

الخطبة[۸۶] المأة و أربة عشرة

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

وفيها مواعظ للناس

نظرة إلى الخطبة

مزج الإمام عليه السلام القسم الأول من هذه الخطبة حمد اللَّه والثناء عليه بعبارات تكشف معالم طريق معرفة اللَّه تعالى وتعلّم الإنسان اسلوب الشهادة بالإخلاص، كما تبيّن أهميّة الشهادة بالوحدانية والنبوة وذلك بعبارات عميقة المعنى، وفى القسم الثانى من الخطبة دعى الجميع إلى التحلى بالورع والتقوى وتطرق إلى آثارها وبركاتها التى تنعكس على حياة الإنسان.

أمّا القسم الثالث فقد جرى فيه الحديث عن تقلب أحوال الدنيا وسرعة زوال النعم وعدم بلوغ الأمانى وقصر الحياة الدنيا، وأخيراً القسم الرابع الذى تضمن مختلف النصائح والمواعظ البالغة حيث دعى الجميع إلى طاعة اللَّه سبحانه وحذّرهم من نسيان الآخرة والانغماس فى مخالب الغفلة والغرور بالحياة الدنيا، ولا يخفى على أحد الترابط الوثيق بين الأقسام الأربعة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۴

وتبلورها فى عرض سلسلة من المواعظ المتسقة.

أمّا فصاحة وبلاغة هذه الخطبة ولطافة وعذوبة عباراتها ليتبيّن ممّا صرّح به صاحب كتاب «الطراز» الإمام يحيى الزيدى (من علماء القرن الثامن) فى ختام هذه الخطبة إقال:

«لَو كَانَ كَلامٌ مِنْ كَلامِ البَشَرِ مُعْجِزَةً لَكَانَ هذا هُوَ الأَولُ وَلَو أَعْجَزَ شَيءٌ مِنَ الكَلامِ بَعْدَ كَلامِ اللَّهِ لَكَانَ هذا هُوَ الثّانِى»[۸۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۵

القسم الأول: الثقة القيّمة

اشارة

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنّعَمِ وَالنّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلائِهِ. وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هذِهِ النُّفوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ. وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ:

عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله و سلم عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة إلى مسائل مهمّة فى جانب حمد اللَّه والثناء عليه والاستعانة بذاته المقدّسة والاستغفار من الذنوب والمعاصى، فقال بادىء ذى بدء:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنّعَمِ وَالنّعَمَ بِالشُّكْرِ».

قرن الحمد بالنعمة يستند إلى أنّ حمد اللَّه تعالى بنعمه وشكره يجعل الإنسان جديراً بالنعم، فهذا الحمد يجعل العباد يتمتعون بنعمه وأفضاله، كما تعود علاقة النعمة بالشكر إلى أنّ النعمة سبب الشكر، وذلك لأنّ العباد مكلّفون بشكر كل نعمة، فالشكر واجب على كل نعمة (الواقع هو أنّ الحمد يشكل السبب التكوينى للنعم والنعم السبب التشريعى للشكر)، والشاهد على ذلك ما ورد فى الخطبة

۱۵۷ إذ قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِکْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِیدِ مِنْ فَضْلِهِ».

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۵۶

طبعاً یمکن أن تکون هناک عدّة تفاسیر أخری للعبارتین المذکورتین من حیث تفاوت العلّة والمعلول، غیر أنّ ما ورد هو أنسبها جمیعاً.

ثم قال علیه السلام فی المسألة الثانیة:

«نَحْمَدُهُ عَلَی آلَائِهِ، کَمَا نَحْمَدُهُ عَلَی بَلَائِهِ».

فی إشارة إلی أنّ البلاء الإلهی هو فی الواقع نوع من النعم، کما بیّنا ذلک فی بحثنا لفلسفة الآفات والبلاء ضمن مباحث التوحید والعدل، فقد یکون البلاء سبباً للیقظة والعودة إلی اللَّه تعالی وترک المعاصی أحیاناً، وقد یکون أحیاناً أخری بلاءاً ظاهراً، لکنّه نعمة باطنیاً، غیر أننا لا نمیز ذلک، فربّما یکون البلاء کفّارة للذنوب کما قد یکون وسیلة لمعرفة قدر النعم وذلک لأنّ الإنسان قد لا یعرف قیمة النعم إلّاأن یفقدها ویتعرض إلی بعض الشدائد، وإلّا فالحکیم تبارک وتعالی لا یعرّض شخصاً للبلاء عبثاً، وعلیه فبلاؤه رحمة وداؤه دواء.

ثم قال فی المسألة الثالثة:

«وَنَسْتَعِینُهُ عَلَی هذِهِ النُّفوسِ الْبِطَاءِ[۸۸] عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ

إِلَی مَا نُهِیَتْ عَنْهُ».

إشارة إلی النفوس البشریة ما لم تبلغ المرحلة المتکاملة للنفس المطمئنة فهی ضعیفة فی الإتیان بالوظائف الشرعیة وإمتثال الأوامر الإلهیّة ومسارعة فی مقارفة الذنوب التی تنسجم والغرائز الحیوانیة، ویتعذر تجاوز مرحلة النفس الأمارة وبلوغ مرحلة النفس اللوامة والوصول إلی النفس المطمئنة ما لم تکن هناک نصرة اللَّه ومدده.

ثم قال علیه السلام:

«وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ کِتَابُهُ: عِلْمٌ غَیْرُ قَاصِرٍ، وَکِتَابٌ غَیْرُ مُغَادِرٍ».

فالعبارة تشیر إلی أننا إن لم نستغفر من الذنوب ولم نجل صدأ القلوب فسوف لن یسعنا التخلص من وساوس النفس والفوز بمقام القرب وبلوغ تلک المرحلة من الإیمان التی سیأتی الحدیث عنها لاحقاً، والواقع هو أنّ الاستغفار تکمیل للبحث السابق ومقدمة للبحث القادم.

أمّا القضیة الأخیرة فقد تناولت النتائج النهائیة لهذا البحث فقال:

«وَنُؤْمِنُ بِهِ إِیمانَ مَنْ عَایَنَ الْغُیُوبَ وَوَقَفَ عَلَی الْمَوْعُودِ، إِیمَاناً نَفَی إِخْلاصُهُ الشِّرْکَ، وَیَقِینُهُ الشَّکَّ».

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۵۷

إشارة إلی خلاص الإنسان من وساوس النفس إذا ما مزج حمد اللَّه تعالی والثناء علیه بشکر النعم، وخرج سالماً معافی من میدان الامتحان وتغلّب علی هواه ونزع عن ذنوبه وتاب من معاصیه آنذاک له أن یبلغ کمال الإیمان، الإیمان الذی یبلغ به درجة الشهود، وکأنّه یری اللَّه ببصیرته ویشاهد بام عینیه الجنّه والنار وثواب المحسنین وعقاب المسیئین، الإیمان المنزّه عن کافة أشکال الشرک والیقین الذی لا یتطرق إلیه الشک.

نعم، فالیقین علی مراتب: المرتبة الاولی وهی مرحلة التی یتّجه إلیها الإنسان بواسطة البرهان والاستدلال والتی یصطلح علیها باسم «علم الیقین»، والمرتبة الثانیة وهی المرحلة التی یصلها الإنسان عن طریق الشهود وکأنّه یری من بعید الأنوار الإلهیّة وعرصة الحشر یوم الحساب، وهی المرحلة المسمّاة «عین الیقین» یلمس جمیع الأشیاء، فالأنوار الإلهیّة تحیطه من کل جانب ونسیم الجنّة المنعش یداعب

ظلال روحه ويتكدر لنيران جهنّم المحرقة، وهى المرحلة التى تدعى «حق اليقين»، وعلى هذا فالمراد بالعبارة عاين ووقف هو تلك المرحلة النهائية للإيمان واليقين والتى تبلغ فيها الإنسان مقام الشهود عن قرب وبالمعاينة.

وأخيراً يتّجه الإمام عليه السلام صوب الشهادة بالتوحيد والنبوة ليختتم به هذا المقطع من الخطبة، فقال:

«وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ».

فى إشارة إلى أنّ الشهادة بالوحدانية والنبوة إن انطلقت من أعماق النفس البشرية وظهرت أثارها على القول والعمل، فانّها على درجة من الطهر الاخلاص بحيث تشكل أثقل الأوزان فى ميزان الأعمال يوم القيامة حتى لا يخف ذلك الميزان بوجودها، والعكس صحيح لا ثقل لذلك الميزان مهما وضع فيه دونها.

ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أوحى اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالى إِلى مُوسى بنِ عِمرانَ عليه السلام: يا موسى لَو أنّ السمواتِ وَعَامِريهِنَّ غِندِى، والأَرضِينَ السَّبعَ فِى كَفَّةٍ وَلا إِلهَ إِلّااللَّهُ فُى كَفَّةٍ، مالَتْ بِهِنَّ لاإِلهَ إِلّااللَّهُ»[۸۹].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۸

وبالطبع ليس المراد بالزنة هنا الأوزان وما يرتبط بها عن ميزان، بل المراد زنة القيم على ضوء المعايير العقلية والمعنوية.

تأمّل

اسس الموفقية والنجاة

بيّن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة والذى يشكل فى الواقع مقدمة للقسم الثانى الذى يتحدث عن أهميّة التقوى وآثارها، حقيقة جذور الورع والتقوى والتى يكمن أهمّها فى الإيمان واليقين والمعرفة، والإيمان القوى والراسخ الذى يبلغ بصاحبه درجة تجعله كأنّه يرى اللَّه ويشاهد نعم الجنّة ونيران جهنّم، وممّا لا شك أنّ مثل هذا الإيمان هو مادة التقوى.

أضف إلى ذلك فقد أشار إلى الموانع الأصلية لهذا الأمر والتى تتمثل بالنفس الطائشة على أنّ الاستعانة باللطف الإلهى، هو سبيل النجاة منها وقد تطرق إلى ما ورد فى سورة يوسف وشأنه مع زليخا: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ»[۹۰].

حيث استعان بعدّة وسائل من أجل بلوغ هذا الهدف ومن ذلك حمد اللَّه والثناء عليه وشكره على النعم والبلاء والحديث عن التوبة والاستغفار بصفته أحد العوامل المؤثرة فى التوفيق فى هذا المسير، وما أن يتمّ الانتهاء من هذا البرنامج الإلهى حتى يشرع بحث التقوى على أنّه من الأبحاث المداعبة للقلب والتى تختزن تعتبر غاية فى التأثير ولو استفاد المرّبون وأساتذة درس الأخلاق من هذا الطريق الذى علمناه الإمام عليه السلام لتحقيق هذا الهدف لما كان هناك من شك فى تأثير حديثهم ونفوذ كلامهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۵۹

القسم الثانى: أعظم الفضائل

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتى هِىَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ: زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ. وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ. فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ

بِالنَّصَبِ، وَالرِّىَّ بِالظَّمَإِ. وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلاحَظُوا الْأَجَلَ».

الشرح والتفسير

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام عن تلك المقدمة الرصينة والوثيقة فى المقطع الأول من هذه الخطبة، إتجه إلى أهمّ فضيلة من الفضائل التى يكتسبها الإنسان وهى التقوى، فقد أشار فى البداية إلى آثارها الاخروية، فقال:

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتى هِىَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ: زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ».

من البديهى أنّ يحتاج الإنسان فى أسفاره الطويلة المليئة بالأخطار والمخاوف إلى شيئين:

الزاد والمتاع اللازم والمنازل والأماكن التى تحفظه من المخاطر، وهو ما صرّح به القرآن الكريم بقوله: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ...»[۹۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۰

وما اقتصه من خبر يوسف عليه السلام حين لاذ بالتقوى كسبيل للنجاة حين وقف على حافة خطر هاوية الذنب:

«قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ...»[۹۲].

حقاً إنّ التقوى كهف حصين وأمين وراسخ إزاء السيول الجارفة لأهواء النفس ووساوس الشيطان وحصن حصين للنجاة من نار جهنّم يوم القيامة وأفضل زاد ومتاع فى هذا السفر الملىء بالخوف والخطر.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالحديث عن أهميّة التقوى فى أنّ من دعا إليها أسمع داع نافذ الكلمة (إشارة اللَّه تبارك وتعالى، أو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، أو جميع الأنبياء والأولياء) وقد وعى تلك الدعوة خير واع (إشارة إلى كافة التقاة وأتباع مدارس الأنبياء):

«دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا».

ذهب البعض إلى أنّ المراد بالداع إلى التقوى قد يكون اللَّه سبحانه وتعالى أو شخص النبى صلى الله عليه و آله الذى ينطق عن اللَّه تعالى، والمقصود بواع التقوى هو على عليه السلام، ولا يبعد أن يكون لهما مفهوم عام يشمل جميع دعاة الحق ووعاته، على أنّ المنبع الأصلى هو الحق تبارك وتعالى والنبى صلى الله عليه و آله وإمام المتقين على بن أبى طالب عليه السلام.

ثم خاض عليه السلام فى الآثار القيّمة للتقوى فى خاصة عباد اللَّه فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ ۹۳] أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ. وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ۹۴]».

طبعاً العبارتان المذكورتان بشأن الليل والنهار هما تعبيران كنائيان لطيفان، حيث المراد أصحاب الليل الذين يفيقون فى جوف الليل، فيقومون للعبادة والتهجد وقد أحجموا عن النوم وانهمكوا بالدعاء والمناجاة، إلى جانب صومهم نهارهم وذكرهم اللَّه على كل حال، فالعبارة تشير إلى أنّ تقوى اللَّه هى مادة الحركة نحو جميع الفضائل والخيرات، وذلك لأنّ الإنسان حين يشعر بالمسؤولية ينطلق فى الحركة نحو إمتثال الطاعات واجتناب المعاصى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۱

والمحرمات، وما إحياء الليل والصوم إلّاجانب من آثار خشية اللَّه تعالى التى تسمى بالتقوى.

ثم إختتم هذا المقطع من الخطبة بوصف طريقة عبوديتهم لربّهم بأنّهم آثروا المشقة والتعب على الراحة والكسل والعطش على الرىّ، وقد شعروا بقصر الدنيا ودنو الأجل وهذا ما دعاهم إلى المسارعة فى الخيرات ومبادرة الأعمال الصالحة، وعدم الخلود إلى الأمل بعد أن جعلوا الموت نصب أعينهم:

«فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ۹۵]، وَالرِّىَ ۹۶] بِالظَّمَإِ. وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلاحَظُوا الْأَجَلَ».

نعم، ففى الوقت الذى ينغمس فيه أهل الدعة والراحة فى مختلف الذنوب والأرجاس ترى هؤلاء يغضون الطرف عن الراحة بهدف

مجانبة الذنوب والإتيان بالصالحات، وهم ليسوا كأهل الدنيا الذين خدعوا بها فوقعوا فى حبائلها وآمالها الكاذبة.

والواقع هو أنّ العبارة «فبادروا» و «فلاحظوا» هى نتيجة ومعلول للعبارة «واستقربوا» و «كذبوا» يعنى من يرى قرب الأجل وسرعة العمر يبادر بالعمل، ومن يكذب الآمال يفكر بالموت ويراه أمام عينيه، والطبع فانّ تحمل مصاعب وشدائد هذا العالم يؤدّى إلى سكينتهم الخالدة واستقرارهم التام، وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام فى موضع آخر بقوله:

«صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً»[۹۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۳

القسم الثالث: العبر والاعتبار

«ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ؛ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ. يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسَّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ. وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَالا يَسْكُنُ. ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ. وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً؛ لَيْسَ ذلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ، وَبُؤْساً نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ. فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْئَهَا، لَهَا جَاءٍ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ!».

الشرح والتفسير

لما كان الانغماس فى الدنيا والتكالب عليها وفقدان النفس لتوازنها إزاء زخارف عالم المادة من أهم العوامل لعدم التقوى، فقد ورد الحديث هنا عن تفاهة الدنيا وتقلب أحوالها وما تنطوى عليه من شدائد ونوازل بهدف اجتثاث جذور التحلل وعدم استشعار الورع والتقوى فقال عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ».

حيث تشير العبارة إلى أربع خصائص تمتاز بها الدنيا والتى يقود التفكير بها الإنسان إلى التعرف على الصورة الحقيقية للدنيا، ثم خاضت العبارات التالية فى شرحها الواحدة بعد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۴

الاخرى مع التطرق إلى بعض التفاصيل الدقيقة لكل واحدة منها، فأشارت فى البداية إلى خاصية فناء الدنيا، حيث صورت بعض علامات هذا الفناء فى أنّ الدهر يشبه الرامى الماهر الذى يطلق سهامه دون أن تطيش وتخطىء الهدف، كما يتعذر علاج جروح من أصابته تلك السهام:

«فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى ۹۸] جِرَاحُهُ».

فلا خلاص لأحد من الموت والعجز والمشيب والمرض والألم والعناء، ولذلك قال الإمام عليه السلام فى شرحه لهذه العبارة:

«يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسَّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ».

فأقوى أفراد البشر يستسلم يوماً للموت، كما يمرض أصح الأصحاء ويهزم حتى الأبطال.

نعم، هذه طبيعة الحياة الدنيا، وهذا هو القانون الذى لا يعرف لاستثناء، والغريب فى الأمر أنّ الجميع يعرف ذلك ويرونه بأعينهم ورغم كل ذلك فهم يتعلّقون بالدنيا ويخلدون إليها ويغترّون بها.

ثم يختتم عليه السلام كلامه بشأن توضيح فناء الدنيا قائلًا:

«آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ ۹۹]».

فقد كشف الإمام عليه السلام حقيقة فناء الدنيا من خلال العبارات الثمان التى أوردها فى وصف الدنيا، بحيث لا يشك من كان له أدنى عقل بفناء الدنيا وعدم دوامها.

ثم خاض عليه السلام فى شرح وتفسير عناء الدنيا ومن ذلك جمعه الأموال التى لا يستفيدها جميعاً والمبانى التى يشيّدها دون أن يسكنها وأخيراً يودع كل ذلك وينتقل إلى عالم آخر دون أن يحمل معه شيئاً من الأموال أو الدور:

«وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِى مَالا يَسْكُنُ. ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ».

نعم، كثيرون هم الأفراد الذين يدّخرون أموالًا طائلة، إلّاأنّهم لا يستفيدون إلّامن جزء يسير منها وما أكثر اولئك الذين يبنون لأنفسهم أعظم القصور والدور فلا يقيمون فيها إلّا مدّة قليلة، بل قد لا يسكنونها حتى ليوم واحد، وقد رأينا بأم أعيننا إقامة مراسم العزاء على أرواحهم فى تلك القصور الفخمة، فهم يتركونها فى خاتمة المطاف ولا يحملون من مال الدنيا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۵

سوى الكفن، بل ربّما لم يحملوا حتى ذلك الكفن، فتكون ثيابهم أكفانهم وبيوتهم قبورهم.

ورد فى البحار عن العلّامة المجلسى أنّ على عليه السلام قال:

«كَمْ مِنْ غافِلٍ يَنْسَجُ ثَوباً لِيَلْبَسَهُ وَإِنَّما هُوَ كَفَنُهُ وَيَبْنِى بَيتاً لِيَسكُنَهُ وَإِنَّما هُوَ مَوضِعُ قَبرِهِ»[۱۰۰].

ثم خاض الإمام عليه السلام فى شرح الصفة الثالثة للدنيا فقال:

«وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً؛ لَيْسَ ذلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَ ۱۰۱]، وَبُؤْساً نَزَلَ».

حيث رأينا كراراً ليس فى صفحات التاريخ فحسب، بل فى حياتنا اليومية عدّة أفراد كانوا من أهل السطوة وقمة القدرة حتى يتمنى الجميع الحصول على شىء من قدرتهم، لكنّهم هووا فى مستنقع السقوط بما جعل الكل يترحم عليهم، وبالعكس فإننا نعرف بعض الأفراد ممن يشعر من يراهم بالأسى والحزن لصعوبة أوضاعهم ومعاناتهم، بينما تسلقوا فجأة سلّم القدرة ليحظوا باعجاب الجميع وغبطتهم.

نعم، لم يكن «قارون» لوحده الذى استعرض يوماً كل تلك القدرة و الثروة التى خطفت أبصار قصار النظر من بنى اسرائيل الذين اعتراهم الحسد والأمل، فتمنوا الحصول على تلك الثروة بدله، ولم تمض مدّة حتى شقت الأرض لتبتلع كل كنوزه وثرواته، ممّا دفع من تمنى تلك الثروة إلى شكر اللّه أن لم يجعلهم بدلًا منه ولم يغدق عليهم الثروة والسطوة، أجل لقد تكررت هذه الصورة مراراً فى التاريخ ثم قال عليه السلام فى الصفة الرابعة للدنيا والتى تختص بكونها عبرة:

«وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ. فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ».

فأحياناً يعدّ الإنسان عدّة مقدمات بغية الحصول على المال والثروة أو الجاه والمنزلة ولا يكاد يقترب من الوصول إلى أهدافه حتى يتخطفه الموت فيقضى على جميع طموحاته ورغباته ويحول دون تحقيقها، بل لا يدوم له حتى المال الذى يجنيه والمنصب الذى يشغله.

ثم يعرب الإمام عليه السلام فى آخر كلامه عن وحشته لمن يغترّ بمثل هذه الدنيا المليئة بالفناء والعناء والموصوفة بالغير والعبر:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّها[۱۰۲] وَأَضْحَى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۶

فَيْئَهَا، لَا جَاءٍ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ».

نعم، عابرة جدّاً لحظات الفرح والسرور وهى أشبه بلحظات الإرتواء من النعم وزوال الفيىء والظل.

يمكن أن تكون العبارة

«لا جاء يرد ولا ماض يرتد»

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۶۶

ارة إلى الناس حيث تأتى طائفة لا يقدر أحد على صدها، كما تنتقل طائفة من هذا العالم وليس لأحد من قدرة على إعادتها، كما يمكن أن تكون إشارة إلى حوادث الدهر شرّها وخيرها والتى لا يسع أحد الحيلولة دون وقوعها إن أبرمت وأصبحت قطعية حتمية، كما لا يمكن عودة ما تولى من أمور ودهور، فلا عودة للطفولة فى الشباب ولا الشباب فى المشيب.

ثمّ إختتم عليه السلام هذا المقطع من الخطبة بهذه العبارة التى تكمل سابقتها من العبارات قائلًا:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَىَّ مِنَ الْمَيّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيّتَ مِنَ الْحَىّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ!».

نعم، فالفاصلة بين الموت والحياة قصيرة جدّاً حتى صورتها الروايات بأنّها تكاد تكون كطرفة العين، ومن ما ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«وَالّذِى نَفسُ مُحِمّدٍ بِيَدِهِ مَا طَرَفْتْ عَينَاى إلّاظَنَنتُ أَنَّ سَفَرِى لا يَلْتَقِيانِ حَتّى يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِى وَلا رَفَعْتُ طَرفِى وظَنَنْتُ أَنِّى حافِضُهُ حَتّى اقبَضَ وَلا تَلَقَّنُ لُقْمَةً إلّاظَنَنْتُ أَنِّى لا اسِيغُها حَتّى اعَضَّ بِها مِنَ المَوتِ»[۱۰۳].

إنّ من له أدنى إلمام ببنية جسم الإنسان ليعلم بمدى قرب هذه الفاصلة، فيكفى تخثر مقدار قليل من الدم ليغلق منافذ شرايين الفاصلة أوالدماغ فيؤدّى بحياة الإنسان، بل يكفى نفوذ جزء يسير من الطعام إلى لسان المزمار بدلًا من إتجاهه إلى المعدة ليختنق الإنسان ويموت من فوره، كما تكفى صدمة طبيعية لهذا الإنسان قد توقف قلبه عن الدق وإلى الأبد.

أمّا بالنسبة للحوادث الخارجية فبمجرّد اهتزاز الأرض للحظة قد تنقلب مدينة رأساً على عقب، كما قد تأتى عاصفة أو سيل على كل شىء فتحيله خراباً لا حركة فيه ولا حياة، بل لصاعقة من السماء أن تحيل كل شىء إلى رماد.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۷

إلى جانب ذلك هنالك الحوادث اليومية فى حياتنا المعاصرة من قبيل الاصطدامات وسقوط الطائرات والحرائق والانفجارات التى تنهى حياة الأفراد خلال لحظات، نعم، تكاد تكون معدومة هى الفاصلة بين الحياة والموت، ولكن من جانب آخر فانّ هذه الفاصلة قد تكون فى غاية البعد، فلو اجتمع كافة الأطباء وأعدّوا مختلف الوسائل الطبية، فليس لهم أن يهبوا الحياة للأموات، على غرار الوليد الذى لا يسعه الرجوع إلى بطون امه و الثمار التى لا تعود ثانية إلى الأشجار بعد سقوطها.

نختتم الكلام بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ثَلاثَةُ أَشياءٍ لايَنبَغِى لِلعاقِلِ أن يَنساهُنَّ عَلى كُلِّ حالٍ، فَناءُ الدُّنيا وَتصَرُّفُ الأَحوالِ والآفاتُ الَّتى لاأمانَ لَها»[۱۰۴].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۶۹

القسم الرابع: الحرص على الدنيا

اشارة

«إِنَّهُ لَيْسَ شَىْءٌ بِشَرّ مِنَ الشَّرّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَىْ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ. وَكُلُّ شَىْءٍ مِنَ الدُّنْيا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ. وَكُلُّ شَىءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ. فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيا وَزَادَ فِى الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فى الدُّنْيا. فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِى أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِى نُهِيْتُمْ عَنْهُ وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ. قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخِلَ الْيَقِينُ،

حَتَّى كَأَنَّ الَّذِی ضُمِنَ لَکُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَیْکُمْ، وَکَأَنَّ الَّذِی قَدْ فُرِضَ عَلَیْکُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْکُمْ. فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا یُرْجَی مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا یُرْجَی مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ. مَا فَاتَ الْیَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِیَ غَداً زِیَادَتُهُ. وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ یُرْجَ الْیَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِی، وَالْیَأْسُ مَعَ الْمَاضِی. فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

الشرح والتفسیر

بیّن الإمام علیه السلام سلسلة من النصائح والمواعظ فی هذا المقطع من الخطبة والذی یمثل آخرها بهدف إعداد المخاطبین بحیث لو تأملها الإنسان وفکر فیها وسعه تحقیق السعادة والنجاة فقال:

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۷۰

«إِنَّهُ لَیْسَ شَیْءٌ بِشَرّ مِنَ الشَّرّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَیْسَ شَیْ بِخَیْرٍ مِنَ الْخَیْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ».

فالإنسان بصورة عامّة یهرب من السوء والشر ویجنح نحو الخیر، وقد جبل علی السعی نحو جنی منفعة ودفع الضرر، فقد اعتمد الإمام علیه السلام هذا الأمر الفطری لیدعو الناس إلی طاعة اللَّه تعالی والابتعاد عن المعصیة والذنب فقال إنّ الأسوأ من السوء هو عقاب اللَّه تعالی ومؤاخذته علی الذنوب والأفضل من الخیر هو جزاء اللَّه تعالی وثوابه علی الطاعة والاحسان، من الواضح أنّ المراد من الشر والخیر (بقرینة الثواب والعقاب) هو المعصیة والطاعة، بینما یتسع معنی الشر والخیر إن توسعنا فی معنی العقاب والثواب لیشمل العقاب والثواب التکوینی (أی جزاء وبرکات الأعمال فی الدنیا).

وقد أورد الإمام علیه السلام مثل هذه العبارة فی موضع آخر حیث قال:

«فَاعِلُ الْخَیْرِ خَیْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ»[۱۰۵].

فقد إهتم الإمام فی النظرة الاولی إلی النتائج ومن ثم إلی الأسباب والعلل، حقّاً إنّ الذی یضمره فاعل الخیر والشر أعظم ممّا یقوم به من عمل، لأنّه لا یری توفر أرضیته وأسبابه، من جانب آخر فانّ نتائج الأعمال خالدة بینما تزول الأعمال وهذا بحدّ ذاته دلیل علی أفضلیة النتائج علی نفس الأعمال.

ثم أضاف الإمام علیه السلام نقطة مهمّة أخری بهذا الخصوص فقال:

«وَکُلُّ شَیْءٍ مِنَ الدُّنْیا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِیَانِهِ. وَکُلُّ شَیءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِیَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ»،

هذه حقیقة فی أنّ المتع المادیة کالسراب له منظر خاص من بعید، ولکن لا یبدو شیئاً یذکر حین یصله الإنسان، فللقصور والثروات والقدرات واللذات والمتع ظاهر أنیق من بعید، ولکن ما أن یقترب منها الإنسان حتی یری سیل المشاکل والمصائب، فیتمنی أحیاناً أنّه لم یبلغها ویحصل علیها، فی حین ورد بشأن النعم الإلهیّة الجمّة فی الآخرة:

«أَعْدَدْتُ لِعبادِی ما لاعَینٌ رأَتْ ولا اذنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَل قَلبِ بَشَرٍ»[۱۰۶].

بل لیشعر الإنسان بالعجز عن وصف اللذة التی یعیشها فی هذه الدنیا حین مناجاته للَّه

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۷۱

وإحساسه بالقرب منه والفوز برضاه.

ثم واصل الإمام علیه السلام کلامه بأنّ الأمر إذا کان کذلک لابدّ أن یغنیکم سماع الحقائق المرتبطة بالآخرة بواسطة الأنبیاء وأولیاء اللَّه سبحانه وتعالی عن رؤیتها:

«فَلْیَکْفِکُمْ مِنَ الْعِیَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَیْبِ الْخَبَرُ»،

من البدیهی أن یعجز الإنسان عن العالم الخارجی مادامه فی زنزانة الجسد وفی دار الدنیا الظلماء الضیقة، فلا سبیل لإدراک أوضاع الآخرة وتفاصیلها سوی ما یوصله له هؤلاء العظام من أخبار یکتفی بها.

ثم تطرق الإمام علیه السلام إلی أمرین منطقیین بهدف التشجیع علی الإتیان بالصالحات وإجتناب السیئات فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فى الدُّنْيَا. فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ!»،

وهذا هو الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم بوضوح إذ قال: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ...»[۱۰۷].

وكما قال فى موضع آخر: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ ...»[۱۰۸].

وبناءاً على هذا فالأموال والأعمار والإمكانات التى توظف فى مسار الآخرة إن قللت فى الظاهر شيئاً من الدنيا، ولكن فى الواقع قد تضيف أحياناً مئة ضعف إلى ثواب الآخرة، وبالعكس فانّ الإنسان يدفع الثمن باهضاً إن أخلّ بشىء من آخرته وتنازل عن دينه وإيمانه وإنهمك بدنياه لينال شيئاً من حطامها، قال القرآن الكريم بهذا الخصوص: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لَاخَلَاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ ...»[۱۰۹].

فهل هناك من عاقل مستعد لمعاوضة الصفقة الاولى المربحة بالثانية الخاسرة؟!

ثم قال الإمام عليه السلام فى الأمر الثانى:

«إِنَّ الَّذِى أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِى نُهِيْتُمْ عَنْهُ وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ».

المراد من «ما أمرتم به» هنا الأمر فى مقابل الحظر، يعنى ما أجيز لكم بالنسبة إلى الذنوب

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۲

هو أوسع وأشمل، وترك الذنب لا يؤدّى بكم إلى الضيق والعسر، بل أمامكم مسار واسع وشامل بهدف الحصول على الدين والدنيا، قطعاً إننا نصل إلى عدد محدود حين نحصى الذنوب ولا سيّما الكبائر، بينما نواجه دائرة واسعة جدّاً إن أردنا إحصاء ما أجازه الشرع المقدس، ويصدق هذا الأمر على الحلال والحرام، فما أكثر الأغذية الحلال بالنسبه للطعام الحرام، وما أكثر معاملات الحلال قياساً بمعاملات الحرام، كما أنّ النساء اللاتى يحلّ الزواج منهن أكثر بكثير من تلك اللاتى يحرم الزواج منهن ۱۱۰]، وعليه فطاعة أوامر اللّه تعالى ورعاية الحلال والحرام لا- تجعل الإنسان فى حرج، وهذا فى والواقع ردّ قاطع على اولئك الذين يرون دين اللّه سلسلة من المحظورات والممنوعات، وهكذا يحث الإمام عليه السلام الجميع على ترك الذنوب والمعاصى والمحرمات، وهكذا والمحدودة والحركة باتجاه السبيل الرحب للحلال والمباح، فليست هنالك من مشكلة فى حياتهم المادية ولا المعنوية.

والواقع هو أنّ هذه العبارة إشارة لما ورد فى القرآن الكريم: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...»[۱۱۱].

وجاء فى الحديث النبوى الشريف:

«بَعَثَنِى بِالحَنَفِيةِ السَّمحَةِ»[۱۱۲].

كما صرّح القرآن الكريم قائلًا: «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...»[۱۱۳].

ولما كان السعى من أجل المعاش والحرص لنيل الرزق يشكل أحد العوامل المهمّة للغفلة والكسل عن الإتيان بالفرائض الإلهيّة والخوض فى تهذيب النفس وتزكيتها، فانّ الإمام عليه السلام أشار إلى مسألة دقيقة، وهى ضرورة علمهم بأنّ اللّه قد ضمن أرزاقهم وأمرهم بالقيام

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۳

بالواجبات، وعليه فلا ينبغى لهم منح الأولوية لما ضمن والغفلة عمّا يجب عليهم الإتيان به فقال:

«قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ»[۱۱۴].

وبعبارة أخرى فانّ لدينا شيئين: الأول تحصيل الرزق والثانى القيام بالفرائض الإلهيّة، وقد تكفّل اللّه تعالى بضمان الأول وقلدنا مسؤولية الأمر الثانى، ومن هنا لابدّ أن نبذل ما فى وسعنا بالأمر الثانى، والحال القضية على العكس فى أنّ أغلب الناس يركزون جهودهم ويبذلون قصارى سعيهم ويشغلون فكرهم من أجل تحصيل الرزق والمعاش ويولون ظهورهم ليتناسوا الواجبات والفرائض

الملقاة على عاتقهم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخِلَ ۱۱۵] الْيَقِينُ، حَتَّى

كَأَنَّ الَّذِى ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِى قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ».

ويبدو أنّ هذه العبارة تشبه ما ورد عن أمير المؤمنين على عليه السلام فى مقارنته لطلب العلم بطلب المال حيث قال:

«أَيُّها النّاسُ اعلَمُوا أَنَّ كَمالَ الدِّينِ طَلَبُ العِلمِ وَالعَمَلُ بِهِ، ألا وَإِنَّ طَلَبَ العِلمِ أَوجَبُ عَلَيكُم مِنْ طَلَبَ المالِ إِنَّ المالَ مَقسُومٌ مَضمُونٌ لَكُم قَدْ قَسَّمَهُ عادِلٌ بَينَكُم وَضَمِنَهُ وَسَيَفِى لَكُم وَالعِلمُ مخْزُونٌ عِندَ أَهلِهِ وَقَدْ أُرتُم بِطَلَبِهِ مِنْ أَهلِهِ فَاطْلُبُوهُ»[۱۱۶].

لا شك أنّ المقصود بالعبارات المذكورة ليس إيقاف الناس لأنشطتهم الاقتصادية الإيجابية ويتخلون عن مساعيهم من أجل ضمان الحياة المشرفة، بل الهدف هو الحدّ من الحرص

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۴

والتكالب على الدنيا والجنوح نحو الشره الذى يصد الإنسان عن العلم والمعرفة والأمور المعنوية.

ثم خلص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة:

«فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ[۱۱۷] الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا

يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ. مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِىَ غَداً زِيَادَتُهُ. وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ»

، نعم،

«الرَّجاءُ مَعَ الجَائِى وَاليأسُ مَعَ المَاضِى».

حقاً إنّه منطق بليغ واضح فى عدم إمكانية عودة ساعات العمر بأى شكل من الأشكال، فى حين يمكن استعادة متع الدنيا وفى كل الظروف وتداركها، بناءاً على هذا فالذى يقوله العقل لابدّ من الحزم والحساسية تجاه الأمور التى يمكن عودتها، لا الأمور التى إن فقدت اليوم أمكن الحصول عليها بالغد، والحال أنّ أغلب الناس يتصرفون على العكس من هذا الأمر، فأصواتهم ترتفع بالصراخ إلى عنان السماء لمجرّد فقدانهم لشىء من حطام الدنيا، بينما لا يأبهون لتصرم الأيام والأسابيع والأشهر والسنوات، وهذا يدعو إلى الدهشة والعجب، وهذا ما دفع بالإمام عليه السلام للتأكيد على هذا المطلب وشبهه فى هذه الخطبة وسائر الخطب.

ورد فى الخبر أنّ شخصاً أتى إلى الإمام السجاد عليه السلام وقد شكى إليه وضعه وكأنّه كان يعانى من قلّة الرزق فرد عليه الإمام عليه السلام أنّ بنى آدم عليه السلام مساكين يشهدون ثلاث مصائب كل يوم ولا- يعتبرون بها ولو اعتبروا بها لهانت عليهم المصائب، المصيبة الأولى: كل يوم يمر عليهم يذهب من عمرهم (لكنهم لا- يأسفون على ذلك) لكنهم يحزنون إن قلّ مالهم، والحال هناك خلف للدنيار والدرهم بينما ليس للعمر من عودة قط، المصيبة الثانية: هو أنّ الإنسان يرتزق كل يوم فان كان رزقه حلالًا كان فيه حساب وإن كان من الحرام فيه عقاب، المصيبة الثالثة وهى أعظمها جميعاً:

«مَا مِنْ يَومٍ يُمسِى إلّاوَقَدْ دَنا مِنَ الآخرَةِ مَرحَلَةً لايَدرِى عَلَى الجَنَّةِ أم عَلى النَّارِ»[۱۱۸].

وفى ختام الخطبة نصح الناس من خلال الوعظ بالآيات القرآنية فقال: «فاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۵

والقول مستوحى من قوله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»[۱۱۹].

تأمّلات

۱- غرور عن بعد ورعب من قرب

إنّ المتع الدنيوية المادية والبهرجة لهذا العالم تبدو خلّابة ساحرة من بعيد، لكن ما إن يبلغها الإنسان حتى يراها غاية فى الصغر والضحالة، بل تكون مقلقة ومرعبة أحياناً، مثلًا يرى الإنسان من بعيد حياة الملوك فيظن لو إعتلى يوماً عرش السلطة، فقد سيطر على العالم بأسره وقد نال السعادة والموفقية، ولكنّه ما إن يبلغ ذلك حتى يشعر أنّه فقد على الأقل ثلاثة أشياء من ركائز الحياة:

الأول: الأمن فهو يشعر فى ذلك المنصب بالخوف من أقرب مقربيه، فهو مطالب بالحذر من بطانته دائماً حتى فى قصره وغرفة نومه فلا أمن ولا أمان، فما أكثر السلاطين الذين قتلوا على يد مقربيهم.

الثانى: الحرية، على سبيل المثال لا يستطيع ممارسة حياته كالأفراد العاديين من قبيل الخروج فى نزهة مع زوجته وأولاده أو الحضور بحرية فى المجالس والحفلات التى يقيمها الأصدقاء والأقرباء.

الثالث: راحة البال، فهو مشغول على الدوام ولا يهدأ أبداً، فما زلنا نذكر بعض رؤوسا الجمهويات الذين صرّحوا علنا بأنّهم لم يذوقوا طعم النوم الهادىء طيلة ليالى حكومتهم وأن حاشيتهم كانوا يوقظونهم من نومهم ليطلعوهم على الحوادث التى تقع هنا هناك من العالم، نعم لم يذوقوا طعم النوم إلّابعد أن تمت مدّة حكومتهم.

ومثال آخر لما ذكرنا آفاق حياة الأثرياء من بعيد فيظن الناظر أنّها مفعمة بالسعادة والرفاه، ولكن إن قدّر له أن يعيش ذلك الثراء فسيشعر أنّ بحاجة إلى جزء يسير من هذه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۶

الثروة فى حياته بينما تثقل باقى الثروة كاهله، فالحرص على حفظ هذه الثروة وصيانتها من الأعمال الشاقة، والعداوة والبغض الحسد الذى يعانيه من الآخرين والذى يمثل كابوساً مرعباً يقض مضجعه، ومن هنا عبّر الإمام عليه السلام بتلك العبارة الرائعة التى أوردها فى هذه الخطبة فى أنّ كل شىء فى الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وبالعكس بالنسبة للآخرة فانّ كل شىء فيها عيانه أعظم من سماعه، فهل لعاقل بعد كل هذا أن يؤثر الدنيا على الآخرة.

نعم، إن نشد الإنسان المقامات المادية وثروات هذا العالم من أجل خدمة خلق اللّه تعالى، على حدّ تعبير القرآن الكريم فى إطار خطابه لقارون: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ...»[۱۲۰].

وتحمل كل ما يترتب على ذلك من مشاكل وصعاب فذلك له حساب آخر، فقد ورد فى الخبر إنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام شكى إليه طلب الدنيا والتعلق بها، فقال له عليه السلام لم تطلب الدنيا؟ قال: لأصل بها رحمى وأنفق على عيالى وأعطى وأحج وأعتمر، فقال:

«لَيسَ هذا طَلَبُ الدُّنيا، هذا طَلَبُ الآخرة».[۱۲۱]

۲- الدنيا وآراء الناس

الكل يعلم أنّ هذه الدنيا والحياة فى هذا العالم لا تدوم لأحد، فهم يرون بأم أعينهم مراحل انتقال الطفولة إلى الشباب ومنه إلى الكهولة ثم العالم الآخر تطالعنا صفحات النعى فى الصحف المسائية كل يوم بالإعلان عن موت بعض الأعزة الذين يثكل بهم الأقرباء والأهل، ولا- سيّما فى عصرنا الراهن الذى أصبح فيه الموت والحياة قريب جدّاً من الإنسان مقارنة الأزمنة الماضية ومتوسط عمر الإنسان، فقد نسمع بسقوط مفاجىء لطائرة فتتناثر أجساد ركابّها فى الهواء لتقع هنا هناك، والحوادث الاخرى التى تزيد من عدد الوفيات كل يوم وفى مختلف الأماكن، حتى أنّ ضحايا الوسائل النقلية فى المناطق والمدن لتفوق ضحايا الحروب، وبغض

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۷

النظر عما سبق فانّ هذه الحياة القصيرة مليئة بأنواع المعاناة والألم والمشاق، ويكفى فى ذلك أن نلقى نظرة عابرة على مستشفى لنرى مختلف الأمراض التى يعانى منها الأطفال والشباب والكهول، أو نتطلع أحد السجون ونشاهد عن كثب الأفراد الذين زجت بهم المظالم والشهوات والأخطاء والنزوات فى ذلك المكان، ولكن مع ذلك أغلب الناس يتناسون كل هذه المسائل ليحصلوا على استقرار كاذب مزّيف، والاستقرار الذى يشبه ذلك الذى يشعر به الحيوان الذى يخفى جسده فى الرمال مخافة الصيّاد، والحال يراه الصياد ويسارع إلى افتراسه.

ومن هنا فانّ الإمام عليه السلام يورد وصاياه فى أغلب مواضع نهج البلاغة بهدف التنبيه إلى تلك الغفلة والنسيان المميت وايقاظ الضمير البشرى الذى يغط فى سبات عميق، وقد اتبع الإمام مختلف الأساليب من أجل تحقيق هذا الغرض فتارة يذكر الدنيا على أنّها دار عناء وفناء وغير وعبر وأخرى يذكر إنزوائها على أنواع الشدائد والمشاكل، كما يتطرق إلى قصر المسافة بين الحياة والموت، إلى جانب ذلك يلفت الانتباه إلى هذه الحقيقة فى عدم إمكانية عودة ما يتصرم من ساعات العمر، فى حين يمكن تدارك كافة سائر النعم المادية، والحق لو تأمل كل إنسان مرّة واحدة فى الاسبوع هذه الخطبة لما عانى من الغفلة قط.

۳- كيف نبحث عن سعادة الآخرة فى الدنيا؟

ربّما يطلب الإنسان الدنيا من أجل إشباع أهوائه ورغباته إلى جانب الامتياز على الآخرين واستغلالهم واستعمارهم، كما قد يطلبها بهدف الحصول على الرفاه المتوازن، وأحياناً ينشدها بغية وفرة الإمكانات لخدمة الآخرين، أخيراً قد يريدها لترسيخ دعائم اقتصاد المجتمع الإسلامى وتحقيق مجده وعظمته ورفعته وإبعاده عن كافة أشكال التبعية للآخرين، ومن البديهى أنّ هذه الأهداف تتفاوت فيما بينها تفاوتاً تاماً.

فعلى ضوء الهدف الأول يتصف بأبشع الصفات الرذيلة، والثانى يتّجه نحو الأهداف

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۸

المباحة والاستفادة من النعم الإلهيّة، والثالث يمارس أرفع عبادة وأخيراً الرابع يسدى أعظم الخدمات الإنسانية والإسلامية، وكل ما ورد من ذمّ فى هذه الخطبة وسائر الأخبار والروايات عن أئمة العصمة عليه السلام وكذلك القرآن الكريم إنّما يشير فى والواقع إلى الطائفة الأولى من الناس وهو الموصوف برأس كل خطيئة ومصدر جميع الذنوب، ولا عاقبة له سوى جهنّم وبئس المصير.

ومن هنا فلا ينبغى تفسير ذمّ الدنيا والمتكالبين عليها بأنّ الإسلام يرتضى للمجتمع حالة الفقر والحرمان ويوصى بذلك، قد ورد هذا المضمون فى الروايات الإسلامية، فقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«مَلعُونٌ مَلعُونٌ مَن عَبدَ الدِّينار والدّرهم»[۱۲۲].

وقال المرحوم الشيخ الصدوق فى تفسير هذا الحديث: «يعنى به من يمنع زكاة ماله ويبخل بمواساة إخوانه، فيكون قد آثر عبادة الدينار والدرهم على عبادة خالقه»[۱۲۳].

وجاء فى الخبر أنّ علياً عليه السلام يفخر برفاه أهل الكوفة خلال مدّة حكومته رغم ما هو عليه من الزهد والعزوف عن الدنيا فقال:

«ما أَصبَحَ بِالكُوفَةِ أَحَدٌ إلّاناعِماً، إِنَّ أَدناهُم مَنزِلَةً لَيَأكُلُ البُرَ وَيَجلِسُ فِى الظِّلِّ وَيَشرَبُ مِن ماءِ الفُراتِ»[۱۲۴]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۷۹

الخطبة[۱۲۵] المأة و خمسه عشرة

اشارة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

فى الاستسقاء

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى عنوان الخطبة فانّها دعاء فى الاستسقاء، وقد أوردها الإمام فى عصر حكومته حين أصاب الناس الجفاف، حيث أشار عليه السلام فى البداية إلى الأسباب التى تدعو إلى حبس المطر وشياع الجفاف فى أنّ أغلب الحوادث من هذا القبيل معلولة لمعاصى الناس وذنوبهم وسوء أعمالهم، ثم يبتهل إلى اللّه تعالى بالدعاء بعبارات رصينة عميقة المعنى سائلًا الحق تبارك وتعالى التلطف بنزول المطر، حتى أنّ عباراته لتخترق شغاف القلب وتملأه بالمعنويات والشد للّه سبحانه.

وما أحرانا بالتوسل بهذه العبارات والمضامين الواردة فى هذ الخطبة من أجل الاستسقاء.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۱

القسم الاوّل: الأمل باللّه فى القحط والجفاف

«اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَاغبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا. وَتَحَيَّرَتْ فى مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِى مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِى مَذَاهِبِهَا، وَانِينَهَا فِى مَوَالِجِهَا! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِين اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجَوْدِ. فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا. وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحابِ الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ. سَحًّا وَابِلًا، تُحْيِى بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ».

الشرح والتفسير

بيّن الإمام عليه السلام فى بداية هذه الخطبة الوضع المأساوى الذى أصاب الناس إثر الجفاف ومع السماء بعبارات رائعة بعيدة المعنى، حيث استهلها بستة جمل قائلًا:

«اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ ۱۲۶]

جِبَالُنَا، وَاغبَرَّتْ ۱۲۷] أَرْضُنَا، وَهَامَتْ ۱۲۸] دَوَابُّنَا. وَتَحَيَّرَتْ فى مَرَابِضِهَا[۱۲۹]، وَعَجَّتْ ۱۳۰] عَجِيجَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۲

الثَّكَالَى ۱۳۱] عَلَى أَوْلادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِى مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا!».

فقد رسم الإمام عليه السلام صورة واضحة بعبارات فصيحة عن الجفاف الشديد الذى أصاب الناس فى ذلك الزمان، وكشف النقاب عن وضع الجبال والأراضى والمراتع والدواب، ثم رفع يديه بالدعاء مبتهلًا إلى اللّه:

«اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ[۱۳۲]، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ![۱۳۳]».

كما شكى شدّة عطش الدواب وجوعها وصراخها فى أماكنها:

«اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِى مَذَاهِبِهَا، وَانِينَهَا فِى مَوَالِجِهَا![۱۳۴]».

وأردف قائلًا:

«اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِين اعْتَكَرَتْ ۱۳۵] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ ۱۳۶]، وَأَخْلَفَتْنَا[۱۳۷]

مَخَايِلُ ۱۳۸] الْجَوْدِ[۱۳۹]».

إنّ دقّة العبارات التى استخدمها الإمام عليه السلام فى هذا الدعاء تشير إلى مدى حرقة الإمام عليه السلام والناس من جانب، ومن

جانب آخر تستبطن تصويراً عميقاً لتلك الحادثة، فحدابير جمع حدبار تستخدم بشأن الجمل الذى تبين عظام سنامه وقد حز لحمه بصورة تامة إثر شدّة الضعف (بسبب الجوع أو كثرة المشى).

فقد شبّه الإمام عليه السلام الجفاف المتواصل بهذا الجمل، ومن الطبيعى أن يدعو منظره إلى الأسى والحزن، كما أنّ ركوبه يبدو متعذراً شاقاً.

أمّا العبارة التى تضمنت «آنّة» و «حانّة» التى تستخدم كله منهما بشأ تألم الحيوان حيث

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۳

تشير الاولى إلى الشاة والثانية إلى الجمل، فانّما تشير إلى حالة الألم التى كانت تعيشها جميع الحيوانات فى ذلك القى الشديد، وبالالتفات إلى أنّ القسم الأعظم من أراضى العراق تقع بين النهرين العظيمين دجلة والفرات المروفان بوفرة المياههما مقارنة بأنهار المنطقة يتبيّن أنّ القحط تلك السنوات على درجة من الشدّة بحيث ضيّق على أهل العراق حتى فى تلبية الحاجات الأولية للحيوانات (تشير القرائن إلى أنّ الإمام عليه السلام ألقى هذه الخطبة بعد صلاة الاستسقاء حين كان فى الكوفة).

ثم ابتهل إلى اللّه سبحانه وتعالى فى أنّك الأمل والرجاء لكل بائس وحلّال مشاكل كل طالب حاجة وقد سيطر اليأس على الناس وقد منعت السماء بركاتها والغيوم مياهها وأشرفت الحيوانات على الهلكة فنسألك ألّا تؤاخذنا بسيئات أعمالنا ولا بوائق ذنوبنا:

«فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ۱۴۰]، وَالْبَلَاغَ ۱۴۱] لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ ۱۴۲]،

أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا».

تفيد هذه العبارة أنّ أغلب الآفات والبلاء والشدّة معلولة لذنوب الناس، ولا تزال مشاكلهم قائمة مستعصية ما لم يتوبوا إلى اللّه ويسألوه العفو والمغفرة، والعبارة تشبه الشكوى التى بثها نبى اللّه نوح عليه السلام إلى ربّه بشأن قومه: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً»[۱۴۳]

كما ورد فى سورة الأعراف قوله: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»[۱۴۴].

ثم طرح الإمام طلبته الأصلية على الحق تبارك وتعالى قائلًا: «وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۴

بِالسَّحابِ الْمُنْبَعِقِ ۱۴۵]، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ ۱۴۶]، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ ۱۴۷]. سَحًّا[۱۴۸] وَابِلًا[۱۴۹]، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ

مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ».

فما ورد فى عبارات الإمام عليه السلام إنعكاس تام لما عاناه الناس من قحط شديد ومصائب عضال من جهة، ومن جهة أخرى تضمنت طلباً للغيوم الملبدة بالأمطار، وكذلك ربيعاً مباركاً ونباتات طرية جميلة وأخيراً تتجه صوب نتيجة نهائية هى الأمطار التى تحيى الأرض وتستعيد كل ما فقد؟ ولا تكون تلك السنة سنة عامرة بالبركة فحسب، بل سنة تتلافى سنوات الجفاف السابقة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۵

القسم الثانى: اللّهم أمطرنا بوابل رحمتك

اشارة

«اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً.

زَاكِياً نَبْتُهَا، تَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ! اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا

نِجَادُنا، وَتَجْرِی بِهَا وِهَادُنَا وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينا، وَتَنْدَی بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا. مِنْ بَرَكاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَی بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَماءً مُخْضِلَةً، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّی يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ».

الشرح والتفسير

طرح الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الخطبة طلبه وصحبه الرئيسی والذی يتمثل بنزول المطر المبارك فسأل اللّه سبحانه وتعالی مطراً ذات عشرين صفة تشير كل واحدة منها إلی قضية رائعة، وما أورع أن يذكر الإمام كل هذه الأوصاف للمطر المطلوب، وهی الأوصاف التی تجعل الإنسان يتواضع ويشعر بالخضوع أمام عظمة الخلاق، كما تفهم السامع عمق الآثار والبركات التی تختزنها هذه القطرات من المطر:

«اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۶

طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[۱۵۰]. زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً[۱۵۱] فَرْعُهَا، نَاضِراً[۱۵۲] وَرَقُهَا، تُنْعِشُ ۱۵۳] بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِی بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلادِكَ!».

الواقع هو أنّ الإمام عليه السلام سأل اللّه تعالی مطرا تتوفر فيه الشرائط وبعيداً عن كل الموانع، فقد لوحظ فی أغلب الأحيان نزول الأمطار علی شكل سيول، لكنّها تحطم كل شیء تأتی عليه، أو إنّها تتركز فی نقطة معينة ليست لها منفعة عامة، أو أنّها مصحوبة ببرد شديد قارس لا تخفی آثاره السلبية، أو يكون مصحوباً ببعض الموانع من قبيل الرياح الحارة والعواصف الشديدة والآفات التی تصيب النباتات كالجراد والحشرات المؤذية وأمثال ذلك التی تقضی علی أثار الأمطار، فالإمام عليه السلام يأخذ جميع هذه الأمور بنظر الاعتبار فيسأل اللّه تعالی اجتماع كافة الشرائط ودفع جميع الموانع.

ثم واصل الإمام عليه السلام الدعاء بذكر سبعة أوصاف أخری ليكتمل عدد الصفات عشرين صفة فقال:

«اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنا[۱۵۴]، وَتَجْرِی بِهَا وِهَادُنَا[۱۵۵] وَيُخْصِبُ ۱۵۶] بِهَا

جَنَابُنَا[۱۵۷]، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينا، وَتَنْدَی ۱۵۸] بِهَا أَقَاصِينَا[۱۵۹]، وَتَسْتَعِينُ بِهَا

ضَوَاحِينَا[۱۶۰]. مِنْ بَرَكاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَی بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ[۱۶۱]، وَوَحْشِكَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۸۷

الْمُهْمَلَةِ».

فقد كشف الإمام عليه السلام النقاب بهذا الدعاء عن سعة صدره وعمق نظره وعمومية شفقته ورحمته، ذلك لأنّه أخذ بنظر الاعتبار المناطق القاصية والدانية ولم يهمل الدواب حتی حيوانات الصحراء الوحشية، فدعاءه يشمل الجميع وسؤاله يهدف حاجة الجميع وهذا هو معنی لطف إمام المسلمين ورحمته العامّة.

وأضاف الإمام عليه السلام فی معرض مواصلة لطلب الماء ونزول المطر الذی يفيض بالخير والبركة قائلًا:

«وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[۱۶۲]، مِدْرَاراً هَاطِلَةً[۱۶۳]، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ ۱۶۴]،

وَيَحْفِزُ[۱۶۵] الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ».

كما واصل عليه السلام وصف الأمطار:

«غَيْرَ خُلَّبٍ ۱۶۶] بَرْقُهَا، وَلَا جَهَامٍ ۱۶۷] عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ ۱۶۸]

رَبَابُهَا[۱۶۹]، وَلَا شَفَّانٍ ۱۷۰] ذِهَابُهَا[۱۷۱]».

ثم واصل الإمام عليه السلام الدعاء قائلًا:

«حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا[۱۷۲] الْمُجْدِبُونَ ۱۷۳]، وَيَحْيَا

نفحات الولايه، ج۵، ص: ۸۸

بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ ۱۷۴]، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ[۱۷۵]».

فقد بيّن الإمام فى هذه العبارة تسع أوصاف أخرى للأمطار المفيدة النافعة ذات الخير والبركة، حيث يبلغ عدد الصفات مع ذكر سابقاً ۲۹ صفة، حقّاً إنّه لمن دواعى العجب والدهشة أن يستسقى الإمام عليه السلام ويوصف المطر بتسع وعشرين صفة بينما يصف ذلك الطالبون عادة بصفة، أو صفتين فيبتهلون إلى اللّه سبحانه وتعالى أن أسقنا الغيث المبارك، ومن هنا لا يشعر الإنسان سوى بالحيرة والذهول حين يتأمل عبارات أمير المؤمنين على عليه السلام، لقد استفرغ الإمام أقصى فصاحته وبلاغته فى هذه الخطبة وشرح طلبه إلى اللّه تعالى بما يعرّف الناس بلطف اللّه تعالى وفضله ورحمته ويفهمهم أنّ مسار النعمة مليىء بكثير من الموانع بحيث لا يسعهم بلوغ الكمال المنشود ما لم تشملهم رعاية اللّه ورحمته، والحق يتعذر مثل هذا المنطق على من لم يكن مؤيداً من عند اللّه ويؤيد بروح القدس.

تفسير ما فى هذه الخطبة من الغريب

نقرأ فى ختام هذه الخطبة:

«قَالَ السَّيدُ الشَّرِيفُ رِضىَ اللَّهُ عَنْهُ قَولِهِ: (انصَاحَتْ جِبالُنَا) أى تَشَقَّقَتْ مَنَ الَمحولِ يُقالُ: لنصاحَ الثّوبُ إذا انْشَقَّ وَيُقالُ أَيضاً: انصَاحَ انَّبتُ وَصَاحَ وَصَوّحَ إذا جَفَّ وَيَبِسَ كُلُّهُ وَقولُهُ (وُزهامَتْ دَوَابّنا) أى عَطِشَتْ وَالهُيَامُ: العَطَشُ، وَقولُهُ (حَدَابِيرُ السّنِينَ) جمع حِدبار، وهىَ النّاقَةُ الّتِى أنضاهَا السّيرُ، فَشَبِّهُ بِها السّنَةُ الّتى فَشا فِيها الجَدبُ، قَالَ ذو الرّمّةِ:

نفحات الولايه، ج۵، ص: ۸۹

حِدابَيرُ مَا تَنْفَكُ إلّامُناخَةًعَلَى الخَسفِ أو نَرمِى بِها بَلَداً قَفْراً

وَقَولُهُ: (ولَا قَزَع رَبابَها) القَزَع: القَطعُ الصّغارُ المُتَفَرّقَةُ مِنَ السّحاب.

وَقَولُهُ: (وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُها) فانّ تَقديرَهِ: ولَا ذَاتَ شَفّان ذَهابُها، والشَّفّان: الرّيحُ البارِدَةُ، والذّهِابُ: الأَمطارُ اللّيّنهُ، فَحَذَفَ (ذات) لِعلمِ السامعِ بِهِ».

تأمّلان

۱– صلاة الاستسقاء

صلاة الاستسقاء واحدة من التعاليم الإسلامية القيمة والتى ذكرها عامّة فقهاء المسلمين من الفريقين فى كتبهم الفقهية، ومن جملة الآداب التى أوردتها مصادر أتباع أهل البيت عليهم السلام بشأن هذه الصلاة أن يصوم الناس ثلاثة أيّام ويتجهون فى اليوم الثالث وهم صيام إلى خارج المدينة، ويأتون بركعتين على غرار ركعتى عيد الفطر والأضحى حيث تشتمل الركعة الأولى على خمس قنوتات والثانية على أربع قنوتات، ولكن يقنتون بالأدعية الواردة بشأن الاستسقاء ونزول الرحمة والمغفرة بدلًا من الدعاء المأثور المختص بالعيد، فيصلون على النبى وآله قبل كل دعاء، فان فرغ الإمام من الصلاة قلّب العباء رجاء نزول المطر واستقبل القبلة وكبر بأعلى صوته

مئة مرّة (ويكبر الناس معه) ثم يلتفت إلى الناس ويتّجه يميناً ويسبّح اللَّه سبحانه بصوت عال مئة مرّة ثم يلتفت شمالًا ويهلل بصوت عال مئة مرّة، ثم يستقبل الناس ويحمد اللَّه مئة مرّة ويردد الناس من بعده، آنذاك يرفع يديه إلى السماء ويتضرع مع الناس إلى اللَّه سبحانه وتعالى يسأله الرحمة ويؤمن الناس على دعائه.

وقد ورد فى بعض الروايات التصريح بأن يحملوا معهم إلى الصحراء الشيوخ و النساء والأطفال وحتى الحيوانات الجائعة العطشى وأن يفرّق بين الآباء وأولادهم بهدف التأثير على الناس حين يتّجهون إلى اللَّه فى الدعاء[۱۷۶].

فانّ تعذر عليهم القيام بكل هذه الأمور تابوا إلى اللَّه واستغفروه من ذنوبهم ورفعوا أيديهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۰

بالدعاء جمعة سائلين اللَّه سبحانه العفو الرحمة.

حقّاً إنّها لمراسم ذات آثار عجيبة أدناها حالة التضرع والخشوع التى يعيشها الداعى إلى اللَّه تعالى، فهى تربط الفرد بالذات الإلهيّة المقدّسة للَّهسبحانه الرحمن الرحيم وتؤدّى إلى نزول الرحمة وشموله بها.

أضف إلى ذلك فانّ لهذه الصلاة أثارها الكبيرة فى تربية النفوس والتوبة من الذنوب والعودة إلى الطهر والعفاف، والذى يستتبع أحياناً نزول المطر الذى يعود على الجميع بالخير والبركة ويستفاد من الروايات أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يدعو بدعاء الاستسقاء حين يشكو إليه الناس من القحط والجدب، فكانت تنزل الأمطار بما يجعل الناس يطلبون توقفها[۱۷۷].

وتفيد القرائن أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أورد هذه الخطبة بعد صلاة الاستسقاء حيث جاء فى بعض الروايات التى نقلت هذه الخطبة بصورة تامة العبارة:

«اللّهُمّ إنّا خَرجنا إلَيك»

التى تكشف اتجاهه عليه السلام مع الناس إلى الصحراء ويختص هذا العمل عادة بصلاة الاستسقاء، وورد فى بعض الروايات أنّ علياً عليه السلام بكى آخر هذه الخطبة وقد سأل اللَّه سبحانه وتعالى بعبارات تفيض لوعة وحرقة.

وسيأتى تفاصيل ذلك حين شرحنا للخطبة ۱۴۳ من نهج البلاغة الواردة بشأن صلاة الاستسقاء.

۲- الذنب وزوال البركة

وردت عدّة أبحاث فى الكتب الفلسفية والكلامية والتفسيرية بشأن فلسفة الآفات والبلاء، فالذى يستفاد من القرآن الكريم هو تشديد البلاء على الامم حين ظهور الأنبياء بغية إيقاظهم، حيث صرّح القرآن الكريم قائلًا: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ»[۱۷۸].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۱

فالآية تشير إلى أنّ هذا القانون عام ودائمى يهدف إلى الاستعداد لتقبل دعوة الأنبياء، فكانت تقع الحوادث الأليمة من جانب اللَّه طيلة تاريخ الامم وحين بروز الغفلة وذلك بهدف القضاء على تلك الغفلة وايقاظ تلك الامم، وربّما تكون هذه الحوادث الأليمة والمفجعة نتيجة لذنوب الناس، والهدف أيضاً الفساد والإنابة والعودة إلى اللَّه، فقد جاء فى الآية القرآنية:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»[۱۷۹].

وهكذا يتضح أنّ أحد طرق التربية الإلهيّة هو هذه الحوادث الأليمة الطبيعية أو الاجتماعية، والقحط يمكن أن يكون أحد هذه الحوادث، كما أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك فى الخطبة المذكورة، حيث قال فى هذه الخطبة:

«نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا».

وقد ورد هذا المطلب بصورة أوضح فى الخطبة ۱۴۳، حيث حذر فيه الناس حين القحط بالنزوع عن المعاصى والاحتراز من الذنوب

والإنابة إلى اللّه سبحانه وتعالى، واستشهد عليه السلام بآيات من سورة نوح بهذا الخصوص وهذا ما سيرد ذكره إن شاء اللّه فى محلّه.

ونختتم هذا الكلام بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إِذا فَشَتْ أَربَعَةٌ ظَهَرَتْ أَبَعَةٌ فَشَتْ لزِّنا ظَهَرَتْ الزَّلازِلُ وَإِذا أَمسَكَتْ الزَّكاهُ هَلَكَتْ المَاشِيَهُ وإِذا جَارِ الحُكَّامُ فِى القَضاءِ أَمسَكَ القَطرُ مِنَ السَّماءِ وإِذا خَفَرتْ الذِّمَّهُ نَصرَ المُشرِكُونَ عَلَى المُسلِمِينَ»[۱۸۰].

وورد فى الحديث المعتبر والمعروف عن أبى ولّاد أنّ الإمام الصادق عليه السلام لما سمع الفتاوى غير الصحيحة لأبى حنيفة فى بعض المسائل الفقهية قال:

«فِى مِثلِ هذا القَضاءِ وَشِبهِهِ تَحبِسُ السَّماءُ ماءَها وَتَمنَعُ الأَرضُ بَركاتَها»[۱۸۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۳

الخطبة[۱۸۲] المأة و سادسة عشرة

اشارة

مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

وفيها ينصح أصحابه

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذ الخطبة فى الواقع من عدّة أقسام:

القسم الأول: وصف بليغ للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وجهاده العظيم فى إبلاغ الرسالة ودعوة الناس إلى الإسلام.

القسم الثانى: التوجه إلى الناس بالوعظ والإرشاد والنصيحة، المواعظ المؤثرة والبالغة.

القسم الثالث: الشكوى من الأصحاب ورجاء اللّه فى مفارقتهم وإلحاقه بصنوه من الأفراد.

القسم الرابع والأخير: الذى يختص بالإخبار عن فتنة طاغ واستعراض جانب من جناياته وجرائمه أملًا فى ايقاظ الناس والوقوف بوجه هذه الجرائم من خلال التوبة إلى اللّه سبحانه والعودة إلى وحدة ونبذ الخلافات والفرقة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۵

القسم الاوّل: عدم التوانى فى الجهاد

«أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقّ وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ. فَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِى اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ. إِمَامُ مَنِ اتَّقَى. وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى».

الشرح والتفسير

كما صرّح البعض من شرّاح نهج البلاغة يبدو أنّ هذه الخطبة جزء من خطبة طويلة حيث تطرق الإمام عليه السلام فيها إلى تشجيع صحبه على الجهاد والوقوف بوجه بغاة الشام وبين الأخطار التى تتهددهم فى حالة الضعف وترك الجهاد ومقاتلة العدو فأتم الحجّة عليهم.

ففى القسم الأول من هذه الخطبة أشار إلى الجهود الجبارة التى بذلها رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى إبلاغ الوحى ونشر الرسالة من أجل ترقيق قلوب المخاطبين فيتعرفوا على أهميّة هذا الميراث العظيم ولا يتوانوا فى الدفاع عنه والتصدى لهجمات خصوم الدعوة، فقال

عليه السلام:

«أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقّ وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ».

فالواقع أخلص الإمام عليه السلام الرسالة الإسلامية التى نهض بها النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى هاتين العبارتين، قد دعى إلى الحق وإبلاغ الأحكام الشرعية من جانب، وأشرف على حسن تطبيقها من جانب آخر، أمّا شهادة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقد قيل المراد بها الشهادة على أعمال الناس أو الشهادة على الأنبياء فى يوم القيامة حيث ورد فى القرآن الكريم: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً»[۱۸۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۶

لكن ظاهر كلام الإمام عليه السلام يشير إلى أنّ المراد بالشهادة إطلاع النبى صلى الله عليه و آله على أعمال الناس من أجل إمتثال الأوامر الإلهيّة فى هذه الدنيا، وبعبارة أخرى فانّ وظيفة النبى صلى الله عليه و آله لا تقتصر على إبلاغ الدعوة إلى الحق، بل تتبع إجراء وتطبيق تلك الدعوة وهذا هو معنى إمامته وولايته التشريعية، ولا مانع طبعاً من الجمع بين المعنيين فى أنّه شاهد على الأعمال فى هذا العالم وكذلك شاهد عليها فى العالم الآخر. ثم خاض فى بيان أوصاف نبى الإسلام صلى الله عليه و آله ليذكر ست صفات آخر فقال: صلى الله عليه و سلم

فَبَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ ۱۸۴] وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ[۱۸۵]. إِمَامُ مَنِ اتَّقَى. وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى».

فقد تضمنت هذه العبارة القصيرة جميع الخصائص التى ينبغى توفرها فى القائد الشجاع المقتدر، عدم الضعف والوهن والتقصير ومجاهدة العدو وعدم الاعتذار والتذرع، ومن جانب آخر فانّه عدّ النبى صلى الله عليه و آله إمام المتقين ووسيلة هداية المبصرين، حيث يذود عنه الأفراد من المفسدين ويقصى المضلين المعاندين.

نعم، الكثيرون هم الأفراد الذين يخلقون الذرائع والحجج الواهية بهدف التغطية على تقصيرهم وعدم جدّهم واجتهادهم، ويستبعد ذلك من زعيم شجاع ومدير مدبّر فلا يتّجه صوب الحجج والذرائع.

فالعبارات المذكورة تشير فى الواقع إلى مدى ضعف أهل الكوفة ووهنهم وتركهم للجهاد وتشبثهم بالذرائع من أجل الفرار من المسؤوليات، فالإمام صلى الله عليه و آله يذكرهم بأنّ نبيّكم لم يكن كذلك فما بالكم تقيمون على هذا الحال.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۷

القسم الثانى: الآفات المظلمة من ورائكم

اشارة

و منها: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا. وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ. قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ».

الشرح والتفسير

يحذر الإمام صلى الله عليه و آله فى هذا المقطع من الخطبة كافة الأفراد الذين يبدون الضعف فى مجاهدة العدو الغادر والغاشم، ويتهربون من المسؤولية من خلال اللجوء إلى بعض الحجج والأعذار، فى أنّ الآفاق المعتمة إنّما تكمن أمامكم، والمستقبل المظلم

الذى يتسلط فيه العدو عليكم ويهيمن على مقدراتكم وسيصبون عليكم جام غضبهم بما يجعلكم تفقدون صوابكم وعقلكم:

«لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِىَ ۱۸۶] عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ ۱۸۷] تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ ۱۸۸] عَلَى أَنْفُسِكُمْ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۸

بل قد لا تكتفون بذلك:

«وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ ۱۸۹] عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا».

فهذه العبارات تجسد حال الشخص الذى يبتلى بمصائب عظمية بحيث ينسى كل شىء سوى إنقاذ نفسه، فقد إتّجه صوب الصحراء ويتابع لطم وجهه ورأسه يسكب دموعه ويتعالى صراخه، كما يسعى إلى التخلى عن أموال رغم مالها من أهمّية لديه ومدى الجهود التى بذلها من أجل الحفاظ عليها، إلى جانب ذلك فهو لا يعير أهمّية لمن خلفه حتى أنّه لينسى أعزّته وبطانته.

ويرى بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه العبارات ترتبط بأهوال يوم القيامة والتى وردت فى مختلف الآيات القرآنية، لكن بالنظر إلى ذيل الخطبة الذى يتحدث عن جرائم الحجاج وسبب الخطبة الذى يفيد ضعف أهل الكوفة فى جهاد العدو، فانّ المعنى المذكور يبدو بعيداً، والظاهر أنّها ناظرة إلى سلطة بنى امية والجرائم المروعة التى إرتكبها الحجاج وأمثاله.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى المصدر الرئيسى الذى انبثقت منه هذه الحوادث:

«وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ ۱۹۰] عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ».

لا ينبغى لكم أن تتصوروا أبداً بأنّ الحوادث الأليمة التى تنتظركم إنّما تأتيكم بغتة، كلا ليس الأمر كذلك، فقد حذرتكم مراراً، وأدّيت لكم حق الوعظ والنصح، وكشفت لكم المستور، ثم أنذرتكم، لكن للأسف لم تعيروا وعظى ونصحى آدانا صاغية، فقد نسيتم كل ما ذكرته لكم وتجاهلتم كل الإرشاد، ومن هنا لم تمارسوا ما ينبغى عليكم فى موقعه وأوانه ولم تعدوا الخطط اللازمة للوقوف بوجه الأعداء فلم تكن نتيجة ذلك الذى لا مثيل له فى التاريخ.

ثم قال الإمام عليه السلام:

«وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِى بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِى مِنْكُمْ».

إشارة إلى أنّه طالما تعذر إصلاحكم فيا ليتنى فارقتكم، وليت القدر الإلهى أذن بالتحاقى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۹۹

بمن ينسجم معى فى الأفكار والتطلعات.

ثم خاض عليه السلام فى شرح خصائص القوم الذين يراهم ينسجمون وأفكاره وتوجهاته:

«قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَامِينُ ۱۹۱] الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ ۱۹۲] الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ ۱۹۳] لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً[۱۹۴] عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ».

فهذه العبارات إشارة واضحة إلى النبى صلى الله عليه و آله وطائفة من صحبه ممن يتصف بالخصائص المذكورة الست، صفتان فى برامج الحياة (نصرة الحق ومصارعة الظلم) وصفتان فى العمل (الانطلاق باتجاه الحق والسرعة من أجل بلوغ الهدف) وصفتان فى الفكر (التحلى بالفكر الناضج والعقل التام)، فبيّن أيضاً نتيجة هذه الصفات والتى تتمثل بالسعادة المطلقة والحياة الحرّة الكريمة.

مظلومية أمير المؤمنين على عليه السلام

لا تقتصر المظلومية على أن يقتل الإنسان من قبل فئة ظالمة جبارة ناقضة للعهود وغادرة فى معركة ليست متكافئة فحسب، بل من أسوأ نماذج المظلومية أن يرى الإنسان الكفوء والمدير الناجح والآمر المقتدر والخبير الماهر والسياسى اليقظ والواعى نفسه وسط طائفة لا

تنسجم وأفكاره وكفاءته ولا يسعها الحركة باتجاهه، فهى تفعل على العكس من كل ما يقول ولا تتحرك خلفه مهما حذرها وأنذرها، فهى فرقة مشتتة وجاهلة وضعيفة وهنة مسلوبة الإرادة، فابتلاء مثل هذا الزعيم بمثل هؤلاء الأتباع يؤدّى إلى ضياع القيم وتناسى الأفكار، بل أبعد من ذلك يذهب بعض الجهّال إلى إتهام هذا الزعيم بعدم القدرة على إدارة الأمور.

هذا هو أحد نماذج المظلومية والذى عاشه أمير المؤمنين عليه السلام فى عصره، وقد أشار إلى ذلك

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۰

الإمام نفسه عليه السلام فى أكثر من خطبة من خطب نهج البلاغة، فتارة يقول عليه السلام:

«لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أنّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنى بِكُمْ صَرْفَ الدّينَارِ بِالدّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنّى عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِى رَجُلًا مِنْهُمْ»[۱۹۵].

وأخرى يقول:

«مَلَكَتْنى عَيْنِى وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله و سلم، فَقُلْتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: «ادْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبْدَلَنى اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِى شَرًّا لَهُمْ مِنّى»[۱۹۶].

ويقول فى الثالثة:

«يا أَشْبَاهَ الرّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنّى لَمْ أَرَكُمْ»[۱۹۷].

والحق لعلنا لا نعثر طيلة التاريخ على زعيم وولى من أولياء اللّه قد واجه فى مدّة قصيرة من حكومته بكل هذه العداوة والبغضاء والقسوة والجلادة والعنف والطغوى، وهذا أبشع أنواع المظلومية، ومن هنا قيل: «على عليه السلام أول مظلوم فى العالم».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۱

القسم الثالث: الانتقام الإلهى

اشارة

«أَمَا وَاللَّهِ لَيُسَلّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ. يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبا وَذَحَةَ!».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السلام الخطبة باستعراض صريح لا لبس فيه للإخبار عن المصير الأسود الذى ينتظر أهل الكوفة فقال:

«أَمَا وَاللَّهِ لَيُسَلّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ ۱۹۸] الْمَيَّالُ ۱۹۹]. يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ».

ثم أردفها بالقول:

«إِيهٍ أَبا وَذَحَةَ![۲۰۰]».

أجمع شرّاح نهج البلاغة على أنّ المراد بغلام ثقيف هو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى ينسب إلى قبيلة بنى ثقيف والذى ولّى الكوفة على عهد عبدالملك بن مروان، كان مشهوراً بقسوته وتعطشه للدماء وقد إختاره عبدالملك بن مروان للانتقام من أهل الكوفة وإخماد الثورة ضد حكومة بنى امية، وكما أخبر الإمام عليه السلام فى هذا الكلام، فهو لم يرحم أحد وقد نهب أموال الامة وسفك دماءها، وقد صور الإمام أوضاع الناس على عهده بقوله:

«يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۲

لابدّ من الالتفات إلى أنّ «خضرة» وإن كانت بمعنى محصول الحقول والأراضى الزارعية، لكنها هنا تشير إلى كافة الأموال التى نهبها الحجاج والعبارة يذيب شحمتكم كناية عن شدة الضغط الذى يتعرض له الناس فيصبحوا على درجة من الضعف، وكأنّه لم يبق لهم

سوى الجلد والعظم، وهذا هو مصير الأفراد الذين يتمردون على القائد الفذ والشفيق الرؤوف بالامة العادل معها كعلى عليه السلام.

والمفردة «أيه» بالكسر والتنوين حسب تصريح أغلب أرباب اللغة تستخدم حين يراد تشجيع الشخص على مواصلة الكلام أو العمل وايها بتنوين الفتح تستعمل حين يراد دعوة شخص للسكوت أوالامتناع عن العمل، بالنظر إلى أنّ «ايه» وردت فى نسخ نهج البلاغة بتنوين مكسور فالمفهوم ضاعف يا حجاج من ضغوطك على الأفراد الطلحاء وضعفاء الإيمان جاحدى الحق الطغاة الذين يتمردون على إمامهم العادل! وبعبارة أخرى فانّ هذه المفردة كناية فى أنّ اولئك الأفراد يستحقون ما يحل بهم من عذاب إلهى، لا يعنى ذلك رضى الإمام عليه السلام بأى مقدار من ظلم الحجاج.

فالكلام أشبه بما نقوله لشخص إنّ هذا الدواء وإن كان مرّاً لكنه العلاج الذى يشفيك فلا يصغى لما يقال له، فان اشتدّ ألمه وتعالى صراخه وارتفع صوته نقول له: تألم أكثر! فهذه نتيجة عملك، فمن البديهى أنّ مفهوم ذلك ليس رضانا بألمه ووجعه، بل معناه أنّ تلك هى النتيجة الطبيعية لعدم إمتثاله لأوامر الأطباء والحكماء، وهذا الكلام شبيه ما أورده الإمام عليه السلام فى الخطبة ۲۸ حيث قال: «أَلَا وَإِنَّهُ مَن لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى».

وأمّا وذحة فقد صرحت أغلب المصادر اللغوية من قبيل (لسان العرب، مجمع البحرين، أقرب الموارد)، أنّها تعنى الخنفساء، وقال البعض كصاحب القاموس والخليل بن أحمد فى كتاب «العين» أنّها تعنى بعرة الحيوان بوله الذى يلتصف بصوفه.

وأمّا بشأن انتخاب كنية «أبا وذحة» للحجاج فقد وردت فيها عدّة أراء ذكرتها التواريخ وشروح نهج البلاغة، أنسبها أنّ الحجاج رأى يوماً خنفساء قرب موضع صلاته فدفعها عنه، فأتته ثانية فدفعها، فلما أتته ثالثة أمسكها بيده وعصرها فعضته فورمت يده فأدى به الورم إلى الموت، وكأنّ اللّه تعالى أراد أن يرى هذا السفّاح مدى قدرته حيث قضى عليه وبواسطة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۳

أحقر مخلوقاته، على غرار النمرود ذلك الطاغية المعروف والذى ولجت أنفه بعوضة قضت عليه.

وقال البعض أنّ الحجاج كان يتنفر من الخنفساء فلم تكد تقع عينيه عليها حتى يأمر غلمانه بدفعها، ومن هنا إصطلحت عليه الناس أبا وذحة، ولا يبدو مناسباً أن نذكر هنا سائر ما ورد فى هذا الشأن وخلاصته أنّ الحجاج كان يشكو من مرض جنسى، فكان يعالج مرضه بالخنفساء، وقد صرّح ابن أبى الحديد بعد ذكره لهذه الروايات أنّ الإمام عليه السلام إختار هذه الكنية للحجاج لأنّ عادة العرب جرت على ذكر الفرد بكنيته حين الاحترام وذلك للعظمة، وإن أرادواتحقيره ذكروه بالكنية أيضاً من قبيل كنية عبدالملك بن مروان بأبى الذبّان، حيث كان الذباب يتجمع على فمه لخبث رائحته (أو كان حتى الذباب ينفر منه كما صرّح بذلك البعض)، وكذلك كنية يزيد بن معاوية بأبى زنة[۲۰۱].

قال الشريف الرضى آخر هذه الخطبة: «الوذحة الخنفساء» وهذا القول يؤمى به إلى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

من هو الحجاج؟

الحجاج من أبشع الطغاة الذين عرفهم التاريخ البشرى، وقد ألفت مختلف القصص التى تعنى بجرائمه وجناياته والتى يصعق لها كل من طيلع عليها، كان والى عبدالملك بن مروان على الكوفة، وعبدالملك خامس الخلفاء بنى امية، وقيل فى صفة الحجاج أنّه كان دميم الخلقة كريه المنظر قصير القامة ضعيف أعوج الرجلين أبرص ولعل سفكه للدماء وولعه بها ناشىء من تلك العقدة والشعور بالحقارة، وقد ذكر المؤرخ المعروف المسعودى فى «مروج الذهب»: «بأنّه كان يعترف بأنّ أعظم لذته فى سفك الدماء والإتيان بالأفعال التى لا يقوم بها الآخرون»[۲۰۲].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۴

تولى إمارة الحجاز «مكة والمدينة» من قبل عبدالملك بن مروان لسنتين فارتكب أبشع الفضائع ومنها قصفه الكعبة بالمنجنيق، ثم وضع النار على طائفة من صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله المعروفين مثل جابر بن عبداللّه الإنصارى، وأنس بن مالك، وسهل بن الساعدى على أنّهم اشتركوا فى قتل عثمان، ثم وجهه عبدالملك إلى العراق وولاه البصرة والكوفة، حكم الحجاج مدّة عشرين سنة وبلغ من قتلهم الحجاج مئة الف وعشرين من غير الذين قتلوا على يديه وأعوانه فى الحروب، كان فى سجنه حين مات خمسون ألف رجل ثلاثين ألف وإمرأة ستة عشر ألف منهم عراة، وكان يضع النساء مع الرجال ولم يكن لسجنه سقف فكانوا يعانون من شدّة الحرارة فى الصيف والبرودة فى الشتاء.

وقال ابن الجورى: أنّ حرس السجن كانوا يرمون السجين بالحجر إن لاذ بالجدار من شدّة حرارة الشمس، وكان طعامهم قليلًا من الخبز المخلوط بالملح والرماد، فكان يسود وجه من يدخل السجن بحيث لا تعرفه امه حين تأتى لرؤيته.

ولعل أبلغ كلام قيل فى الحجاج ما ذكره الشعبى حين قال: «لو أخرجت كل امة خبيثها وفاسقها وأخرجنا الحجاج بمقابلتهم لغلبناهم».

وكان موته ذا عبرة أيضاً حيث أصيب بمرض شديد فكان يصرخ بشدّة من الألم حيث كانت تسيطر عليه برودة شديدة فيضعون قربه ظروفاً مملوءة بالنار حتى كان يحترق جلده وهو يرتعش من البرد.

نعم، لقد احترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة، توفى فى الرابعة والخمسين من عمره عام ۹۵ ه فإلى جهنّم وبئس المصير.[۲۰۳]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۵

الخطبة[۲۰۴] المأة و سبعة عشرة

اشارة

وَمِنْ كَلام لَهُ عليه السلام

يُوبّخ البخلاء بالمال والنفس

نظرة إلى الخطبة

يبدوا أنّ هذه الخطبة القصيرة هى جزء من خطبة طويلة فصلها المرحوم السيد الرضى، ومن هنا لم يتضح سبب ووردها ولا أقسامها الأولى: والآخرة، مع ذلك فهى تشتمل على عبارات مؤثرة ومعبّرة رغم قصرها.

ويستفاد من بعض المصادر[۲۰۵] أنّ الإمام عليه السلام أورد هذه العبارات ضمن خطبة فى نهاية معركة صفين فهى تناسب تلك الأجواء تماماً.

على كل حال فانّ الإمام عليه السلام عرض بالذم المخاطبيه الذين يسخّون فى بذل الأموال والأنفس فى سبيل اللّه سبحانه وتعالى فقال لهم اعتبروا بتاريخ أسلافكم واتعظوا بحياتهم كيف تركوا كل شىء وارتحلوا عنه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۷

«فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِى رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِى خَلَقَهَا.

تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِى عِبَادِهِ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ».

الشرح والتفسير

الفكر والاعتبار

إستهل الإمام عليه السلام هذه الخطبة بذمّ طائفة من أصحابه وهو يعتب غليهم ويوبخهم فقال:

«فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِی رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِی خَلَقَهَا».

فالواقع هو أنّ اللَّه تبارك وتعالى خالق الأنفس هو المالك الأصلی لهذه الأموال، وهذه الأموال والأنفس أمانة استودعها اللَّه سبحانه الناس مدّة من الزمان، وإلّا أنّكم أخلدتم إليها وإلتصقتم بها وكأنّكم أنتم المالك الأصلی والخالق لها، وهذا قمة الجهل بالواقع، فالعبارة تبدو متناسبة تماماً وإلقاء هذا الكلام بعد معركة صفين، حيث كانت هناك فئة فی جيش الإمام عليه السلام لم تكن مستعدة للمخاطرة بأرواحها دفاعاً عن الحق ولم تكن حاضرة لبذل ما فی أيديها من أموال لتجهيز جند الإسلام.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«تَكْرُمُونَ ۲۰۶] بِاللَّهِ عَلَی عِبَادِهِ، وَلا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِی عِبَادِهِ!».

حقاً إنّ هذا الإزدواج لشیء عجيب فی أن يتوقع الإنسان أن يعزّه ويكرمه الناس على أنّه عبد من عباد اللَّه، بينما لا يكرم أی من عبيد اللَّه سبحانه، فهو لا ينفق شيئاً من ماله ولا يضحی

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۸

بنفسه من أجل الوقوف بوجه الظالم ونصرة المظلوم.

ثم يختتم الإمام عليه السلام كلامه بتحذيرهم وضرورة الاعتبار بمن سبقهم حيث سيجری عليهم نفس الحكم، وإن كانوا رحلوا فسترحلون ويأتی قوم آخرين يسكنون مساكنكم كما سكنتم منازل من كان قبلكم كما عليهم الإتعاظ بانفصام عری القرابة حتی مع أقرب إخوانكم، فقد رأيتم بأعينكم ذهاب بعض أعزتكم وقريباً ما تلحقون بهم:

«فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ».

فهذا دليل آخر على أنّ كافة الأموال والأنفس ودائع وهی مخلوقة جميعاً للَّه، وأنّه سبحانه يداول هذه الأموال والمساكن والمناصب بين الناس إلى أجل مسمی، والتاريخ أعظم شاهد على هذا الأمر.

فلسنا أول من وطأنا هذا العالم، ولسنا بأخر من يغادره، إننا حلقة صغيرة ضمن هذه السلسلة الطويلة الممتدة منذ بداية الخليقة حتی نهاية العالم، فمن الغفلة ألا نری الحلقات السابقة واللاحقة، فلا نعرف موقعنا فی هذا العالم ونری هذه الدنيا خالدة دائمة لنا.

وزبدة الكلام فانّ الإمام عليه السلام كشف النقاب عن المكنون بهذه العبارات بما يوقظ النائم الغافل ويقض مضجع من يشهد سكر المال والمقام والجاه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۰۹

الخطبة[۲۰۷] المأة و ثامنة عشرة

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فی الصالحين من أصحابه

نظرة إلى الخطبة

كما ذكر فی سند هذه الخطبة فقد صرّح بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السلام أورد هذا الكلام بعد معركة الجمل، حيث كان أصحاب الإمام عليه السلام وحدة واحدة وصفوف متراصة مطيعة لأوامره وتوجيهاته فحققوا نصراً سريعاً باهراً بعد أن قضوا بكل

شجاعة وبسالة على فلول العدو وأخمدوا نار الفتنة.

فقد أثنى الإمام عليه السلام عليهم بهذه العبارات البليغة القصيرة، ثم أوصاهم بمواصلة السير على هذا النهج، وأخيراً إختتم خطبته بإشارة عابرة إلى مقام ولايته

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۱

«أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ. بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ. فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ!».

الشرح والتفسير

الأصحاب الأوفياء

شحنت أغلب خطب نهج البلاغة بالذم الشديد بالنسبة لطائفة من أصحاب الإمام عليه السلام خاصة بعد معركة صفين على ما أبدوه من ضعف وفرقة وغدر فى ميدان المعركة، لكن فى هذه الخطبة التى وردت بعد معركة الجمل، فانّ الإمام عليه السلام يعرض بالمدح والثناء البليغ على أصحابه الأوفياء، ويدل هذا بوضوح على أنّ الإمام عليه السلام كان على الدوام يحث المحسنين من أصحابه ويرغبهم فى الأعمال الصالحة، كما كان يذم المسيئين منهم، ليخلص الفريق الأول فى عمله ويلتصق به، ويرعوى الفريق الثانى ويهم بإصلاح نفسه، فقد خاطب الإمام الصالحين من صحبه بأربع عبارات:

«أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ ۲۰۸] يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ[۲۰۹] دُونَ النَّاسِ».

نعم، أنتم إخوانى فى الدين وقد أثبتم عدم تقصيركم فى نصرة الحق، تقفون بكل شموخ فى ميادين القتل بوجه الأعداء، إلى جانب ذلك فأنتم ثقة فى حفظ الأسرار المتعلقة بالحرب والسلام.

ثم قال عليه السلام:

«بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۲

إشارة إلى أنّ الناس على صنفين: صنف أدار ظهره للحق وهبّ لمقارعته ولا سبيل هناك سوى التصدى له والوقوف بوجهه، وأنتم الأنصار فى هذا القتال، وصنف آخر أقبل على الحق ولكن لا يتمتع بالمعرفة اللازمة والطاعة الكافية، وسأعمل على تربيتهم بواسطتكم لكى ينقادوا للّه‌ويطيعوه.

والخلاصة: فأنتم أنصارى فى مقاتلة العدو وكذلك فى المجال الفكرى تجاه الصديق، ثم نصح عليه السلام صحبه الأوفياء بعبارتين عميقتين المعنى فقال:

«فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ».

ففى العبارة إشارة إلى نقطة مهمّة وهى أنّ بطانة الأمراء ومشاورى الحكّام غالباً ما يقدمون مصالحهم الشخصية أو منافع قرابتهم ومن لهم علاقة بهم، ثم يعرضونها للحكام على أساس إرادة الخير والخدمة، بل أحياناً يطرحون بعض الاقتراحات التى لا يقتنعون بها أنفسهم وهذا ما يؤدّى بدوره إلى الإحباط والفشل فى أغلب الخطط، فالإمام عليه السلام يؤكد على أصحابه الإخلاص فى‌ما يطرحونه من أراء واقتراحات وابعادها عن كل ما يشوبها وعدم الأخذ بنظر الاعتبار سوى الخير وصلاح دين الحق وعباد اللّه.

وأخيراً يختتم خطبته بهذه العبارة:

«فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ!».

ولعل هذه العبارة دليل على العبارات السابقة، أى إنّى‌إن توقعت نصرتكم ووقوفكم إلى جانبى فذلك كونى ولى أمر الناس باذن اللّه،

بل إنّى أولى بهم حتى من أنفسهم، وهذا ما ينبغى أن يجعلكم تشعرون بالرضى والسرور على إنّكم تسيرون خلف مثل هذا الإمام وتطيعون أوامره.

الثناء على الأصحاب

أثنى الإمام عليه السلام ثناءاً بليغاً على أصحابه بعد معركة الجمل، حيث استطاعوا بمدّة قياسية ومن خلال إتحادهم وصمودهم وقوّة إيمانهم من القضاء على قدرات العدو وإخماد نار الفتنة فى تلك المنطقة الإسلامية الحساسة (البصرة).

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۳

بينما توالت الخطب التى تعرض بالذمّ لطائفة أخرى من أصحابه، وذلك بعد معركة صفين التى انتهت بفشلهم بفعل اختلاف كلمتهم وضعفهم فى عقيدتهم وإرادتهم وعدم طاعتهم وإمتثالهم للأوامر، ولم يكن ذيك سوى فى اللحظات الأخيرة التى أوشك النصر فيها علىالتحقق والرسوخ، فذلك الثناء وهذا الذم يفيد أن كل ذلك يتمّ على أساس حساب تخطيط وليس هناك من تناقض فى الأمر، كما لم تطلق كلمة فى هذا المجال تتعارض والحكمة والمصلحة، الأمر الذى ربّما يلتبس على البعض الذين لا يعلمون بشأن وورد هذه الخطبة.

النقطة الأخرى هى أنّ الإمام عليه السلام عين فى هذا الكلام القصير وظيفة الامة تجاه الحكومة، فيجب عليها من جانب الوقوف من أجل استقطاب الأوفياء ودفع الحاقدين، ومن جانب آخر التمعن فى كافة الأنشطة السياسية والاجتماعية والعسكرية وإبداء المقترحات النافعة والانتقادات البناءة بهذا الخصوص.

ثم يشير فى آخر عبارة من هذه الخطبة إلى نقطة مهمّة وهى مسألة الولاية الإلهيّة، وهو الأمر الذى أكدّه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى خطبة الغدير حيث قال:

«أَلَستُ أَولى بِكُم مِنْ أَنفُسِكُم»

، فردّ المسلمون: بلى يا رسول اللّه، ثمّ قال صلى الله عليه و آله:

«مَنْ كُنتُ مَولاهُ فَهذا عَلِيٌّ مولًا»

.. هكذا قطع رسول اللّه صلى الله عليه و آله الأعذار على جميع من يتشبث بالحجج الواهية ويختلق الذرائع ليقول الولى هنا بمعنى الصديق.

والطريف فى الأمر أنّ العلّامة الأمينى صاحب كتاب الغدير قد نقل العبارة:

«أَلَستُ أَولى بِكُم مِنْ أَنفُسِكُم»

من أربعة وستين محدّثاً ومؤرخاً إسلامياً، وهذا ما يؤكد إتفاق الجميع على هذه العبارة[۲۱۰]، فالإمام عليه السلام ذكر هذه النقطة فى الخطبة وأقسم قائلًا:

«فَواللّهِ إنّى لَأَوْلَى النّاسِ بِالنّاسِ!».

من الواضح أنّ المراد من هذ العبارة هو أنّ أوامر الإمام المعصوم كأوامر اللّه تبارك وتعالى مقدمة على رغبات الناس، وإن كانت هذه الأوامر تصبّ فى طريق مصالح المجتمع ومنافعه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۵

الخطبة[۲۱۱] المأة و تاسعه عشرة

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليّاً

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى سند الخطبة فانّ الإمام عليه السلام أورد هذه الخطبة إثر إحدى حملات معاوية وجيش الشام على أطراف العراق، فيعرض الإمام عليه السلام بالنقد اللاذع فى هذه الخطبة لذلك الصمت السلبى وعدم الإكتراث من قبل الناس تجاه تلك الأحدث المؤذية التى تضعف معنويات جند الإسلام وروحياتهم، وحين ردّ البعض على الإمام عليه السلام إن سرت سرنا معك، شدد الإمام عليه السلام من ذمّهم وتوبيخهم على أنّ وظيفة الإمام وزعيم الجماعة ليست فى أن يدفع بشخصه لإخماد أى تمرّد ومطاردة عدو وترك مركز الحكومة الإسلامية والتخلى عن مختلف وظائفه، فالإمام لابدّ أن يقوم بهذا العمل فى الأحداث الغاية فى الأهميّة ويترك لبعض الأمراء الصغار ممن دونه التعامل مع سائر الأحداث، فهذا أحد الاصول المسلمة للإدارة والإمرة وللأسف لم يكن أهل الكوفة على علم بذلك أو أنّهم لم يريدوا العلم بذلك.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۷

القسم الأول: المخلّفون الضعفاء والجهّال

«فَقَالَ عليه السلام: مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ.

فَقَالَ عليه السلام: مَا بَالُكُمْ! لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ! وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ! أَفِى مِثْلِ هذَا يَنْبَغِى لِى أَنْ أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِى مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِى بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِى لِى أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِى حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِى كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِى الْجَفِيرِ الْفَارِغِ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَىَّ وَأَنَا بِمَكَانِى، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا. هذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْىُ السُّوءُ!».

الشرح والتفسير

حين بلغ الإمام عليه السلام هجوم أعوان معاوية على بعض المناطق الحدودية، جمع الناس وأمرهم بالحركة إلى الجهاد، لكن وكما ورد فى الخطبة المذكورة سكت الناس ولم يجيبوه، فامتعظ الإمام عليه السلام وتأثر شديداً فقال:

فَقَالَ عليه السلام: «مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ».

فردّ عليهم الإمام بعنف بعدم التوفيق وبلوغ الهدف ۲۱۲]، فلا ينبغى للإمام الحركة فى مثل تلك

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۸

الظروف:

«فَقَالَ عليه السلام: مَا بَالُكُمْ! لَا سُدِّدْتُمْ ۲۱۳] لِرُشْدٍ! وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ! أَفِى مِثْلِ هذَا يَنْبَغِى لِى أَنْ أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِى مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِى بَأْسِكُمْ».

فلم يكم متعارفاً فى أى مكان من الدنيا ولا عصر من العصور أن ينهض زعيم فرقة أو رئيس دولة بشخصه للتدخل فى حادثة صغيرة وبلبلة معينة، بل عادة ما يوجه لها أحد آمريه برفقة مجموعة من العناصر الشجاعة والوفية من أجل إخماد الفتنة وحل النزاع، وذلك لأنّ التخلى عن مركز الحكومة من شأنه أن يقود إلى عدّة مخاطر جانبية، ومن هنا واصل الإمام كلامه قائلًا:

«وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ[۲۱۴] أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ۲۱۵] الْقِدْحِ ۲۱۶] فِي الْجَفِيرِ[۲۱۷] الْفَارِغِ ۲۱۸]».

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارة إلى ستة جوانب تتضمن الوظائف المهمّة لرئيس الدولة يمكنها الإنهيار جميعاً فيما إذا شغر مركز الحكومة من ذلك الرئيس، وهى الاشراف على الجند وأمور العسكر والجيش والحفاظ على مركز الدولة وحفظ بين مال المسلمين وجباية الخراج والضرائب والقضاء بينهم والدفاع عن حقوق عنهم.

فمن البديهى يمكن لرئيس الدولة أن يشخص بنفسه للتعامل مع الحوادث الضحمة ويهب لمواجهة العدو، أمّا فى غيرها من الحوادث ذات الطبيعة العادية، فيمكن لغيره التعامل معها، وتشير سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه كان يشخص بنفسه الشريفة فى الغزوات المهمّة المصيرية، فيتزعم الجند، وكان ينصب بعض الأفراد فى الغزوات العادية فيسلمه الراية

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۱۹

ويوصيه ببعض التعاليم كما يوصى الجيش بطاعة أوامره، وهكذا كانت تحصل أغلب الغزوات فى تاريخ الإسلام والتى يصطلح عليها عادة بالسرية، غاية ما فى الأمر أنّ صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كانوا يأتمرون بأوامره بحيث يطيعونه فى كل ما يقول ولم يكن يرد عليه أحد بأن سرت سرنا معك.

نعم، صحيح لكل قسم مسؤول على أساس تقسيم وتنظيم شؤون البلاد، لكن لا يخفى الدور الحيوى الذى يلعبه الرئيس المشرف على اولئك المسؤولين فى تقدم الأعمال والنهوض بها قدماً، هذا الأمر واضح تماماً، بل هو من البديهيات، لكن اولئك المتقاعسون المسلوبون الإرادة والضعاف الذين يتذرعون بمختلف الذرائع من أجل إجتناب مواجهة العدو فيشترطون شرطاً غاية فىالبعد عن المنطق لخروجهم، وبعبارة أخرى شرطهم هو تعليق على المحال، ويواصل الإمام عليه السلام كلامه من خلال تشبيه رائع لشخصه بقطب الرحا ومحورها والذى يفيد ضرورة بقائه فى موضعه (بحيث تدور كل الأمور من خلاله) فان إبتعد هذا المحور عن مركزه اختلت حركة جميع الأشياء:

«وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ[۲۱۹] مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا».

فقد جرت العادة سابقاً على الاستفادة من الرحى اليدوية أو المائية والهوائية من أجل طحن الحنطة والشعير، وكانت بنية هذه الآليات بسيطة وواضحة، فقد كانت هناك حجرة ثابتة فى الأسفل وأخرى تتحرك فى الأمام بواسطة حركة اليد أو ضغط الماء الذى يعبر من تحتها أو الرياح، وكان وسط الحجرين قطب يدور حول محوره الحجر لو كسر القطب لخرج الحجر عن مساره ووقع جانباً إلى جانب ذلك كان هناك جلد كبير أو قطعة من القماش تبسط تحت الرحا لجمع الدقيق بسهولة، حيث إذا خرج الدقيق من وسط الحجرين وقع عليه، ولو زال ذلك القطب والمحور الأصلى لوقفت الرحا عن الحركة ووقع الحجر على تلك القطعة من القماش أو الجلد وإضطراب.

هذا ما أشار إليه الإمام بقوله:

«اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا»

، إضافة إلى ذلك فانّ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۰

الشىء الذى يحرك الحجر فى الرحا هو ذلك الواقع فى وسط الحجر والذى يتصل من الأسفل بمحور أكبر يصب عليه الماء من جانب ويحركه، وهكذا يكون القطب عامل حركة وعامل تنظيم، وهذه هى منزلة الإمام والقائد.

وأخير يخلص الإمام إلى النتيجة صريحة بأنّ ذلك الاقتراح مرفوض تماماً فى أنّ يشخص بنفسه لإطفاء كل فتنة هنا وهناك تاركاً لمركز الحكومة:

«هذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْىُ السُّوءُ!».

حقاً أنّه لإقتراح فاشل بشهادة كل مدير ومسؤول له علم بهذه الأمور فى أنّ القائد لا يفارق موقعه ومركز ثقله ومهامه سوى فى الحوادث المهمّة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۱

القسم الثانى: لولا رجآء الشهادة

اشارة

«وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِى الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِى الْعَدُوَّ- وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِى لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكابِى ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ؛ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ. إِنَّهُ لَاغَنَاءَ فِى كَثْرَةٍ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِماعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْواضِحِ الَّتى لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ».

الشرح والتفسير

شدد الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة من ذمّه وتوبيخه لأهل الكوفة وعين نقاط ضعفهم وأعرب عن يأسه وعدم أمله فى مستقبلهم وعاقبة أمرهم، فقال:

«وَاللَّهِ لَوْ لَا رَجَائِى الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِى الْعَدُوَّ- وَلَوْ قَدْ حُمَ ۲۲۰] لِى لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكابِى ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ».

العبارة

«مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ»

، إشارة إلى مراده أننى لم آتى إليكم أبداً، فالعبارة أشبه بما ورد فى إحدى كلماته عليه السلام حين أقترح عليه عدم التسوية فى العطاء من بيت مال المسلمين، فقال عليه السلام:

«أَتَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَاأَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِى السَّمَاءِ نَجْماً![۲۲۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۲

تطالعنا هنا ثلاثة أسئلة تطرح نفسها:

الأول: كيف قال الإمام عليه السلام لولا رجائى الشهادة لما مكثت بينكم ولتركتكم، بينما ذكر سابقاً لا ينبغى لى أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر فى حقوق المطالبين، فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين؟

الثانى أنّ الإمام عليه السلام قد سمع بشارة رسول اللّه صلى الله عليه و آله له بالشهادة وكان يعلم أنّه سيقتل على يدى أشقى الآخرين عبدالرحمن بن ملجم، فكيف قال لولا رجائى الشهادة عند لقائى العدو؟

الثالث: كيف يستطيع الإمام عليه السلام التخلى عن إمامته وزعامته ويخرج من الناس؟

وللإجابة على السؤال الأول لابدّ من القول أن نيل فيض الشهادة كان يشكل أحد الأهداف المقدّسة للإمام عليه السلام فى بقائه وسط تلك الفئة ولا مانع من أن يكون له أهداف أخرى، حيث بين اثر تلك الأهداف فلم تعد هناك من حاجة لديه لذكرها هنا[۲۲۲].

ونقول فى الردّ على السؤال الثانى إنّ لقاء العدو يشتمل على مفهوم غاية فى السعة وإن بدى فى الوهلة الاولى يجسد مواجهة الخصم فى ساحة المعركة والذى يمثل جزءاً من ذلك اللقاء، ونعلم أنّ شهادة الإمام عليه السلام كانت أحد مصاديق ذلك.

وامّا السؤال الثالث: فيمكن الإجابة عليه بالقول بأنّ ترك فئة فاسدة لا يمكن إصلاحها لا يعنى التخلى عن وظائف الإمامة أبداً، بل

يمكن للإمام عليه السلام أن يتّجه صوب جماعة أعظم إستعداداً، على غرار ما فعله رسول اللّه صلى الله عليه و آله حين هاجر من مكة إلى المدينة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بذكر الأدلّة التى تدعوه إلى عدم الإرتياح منهم ويبيّن لهم نقاط ضعفهم على أمل الإلتفات إلى أنفسهم فيهموا باصلاحها فقال:

«طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ ۲۲۳]

رَوَّاغِينَ ۲۲۴]».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۳

فهذه الصفات الأربعة على درجة من القبح والبشاعة بحيث يكفى وجود واحدة منها فى فرد لتدعو للنفرة منه والابتعاد عنه، فضلًا عن اجتماعها جميعاً فيه، أى أنّ جلّ همّه الالتفات إلى المعايب والمثالب، بل يعطيها حجماً أكثر من واقعها فهو لا ينفك عن طرحها وتكرارها حتى شعر المقابل باليأس، فلا يرى الحق حتى يولى له ظهراً فتختلط حياته بالمكر والأسى، فكيف لرجل صالح أن يعيش وسط مثل هذه الفئة فضلًا عن الإمام المعصوم عليه السلام الزعيم للخلق والذى ليست أمامه من نتيجة لهذا الوضع المأساوى سوى الحزن والمعاناة، ومن هنا يرجو الإمام عليه السلام مفارقتهم والانفصال عنهم.

ثم أضاف الإمام عليه السلام بأنّه إلى جانب تلك العيوب الشخصية هناك عيب اجتماعى كبير فيهم والذى يتمثل بعدم جدوى كثرة عددهم مع قلّة اجتماع أفكارهم:

«إِنَّهُ لَاغَنَاءَ فِى كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتَماعِ قُلُوبِكُمْ».

صحيح أنّ عددكم يبدو كثيراً فى الظاهر، ولكن حيث تغيب الوحدة التى ينبغى أن تجمع قلوبكم وتوحدها وحيث ينفرد كل بإرادته وقراره، فلم يعد هناك من خير يؤمل فيكم، أو بعبارة أخرى فانّ اجتماعكم الموتى وتجمعكم تجمع الوحشة.

ثم إختتم الإمام عليه السلام الخطبة بقوله أنّى قمت بوظيفتى تجاهكم:

«لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْواضِحِ الَّتى لَايَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ».

فالإمام عليه السلام أوضح بهذه العبارة حقيقة مفادها أنّى قلت لكم كل ما ينبغى قوله وأتممت عليكم الحجة وإن تمنيت الخروج عنكم ومفارقتكم فذلك لا- يعنى أنّى قصرت فى مقام بوظيفتى تجاهكم، ولكن لأسف إنّكم لستم بالأفراد للائقين الذين يسعكم الاستفادة من البرامج التربوية التى يطرحها مرشد ربّانى شفيق عليكم.

القلوب الواعية

أورد مؤرخ القرن الثالث المعروف أبو اسحاق الثقفى فى كتاب «الغارات» فى ذيل هذه الخطبة حين خطب الإمام عليه السلام هذه الخطبة قام

«جارية بن قدامة السعدى»

فقال:

«يا أَمِيرَالمُؤمِنِينَ لاأَعدَمَنا اللّهُ نَفْسَكَ وَلا أَرانَا فِرَاقَكَ أَنَا لِهؤلاء القَومِ فَسَرِّحنِى إِلَيهِم».

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۱۲۴

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۴

فسّر الإمام عليه السلام لكلامه وأثنى عليه، من جانب آخر قام إليه

«وهب بن مسعود الخثعمى»

فقال:

«أَنَا لَهُم».

فأمر الإمام عليه السلام جارية أن يسير بألفين إلى البصرة والخثعمى بألفين إلى الكوفة، ثم أمرهما بتتبع بسر بن أبى ارطاة أينما وجدوه [۲۲۵].

والذى يستفاد من هذا البحث التاريخى:

أولًا: إنّ شدّة كلمات الإمام عليه السلام كان لها فى خاتمة المطاف الأثر البالغ فى بعض القلوب الواعية فاستعد أصحابها لمواجهة الأعداء.

ثانياً: يتضح أنّ هذه الخطبة قد وردت قبل المرحوم الرضى فى كتاب «الغارات».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۵

الخطبة[۲۲۶] المأة و عشرون

اشارة

وَمِنْ كَلام لهُ عليه السلام

يذكر فضله ويعظ الناس

نظرة إلى الخطبة

بداية الكلمات إشارة إلى وجود أبواب الحكم وكنوز العلم لدى أهل البيت عليهم السلام الذين تعلموا من رسول اللّه صلى الله عليه و آله تبليغ الرسالة وتفسير كلمات اللّه سبحانه وتعالى، ثم خاض الإمام فى إسداء مواعظه ونصائحه النافعة وحذر الناس فى ضرورة الاعتبار بالآخرين والخوف من نار جهنّم وأن يعملوا ما يجعل الناس يذكرونهم بكل خير بعد إيمانهم، فالسمعة الحسنة أفضل من الأموال تلحق الإنسان بعد وفاته، الأموال التى قد لا يعرف الورثة عادة قيمتها ولا يشكرون جامعها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۷

«تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ.

وَعِنْدَنَا- أَهْلَ الْبَيْتِ- أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسَبِيلَهُ قَاصِدَةٌ. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

إِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ. وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَغَائِبُهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ. وَاتَّقُوا ناراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ. أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ».

الشرح والتفسير

المواعظ القيمة

إستهل الإمام عليه السلام خطبته بالحديث عن العلوم التى تعلمها من رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال:

«تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ».

المراد بتبليغ الرسالات أساليب نشر المعارف الإسلامية وأحكام الدين بمختلف الطرق وايصالها إلى الناس، إشارة إلى أنّى لم أتعلم الرسالات الإلهيّة فحسب، بل تعلمت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله طرق التبليغ، فكنت لا أنثنى فى هذا السبيل.

والمراد باتمام العدات «الوفاء بالعهود» تلك وعود اللَّه تبارك وتعالى بصورة عامّة بالنسبة لجميع المؤمنين والوعود بصورة خاصة بالنسبة له عليه السلام، كما ورد فى القرآن الكريم: «مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»[۲۲۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۸

يمكن أن يكون هذا الوعد الإلهى هو الوعد بالشهادة فى سبيل اللَّه، أو سائر الوعود من قبيل مقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين، أو غير ذلك.

والمراد بتمام الكلمات يمكن أن يكون إشارة إلى تفسير آيات القرآن وتفسير كلمات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وتبيان وإكمال كافة الكلمات التى وصلت من الكتاب والسنّة.

كما يحتمل أن يكون المراد الإمام صلى الله عليه و آله أنّى أولى من جميع الأفراد بخلافة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وذلك لأنّى تعلمت طريق تبليغ الرسالة وتحقيق وعوده صلى الله عليه و آله وتفسير وتكميل كلماته، وعليه فإنّى أستطيع النهوض لمسؤولية الخلافة، وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«أَنْتَ وَصِى وَأَخِى فِى الدُّنيا وَالآخِرةِ وَتَقضِى دَينِى وَتُنجِزُ عِداتِى»[۲۲۸].

الاحتمال الآخر الذى يمكن ذكره بالنسبة لهذه العبارة هو أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يقول أنا أولى بالخلافة، لأنّى أقدر على تبليغ جميع رسالات اللَّه سبحانه، كما أستطيع العمل بالوعود التى أقطعها وكذلك أتم ما أورده من كلمات وأحاديث.

ثم واصل عليه السلام كلامه بالقول:

«وَعِنْدَنَا- أَهْلَ الْبَيْتِ- أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ».

والحكم بضم الحاء بمعنى الحكومةو القضاء، بناءاً على هذا فالمراد بالعبارة عندنا أهل البيت طرق تدبير الحكومة وإقامة العدل وبسط الأمن، والحكم بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة بمعنى العلوم والمعارف، ولا شك ولا ريب أنّ لدى أهل البيت عليهم السلام أبواب الحكمة وكنوز العلم والمعرفة، كما قرنهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال فى حديث الثقلين المعروف:

«إِنِّى تارِكٌ فيكُم الثَّقَلَينِ كِتابَ اللَّهِ وَعِترَتِى»[۲۲۹].

ثم أورد الإمام عليه السلام خمس نصائح من شأنها نجاة العباد فى الدنيا والآخرة، وكأن العبارات الاولى لهذه الخطبة قد وردت لإعداد القلوب من أجل تقبل هذه النصائح ليقول أنّ كلامى يستند إلى علم عميق ودقيق بتعاليم الإسلام وتعاليم النبى صلى الله عليه و آله، فكانت النصيحة الاولى مسألة الإتحاد ووحدة الكلمة وذلك لأنّ الاختلاف آفات سعادة الإنسان، فقال:

«أَلَا وَإِنَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۲۹

شَرَائِعَ الدّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ. مَنْ أَخَذَبِها لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ».

المقصود بشرائع الدين كافة التعليمات التى صرّح بها الدين الحنيف بما فيها المعارف والعقائد والقوانين والوصايا والأمور الأخلاقية، فجذروها واحدة فى جميع الأديان السماوية وإن إقتضت الظروف الزمانية والتطور البشرى أن يكون هناك بعض الاختلاف شرحها وتفصيلها وتنوع فروعها.

كما يحتمل أن يكون المراد بشرائع الدين مختلف الطرق إلى اللَّه سبحانه فى الدين الإسلامى والتى تنتهى جميعاً إلى طريق رئيسى واحد وهو القرب إلى اللَّه والسعادة المطلقة للبشر، فالصلاة الصوم والجهاد والحج والزكاة وكافة مثل هذه التعليمات إلى جانب

التعاليم العقائدية والأخلاقية تتصل وتنتهى بنقطة واحدة ويؤكد عليه السلام على أنّ بلوغ السبيل سهل وواضح وقريب، وعليه فانّ الفرقة والاختلاف إنّها تحصل من مزج الأفكار الباطلة والأهواء ووساوس النفس والشيطان بشرائع الدين، فقال تعالى فى كتابه العزيز: «شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...»[۲۳۰].

وقال عليه السلام فى الموعظة الثانية:

«إِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ».

العبارة الاولى إشارة إلى الآية الشريفة: «مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ...»[۲۳۱].

والعبارة الثانية إشارة إلى الآية القرآنية:

«يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»[۲۳۲].

من البديهى أنّ للإنسان قدرة محدودة ينبغى توظيفها فى أفضل سبيل، فالعقل يقول: لم تستهلك طاقتك فى طريق لا يدوم أكثر من أيّام، لم لا تستهلكها فى سبيل يرافقك على الدوام ويخلد فيه معك، أضف إلى ذلك يوم تبلى فيه السرائر وكافة أعمال الإنسان الخفية، فهو يوم عصيب وفضيحة بالنسبة للطالحين.

وقال عليه السلام: فى عظته الثالثة:

«وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَغَائِبُهُ ۲۳۳] عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[۲۳۴]».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۰

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام أراد بهذه العبارة مزج الأدلة العقلية بالنقلية وتعبئة الجميع من أجل متابعة سبيل الحق، وقد قال الإمام عليه السلام هنا ثلاثة أنواع لعقل هى: العقل الحاضر والبعيد والغائب، يمكن أن يكون الأول إشارة إلى المسائل العقلية الواضحة، والثانى إلى المطالب النظرية التى يبلغها الإنسان من خلال الطرق الاستدلالية الواضحة، و الأخير إشارة إلى المواضع المعقدة التى يتعذر التوصل إليها من خلال الدليل والبرهان، فمن البديهى أن يتعذر إدراك المطالب النظرية والمعقدة والبعيدة عن الفكر على من لا يستفيد من المسائل الفكرية البسيطة.

ففى المسائل النظرية تتضح تماماً معرفة اللَّه يوم القيامة (بالمبدأ والمعاد)، وذلك لأنّ آياته قد ملأت جميع العالم، والقيامة التى تمثل محكمته العادلة ثابتة بحكم العقل، وفى المسائل العلمية فانّ حسن العدل وقبح الظلم ومدح الصدق والوفاء والعفة والورع والتقوى مسلم للجميع، ولكن قد يحول التعصب الأعمى وأهواء الإنسان دون الوقوف على هذه الأمور الواضحة، فأنى لمثل هذا الفرد أن يبدى رأيه فى المسائل النظرية والمعقدة ويبلغ الهدف المطلوب.

ثم خاطب الإمام عليه السلام الناس فى المواعظة الرابعة بصفته منذر عالم فقال:

«وَاتَّقُوا ناراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[۲۳۵]».

والعبارات البليغة التى أوردها الإمام عليه السلام بشأن نار جهنم والتى تكفى كل واحدة منها لصد الإنسان عن الذنب إنّما اقتبست من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد جاء فى الآية:

«قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً ...»[۲۳۶].

وجاء فى أخرى: «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ...»[۲۳۷].

يعنى أنّها على قدر من الكبر والسعة بحيث لا تمتلىء بسهولة، وجاء فى أية أخرى: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ»[۲۳۸].

وجاء فى آية أخرى: «مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ»[۲۳۹]، قطعاً من يؤمن

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۱

بالآخرة ومحكمة العدل الإلهى وشىء من العذاب الأليم، فانّه يتحكم ويسيطر على أهوائه ويجتنب الظلم والجور ولا يقارف الذنب والمعصية، أمّا اولئك الذين ليس لهم من إيمان بهذه الأمور ولا يعتقدون بالحساب والكتاب والثواب والعقاب، فليس هناك ما يدعوه إلى السيطرة على أهواءه وكفّ الأذى عن الآخرين وعدم التعرض لحقوقهم.

نعم، يمكن للضمير أن يجد من هوس الأفراد إلى حدود معينة، لكن من اليقين أن ليس لذلك من بعد عمومى وشامل، وتأثيره يبقى متواضعاً، أضف إلى ذلك فانّ نبتة الضمير تذبل وتجف وتموت ما لم تسق بماء تعاليم الأنبياء عليهم السلام.

أمّا الموعظة الأخيرة والخامسة فقد أشار إلى نقطة مهمّة جدّاً فقال:

«أَلَا وَإِنَّ اللّسانِ الصّالِحِ يَجعَلُهُ اللَّهُ تَعلى لِلمرءِ فِى النّاسِ، خَيرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُرِثُهُ مَنْ لَايَحْمَدُهُ».

إنّ أغلب الناس وبدافع حبّهم لأولادهم وأزواجهم يبذلون قصارى جهدهم من أجل ضمان مستقبلهم ويفنون جانب عظمياً من أعمارهم فى هذا المجال حتى أنّهم يخلطون أحياناً الحلال بالحرام، لكنّهم يغفلون عن قضية مهمّة دلّت عليها التجربة أنّه قلّما نجد وارثاً يحمد من ورثه على ما خلفه لهم من ميراث، بل غالباً ما تكون الأموال الموروثة مصدراً للشقاق والاختلاف والنزاع، ولا غرو فكل فرد يسعى لأن يحصل لنفسه على السهم الأوفى، حتى قيل موت الغنى بداية قتال الفقير.

بل قد يتجاوز الأمر ذلك لنشهد سبّ الوارث والتشنيع عليه والتعرض له بالذم من جراء ما خلفه من مشاكل بسبب الارث.

والحال لو تجاوز الإنسان وهو على قيد الحياة ذاته وأنفق قسماً من أمواله كصدقة جارية وخدمة إنسانية وثقافية يسديها إلى المجتمع لبقى ذكره الطيب بين النايس فلن ينسوه أبداً، ويثنون عليه دائماً ويسألون اللّه له المغفرة والرحمة، فهذا هو ثوابه فى الدنيا ولثواب الآخرة أعظم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۳

الخطبة[۲۴۰] المأة والحادى العشرون

اشارة

مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

بعد ليلة الهرير

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ عليه السلام إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ:

نظرة إلى الخطبة

لابدّ من الالتفات إلى مناسبة وورد الخطبة من أجل الوقوف على عمق محتواها ومضمونها، فهذا الكلام يرتبط بمعركة صفين حين نهى الإمام عليه السلام الناس عن قبول التسليم للتحكيم، ثم دعاهم إلى قبوله، والمعروف بهذا الشأن أنّ عمرو بن العاص فكر بخدعة حين شارف جيش الشام على الهزيمة، فأمر برفع المصاحف ووضعها على أسنة الرماح، ثم دعى أصحاب على عليه السلام إلى تحكيم القرآن، فانخدع لذلك الكثير من السذج من أصحاب على عليه السلام فكفوا عن القتال واستجابوا لطلب أهل الشام، ثم أصروا على تحكيم القرآن بشأن مصير

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۴

المعركة فى أن ينهض حكم من جيش الإمام عليه السلام وآخر من جيش معاوية، وبلغ بهم الأمر أن هددوا الإمام قائلين: «إن لم تفعل

قتلناك كما قتلنا عثمان».

الإمام كان يعلم بأنّ تلك مصيدة خطيرة كمنت فى طريقهم ورغم مخالفته لهذا العمل، وإصراره على مواصلة القتال، غير أنّه اجبر على التسليم للتحكيم، وهذا ما دفع بالبعض للإعتراض على الإمام على عليه السلام، وفحوى اعتراضهم إنّك نهيتنا عن التحكيم، واليوم تأمرنا به؟

فالخطبة ردّ على هذا الاعتراض وقد أشار الإمام عليه السلام إلى عدّة أمور فى إطار الجواب فقال أولًا: هذه نتيجة طبيعية لفعلكم وعدم تبعيتكم لإمامكم، فلو عملتم بما أمرتكم به وواصلتم القتال لما أصبحتم اليوم تعانون من هذه المشكلة، ثم بيّن الإمام نقاط ضعفهم التى أدّت إلى هذه المشكلة الكبيرة وفى المرحلة الثالثة ذكر طائفة من أوائل المسلمين فى صدر الإسلام كانت تهب مسرعة لتلبية نداء الجهاد ومواجهة العدو بفعل قوّة إيمانها، فكانت تنتصر دائماً (إشارة إلى أن طريق النصر ما سلكوه، لا ما أنتم عليه).

وأخيراً يعرض لهم بالنصح ثانية فى مراقبة أنفسهم والحذر من مصائد الشيطان.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۵

القسم الأول: الداء وليس الدواء

«هذَا جَزَاءُ مَن تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّى حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِى يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِىَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِى، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا! اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِىِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِىِّ!».

الشرح والتفسير

ردّ الإمام عليه السلام بجواب قاطع على من اعترض عليه فى أنّ هذه المصيبة التى عصفت بكم إنّما أفرزها التحكيم وهذا جزاء من ترك الرأى السليم:

«هذَا جَزَاءُ مَن تَرَكَ الْعُقْدَةَ[۲۴۱]!».

لقد صرخت بكم أن واصلوا القتال ولا تتركوه فى هذه المرحلة الحساسة فالنصر قريب، لكنكم وليتم ظهوركم واستسلمتم لخدعة عمرو بن العاص، فأبيتم إلّاالتحكيم، كان مكر ابن العاص فى رفع المصاحف خدعة ظاهرها الإيمان وباطنها الكفر والنفاق على ضوء ما أخبر به الإمام عليه السلام فى الخطبة القادمة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه وقد أقسم باللّه لو أجبرتكم على الجهاد- والذى لم يكن يروق لكم بينما فيه الخير الكثير- حين أمرتكم بقبول التحكيم (بفعل الاضطرار واصرار الجهّال) لكان خيراً لكم، فان سلكتم سبيل الحق هديتكم وإن انحرفتم أعدتكم إلى الصواب، ولو

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۶

تخلفت طائفة منكم لاستبدلتها بأخرى (على كل حال لو أطعتمونى فى مواصلة القتال) وهذا هو الحق الذى ليس بعده إلّاالضلال، لكن من المؤسف إنّكم لم تجيبونى، فبمن استظهر على العدو وبمن أثق؟

«أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّى حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِى يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى وَلكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟».

فالإمام عليه السلام قد بيّن بهذا الردّ القاطع حقيقة فى أنّ نيّتى مواصلة الجهاد حتى تحقيق النصر، سيّما أننا على أعتاب النصر، وكنت مستعداً لمواصلة هذا الطريق بكل قوّة وعزم، ولذلك نهيتكم عن التحكيم، لكنكم أفراد ضعاف لا- إرادة لكم وطغاة عصاة لستم مستعدين للقيام بهذا العمل، وعليه فلم يكن لى من سبيل سوى قبول التحكيم، والحال رجعتم الآن عن رأيكم وسوّلت لكم أنفسكم

الاعتراض علىَّ.

ثم أعرب الإمام عليه السلام عن دهشته فقال:

«أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا[۲۴۲] مَعَهَا!».

فالتشبيه المأخوذ من المثل المعروف تشبيه غايـة فى الدقـة والبلاغـة، فعادة ما يخرجون الشوكة التى تغوص فى الرجل بإبرة أو منقاش، فان اريد سلّها بشوكة أخرى احتمل أن تغوص الثانية فىالرجل أيضاً، فيزيد الطين بلّة حتى أصبح الأمر بصيغة مثل تعارف عند العرب حيث يقول:

«كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا».

فالمثل يصرب لمن يحكم آخر لرفع الاختلاف بينه وبين شخص آخر والحال يرغب ذلك الفرد بزيادة العداوة والنزاع، فمراد الإمام عليه السلام إنّى اريد أن أدفع بكم عصاة الشام بينما أنتم العصاة الذين يجب تأديبهم، على كل حال، فانّ هذه العبارات التى تفيض معاناة تفيد مدى الوضع العصيب الذى شهده الإمام عليه السلام، فانّ أمرهم بالهجوم ومواصلة القتال خالفوه وقالوا:

عليك بالنزول لحكم القرآن، وإن طرح عليهم قضية التحكيم اعترضوا عليه بالقول: لم تسلّم لمنطق العدو؟ فلكل هواه ورأيه، ولكل فكره ونهجه، بحيث انتهى بهم الأمر إلى إتهام أعظم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۷

إمام خلف رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أنّه ضعيف فىالتدبير، وليس ذلك إلّابسبب وجود فئة سيئة من الأتباع الضعاف، لم وكيف أصبح الأمر كذلك؟ كأنّ الحق سبحانه أراد امتحان الجميع بهذا الزعيم الفذ.

وأخيراً شكى الإمام وعرض حاجته إلى اللَّه سبحانه فقال: «اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ[۲۴۳] الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ ۲۴۴] النَّزَعَةُ[۲۴۵] بِأَشْطَانِ ۲۴۶] الرَّكِي ۲۴۷]!».

ياله من تعبير بليغ وموجع فى نفس الوقت، فان أصيب شخص بمرض عضال ولم يجد معه نفعاً كل علاج يقدمه الطبيب المختص، فلا يشعر مثل هذا الطبيب سوى بالملل والإرهاق، على غرار الفلّاح الذى يجهد نفسه فى استخراج الماء من البئر ليسقى به الأرض المالحة فلا تخرج بالنبات، وهذا بالضبط حال الإمام على عليه السلام حين إبتلى بتلك العصابة من الجهّال المسلوبة الإيمان والإرادة لا خير يرتجى فيهم.

ورد فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال:

«دَاوَيتُ المَرضى فَشَفَيتُهُم بِاذن اللَّهِ وأبرأتُ الأكمَهَ والأبرصَ بِإذنِ اللَّهِ وعالَجتُ المَوتى فأحييتُهم بإذن اللَّهُ وَعَالَجتُ الأَحمَقَ فَلَم أَقدَرْ عَلَى إصلاحِهِ»[۲۴۸].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۳۹

القسم الثانى: إخوتى فى الجهاد

«أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً، وَصَفّاً صَفّاً. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا. لَايُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى القتلى. مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ. عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ. أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ. فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ».

الشرح والتفسير

ذكر الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة أصحابه الشجعان من أهل الإيمان بهدف إثارة قدراتهم وقواهم وحثّهم على

الجهاد، كما ذمّهم على ضعفهم وتقصيرهم، أصحابه الذين تألقوا فى ساحات الحرب حين قتالهم للأعداء وكذلك فى ميدان الطاعة والعبودية حيث كانوا سبّاقين فى هذه الميادين فقد قال:

«أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا[۲۴۹] إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا[۲۵۰] وَلَهَ اللِّقَاحِ ۲۵۱] إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا[۲۵۲]، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً[۲۵۳]، وَصَفّاً صَفّاً. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۰

دقيقة هى الأوصاف التى أوردها الإمام عليه السلام فى هذه العبارة لهم، فقد إبتدأها بالإيمان بالإسلام والفهم والإدراك الصحيح للقرآن والعمل به والذى الدافع الرئيسى للحركة نحو الجهاد، ومن ثم عشقهم للجهاد الذى يشبه بعشق الام لولدها وولهها إليه، ويثنى على شجاعتهم حيث لم يفكروا قط فى إغماد سيوفهم والتراجع عن الجهاد، وأخيراً مدح مدى حركتهم الجماعية- والذين كانوا يحضرون فى الميدان فى أى موضع كانوا- والحق من يتحلى بهذه الصفات، فهو منتصر على الدوام.

ثم واصل الكلام بالحديث عن سائر صفاتهم حيث يكشف النقاب عن علوّ معنوياتهم ومدى زهدهم وخضوعهم وخشوعهم للَّه‌تبارك وتعالى فقال: «لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى .

وهذه علامة علو روحيتهم حيث لم يكونوا بفكر قيود الحياة المادية، بحيث ينزعجون لفقد الأحبة أو يهنى أحدهم الآخر على البقاء على قيد الحياة، إنّهم يفخرون بالشهادة فى سبيل اللَّه سبحانه ويرونها حلمهم فى نيل السعادة الاخروية، ومن صفاتهم أيضاً:

«مُرْهُ ۲۵۴] الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ ۲۵۵] الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ ۲۵۶] الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ[۲۵۷] الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ[۲۵۸]. عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ».

نعم، فهم فى ساحات المعارك يزأرون كالأسد، وإن جن عليهم الليل ارتفعت أصواتهم بالنحيب والبكاء وجرت دموعهم على خدهم، هكذا هم فى الحالين.

ثم خلص الإمام عليه السلام بعد ذلك إلى الدرس والعبرة التى ينبغى الاحتذاء بها فقال:

«أُولئِكَ إِخْوَانِى الذَّاهِبُونَ. فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ».

لقد جرت عادة أرباب التربية على الاستشهاد بالنماذج البارزة القيّمة من أجل تهذيب الأفراد المطلوب تربيتهم ليتمكنوا من مقارنة أنفسهم بتلك النماذج فيحذو حذوهم، يقفون

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۱

على أخطائهم فيهمون بتداركها وإصلاح أنفسهم، وهذا هو الاسلوب الذى إعتمده الإمام عليه السلام فى إطار تربيته للأفراد، ولكن وللأسف لم يكن اولئك الأفراد آنذاك مستعدين لتقبل نصائحه ووصاياه وبرامجه التربوية، وبالطبع لا فائدة لأى‌مربّ ومعلم مهما كان بصيراً ومشفقاً ونموذجاً ما لم يكن هناك من إستعداد فى الطرف المقابل لتقبل أفكاره والاستجابة لها، فالأمطار المفعمة بالحياة والخير والبركة تنزل على كل مكان، ولكن لا تخرج الأرض المالحة إلّا الخبث ولا يسعها الاستفادة من تلك الأمطار، والشمس هى الأخرى تضيىء لكل ذى عينين، ولكن ماذا يسع الأعمى أن يرى منها، والرياح المنعشة تهب فى كل مكان ولكن لا تنتفع بها قبور الموتى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۳

القسم الثالث: الحذار من وساوس الشيطان

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ. فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ».

الشرح والتفسير

إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالحديث عن الشيطان كون وساوسه تمثل مصدر البؤس والشقاء، حيث حذر صحبه ومخاطبيه من هذا المكر وضرورة مراقبة الشيطان والإلتفات إلى طرق نفوذه، وقد بيّن ذلك على شكل خلاصة بأربع عبارات فقال:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّى ۲۵۹] لَكُمْ طُرُقَهُ».

ولما كان الشيطان يتبع الأساليب السياسية شيئاً فشيئاً فانّه يسعى لتقويض جموح الدين والقضاء على العقائد والأعمال الواحدة بعد الأخرى:

«وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً»

، من ضمن برامجه وخططه أيضاً إيجاد الفرقة بدلًا من الإتحاد:

«وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ»

، فيثير الفتن بواسطة هذه الفرقة:

«وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ».

أجل أول برنامج للشيطان أن يبدى الطرق الوعرة والخطيرة معبدة سهلة فى نظر الإنسان، فيستقطب إليه الجميع من خلال المرونة والتساهل وتصوير طريق الطاعة على أنّه معقد خطير وصعب، فانّ سلك سبيله واتّبعه قاده كل يوم إلى ترك قانون من قوانين الشرع وعهد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۴

من عهوده المقدّسة، وهو الأمر الذى أكده القرآن الكريم أربع مرّات محذراً من اتّباع الشيطان:

«وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ...»[۲۶۰].

وقال تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...»[۲۶۱].

فان جعل الإنسان غير مكترث للأحكام الإلهيّة وسادت المجتمع الأهواء، آنذاك يستفيد من تضارب المصالح المادية والتعصبات الجاهلية ليدعو الناس إلى الفرقة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ...»[۲۶۲].

ومن الطبيعى إن اشتعلت نيران الفرقة والاختلاف والنفاق فى المجتمع استتبع ذلك ظهور الفتن، وممّا لا شك فيه فانّ دين الأفراد ودنياهم تتحطم بفعل تلك الفتن، ولعل هذا هو الأمر الذى أجراه الشيطان فى أحدث معركة صفين، فقد لقنهم الشيطان بادىء الأمر أن قبول التحكيم هو أسهل الطرق لبلوغ الصلح والاستقرار، ثم دعاهم للتمرد على أوامر المحكم أميرالمؤمنين على عليه السلام فى مجال الجهاد، آنذاك بث بذور الفرقة والنفاق بين صفوف الجيش حتى انتهى الأمر إلى فتنة عمرو بن العاص وأثرها فتنة الخوارج.

ثم قال الإمام عليه السلام بغية عدم سقوط أصحابه فى شباك الشيطان:

«فَاصْدِقُوا[۲۶۳] عَنْ نَزَغَاتِهِ ۲۶۴] وَنَفَثَاتِهِ ۲۶۵]، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا[۲۶۶] عَلَى أَنْفُسِكُمْ».

ويصدق هذا الأمر فى عصرنا وزماننا، فالشيطان يرى طرقه المنحرفة سهلة وبسيطة بادىء الأمر، ويسحب الناس إليه، ثم يسلبهم القيم الإسلامية الواحدة بعد الأخرى، ثم يبث بينهم بذور الفرقة والخلاف، وأخيراً تقود الفرقة إلى اشتعال نيران الفتن السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۵

الخطبة[۲۶۷] والثانية والعشرون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون

على إنكار الحكومة، فقال عليه السلام:

نظرة إلى الخطبة

كما ورد أعلاه فانّ هـذه الخطبة جانب من حديث الإمام عليه السـلام قبل معركة النهروان، ذكره الإمام حجّة عليهم، فكان لكلامه بالغ التأثير بحيث تاب أغلب الخوارج وتراجعوا عن القتال، فقـد قسـمهم الإمام عليه السـلام بادىء الأمر إلى فئتين، وقد فرق بين صـفوقهم، فئة شـهدت صـفين وأخرى لم تشـهدها، وفى القسم الثانى ذكّر أصـحاب الصـفين بأنّكم أنتم من فرضـتم علىَّ مسألة التحكيم، والحال كنت شديد المخالفة لذلك الأمر، وقد أمرتكم بمواصلة الجهاد حتى تحقيق النصر.

وفى القسم الثالث أشار إلى مسألة وهى إننا كنّا فى صدر الإسـلام نقاتل قرابتنا حين كانوا فى معسـكر الكفر من أجل نصر الدين، وأمّا الآن فالذى يقف فى المعسكر المقابل إخوتنا من

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۶

المسلمين الذين أخطأوا الطريق وقد اختلفت الظروف الشرائط، وعليه فانّ علينا أن ندفع الشبهة عنهم لتحل المشكلة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۷

القسم الأول: كيف وقعتم فى فخ العدو

اشارة

«أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ:

فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ. وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ:

أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِى، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَىَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عليه السلام:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْىُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هـذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ. فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هـذِهِ الفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا. وَاللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَىَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمَّلَنِىَ اللَّهُ ذَنْبَهَا. وَوَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّى لَلْمُحِقُّ الَّذِى يُتَّبَعُ؛ وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِى، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ:»

الشرح والتفسير

كما ذكرنا سابقاً فانّ المخاطب بهـذه الخطبـة هم خوارج النهروان الـذين كلمهم الإمام عليه السـلام بهـذا الكلام لإتمام الحجّـة عليهم وهداية وإرشاد الفئة الضالة المنخدعة، فقال بادىء الأمر من

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۸

أجل إعدادهم:

«أَكُلَّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ».

رغم أنّ المدّة بين معركة صفين ومقاتلة خوارج النهروان لم تكن طويلة، لكن لا يعلم كيف اتصلت الفئة الثانية التى لم تشهد صفين بالفئة الأولى الباغية، وربّما أثرت عليها وساوس الفئة الأولى سمومها التى بثّتها بين أهل الكوفة فجعلتها تلتحق بها وتقف معها فى مواقفها الفاسدة.

ثم قال عليه السلام:

«فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ».

فالعبارة تفيد أنّ المخاطبين بحديث مهم إن لم يكونوا على مستوى واحد فانّ الفصاحة والبلاغة تقتضى تمييزهم عن بعضهم والتحدث لكل بما يتناسب ووضعه، ليكون للكلام أثره المرجو والمطلوب، ومن هنا سلك الإمام عليه السلام هذا النهج:

«وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ ۲۶۸] شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا».

فالذى يستفاد من هذه العبارة أنّ الخوارج أو جيش الإمام عليه السلام ممن حضر هناك، أو كلاهما، أنّهم كانوا مشغولين بالكلام مع بعضهم البعض الآخر، فقد دعاهم الإمام عليه السلام إلى الصمت والاستماع لما يقول والاقبال عليه بقلوبهم ليستعدوا للتفاعل مع الكلام، كما إختار من جمعهم بعض الشهود:

«ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عليه السلام:»[۲۶۹].

فقد أخذ الإمام عليه السلام أيديهم إلى الماضى القريب وذكّرهم بكبر أخطائهم وعظم معصيتهم وتمردهم، ثم خاطب الفرقة التى شهدت صفين:

«أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً[۲۷۰]، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا[۲۷۱] وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ ۲۷۲] عَنْهُمْ؟».

بعد ذلك طرح الإمام عليه السلام ردّه على تلك الخدعة:

«فَقُلْتُ لَكُمْ: هذَاأَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۴۹

وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ».

وعليه:

«فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِن تُرِكَ ذَلَّ».

لكن مع الأسف فقد وقعت هذه الفتنة (التحكيم) ورأيتكم استجبتم لها، والآن قد ارتفع صوتكم بعد أن سقطتم فى الفتنة:

«وَقَدْ كَانَتْ هذِهِ الفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا».

حقّاً، إنّه لمن دواعى العجب! فقد عرضوا الإمام لأشد الضغوط فى اللحظات الأخيرة لتلك المعركة المصيرية والتى أشرفت على تحقيق النصر النهائى حتى فرضوا عليه الاستجابة لخدعه عمرو بن العاص وقبول التحكيم، بل أبعد من ذلك هددوه بالقتل إن لم يصدر أمره لمالك الأشتر بالانسحاب والفّ عن القتال، ولما زالت الحجب وتكشفت الأمور وبانت الخدعة توجهوا باللوم إلى الإمام عليه السلام لم قبلت التحكيم، بدلًا من العودة إلى نفوسهم والاعتذار والهم بإصلاح ما بدر منهم من أخطاء).

الجدير بالذكر فى هذا الأمر أنّ الإمام عليه السلام ميز الخوارج فى بداية الأمر إلى فرقتين، فرقة شهدت صفين وأخرى لم تشهدها، لتتضح قضية وهى إن تمرّت الفرقة الثانية بفعل جهلها وعدم إحاطتها بأحداث صفين، فما بالكم أنتم الذين شهدتم صفين وتابعتم الأحداث؟ فما المنطق والاسس التى دفعتكم للقدوم إلى النهروان؟ كيف تتهمونى بمسؤولية التحكيم؟

وهكذا أتمّ الحجّة عليهم وعلى اولئك الفريق الثانى الذى خدع بالفريق الأول ورافقه إلى الميدان، وليس هنالك أسوأ ممن لا يصغى

لكلام الناصح الأمين المشفق، فان أصابته مصيبة بما قدمت يداه نسب التقصير فيها إلى ذلك الناصح وجابهه بالإعتراض، نعم، هذا هو دين الأفراد البعيدين عن الانصاف والذين ينسون ما يصدر منهم من أفعال.

ثم أوضح الإمام عليه السلام حقيقة الموقف بصورة أخرى ليقسم بأنّه لو لم يقبل التحكيم لما كان عليه من مسؤولية فى الالتزام بلوازمها ولا يحملها اللّه سبحانه ذنبها ووزرها:

«وَاللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمَّلَنِيَ اللَّهُ ذَنْبَهَا».

إشارة إلى مراده: إن خالفت بشدّة مسألة التحكيم فى بداية الأمر فذلك لكى لا أكون مسؤولًا تجاه لوزامها ولا يلحقنى وزرها؛ لأنّ قضية التحكيم أدّت إلى تقوية حكومة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۰

طواغيت الشام وذهبت بدماء شهداء صفين أدراج الرياح، فذلت دعاة الحق وأشعرتهم باليأس.

ثم قال عليه السلام إثر ذلك:

«وَوَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ؛ وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ».

إشارة إلى أنّه حين رأيت ما وقع بينكم من شقاق فى مسألة التحكيم يتطلب أن أمنعه، وبخلافه لنازع أحدكم الآخر وشهر السيف فى وجه صاحبه ولقاد ذلك الأمر إلى فضيحة كبرى، وهنا شعرت بالاضطرار لقبول التحكيم.

أضف إلى ذلك فلو فوضتم التحكيم إلى من هو عالم به ولا- يفارقه ومحيط بمضمونه ولم تتجهوا صوب فرد بسيط وجاهل كأبى موسى الأشعرى، لفشلت تلك المؤامرة وخمدت الفتنة، وإن كان فيها من ضرر فهو جزئى محدود، لكنكم فرضتم علىَّ التحكيم وكذلك أجبرتمونى على تحكيم أبى موسى الأشعرى، فسقطتم فى هذه الفتنة وتكبدتم كل هذه الأضرار فما تقولون بهذا الخصوص؟ فهل علىَّ أن أتحمل مسؤولية تقصيركم؟ وأدفع ثمن جريمتكم؟ والذى نخلص إليه مّا مرّ معنا من كلام:

۱- أنّ الإمام عليه السلام أقسم مرّتين فى هذا المقطع من كلامه، سيّما فى القسم الثانى الذى أردفه بالتوكيد ليبيّن بعده كل البعد عن أدنى تقصير.

۲- ما بيّنه الإمام عليه السلام فى القسمين المذكورين ليس فيه ما يدلّ على ترديده فى مسألة للتحكيم، بل إشارة إلى حالتين مختلفتين، فقد كان مخالفاً بشدّة فى البداية، لأنّه كان يعتبرها مكر وحيلة خطيرة، ولما اختلف جيشه وصحبه، وأبى الأعم الأغلب منهم إلّاالتحكيم، استجاب للتحكيم دفعاً للفتنة وإبعاداً للفرقة والشقاق، وعليه فقد كانت مخالفته فى بداية الأمر وموافقته تستند إلى الحكمة، وبغض النظر عمّا سبق لو لم يصرّ ذلك الفريق الجاهل على تحكيم ذلك العنصر الفاسد كأبى موسى الأشعرى لما كانت المشاكل بذلك الحجم، فذلك الإصرار الفض هو الذى أدّى إلى عقم نتائج معركة صفين والامتياز الذى حصل عليه أعداء الإسلام، وبناءاً على هذا فانّ هذه الفئة المتعصبة أخذت تفقد مواضعها الواحد بعد الآخر حتى انتهت إلى ذلك المصير الأسود، والعجيب أنّهم استجيب للتحكيم؟!

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۱

لكن وعلى كل حال، فانّ منطق الإمام عليه السلام بهذا الخصوص قد أتى أكله فعادت طائفة عظيمة من الخوارج إلى نفسها فتابت وكفت عن القتال، حتى صرّحت كتب التاريخ بأنّ الأغلبية الساحقة من الخوارج قد تابت ووقفت على عظيم زلّتها.

نبذة عن شخصية معاوية

إنّ الأعمال التى مارسها معاوية طيلة تاريخ حياته ولا سيما فى مدّة حكومته لتكشف حقيقة واضحة لكل فرد منصف فى أنّه لم يفكر بارساء العدل بين المسلمين، ولم يكن يهمّ بنشر الإسلام، بل كان جلّ همّه ترسيخ دعائم حكومته المتزلزلة، ومن هنا فقد اعتمد كافة

الأساليب التى يلجأ إليها جبابرة الدنيا من أجل ترسيخ حكوماتهم، وأبسط نموذج يمكن الإشارة إليه فى هذا المجال إنّما يتمثل برفعه لقميص عثمان فى الشام وذرف دموع التماسيح على الخليفة المقتول ظلماً بهدف إثارة الناس للتمرد على أميرالمؤمنين على عليه السلام وسفك دماء المسلمين، إلى جانب إغداق الرشاوى الضخمة على زعماء القبائل، بل حتى بعض قواد جيش الإمام على عليه السلام وإيجاد الفرقة والخلاف بينهم وبين سائر الناس.

وكذلك توجيه الأراذل إلى مختلف نواحى البلاد الإسلامية لنهب الثروات وإشاعة أجواء التوتر القلق. ولعل قضية رفع المصاحف وحملها على أسنة الرماح تعدّ واحدة من تلك الأساليب، فمعاوية لم يكن مستعداً لقبول حكم القرآن الكريم، كما لم يكن مهتماً بهذا الأمر، وكل ما يفكر فيه هو الحكومة، كما ذكر شرّاح نهج البلاغة أنّ معاوية قام بوجه أميرالمؤمنين على عليه السلام فى البداية تحت شعار الطلب بدم عثمان، إلّاأنّه لم يصطدم قط بقتلة عثمان بعد ظهوره عليهم، فقد كان يقول أحياناً، ألست من قتلة عثمان؟ وأحياناً أخرى كان يسكت، ويغدق عليهم العطاء (هذا ما نقله العقاد فى كتاب «معاوية» ونقل عبدالكريم الخطيب عن كتاب «على بن أبى طالب عليه السلام» أنّ عائشة بنت عثمان طالبت معاوية بالقصاص من قتلة أبيها.

فأجابها معاوية:

«لأنْ تَكُونِى إبنَةُ عَمِّ أَمِير المُؤمِنِينَ خَيرٌ مِنْ أنْ تَكونِى امرأَةٌ مِنْ عَرضِ النّاسِ»

مراده أنّ قضية الطلب بَدِم عثمان قد انتهت، وكان الهدف منها الاستيلاء على

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۲

حكومة وقد حصل هذا الأمر، ولعل المطالبة بدم عثمان تهدد كياننا، وما عليك إلّاالإكتفاء والقناعة بأنّك ابنة عمى، ابنة عم حاكم المسلمين طبعاً، يمكن التعرف على شخصية معاوية من خلال مقربيه، فقد ذكر العقاد، أنّ عمرو بن العاص قال يوماً لمعاوية:

«أتَرى أَننا خالَفنا عَلِياً لِفَضلِنا؟ لاوَاللَّهِ إنْ هِى إلّا الدُّنيا نَتَكالَبُ عَلَيها»

، أى ولم يكن الحديث عن الإسلام والقرآن سوى الذريعة.

وذكر ابن الأثير أن سعد بن أبى وقاص قال لمعاوية:

«السَّلامُ عَلَيكَ أَيُّها المَلِك».

فقال معاوية:

«لِمَ لَم تُسَلِّم عَلَىَّ بأمير المؤمِنينَ».

فأجاب سعد قائلًا:

«وَاللَّهِ إنِّى ما أُحِبُّ إن وَلَّيتُها بِما وَلَّيتَها».

ومراده أنّك ولّيتها بالمكر والحيلة[۲۷۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۳

القسم الثانى: بذلنا ما فىالوسع من أجل الوحدة

«فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ الأقرباء، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الجِرَاحِ. وَلكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِى الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِى خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا».

الشرح والتفسير

يختتم الإمام عليه السلام خطبته بالإجابة المنطقية لأصحاب الخوارج، فقد قالوا: لِمَ استجاب الإمام عليه السلام إلى التحكيم؟ لَمَ لا نقاتل الأعداء إلى آخر نفس على غرار ما فعله المسلمون من صحابة النبى صلى الله عليه و آله فى صدر الإسلام؟ هل أذعن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لمسألة التحكيم؟ فقد أوضح الإمام عليه السلام حقيقة فى إجابته على اولئك بأنّ زماننا يختلف تماماً عن زمان النبى صلى الله عليه و آله، ومن نقاتلهم الآن طائفة من المسلمين المخدوعين، والحال كان أعداؤنا فى صدر الإسلام هم الكفّار والمشركون الذين وقفوا بوجه الإسلام.

فقد قال عليه السلام:

«فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ الأقرباء، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۴

إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ ۲۷۴] الجِرَاحِ».

نعم، لقد كنّا نهجم بشدّة آنذاك على العدو، وإن كان فيهم إخواننا وقرابتنا، فالمصاب وإن عظم علينا، لكن حيث كان ذلك يأمر فقد كنّا نزداد إيماناً، ولم نجابه كل مصائب المعارك وجراحاتها إلّابالصبر والشكر:

«وَلكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِى الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِى خَصْلَةٍ يَلُمُّ ۲۷۵] اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا[۲۷۶]، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارة إلى أن قياس زمانه بزمان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو قياس مع الفارق، وذلك لأنّ القتال ذلك الزمان كان يدور مع العدو الخارجى، بينما أصبح زمان الإمام عليه السلام ضد الأصدقاء المخدوعين والمنحرفين من الداخل، فالواقع يستند موقف الإمام عليه السلام فى قبول التحكيم إلى الآية الشريفة: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»[۲۷۷].

صحيح أنّ أصل مسألة التحكيم خدعة ولم يكن أمراء جيش الشام يعتقدون بالقرآن، ولهذا السبب كان الإمام شديد المخالفة فى بادىء الأمر، لكنّه استجاب لذلك الأمر بعد ذلك الضغط الشديد الذى مارسه السواد الأعظم المخدوع من جيشه مع ذلك كان بالإمكان أن تتمخض مسألة التحكيم عن نتائج مرضية لو خضعت لقيادة سليمة، ولكن كما نعلم فانّ ضغوط الجهّال قد دفعوا التحكيم إلى مسار لا يجر عليهم سوى الضرر والخسارة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۵

الخطبة[۲۷۸] المائة والثلاثة والعشرون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

قاله لأصحابه فى ساحة ساعة الحرب «بصفّين»

نظرة إلى الخطبة

هذه الخطبة جزء من خطبه طويلة إقتطف المرحوم السيد الرضى بعضها، وقد تضمنت إشارة إلى بعض النقاط المهمّة، وهى:

۱- يجب على الأفراد الذين يتمتعون بقدرات فائقة فى القتال أن يدافعوا ويشدوا من أزر الضعاف.

۲- إنّ الأفراد الذين يهربون من الجهاد خشية الموت هم على خطأ، لأنّه لا يمكن الفرار من الموت الذى يدرك الجميع أينا كانوا.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۶

۳- لا موت أشرف وأكرم من الشهادة، فألف ضربة بالسيف خير من ميتة على الفراش.

۴- إخبار عن هوان أهل الكوفة وذلّهم فى المستقبل بسبب وهنهم وضعفهم فى مواجهة الظلمة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۷

القسم اول: شكر القدرة

اشارة

«وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِى فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَايَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! وَالَّذِى نَفْسُ ابْنِ أَبِى طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ!».

الشرح والتفسير

يشتمل هذا الكلام- سواء أورده الإمام عليه السلام على أعتاب معركة الصفين كما ورد آنفاً أو حسبما صرّح به بعض المحققين على هامش معركة الجمل بعد ضجة معسكر عائشة، أو فى المعركتين وذلك لأنّه يتناسب مع كل مهما- على نقاط مهمّة وردت ثلاث منها فى هذا القسم من الخطبة:

الاولى: لزوم التنسيق بين أفراد الجيش بحيث يتولى الأقوياء الدفاع عن الضعفاء للحدّ من جسامة الخسائر، فقد قال عليه السلام:

«وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ[۲۷۹] جَأْشٍ عِنْدَ

اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ ۲۸۰] الَّتِى فُضِّلَ بِهَا

عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۸

ثم أضاف عليه السلام:

«فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ».

فان وهبه القوّة والصلابة فقد وجب عليه الشكر، والمراد أنّ أفعال اللّه وإن استندت إلى الحكمة جميعاً، مع ذلك فمن تمتع بنعم كثيرة وجب عليه الشكر بافاضتها على الآخرين ليؤدّى بذلك الشكر العملى للنعمة.

والثانية: لو لم يكن هناك من تنسيق بين العسكر فانّ ذلك يؤدّى إلى إحباط الجميع، وذلك لأنّ العدو إنّما يهجم على الجانب الذى يشعر بضعفه، فانّ اخترقه وقضى عليه، إلتفّ ليحاصر باقى العسكر، وعليه وإضافة لمسألة الشكر فانّ فنون القتال وسياسة المعركة تتطلب من الأجنحة القوية من العسكر شد ظهور الأجنحة الضعيفة وعدم التوانى فى الدفاع عنها، بحيث لا تسدد إليها ضربات العدو، ولا سيّما إذا استطاع العدو أن يشلّ حركة طائفة من الجيش، فانّه سيتمكن من تحطيم معنويات الجميع.

ثم إتجه الإمام عليه السلام صوب نقطة مهمّة أخرى وهى ضرورة ألا يتصور أحد أنّه يستطيع الفرار من مخالف الموت، فهو يدرك المقيم والمنتظر والهارب:

«إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَايَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ».

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: الموت على نوعين: موت حتمى، وموت معلّق أو مشروط، والذى لا يمكن تغييره هو الموت الحتمى، أمّا الموت المشروط، فهو قابل للتغيير على ضوء تغير الظروف والشرائط، ولعل الموت فى ساحة القتال ليس من الموت الحتمى فكيف إستدل الإمام عليه السلام بهذه المسألة وقال بشأن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب.

ويمكن الإجابة عن هذا السؤال بوجهين:

الأول: هو أنّ الإمام عليه السلام ناظر للموت الحتمى فقط سواء فى ساحة القتال أو غير ساحة القتال فلا يمكن إجتنابه.

والثانى: على فرض أنّ الإنسان يستطيع الهروب من مخالب الموت المشروط أو المعلّق، ولكن ما جدوى ذلك؟ فالموت الحتمى بالتالى سيدرك جميع الأفراد دون استثناء، فلا ينبغى للإنسان أن يستسلم للظلمة فى مقابل البقاء عدّة أيّام [۲۸۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۵۹

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة وقيمة فقال:

«إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ! وَالَّذِى نَفْسُ ابْنِ أَبِى طَالِبٍ بِيَدِهِ، لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَىَّ مِنْ مِيتَةٍ[۲۸۲] عَلَى الْفِرَاشِ فِى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ!».

فالعبارة تفيد عظمة مقام الشهداء إلى درجة أنّ الإمام عليه السلام يعرب عن إستعداده لتحمل ألف ضربة بالسيف يؤثرها على ميتة الفراش الطبيعية، وهذا هو لسان حال أو قال جميع المؤمنين المخلصين والشجعان الذين يعشقون طريق الحق، طبعاً لا تعنى العبارة أنّى لا أشعر بألم ضربات السيف- كما ذهب إلى لذلك بعض شرّاح نهج البلاغة- بل المراد أنّ الأولى بالإنسان من حيث الجانب المعنوى أن يفتح صدره لتحمل أقسى الضربات بدلًا من الموت الطبيعى على الفراش، لأنّ وسام الشهادة يجعل الإنسان يتحمل الألم والمعاناة، ولا ننسى هنا الروايات التى صرّحت بأنّ الإنسان بحكم الشهيد إن مات على الفراش على سلامة من دينه، وهو الأمر الذى أشار إليه الإمام عليه السلام فى آخر العبارة.

الشهادة عرس الأبطال

الشهادة من القيم السامية التى تضمنتها الثقافة الإسلامية، والشهيد يمثل قمة المرتبة الإنسانية، وأولياء اللّه كما أورد الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة يفكرون دائماً بالشهادة ويأبون الموت طبيعياً على الفراش، ويرون الشهادة أفضل ألف مرّة من ميتة على فراش، وكانوا مستعدين لتلقى آلاف الضربات والفوز بالشهادة دون الموت على الفراش، وذلك لأنّ روح الإنسان أعظم هدية إلهيّة، وما أروع أن تبذل هذه الهدية فى سبيل اللّه سبحانه، لا أنّ تذهب هدراً فى الموت.

ويكفى فى فضل الشهادة ما ورد فى حيث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حين شاهد فرداً يدعو اللّه تعالى قائلًا:

«اللّهُمّ إِنِّى أسألُكَ خَيرَ ما تُسأَلُ فَاعطِنِى أَفضَلَ ما تُعطِى».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۰

فقال صلى الله عليه و آله:

«إِنْ استُجِيبَ لَكَ اهرِيقَ دَمُكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ»[۲۸۳].

كما ورد فى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«ما مِنْ أَحَدٍ يَدخُلُ الجَنَّةَ فَيَتَمنّى أَنْ يَخْرُجَ مَنها إِلّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمنّى أَنْ يَرجَعَ فَيُقتَلَ عَشْرَ مَرّلتٍ مِمّا يَرى مِنْ كَرامَةَ اللَّهِ»[۲۸۴].

نعم، مقام الشهداء رفيع جدّاً فى التعاليم الإسلامية، وهم الذين حفظوا الإسلام حين الخطر، ولولا تضحيات الشهداء كشهداء بدر واحد وشهداء كربلاء لما بقى من الإسلام اليوم شيئاً سوى اسمه، ويعيش أعداء الإسلام اليوم حالة من الرعب إزاء الشهادة وفلسفتها فى الإسلام، وذلك لأنّ الشهيد قد يبدد فى لحظات مخططات الأعداء وبرامجهم التى تستوعب تكاليفاً باهضة.

أضف إلى ذلك فهم لا- يمتلكون أى سلاح يمكنهم من مواجهة هذا السلاح، سمع أخيراً أنّ الدوائر الصيهوينة وإثر عجزها عن مواجهة انتفاضة الشعب الفلسطينى، قد أكدت على ضرورة إجتثاث جذور ثقافة التفكير بالشهادة، لابدّ من اسقاط مفردة الشهادة من كتاب الدراسة المتوسطة والثانوية، كما لابدّ من إزالة الآيات القرآنية المتعلقة بالشهادة من الكتب الدينية، ومن المؤكد أنّ البلدان الإسلامية العميلة وما أكثرهم قد ساروا على هذا النهج، وقد اصطلحوا على الشهادة بالإنتحار والشهيد بالإرهابى لتشويه هذه المفردة الطيبة، لكن ولحسن الحظ فانّ هذه الثقافة قد إتسعت وترسخت بحيث لا يسع هذه الدعايات الوقوف بوجهها، حتى سارع إليها العديد من الشباب والشابات، وهذا ما يشكل أعظم خطر على أعداء الإسلام، نأمل أن يتعرف المسلمون أكثر فأكثر على هذه القيمة السامية التى تدعو إلى الفخر والاعتزاز.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۱

القسم الثانى: عاقبة السوء

و منه: «وَكَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ: لَاتَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً. قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ».

الشرح والتفسير

يرى البعض من شرّاح نهج البلاغة أنّ هذا الكلام مستقل، ومن هنا ذكره بصورة مستقلة، بينما يراه البعض الآخر استمرار للكلام السباق، فمن ذكره بصورة مستقلة استدلّ بعدم وجود إرتباط بين هذا المقطع والمقطع السابق، حيث حث الإمام عليه السلام أصحابه فى المقطع السابق على الجهاد والقتال ببسالة، بينما جرى الكلام فى هذا المقطع عن الهزيمة والفرار، وليس هنالك من إنسجام بين هذين المقطعين، ولكن بالنظر إلى أنّ هذا المقطع يخبر عن المستقبل، وهو المستقبل الذى لا- يكون فيه الإمام عليه السلام بين ظهرانيهم ويشهدون حالة من الفرقة والتشتت والضعف والهوان والذلّة، وعليه يمكن تصور إرتباط بين هذا المقطع وسابقه.

ولكن على حال سواء كان هذا المقطع مستقل أم مرتبطاً، فهو كلام الإمام عليه السلام ويخبر عن المصير المرير لأفراد يوثرون العافية والدعة على الجهاد، فقال:

«وَكَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ ۲۸۵]».

فالعبارة يمكن أن تكون إشارة إلى الحيوانات المعروفة الضباب جمع ضب بالكسر والتى إن تحركت بصورة جماعية اضطربت وإحتك بعضها بالبعض الآخر فيظهر من هذا الاحتكاك

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۲

صوتاً، والمراد أنّكم اضطربتم حين الفرار، بحيث إندك بعضكم بالبعض الآخر وقد انبعث صوت اضطرابكم.

ثم قال عليه السلام:

«لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً[۲۸۶]».

أى حال أسوأ من أن يصبح الإنسان على درجة من الضعف والعجز بحيث لا يستطيع الدفاع عن حقّه أو عن صحبه وقرابته وإخوته فى الدين، كما لا يستطيع الوقوف بوجه الظلم الذى يوجه إليه وإلى الآخرين، حقّاً إنّها لحالة مؤلمة مهينة.

ثم إختتم خطبته بالقول:

«قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ ۲۸۷]».

فالعبارة قد خليتم والطريق تشير إلى إتمام الحجة الكاملة، فقد بيّن الطريق إلى الهدف بكل وضوح من قبل زعيم عالم، وقد زالت الموانع التى تحول دون سلوكه، وعليه فلن تعد هناك من حجة لمن يقصّر فى هذا الطريق، ولذلك بشر سالكين هذا الطريق بالسعادة،

بينما هدد المتباطىء بالهلكة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۳

الخطبة[۲۸۸] المأة و الرابعه والعشرون

اشارة

ومِنْ كَلام لهُ عليه السلام

فى حث أصحابه على القتال

نظرة إلى الخطبة

وردت هذه الخطبة كما يفهم من عنوانها بشأن حث الإمام عليه السلام لأصحابه على الجهاد، وذلك لأنّه حسب تصريح شرّاح نهج البلاغة أنّها وردت قبل معركة صفين، ومن هنا تضمنت إشارة إلى بعض الأمور المهمّة:

۱- ذكر الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة مطالب دقيقة بخصوص فنون القتال وانتخاب أفضل السبل فى مجابهة العدو، بحيث يمكن التوصل إلى النتائج بأقلّ الخسائر.

۲- حذر أصحابه فى المقطع الآخر من الخطبة وضمن مدحه لمقاتليه من الفرار الذى يستتبع الفضيحة والعار، كما يتطرق إلى ذكر مقامات الشهداء.

۳- يلعن فى المقطع الثالث أعدائه ويقوى عن هذا الطريق عزائم أصحابه المجاهدين.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۵

القسم الأول: سبع وصايا فى فنون القتال

«فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ؛ وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ؛ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ؛ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا؛ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ».

الشرح والتفسير

يرى بعض كبار المحدثين أنّ هذه الخطبة تبتدأ كالآتى:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ دَلَّكُم عَلَى تِجارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذابٍ أَلِيم وَتُشفِى بِكُم عَلَى الخَيرِ الإِيمانُ بِاللَّهِ وَالجِهادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَجَعَلَ ثَوابَهُ مَغفِرَةً لِلذَنْبِ وَمَساكِنَ طَيِّبَةٍ فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَقَالَ عَزَّ وَجلَّ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ»[۲۸۹] فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ...»[۲۹۰].

ثم أشار فى مواصلته لهذا الكلام إلى سبع وصايا هامّة فى فنون تحقيق النصر، فقال فى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۶

وصيّته الاولى بهذا الشأن: «فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ۲۹۱]، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ[۲۹۲]».

فمن الطبيعى أن يكون قليلًا هو الضرر الذى يتعرض له من يلبس الدرع بفعل السهام والسيوف، ومن هنا لا يسع العدو السيطرة عليهم، ومن لم يتدرع يمكنه أن يواصل قتاله وهجماته من خلفهم، والذى يستفاد من هذه العبارة وجود فئة فى ميدان القتال لم ترتدى الدرع، وذلك إمّا يعود إلى الأزمات والمشاكل التى يعيشها المجتمع الإسلامى، أو أنّ إرتداء الدرع كان يثقل على البعض ويعيق حركته فى ميدان القتال، ولذلك كان الأشداء من المقاتلين هم الذين يتدرعون.

وقال عليه السلام فى وصيّة الثانية:

«وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ۲۹۳]، فَإِنَّهُ أَنْبَى ۲۹۴] لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ۲۹۵]».

وكما ذكرنا فى شرح الخطبة الحادية عشرة أنّ لهذه الخطبة فائدتان، الاولى إزالة الخوف والرعب، أو الحدّ من هذا الخوف إلى أقلّ درجة، ومن هنا فانّ الإنسان يعمد إلى إطباق أسنانه على بعضها حين الخوف بهدف إزالته، والأخرى تبقى على صلابة عظام الرأس فلا تتأثر كثيراً بضربات السيف.

وقال فى الوصيّة الثالثة:

«وَالْثَوُوا[۲۹۶] فِى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[۲۹۷] لِلْأَسِنَّةِ».

والوصيّة أشبه بما يقال اليوم، إن أراد أحد أن يرميك تحرك يميناً وشمالًا، أى عليك بتغيير موضعك باستمرار حتى لا يتمكن العدو من التصويب باتجاهك.

جدير بالذكر أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة أشار أنّ المراد بالانعطاف والانحناء حين الهجوم بالحربة على العدو، فانّ ذلك يضاعف من دقّة الحربة لمواجهة ضد جسد العدو، لكن

بالإلتفات إلى الوصايا السابقة واللاحقة لهذه الوصية والتى تبيّن فنون الدفاع، فانّ المعنى الأول يبدو هو الأنسب، لا سيّما التعبير بالحرف فى لا يتناسب والمعنى الثانى، بينما يتناسب ما إخترناه حتى التعبير الأمور المأخوذ من مادة مور والذى يعنى الاضطراب.

وقال فى الوصيّة الرابعة بعض النظر (وعدم النظر إلى كثرة العدو وآخره) فذلك أسكن للقلب:

«وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ ۲۹۸]، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ».

تختلف هذه الوصيّة عن سابقاتها لاشتمالها على بعد نفسى ونعلم جميعاً أنّ روحية الجنود كلما كانت مرتفعة كان الأمل بالنصر أكثر، ومن هنا أكّد الإمام عليه السلام هذا المعنى مراراً وقد مرّ علينا نموذج ذلك فى الخطبة ۱۱ و ۶۶.

وقال فى الوصية الخامسة:

«وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ».

من الطبيعى أنّ الإنسان حين ينشغل بالحديث فانّه يستهلك جانباً من قواه الفكرية وكذلك جانباً من طاقته البدنية ويحد من تركيزه الفكرى والالتفات إلى حملات العدو المبرمجة، ومن هنا فانّ العدو الصامت البعيد عن الضوضاء والضجيج يبدو أخطر من غيره.

ولذلك ورد بشأن معركة بدر أنّ قريش تعجبت من قلّة عدد جيش الإسلام وتصورت أنّ عدد المسلمين أكثر ممّاترى ولعلهم إختفوا خلف التلة حيث يردون ميدان القتال فى الوقت المناسب، فبعثوا بعمير بن وهب لينظر أطراف الميدان، فركب فرسه وجعل ينظر حول الصحرا ولم ير شيئاً، فعاد وقال: عدد المسلمين يقارب الثلاثمائة، إلّاأنّى رأيتهم مستعدين للقتال ولا يقوى أحد على مواجهتهم، أمّا ترونهم خرسا لا يتكلمون، يتلمذون تلمذ الأفاعى ما لهم ملجأ إلّاسيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم ۲۹۹].

وقال فى الوصيّة السادسة:

«وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا[۳۰۰] وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِى شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ[۳۰۱] مِنْكُمْ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۸

ثم أتمّ كلامه باستدلال منطقى قائلًا:

«فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ ۳۰۲] هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافَيْهَا[۳۰۳]، وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا؛ لَايَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا».

كان للرايـة أهميّـة خاصـة فى ميـدان القتال فى الأزمنـة الماضـية، وذلك لـدورها فى إرتباط الصـفوف والتحامها، وحين كان ينهمك المقاتلون وسط الميدان وجوانبه بالقتال، كانوا يلتفون حين الضرورة حول الراية لإعادة تنظيم صفوفهم وشن الحملات من جديد، وإن سقطت الراية اضـطرب العسـكر وأحياناً كان ينهار، ولذلكترى العدو يسـعى جاهداً للإحاطة بالراية، بينما يحاول الطرف الآخر الابقاء على الرايـة مرفوعـة وهو يـدافع عنها بكلّ ما اوتى من قوّة، فقد كان سـقوطها يعنى الهزيمة، وزبدة الكلام فانّ انتصاب الراية دليل على القـدرة وسـبب قوّة وعزيمـة المقاتلين وحلقة اتصالهم مع بعضـهم، ولهذا ما انفك الإمام عليه السـلام عن التأكيد وصاياه بحفظ الراية، حيث أكـد من جهة ضـرورة ثبوت موضع الراية وأنّ حماتها من أشـجع الأفراد، ومن جهة اخرى يوصـى حملة الراية بعدم التخلى عنها ومراقبتها من جميع الجهات، لا أنّ يتخلفوا عنها ولا يتقـدمواعليها، ويضـحوا بالغالى والنفيس من أجل حفظها بفضـلها علامـة الاقتـدار والشـموخ وورد فى شأن غزوة خيبر التى. لف الفريقان بخصوصها عشرات الروايات أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أعطى الراية فى اليوم الأول إلى أبى بكر فلم يتمكن من فتح قلاعها، وفى اليوم الثانى أعطاها عمر بن الخطاب، فلم يفلح، فقال صلى الله عليه و آله:

«لَأُعطِيَنَ الرايةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَرّارٌ غَيرُ فَرّارٍ يَفتَحِ اللَّهُ عَلَيهِ»[۳۰۴].

فامتدت الأعناق فى اليوم التالى ليروا من هو ذلك الرجل، وقد تمنى كل فرد (شجاع) أن

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۶۹

يكون هو المعنى فيعطيه رسول اللّه صـلى الله عليه و آله الراية، نادى رسول اللّه صـلى الله عليه و آله علياً عليه السـلام وسـلّمه الراية فلم يرجع إلّابعـد أن فتـح خيبر واستسـلم له أهلها، هـذه دلالـة على الأهميّـة الفائقـة للرايـة وحاملها فى ذلك الزمان، وقـد تكرر نفس هذا المعنى فى عصـر على صـلى الله عليه و آله مالـك الأشتر النخعى وقـال له علمت بوقوفك فى القتال وشـجاعتك ولولا ذلك لـدفعت الراية إلى غيرك، فردّ عليه بالقول:

«لأسرّنّك اليوم يا مالك أو اقتل شهيداً»[۳۰۵].

ثم أشار الإمام عليه السلام فى وصيّته السابعة والأخيرة إلى قضية أخرى من تكتيكات الحرب أنذاك فقال:

«أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ ۳۰۶]، وَآسَى ۳۰۷] أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ

عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ».

يتضـح المفهوم الـدقيق لهـذا الكلام فيما لو دققنا بصورة صـحيحة على وضع الحروب فى ذلك الزمان، فقـد كانت للمعركة فى ذلك الوقت ثالث صور (وأحياناً كانت تتحقق الصور الثلاث فى نفس المعركة):

الأولى: أن يتقدم أحد الشجعان وسط الميدان ويدعو شجاعاً آخر من العدو لمبارزته، فيتبارزان حتى يهلك أحدهما.

الثانية: أن يتقدم الميدان عدّة أفراد ليقف كل واحد منهم أمام خصمه فيبدأ بينهم القتال.

الثالثة: أن تدور المعركة بين المعسـكرين بأكملهما طبعاً هناك صورة رابعة تكون المعركة فيها غادرة كأن تنهال طائفة على فرد فتنزل عليه ضـرباتها من كل جانب، ويبـدو أنّ العبارة تشـير إلى هـذه الصورة الثانيـة التى يبرز فيها عدّة أفراد إلى أمثالهم، وفى هذه الحالة لا ينبغى لأحـد أن يترك خصـمه لآخر، بل يبارز كل واحـد خصـمه فيراعى المساواة والمواساة وتقف من خلال هذه الوصايا على مدى خبرة الإمام عليه السلام بفنون القتال حيث يعرّف أصحابه على أدق تفاصيل القتال قبل البدء فيه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۱

القسم الثانى: الجنّة تحت ظلال السيوف

«وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لَاتَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِى الْفِرارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِىَ. وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِى عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ [محجوب بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. [مَن الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ؟

الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِى! الْيَوْمَ تُبلى الْأَخْبَارُ! وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى ثلاثة أمور بهدف إعداد الأصحاب فى ميدان القتال، فأحياناً يهددهم إن هم فروا من القتال، وأخرى يمدحهم ويتعرض لما يتحلون به من نقاط إيجابية يراها فيهم، وأخيراً يشجعهم ويحثهم على الثواب والأجر الاخروى، وعليه يمكن إيجاز هذا المقطع من الخطبة فى ثلاثه محاور هى: التهديد، والتشجيع، والتمجيد، فقد قال على مستوى المحور الأول:

«وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لَاتَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ».

فالعبارة سيف الآخرة إشارة إلى عذاب اللّه الذى يشمل الفارّين من ميدان الجهاد، ولا شك أنّ الفرار من الزحف من الكبائر، وذلك لأنّ فرار عدّة أفراد يؤدّى إلى هزيمة عسكر جرّار ويقود حضارة عريقة إلى السقوط والإنيهار، أو يجعل العدو يسدد ضرباته الموجعة إلى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۲

الإسلام، ثم قال على مستوى المحور الثانى، أى المدح والثناء:

«وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ [۳۰۸] الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ [۳۰۹] الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِى الْفِرارِ مَوْجِدَةَ[۳۱۰] اللَّهِ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِىَ. وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِى عُمُرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ[۳۱۱] بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ».

فهو يعدهم من جانب بصفتهم مبرزى شخصيات العرب التى تشد نحوها الأنظار، من جانب آخر يذكرهم بمساوىء عار الفرار وهى الغضب الإلهى والذل الدائم والهوان والفضيحة الأبدية، على صعيد آخر ذكّرهم بهذه النقطة وهى إن كان الهدف من الفرار هو التمتع بعمر أطول فانّ هذا الهدف لا يحصل بالفرار، ذلك لأنّه لا محيص من الممات واليوم الذى قدرّ فيه فلا يدفعه دافع.

نعم، قد يتصور الإنسان أنّه يحصل على عمر أطول عن طريق الفرار، ولو فرض أنّ الأمر كذلك فما قيمة هذا العمر وهو يتضمن العواقب الثلاث متمثلة بغضب اللّه والذل والهوان الأبدى، وقد خاطب القرآن الكريم اولئك الذين يشعرون بالقلق من تواجدهم فى جبهات القتال قائلًا:

«قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...».[۳۱۲]

ثم إختتم الإمام عليه السلام كلامه بعبارة قصيرة عميقة المعنى تهدف حثهم على جهاد العدو فقال:

«مَن الرَّائِحُ [۳۱۳] إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ؟ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِى [۳۱۴]!».

وأخيراً قال عليه السلام بأنّ اليوم تبلى أخبار وأعمال كلّ فرد ويتميز فيها الغث من السمين:

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۳

«الْيَوْمَ تُبلى الْأَخْبَارُ!».

العبارة من الرائح إلى اللّه سبحانه إشارة إلى الأفراد الذين يقبلون بكلّ شوق ورغبة وعشق الشهادة، كعشق العطشان إلى الماء الزلال.

وقد أورد الإمام عليه السلام شبيه هذا المعنى فى وصيّته قبل الشهادة وبعد ضربته حيث قال:

«وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ ...»[۳۱۵]

. والعبارة اليوم تبلى الأخبار هى فى الواقع إقتباس من الآية ۳۱ من سورة محمد صلى الله عليه و آله:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ».

والفردة أخبار إمّا تعنى الأعمال أوالكلام والزعم والتى تبلى جميعاً فى ميدان الجهاد، والعبارة:

«الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي!»

. تشبه العبارة التى أوردها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى ميدان معركة أحد، حيث قال:

«الجَنَّةُ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ».

الجدير بالذكر أنّ أحد الأنصار سمع هذا القول من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وفى يده تميرات يلوكها، فقال: بخ بخ! ليس بينى وبين الجنّة إلّاهذه التميرات، ثم قذفها من يده وكسر جفن سيفه وحمل على قريش فقاتل حتى قُتل ۳۱۶].

ثم قال فى العبارة الأخيرة من أجل حث صحبه على الجهاد:

«وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ».

بمعنى لا دافع عندهم للجهاد وهم يحرصون على العودة إلى بيوتهم، بينما أحرص على جهاد عدو الحق والعدالة، فالمراد هلموا لكل رغبة لميدان الجهاد واعلموا أنّ النصر حليفكم حين تقاتلون عدواً لا دافع له.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۵

القسم الثالث: القضاء على آخر معاقل العدو

«اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ. إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ، يَخْرُجُ مِنْهُمُ

[ ]مِنْهُ]

النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ؛ وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ؛ وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ، تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ؛ وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ؛ وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِى نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام على عليه السلام فى هذا المقطع- الذى يمثل المقطع الأخير من الخطبة- فى أمرين:

الأول: يدعو فيه على العدو، وهوالدعاء الذى يجر عليهم الهزيمة والعذاب الإلهى ويشدّ من عزيمة صحبه ويضاعف إرادتهم فقال:

«اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ ۳۱۷] جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ ۳۱۸] بِخَطَايَاهُمْ».

جدير ذكره أنّ الإمام عليه السلام اشترط اللعن بعدم قبول الحق، وذلك لأنّ الهدف النهائى من هذا القتال لا يكمن فى الاستيلاء على العدو والسلطة، بل ليس للإمام عليه السلام من هدف سوى قبول الحق، فانّ قبله انتفت الحرب، وهذه هى فلسفة قتال دعاة الحق وأهل الإيمان طيلة التاريخ.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۶

والأمر الآخر: هو أنّ الإمام عليه السلام ذكر اختلاف الكلمة ضمن دعائه كوسيلة لتفريق العدو وهزيمته والذنوب من أسباب البؤس والشقاء، ومن هنا كان دعاؤه درساً، ليس درس واحد بل دورس. وفى القسم الآخر من هذا المقطع من الخطبة أشار إلى وصيّة قتالية مهمّة أخرى فقال لهم، إن أردتم الانتصار عليكم بتوجيه الضربات الموجعة إلى العدو وأن تقوم كل فرقة من العسكر بمهمتها الخاصة ومتابعة العدو حين الهزيمة دون إمهاله ليتحقق النصر الشامل، فشرح ذلك قائلًا:

«إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ ۳۱۹]، يَخْرُجُ مِنْهُمُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَيُطِيحُ ۳۲۰] الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ[۳۲۱] السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ».

ثم واصل عليه السلام حديثه مؤكداً على ضرورة شن الهجمات عليهم تلو الهجمات وأن تتبنى فرقة مطاردتهم ورميهم بالسهام، وأن تعاضد كل فئة الاخرى وتحمل على العدو، كما يقوم الفرسان بمطاردتهم حتى المدن حتى نتدوس حوافر خيلكم آخر نقطة فى أرضهم والاستيلاء على مسار الذهاب والأياب والطرق المراى من كل جانب:

«وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ[۳۲۲] تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ؛ وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ ۳۲۳]، تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ ۳۲۴]؛ وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ ۳۲۵] يَثْلُوهُ ژالْخَمِيسُ؛ وَحَتَّى تَدْعَقَ ۳۲۶] الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ[۳۲۷] أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ ۳۲۸] مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ ۳۲۹]».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۷

فقد علم الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة جنوده الآداب الفردية للقتال، وفى القسم الأخير الآداب الجماعية فى كيفية عمل الكتائب والفرق والخيّالة والمشاة وتنسيقها فيما بينهما تجاه العدو والاعتماد على الأساليب العلمية فى القضاء على العدو، ومن النقاط المهمّة التى تطرق إليها الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة هى عدم التوانى فى إتمام النصر على العدو، وربّما كانت للإنسحابات أبعاد المباغتة، والهدف تشديد الحملات، فلا يدمى تعقيب العدو إلى أقصى نقاط مناطقة والاستيلاء على كل مكان ليزول بالمرة أى احتمال لأنّ يشن العدو هجماته.

والحق لو عمل جيش الإمام عليه السلام بهذه الوصيّة فى صفين والتى أوردها الإمام عليه السلام قبل المعركة لخمدت فتنة بنى أمية إلى الأبد ولزال شبح ظلمهم وجور حكمهم عن المسلمين، ولكن واللأسف فقد سمعوا كل هذه الوصايا وضربوها عرض الحائط فتجرعوا مرارة تمردهم.

خاض المرحوم السيد الرضى رضى الله عنه فى نهاية هذه الخطبة بشرح بعض مفرداتها الصعبة فقال:

الدعق: الدق، أى تدق الخيول بحوافرها أرضهم، ونواحر أرضهم: متقابلاتها ويقال:

منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل، انتهى كلام السيد الرضى.

ولكن فسّر أغلب أرباب اللغة النواحر بمعنى المناطق البعيدة وهذا ما يناسب الخطبة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۷۹

الخطبة[۳۳۰] المأة والخامسة والعشرون

اشارة

ومِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فى التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكمين

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى السابق انّ هذه الخطبة وردت بصورة عامّة بشأن التحكيم بعد معركة صفين، وهى تتألف من عدّة أقسام، فقد بيّن الإمام عليه السلام قبول التحكيم من خلال الاستدلال بالآيات القرآنية.

وفى القسم الثانى يتكفّل بالردّ على الاعتراضات

والقسم الثالث والأخير ينصح الإمام عليه السلام بالكفّ عن الخلاف وإعداد أنفسهم من أجل الوقوف بوجه ظلمة الشام كما ذمّهم

على ما أبدوه من تقصير واعتراض وعدم انضباط.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۱

القسم الأول: الردّ على الخوارج

اشارة

«إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَايَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ). فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا».

الشرح والتفسير

كما ورد سابقاً فانّ الخطبة ردّ على اعتراض قبول الإمام عليه السلام للتحكيم، ومضمون كلام المعترضين: لم قبلت تحكيم فردين فى هذا الأمر الدينى المهم؟ والحال لا حكم إلّاللّهوليس لعامة الأفراد من حق فى الحكم فى الوظائف الدينية، أمّا الإمام عليه السلام فقد أشار فى ردّه إلى نقطة مهمّة فقال:

«إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ[۳۳۱] بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ ۳۳۲]، لَايَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ. وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۲

إشارة إلى أنّ القرآن الكريم بيّن طائفة من الأحكام الكلية وعلى العالمين بالقرآن استنباط الأحكام الجزئية وإبلاغها إلى عموم الناس، أو بعبارة أخرى تطبيق تلك الكليات على المصاديق، على سبيل المثال قال القرآن الكريم: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»[۳۳۳].

لا شك أنّ معركة صفين أحد مصاديق هذه الآية، ووظيفة الحكمين- إن كانا على الصواب وعالمين بالامور- أن يقولا: لمّا بايع الناس علياً عليه السلام إضافة إلى نص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عليه فانّ عامة الامة والصحابة قد قبلت خلافته، فمن سلك غير هذا السبيل كان مصداقاً للباغى والظالم وعليه العودة إلى الامة و التوبة، فان أبى وجب على المسلمين مقاتلته حتى يرعوى عن غيه.

ومسألة التحكيم لا تشذ عن هذا الأمر، فهى ليست سوى ما يقوم به قضاة الإسلام، أى أنهم يطبقون أحكام الكتاب والسنّة على مصاديقها ويصدرون الأحكام بهذا الخصوص، فهل هناك من اعتراض على هذا الكلام؟ للأسف لم يدرك الخوارج الجهال هذا المطلب الواضح ولم يدعهم تعصبهم وجهلهم ليفهموا ذلك فيعوا الهدف الأصلى من الحكومة.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى توضيح هذا المعنى قائلًا:

«وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

«فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»[۳۳۴]».

فوضح الإمام عليه السلام الآية بالقول: «فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا».

ومن هنا فقد أثبت الإمام عليه السلام بوضوح أنّ تحكيم الكتاب والسنّة لا تعنى سوى الرجوع إليهما، ولما كنّا مأمورين بهذا الأمر،

فليس لأحد أن يعترض علينا لم قبلنا التحكيم، فخطأ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۳

المعترض فى تصوره أننا قبلنا تحكيم الأشخاص، والحال إننا لم نقبل سوى تحكيم كتاب للّه.

وهنا سؤال يطرح نفسه: يفهم من كلام الإمام عليه السلام هذا أنّه قبل التحكيم على ضوء رغبته ورضاه ووظيفته الشرعية، والحال يفهم من عدّة خطب وردت فى نهج البلاغة أنّ التحكيم فرض على الإمام عليه السلام وكان ممتعظاً من هذا الأمر، فكيف يمكن حلّ هذا التناقض؟

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۱۸۳

دّ من القول فى الإجابة عن هذا السؤال أنّ الإمام عليه السلام لم يكن مخالفاً للتحكيم قط، بل كان الإمام عليه السلام يؤكد على أمرين: الأول: هو أنّ رفع المصاحف على أسنة الرماح كان خديعة ومؤامرة تهدف الحيلولة دون انتصار جيش الإمام عليه السلام فى اللحظات الأخيرة من المعركة، وإيجاد الفرقة والاختلاف بين صفوف عسكر الإمام عليه السلام، وإلّا فأهل الشام لم يكونوا مستعدين لقبول تحكيم القرآن الكريم، فلم يكونوا من أهل الدين ولا القرآن حسب تعبير الإمام عليه السلام ۳۳۵].

الأمر الآخر: هو أنّ الإمام عليه السلام كان معترضاً على أبى موسى الأشعرى كممثل له فى تحكيم القرآن، وعليه فليس هنالك من تناقض بين هذه الخطبة وسائر الخطب نهج البلاغة، والشاهد على ذلك ما فعله الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء طبق نقل أرباب المقاتل أنّه وضع المصحف على رأسه وخاطب أهل الكوفة:

«يا قَومِ إِنّ بَينِى وَبَينَكُم كِتابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ جَدِّى رَسُولُ اللَّهِ»[۳۳۶].

قضية التحكيم

نعلم أنّ جيش معاوية حين أشرف على الهزيمة المنكرة فى صفين، فبادر عمرو بن العاص المعروف بمكره إلى توصية أهل الشام برفع المصاحف على أسنة الرماح والقول بالتسليم لحكمالقرآن، من جانبه قال الإمام عليه السلام بأنّ هؤلاء لا يسلمون لحكم القرآن وليس ذلك سوى خدعة بهدف منع تلك الهزيمة الحتميه، إلّاأنّ فئة من جهّال عسكر الإمام عليه السلام إلى جانب

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۴

المنافقين لم يسمعوا كلام الإمام عليه السلام وأصروا على إيقاف المعركة، حتى هددوا الإمام عليه السلام بالقتل، فلم يكن من الإمام عليه السلام وبهدف الحيلولة دون ذلك الاختلاف والشقاق وبحكم الإجبار إلّاأنّ أصدر أوامره بايقاف القتال.

ثم قالوا بوجوب انتخاب فردين من العسكرين لتحكيم القرآن، والعجيب أن طائفة منهم بعد ذلك وقفوا بوجه الإمام وهبّوا لمخالفته والاعتراض عليه فى قبوله للتحكيم، الخطأ الآخر الذى بدر من الجهّال والمنافقين هو اختيارهم لأبى موسى الأشعرىالجاهل كحَكم وفرضوه على الإمام عليه السلام وهو الأمر الذى أدّى إلى تلك الانتكاسة المريرة والعجيب فى الأمر فئة بعد هذه الحادثة رفعت راية التمرد على الإمام عليه السلام معترضة على قبوله للتحكيم، فى حين هذا القرآن يصرّح قائلًا:

«إِنِ الحُكْمُ إِلّا لِلَّهِ»[۳۳۷]

، فكان من نتائج ذلك وقوع معركة أخرى عرفت بمعركة النهروان، وقد رجعت طائفة منهم إلى نفسها بعد أن سمعت كلام الإمام عليه السلام فتابت إلى اللّه سبحانه، ولم تبق إلّافئة قليلة لم يكتب لها الدوام، وقد كان عمل الإمام عليه السلام واضحاً فى هذا الأمر للأسباب التالية:

۱- تحكيم القرآن فى حلّ الخلافات العالقة بين المسلمين ليس بخفى على أحد، وقد أمر القرآن المسلمين صراحة بالرجوع إلى

كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه و آله فى حالة حدوث اختلاف بينهم (الآية ۵۹ من سورة النساء التى استشهد بها الإمام عليه السلام فى كلامه). وبناءاً على ما سبق فتحكيم القرآن واستناداً لعقيدة كافة المسلمين الذين للقرآن الكلمة الفصل فى حل المنازعات ليست بالأمر الذى يدعو إلى الاعتراض على الإمام عليه السلام، لكن لم يكن من اولئك الجهّال إلا أن يصوروا الأمر على أنّه نقطة ضعف فى الإمام عليه السلام.

۲- لا شك أنّ الذين أثاروا فتنة رفع المصاحف على أسنة الرماح لم يكن لهم من اعتقاد بحكم القرآن ولا الحق والعدل، بل لم يكن لساسة الكفر عديمى الإيمان من همّ سوى التسلط على الامة والهيمنة على إمكانهاتها المادية، وقد كشف الإمام عليه السلام اللثام منذ البداية عن كنه هذه المؤامرة، ولكن ما جدوى ذلك حيال الجهّال الذين رفضوا منطق الإمام عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۵

۳- قطعاً ليس للقرآن من دور فى التحكيم من خلال نفسه، وإنّما يتسنى ذلك بواسطة أهل الذكر العالِمين بالقرآن فيجتهدون فى استنباط أحكامه فى كل مسألة وإبلاغها إلى الناس، ولو حصل هذا الأمر فى حادثة صفين لتبيّن أنّ عسكر معاوية مشمولون بالآية التاسعة من سورة الحجرات القائلة:

«فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ...»

فينبغى إدانتهم بصفتهم بغاة طغاة هبّوا للوقوف بوجه إمام المسلمين والحكومة الإسلامية.

والمؤسف أنّ الحكمين هما أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص اللذان ليس لهما من علم بالقرآن، ونهض بالأمر من هو عارف بالقرآن، فانّ ذلك ليس خلافاً فحسب، بل يمثل عملًا بالقرآن وأحكامه، لكن حيث لم تحصل الشرائط اللازمة فى أية مرحلة، وكانت النتيجة مريرة على تلك الفئة الجاهلة، فعمدت إلى لوم الإمام عليه السلام بدلًا من ذمّها لنفسها، فلم تعمد لإصلاح منظرها، بل اتجهت إلى كسر المرآة، طبعاً لا ينبغى تصور قضية التحكيم على أنّها ترتبط بحادثة تاريخى عابرة، بل هى قضية تكرر فى مختلف العصور والأزمنة وحتى فى عصرنا الحاضر، فهناك من يتستر خلف بعض المقدسات من ثم يحملوها بعض القراءات الخاطئة عن علم وبدونه ويختارون ما يتماشى ومصالحهم اللامشروعة.

فلعمروا بن العاص وأبو موسى الأشعرى- هذان الجاهلان- أشباههما فى كل زمان، وأما أكثر ما تتكرر واقعة صفين وحمل المصاحف على السنان والتحكيم التى تتخذ لنفسها صوراً مختلفة، فلا تتمخض سوى عن النتائج التى تؤدّى إلى مظلومية من يسير على النهج العلوى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۷

القسم الثانى: لستم من أهل الجهاد

اشارة

«وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِى التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ؛ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِى هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَلَاتُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَىِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ- وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ- مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ! اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَايُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَايَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ. مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا. لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ

[[القَاء]]

، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ!».

الشرح والتفسير

يتألف كلام الإمام عليه السلام فى الواقع من قسمين: الأول يعالج شبهات الخوارج وأمثالهم، ثم يحثهم على جهاد ظلمة الشام، فكلام الإمام عليه السلام فى القسم الأول إشارة إلى ميثاق التحكيم الذى وقع بين الإمام عليه السلام ومعاوية (وسيأتى شرح ذلك فى موضوع تأملات) وعلى ضوء العهد فقد منح الحكمان مدّة سنة لحلّ اختلاف الامة دون التسرع فى ذلك، والمعترضون الجهّال يشكلون أحياناً على أصل التحكيم والذى أجاب عليه الإمام عليه السلام فى القسم السابق من الخطبة، وأحياناً أخرى كانوا يشكلون على تفاصيله، أى مسألة المدّة، ومن هنا ردّ الإمام عليه السلام على الإشكال

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۸

الأخير بالقول:

«وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِى التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ ۳۳۸] الْعَالِمُ».

ثم أضاف:

«وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِى هذِهِ الْهُدْنَةِ[۳۳۹] أَمْرَ هذِهِ الْأُمَّةِ؛ وَلَاتُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا[۳۴۰]،

فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ».

فقد بيّن الإمام عليه السلام عدّة فوائد للأجل الوارد فى مسألة التحكيم،

الأولى:

أن يتريث الجهّال ويكفّوا عن شططهم وتعصبهم ويحققوا فى المسألة المصيرية، والأخرى: أنّ يقوم القوم علماء الامّة من أصحاب على عليه السلام بدراسة جوانب المسألة ويختاروا ما ينطوى على الحدّ الأدنى من الخسائر ويهدوا الحكمين لانتخاب الصحيح، والثالثة: التفكير خلال هذه المدّة فى الطرق التى تتكفّل بإصلاح أمر الامة بصورة كلية واجتناب الأفعال المتسرعة التى تقود إلى الضلال، والغريب فى الأمر التسرع والطيش الذى مارسه الخوارج الجهّال بهذا الشأن ليعرضوا مصير الامة للخطر دون أدنى دراسة وتحقيق، وهذا هو ديدن الجهّال من الأفراد فى كل عصر ومصر.

أمّا العبارة:

«لَاتُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا»

فهى كناية عن الحرية من أجل المطالعة واتخاذ القرار والانتخاب، وهى كناية فصيحة وبليغة. والعبارة:

«تَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ»

إشارة إلى أنّ التسرع فى القرار ضلالة عادة.

وذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المراد بأول الغى رفع المصاحف على أسنة الرماح التى تعدّ أول خطوة فى الضلال ۳۴۱]، ويبدو التفسير الأول بقرينة الجملة التى سبقتها أنسب.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى نصحهم ووعظهم بالانقياد للحق وعدم مجابهته بالتعصب واللجاجة وملاحظة المنافع الشخصية، فقال:

«إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ- وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ ۳۴۲]- مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۸۹

الواقع إنّ علامة المؤمن الحقيقى هى هذه، يعنى ان وقف على مفترق طرق بحيث كان الحق فى جانب والمنافع الشخصية فى جانب آخر، ولى ظهره لمنافعه الشخصية واندفع نحو الحق، وإلّا فلا فخر فى تعصب الإنسان للحق الذى ينسجم مع حفظ مصالحه الشخصية، ومن هنا ذمّ القرآن الكريم طائفة من اليهود التى عملت على هذا الضوء فقالوا: «نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ...»[۳۴۳]، كانت تلك

الطائفة تذعن للقوانين الموافقة لميلها ورغبتها وتحقق منافعها، بينما تتمرد على تلك التى تتعارض ورغباتها، والحق إنّ مثل هذا التفكيك لا- يعنى عبادة اللَّه سبحانه، بل عبادة الهوى، ويصدق هذا الكلام على الأفراد الذين يهبّون لنصرة الباطل بدافع التعصب واللجاجة ودعم الأصدقاء والقرابة، وقد ورد مثل هذا الكلام عن على عليه السلام فى خطابه لعمرو بن العاص حيث أقسم أنّه يعرف الحق، إلّاأنّه يتجاهله، ولم يدفعه للإلتحاق بصفوف أعداء اللَّه سبحانه سوى منافعه ۳۴۴].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فَأَيْنَ يُتَاهُ ۳۴۵] بِكُمْ! وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ ۳۴۶]!».

آنذاك دعاهم لجهاد القوم الظالمين، وقد نعتهم بخمس صفات سلبية تتمثل بحيرتهم عن الحق وعدم رؤيته وقد شجعوا على الظلم و الجور، ومن هنا فلا يسعهم الاقلاع عنه، وقد ابتعدوا عن كتاب اللَّه وانحرفوا عن الصراط، رغم حملهم المصاحف ووضعها على الرماح وكلامهم عن تحكيم القرآن الكريم: «اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ ۳۴۷] بِالْجَوْرِ لَايَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ ۳۴۸] عَنِ الطَّرِيقِ».

وهكذا أشار الإمام عليه السلام إلى إننا نمتلك خمسة أدلّة قاطعة إن أردنا قتال هؤلاء وكل واحد من هذه الأدلة يكفى سبباً لقتالهم!

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۰

فقد حادوا عن الصواب وانحرفوا عن الصراط، ولا يكترثون للقرآن الكريم، اعتادوا على الظلم والجور، وقد عجزت أعينهم عن رؤية الحق فأصبحوا يدورون حول ذواتهم.

ثم لهج لسان الإمام عليه السلام بالشكوى فى عباراته الأخيرة وعرضّهم لأشدّ الذمّ واللوم، لعلهم يفيقون إلى أنفسهم ويعيدون النظر فى أعمالهم فقال:

«مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ[۳۴۹]

عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا. لَبِئْسَ حُشَّاشُ ۳۵۰] نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ!».

ثم شدد عليه السلام فى تقريعهم فقال:

«أُفٍّ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً[۳۵۱]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً

أُنَاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ

[[القَاء]]

، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[۳۵۲]!».

فقد تطرق الإمام عليه السلام إلى حقيقة فى هذه العبارات وهى إن كانت هنالك من مشكلة قد ظهرت فى أمر الجهاد وحكومته عليه السلام فانّما مرد ذلك إلى عدم كفاءة جمع من صحبه، وذلك لأنّهم كانوا يبدون الضعف والوهن فى كل ميدان يطرقه الإمام عليه السلام، ومن الطبيعى أنّ هناك ضرورة للصولة المقتدرة فى بداية المعركة والتى ينبغى أن تحصل من قبل الرجال الأشداء والشجعان والمخلصين، ولم يكن من ينهض بهذا الدور فى معسكر الإمام عليه السلام، من جانب آخر فان القائد حين ينادى أن أحملوا! فلابدّ من حركة الجميع بشكل منسجم، إلّاأنّهم كانوا أضعف وأوهن من ذلك، وإن كانت هناك من خطط حربية يطلعون عليها بصورة سرية، لابدّ أن يجدوا ويجتهدوا فى حفظها، إلّاأنّهم لم يكونوا من حفظة الأسرار ويوثق بهم، وعليه لا يبدو من الصواب توقع حصول نصر خاطف فى ظلّ وجود مثل هؤلاء الأفراد، والعجيب فى الأمر فانّ مثل هؤلاء الأفراد وبهذا المدى من الضعف والوهن حين يصابون بفشل، فهم يوعطونه إى الخارج ويحملوا الإمام عليه السلام مسؤولية زلاتهم دون أن يهموا ويفتشوا عن أسباب ذلك فى أنفسهم، وهذه مشكلة كبرى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۱

تأمّلان

۱- عهد صفين

حين استغل ظلمة الشام قضية رفع المصاحف على أسنة الرماح وخدعوا بها أهل العراق، ففرض الصلح على أميرالمؤمنين على عليه السلام كتب هذا العهد بين الفريقين:

«هذا مَا تَقاضى عَلَيهِ عَلَيٌّ بن أَبِى طَالب ٣٥٣] وَمُعاوِيةُ بِنْ وأَبِى سُفيانِ، قاضِى عَلَى

بن أَبِى طَالبٍ عَلَى أَهْلِ العِراقِ وَمنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ شِيعَتِهِ مَنَ المُؤمِنِينَ وَالمسلِمِينَ وَقاضِى مُعاوِيةُ بِنْ وأَبِى سُفيانِ عَلَى أَهْلِ الشّام وَمنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ شِيعَتِهِ مَنَ المُؤمِنِينَ وَالمسلِمِينَ أَنّا نَنْزِلَ عِنْدَ حُكم اللَّهِ وَكِتابِهِ وَلا يَجمَعُ بَينَنا إلّاإيّاهُ وإنَّ كِتابَ اللَّهِ سُبحانَهُ بَينَنا مِنْ فَاتِحَتِهِ إلى خاتِمَتِهِ نُحيى مَا أَحيا القُرآنُ ونُميتُ مَا أَماتَ القُرآنُ فإنْ وَجِدَ الحَكَمانِ أَنَّ ذَلِكَ فِى كِتَابَ اللَّهِ إتَّبَعنَاهُ وَإن لَمْ يَجِداه أَخَذا بِسُنَّةِ العادِلَةِ غَيرِ المُفَرِّقَةِ وَالحَكَمانِ عِبْدَاللَّهِ بن قَيْسٍ وَعَمرو بنْ العاصِ»[٣٥۴].

وقد نقل هذا الصلح أو العهد (أو مهما سميته) فى مختلف الكتب مع اختلاف طفيف، وكلها تشير إلى أنّ المسألة كانت مسألة تحكيم القرآن الكريم لا- تحكيم الأشخاص، وبعبارة أخرى فانّ الأشخاص كانوا مكلّفين باستنباط ما فى القرآن بهذا الشأن وتطبيقه على مصاديقه، بينما اعتبرها الخوارج تحكيم للأفراد فى دين اللَّه فأثاروا مختلف الويلات والمأسى التى أفرزتها الجهل والحماقة.

۲- حوار الإمام عليه السلام مع الخوارج

روى أنّ أمير المؤمنين على عليه السلام أرسل عبداللَّه بن عباس إلى الخوارج وكان بمرآى منهم

نفحات الولايهٔ، ج۵، ص: ۱۹۲

ومسمع ليسألهم ما الذى نقموا عليه؟ فقالوا فى الجواب: نقمنا يابن عباس على صاحبك خصالًا كلها موبقة مكفرة تدعو إلى النار:

أمّا أولها: فانّه محى اسمه من إمرة المؤمنين، ثم كتب بينه وبين معاوية فإذا لم يكن أمير المؤمنين فنحن المؤمنون فلسنا نرضى أن يكون أميرنا.

وأمّا الثانية: فانّه شك فى نفسه حين قال للحكمين: انظر فانّ كان معاويه أحق بها فأثبتاه، وإن كنت أولى بها فأثبتانى، فاذا هو شك فى نفسه، فنحن فيه أشدّ شكاً.

والثالثة: أنّه جعل الحكم إلى غيره وقد كان عندنا أحكم الناس.

الرابعة: أنّه حكّم الرجال فى دين اللَّه ولم يكن ذلك إليه.

الخامسة: أنّه قسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذرية.

السادسة: أنّه كان وصيّاً فضيّع الوصيّة.

قال ابن عباس: قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم فأنت أحق بجوابهم. فقال عليه السلام: نعم، ثم قال له: قل لهم بابن عباس أترضون حكم اللَّه ورسوله؟ فقالوا: بلى، ثم قال: أمّا الاولى فقد كتبت عهد الصلح يوم الحديبية «بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما اصطلح عليه رسول اللَّه وأبوسفيان وسهيل بن عمرو» فقال سهيل: إنا لا- نعرف الرحمن الرحيم أولًا، وثانياً ولا نقرّ أنّك رسول اللَّه، وثالثاً ولكنّا نحسب ذلك شرفاً لك أن تقدّم اسمك قبل أسمائنا. إن كنّا أسن منك، فأمرنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن أكتب بدلًا من «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» «بسمك اللهم» وبدلًا من «رسول اللَّه» «محمد بن عبداللَّه»، ثم قال لى: إنّك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره، وهكذا كتبت بينى وبين معاوية وعمرو بن العاص، فقال الخوارج: هذه لك خرجت منها.

وأمّا الثانية إنّى شككت فى نفسى حيث قلت للحكمين: انظروا فان كان معاوية أحق بها منى فأثبتاه، فان ذلك لم يكن شكا منّى فقد قال القرآن: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»[۳۵۵].

ولم يكن ذلك شكاً وقد علم اللَّه أنّ نبيّه على الحق، فقالوا: وهذا لك، وأمّا قولكم أنّى جعلت الحكم إلى غيرى وقد كنت عندكم أحكم الناس، فهذا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد جعل الحكم إلى سعد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۳

يوم بنى قريظة وقد كان أحكم الناس، وقد قال اللَّه تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»[۳۵۶]، قالوا: وهذه لك بحجتنا، قال وأمّا قولكم إنّى حكمت فى دين اللَّه الرجال، فما حكّمت الرجال ولكن حكّمت كلام ربّى فقال فى الصيد عند الاحرام:

«وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»[۳۵۷]

، فدماء المسلمين أعظم من دم طائر، قالوا: وهذه لك، قال وأمّا قولكم: إنّى قسمت يوم البصرة الكراع والسلاح ومنعتكم النساء والذرية، فانى مننت على أهل البصرة كما منّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أهل مكة، وبعد فأيّكم كان يأخذ عائشة فى سهمه، قالوا: وهذه لك بحجتنا قال وأمّا قولكم إنّى كنت وصيّاً فضيّعت الوصيّة، فأنتم كفرتم وقدّمتم علىَّ وأزلتم الأمر عنّى ...

قالوا: وهذا لك وإثر ذلك رجع بعضهم وبقى منه أربعة آلاف فقاتلهم فقتلهم.[۳۵۸]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۵

الخطبة[۳۵۹] المأة والسادسة والعشرون

اشارة

وَمِنْ كَلام لَهُ عليه السلام

لمَّا عُوتِبَ على التَّسوِيَةِ فِي الْعَطاء

نظرة إلى الخطبة

يبدو الهدف من هذه الخطبة كما يفهم من عنوانها هو جواب الإمام عليه السلام لمن أشار عليه باغداق أموال بيت المال على الأشراف وزعماء القبائل الذين يمكنهم التأثير على الحكومة، فيعطيهم سهماً أكثر من غيرهم ويميزهم بالعطاء، وذلك من أجل ترسيخ حكومته، وقد تضمنت إجابة الإمام عليه السلام الإشارة إلى أمرين:

الأول: ليس لى قط ترسيخ دعائم حكومتى من خلال الظلم والجور والتمييز بين الناس وإعطاء حق أحد لآخر، فلا يسعنى بلوغ الحق والعدل بواسطة المعصية.

الثانى: أنّ من يمارس هذا الفعل فانّ عاقبته جحود اولئك الأفراد الذين أغدق عليهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۷

«أَتَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَاأَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِى لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ!».

الشرح والتفسير

المنصب والعدالة

أورد المرحوم الكلينى فى بدايـة نقله لهـذه الخطبة عن أبى مخنف أنّ جماعة من شـيعة أميرالمؤمنين عليه السـلام اقترحوا على تقسـيم أموال بيت مال المسـلمين على الزعماء والأشـراف (فى أن يعطيهم من سـهمهم) لتستقر الحكومة ومن ثمّ يعود إلى التسوية فى العطاء، فانزعج الإمام عليه السلام وأورد هذه الخطبة ليوضح لهم عدم إمكانية الوصول إلى هدف مقدّس من خلال وسيلة ليست مقدّسة، فهذ الأمر لا ينسجم مع تعاليم الإسلام فقال:

«أَتَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ!».

أو ليس الهـدف من الحكومـة هو بسط العـدل والقسط؟ كيف تقترحون علىّ تثبيت هذه الحكومة بالظلم والجور؟ هذا تناقض واضـح للعيان، وهو أمر لا يرتضيه الحق تبارك وتعالى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۸

ثم أضاف عليه السلام قائلًا:

«وَاللَّهِ لَاأَطُورُ[۳۶۰] بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ[۳۶۱]، وَمَا أَمَّ ۳۶۲] نَجْمٌ فِى السَّمَاءِ

نَجْماً!».

فقد بيّن الإمام عليه السـلام رسوخ عزمه بهذا الشأن بعبارات صـريحة وقوية، فهو يقسم من جانب، ويسـتعمل العبارة لا أطور من جانب آخر، والمراد ليس فقط لا أفعل هـذا، بل لا أقاربه ولا أحوم حوله، إلى جانب ذلك أشار إلى الحركـة المتواصـلة والأبديـة للنجوم فى السـماء والليل والنهار فى الأرض، كنايـة عن مراده لو كان عمرى خالداً فلست مسـتعداً للمارسة مثل هذا الظلم والتمييز، ثم أكّد ذلك بقوله:

«لَوْ كَانَ الْمَالُ لِى لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ!».

فالعبارة وإن بدت صـعبة على الأفراد الذين ليس لهم بُعد نظر واولئك الذين يضـحون بالحق والحقيقة من أجل المصـلحة، إلّاأنّ الحق هو أنّ هذه العبارة إنّما تتفق وسنّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتعاليم القرآن الكريم والقيم الإسلامية العليا، وهذا ما سنعرض له فى البحث القادم.

ثم أشار الإمام على عليه السلام إلى مفاسد الظلم والجور والتقسيم غير العادل لأموال بيت المال فقال:

«أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِى غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِى الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِى الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِى النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ».

قد يكون التبذير والاسـراف بمعنى واحد ويرادف كلّ منهما الآخر تارة، وتارة أخرى بمعنيين، لأنّ التبذير بالمعنى الواقعى يختلف عن الاسـراف، فالتبـذير من مادة بذر بمعنى نثر البذور وتسـتعمل حين يضـيع الإنسان نعمة اللّه ويطرحها جانباً، وبعبارة أخرى ينفق الأموال فى غير موضعها، أمّا الاسراف فهو المبالغة فى إستهلاك النعم بحيث يخرج من حالة الإعتدال

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۱۹۹

دون أن يضـيع شـيئاً ظاهرياً، كأن يعد طعاماً كثيراً للغاية وفاخراً لبضعة أفراد، بينما يمكن إطعام عشرات الأفراد بتلك القيمة، فقد أشار الإمـام عليه السـلام فى هـذا المقطع من خطبته إلى الآثـار المعنويـة السـيئة لصـرف الأـموال فى غير مواضـعها، حيث يمكن أن يحظى الإنسـان فى ظلها بمكانـة معينـة إلى أجل بين الناس، بينما يسـقط بالمرة أمام اللّه ويعرض نفسه لأشـد العقاب فى يوم الجزاء، وأمّا نعته مثل هـذا العطاء بالتبـذير والاسـراف، فـذلك لأنّه يؤدّى إلى اشاعة التبذير والإسـراف فى وسط المجتمع، فاولئك الذين يأخذون أكثر من الحـدّ اللازم، لا يسـعهم غالباً إفاضـة جزء منه على الآخرين، كما لا يسـتطيعون احتماله بأنفسـهم، فلا مناص من بروز حالـة التبـذير

والإسراف.

ثم إختتم الإمام عليه السلام خطبته بالإشارة إلى الآثار الدنيوية السيئة لذلك العمل فقال:

«وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ.

فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ ۳۶۳]!».

والعبارة ألأم خدين إشارة إلى أنّ اولئك الأفراد الذين أحسن إليهم ليس فقط لا يقدمون المساعدة لمن أحسن إليهم فى يوم عوزه فحسب، بل تبلغ بهم الوضاعة واللؤم أن يتحولوا إلى ذامّين، أمّا ما فهمه بعض شرّاح نهج البلاغة من أنّ العبارة تعنى اللوم والتوبيخ، فلعل ذلك كون الصديق هو المصداق الواضح للوضاعة حين الحاجة، وقد دلّ التاريخ والتجارب الشخصية كراراً ومراراً على أن أغلب الظلمة والأثرياء الذين يغدقون الأموال على أصدقائهم، لم يمهد أحد لهم يد العون حين ذاقوا وبال أعمالهم، بل نفر عنهم أقرب أصدقاؤهم القدماء، ولعل بيت الشعر المعروف للشاعر المشهور حافظ الشيرازى والذى تتناقله الألسن ومضمونه «أنى لم أتأثر قط بما يفعله الأجانب، بقدر ما أتأثر مما يفعله الصديق) إشارة إلى هذا المعنى.

بحث فى اسلوب تقسيم العطاء

يستفاد من هذه الخطبة الشريفة أنّ الإمام عليه السلام كان شديد الحرص على تقسيم أموال بيت

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۰

مال المسلمين بينهم بالسوية دون أن يكون هناك أدنى امتياز لشريف على وضيع وشخصية سياسية واجتماعية وحتى السابقين فى الإسلام، بل حتى أهل الحاجة على أحد من الناس، وهذا ما كانت عليه الحال على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويبدو أنّه كان النهج الذى اعتمده الخليفة الأول أيضاً، حتى خلافة عمر حيث إتّبع التمييز والاخذ بنظر الاعتبار الامور السياسية والاجتماعية فى تقسيم بين المال.

قال ابن أبى الحديد: أمّا عمر فانّه لما ولّى الخلافة فضل بعض الناس على بعض، ففضّل السابقين على غيرهم، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضلّ العرب على العجم، وفضّل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبى بكر فى أيّام خلافته بذلك، فلم يقبل وقال هذا خلاف كتاب اللَّه، ولما ولّى عثمان الخلافة بلغ التمييز قمته، فقد فضّل آنذاك كافة قرابته وبطانته، فقسم بينهم أغلب أموال بيت المال ۳۶۴]، وقد ذكر العلّامة الأمينى رحمه الله فى المجلد الثامن من كتابه الغدير الصفحة (۴۸۶) عنواناً أسماه (الفوضى فى مال اللَّه) جمع فيه الأرقام الدقيقة التى روتها مختلف مصادر العامّة بشأن هباته إلى قبيلته وأعوانه، وهى الأرقام التى تذهل كلّ إنسان حين يتأملها، فكان هذا أحد العوامل التى دعت الناس للقيام عليه، كما أنّ رفع هذه الامتياز من قبل الإمام عليه السلام كان أحد العوامل التى جعلت زعماء القبائل يتمردون عليه (كما يفهم من هذه الخطبة وسائر خطب نهج البلاغة)[۳۶۵].

والطريف فى الأمر أنّ أصحاب الإمتيازات فى ذلك الزمان لم يخفوا هذا الأمر، كما نقل ذلك الطبرى فى تاريخه، حيث قال رجل لأبى عبدالرحمن السلمى (الذى كان معروفاً آنذاك)[۳۶۶]:

ناشدتك اللَّه متى عاديت علياً عليه السلام أليس ذلك حين قسم العطاء ولم يعطك وأهلك شيئاً (وقد استغلوا بيت المال قبل ذلك)؟

قال أبو عبدالرحمن: بلى هو كذلك.[۳۶۷]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۱

على كلّ حال لابدّ من بحث جذور مسألة المساواة التى تأكدت على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام، قطعاً إن ذلك يعود إلى ماهية الأموال التى كانت ترد بيت المال، وتوضيح ذلك أنّ الأموال التى كانت ترد بيت المال تستند إلى نواحى:

الأولى: غنائم الحرب وتعلم أنّ ليس هناك أى تفاوت بين المقاتلين بخصوص الغنائم الحربية، سوى أنّ الفارس كان يأخذ ضعف الراجل (بسبب التكاليف المتعلقة بالمركب، فهم الذين كانون يعدونه، إضافة إلى دور الفارس مقارنة بدور الراجل فى المعركة).

الثانية: أموال الخراج وهى الأموال المتعلقة بالأراضى الإسلامية والتى كانت تشكل أغلب بين المال على عهد الخلفاء، فهذه الأموال تتعلق بجميع المسلمين ولابدّ من تقسيمها بالسوية عليهم، وذلك لأنّ أراضى الخراج ملك لعامّة المسلمين وينبغى توزيعها عليهم بالسوية، حيث يتقسم دخل الملك المشاع بالتساوى على جميع المالكين، لأنّ سهم ملكية الجميع متساوى.

الثالثة: الجزية والأموال التى تجبى من غير المسلمين إزاء ما يتمتعون به من دعم وحماية من جانب الحكومة الإسلامية إلى جانب حفظ أموالهم وأعراضهم، ويرى طائفه من كبار الفقهاء أنّ مصاريف الجزية هى مصارف الخراج المتعلقة بجميع المسلمين.

الرابعة: الزكاة التى تفرض على بعض الأجناس بمقدار معين وقد تكفل القرآن الكريم ببيان مصاريفها الثمانية، وقد قسمت بصورة عامّة إلى الفقراء، والمساكين، حسب حاجتهم وفى موارد مصاريف الجهاد حسب الحاجات، وعليه فالمعيار فى تقسيمها الحاجة لا المساواة.

الخامسة: الخمس وهى الأموال المفروضة على كافة الإيرادات بعد طرح التكاليف ومخارج السنة، وعلى وضوء ما أورده القرآن الكريم والروايات فانّ الخمس نصفان، نصف يتعلق بأهل الحاجة من بنى هاشم، والنصف الآخر بإمام المسلمين والذى ينفقه فى حاجيات الحكومة الإسلامية.

السادسة: الأنفال التى تشمل جميع الأموال التى ليس لها ملكية خاصة كالأراضى الموات والبساتين وبعض المعادن وسواحل البحار والأرضى البوار التى غادرها أصحابها وانصرفوا عنها، فهى الأخرى جزء من أموال الدولة وتتعلق بجميع المسلمين، ولكل مصدر من المصادر

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۲

الست الماضية بحث مفصّل ورد فى الكتب الفقهية مثل كتاب الخمس وكتاب الزكاة وكتاب الجهاد.

وهنا يطرح هذا السؤال: أى من هذه الأموال الست التى ينبغى توزيعها بصورة مساوية بين المسلمين وقد عمل بذلك رسول اللّه صلى الله عليه و آله واستمر العمل بها حتى فى زمان الخليفة الأول، وواصلها الإمام على عليه السلام إحياءً للسنّة بعدما إندرست على عهد الخليفة الثانى والثالث؟

يبدو أنّ تلك الأموال هى أموال الخراج (ويحتمل إلحاق الجزية بها) والتى كانت تشكل فى ذلك الزمان القسم الأعظم من بيت المال، وقد كانت إلى درجة من الكثرة بحيث لم تكن هناك من أهميّة لسائر موارد بيت المال فى مقابلها، ولذلك فانّ أحد البرامج الرئيسية للولاة الذين يتجهون إلى مختلف المناطق جباية الخراج، ويستفاد هذا المعنى من أغلب الرسائل الواردة فى نهج البلاغة، ومن ذلك عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر رضى الله عنه ورسالته عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة (الرسالة ۵۳ و ۴۳).

وبناءاً على ما تقدم فانّ وزع قسم آخر من أموال بيت المال بصورة غير متساوية على أساس مصالح المسلمين والحكومة الإسلامية على ضوء المدارك الفقهية، فليس هناك من منافاة مع ما ورد فى هذه الخطبة وأمثالها.

أضف إلى ذلك فانّ هناك تقسيماً لأموال بين المال على أساس مصالح المسلمين والخدمات التى يقوم بها بعض الأفراد، لا على أساس المصالح الشخصية كما كان يفعل ذلك معاوية، حيث كان يشترى زعماء القبائل بما يغدق عليهم من أموال، حتى كان يغرر ببعض الأفراد ضعاف الإيمان من جيش الإمام عليه السلام فيغريهم بما ينفقه عليهم من أموال كثيرة[۳۶۸]، وهذا بحدّ ذاته يمثل جناية عظمى لا يمكن تداركها والإغماض عنها، وقد كان الإمام عليه السلام كما ورد فى هذه الخطبة يتنفر من هذا العمل، وقد غضب بشدّة على من اقترح عليه استمالة الأشراف وزعماء القبائل بالأموال.

وبالطبع فانّ هذه مدرسة الأحرار والأتقياء الأوفياء التى كانت وما زالت تتضاد ومدرسة سماسرة السياسة وعبدة المناصب وأسرى

الأهواء.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۳

الخطبة[۳۶۹] المأة والسابعة والعشرون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

وفيه يبيّن بعض أحكام الدين

ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

نظرة إلى الخطبة

خاطب الأمام عليه السلام الخوارج بهذه الخطبة، رغم عمومية نفع الخطبة، تتألف الخطبة من عدّة أقسام، فنّد الإمام عليه السلام فى القسم الأول عقيدة الخوارج فى تكفير مرتكب الكبيرة وحكمهم بقتل عامّة امّة النبى صلى الله عليه و آله، وذلك من خلال الأدلة المحكمة، وأشار عليه السلام فى القسم الثانى إلى غفلة الخوارج وجهلهم وسلوكهم المفرط فى عدوانهم، بينما أفرط البعض الآخر منهم فى موالاتهم، فكلاهما على ظلالة، والقسم الثالث تضمن التأكيد على متابعة جميع المسلمين وعدم الإنفراد عنهم والتحذير من الفرقة، وأنّ شعار الخوارج هو شعار مضل وخطير، وأخيراً القسم الرابع وهو إشارة إلى خطأ الحكمين، كما يوضح أن وظيفة الحكمين العمل بأحكام القرآن، ولكنّهم ضلوا الطريق، وعليه فليست هنالك أية قيمة لحكمهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۵

القسم الأول: العنف الهمجى للخوارج

اشارة

«فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّى أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِى، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِى، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِى! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله رَجَمَ الزَّانِىَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ.

وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِىَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ».

الشرح والتفسير

هذا المقطع من الخطبة ناظر إلى الردّ على شبهات الخوارج التى لحقت بهم بفعل جهلهم وتعصبهم وتقليدهم الأعمى، فهم يعتقدون بكفر من إرتكب الكبيرة، والكافر يجب قتله، فقد صنعوا لأنفسهم صغرى وكبرى وعلى أساسهما أجازوا لنفسهم قتل أى فرد من أصحاب على عليه السلام أينما وجدوهم، ومن هنا حمل هؤلاء الضالون المتعطشون لدماء الأبرياء سيوفهم على عواتقهم ليسفكوا دماء من شاءوا من الأبرياء فى مختلف مناطق البلاد الإسلامية، فأتوا بالأفعال الشنيعة التى يندى لها جبين التاريخ، نعم لقد ابتكروا لأنفسهم صغرى وكبرى وقالوا:

إن علياً عليه السلام قبل تحكيم الأفراد فى مقابل القرآن، وعليه فقد إرتكب الذنب، وكل من إرتكب الذنب فهو كافر، واتباع على

عليه السلام كذلك فهم كفرة، والكافر يجب قتله وقد رد الإمام على عليه السلام

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۶

بالعبارة المذكورة على خطأهم ليتم الحجة عليهم، فلو فرض (وفرض المحال ليس بمحال) أنّه ضل فما الذى يدعو إلى الحكم بضلالة كافة امّة محمد صلى الله عليه و آله بضلاله:

«فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّی أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّی اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِی، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِی، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِی!».

ثم واصل كلامه بالقول:

«سُيُوفُكُمْ عَلَی عَوَاتِقِكُمْ ۳۷۰] تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ،

وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ».

فهذا العبارات تتضمن إشارة إلى عدّة أجوبة: الأول بطلان التصور القائم على أنى أحطأت وضللت، فأولًا: أنّى قبلت التحكيم بفعل ضغوطكم، وثانياً: لو تمّ التحكيم بصورة صحيحة لكان مطابقاً للقرآن، فالواقع أنّ الحكم هو القرآن، ومن ينهض بالتحكيم إنّما يرجع إلى القرآن ويستنبط منه حكم اللّه سبحانه، فيطبق الكليات على مصاديقها، كما مرّ ذلك فى الخطب السابقة، وعليه فليس هنالك من عمل مخالف حكم اللّه حتى يؤدّى إلى الخطأ والضلالة، ثالثاً:

على فرض أنّى إرتكبت خلافاً فما معنى حمل ذلك على سائر المسلمين؟ لم تكفرونهم وتريقون دماء الأبرياء؟ أى قانون هذا الذى تتمسكون به؟ وبأى شرع تؤمنون؟

ثم إتّجه الإمام عليه السلام صوب خطأهم الأصلى المتمثل بقولهم كل مذنب كافر، فردّ عليهم ردّاً قاطعاً فقال:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله رَجَمَ الزَّانِیَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّی عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِیَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَیْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ».

فقد أراد الإمام عليه السلام عدّة شواهد من سنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تؤكد وضوح خطأ الخوارج، الأول أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان يعدم الزانى والقاتل، ثم يصلّى عليهما ويوّرث أهلهما، لو كفر هؤلاء بارتكابهم الزنا وقتل النفس لما وجب توريث أهلهم لهم حسب عقيدتكم، لأنّ المسلم لا يرث الكفّار، (هذه عقيدة أغلب فقهاء العامّة)، كما حدّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله سائر المذنبين كالسارق

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۷

والزانى غير المحصن، فقطع يد الأول وجلد الثانى، لكنّهم بقوا فى صفوف المسلمين فأجازهم جميع الأحكام الإسلامية كالزواج من المسلمات وأخذهم سهمهم من بيت المال، والحال لا تجرى عليه أى من هذه الأحكام إن كفر بارتكاب الكبيرة.

تأمّلات

۱- الخوارج وتكفير أهل الذنوب

يستفاد من هذه الخطبة أنّ الخوارج يعتقدون بأنّ إرتكاب الكبيرة يوجب الخروج من دين الإسلام، بناءاً على هذا فمن إرتكب الكبيرة وكان قبل ذلك مسلماً فهو مرتد يجب إعدامه، وقد استدلّ هؤلاء الجهّال بظاهر بعض آيات القرآن التى لم يدركوا مفهومها، ومن ذلك الآية الشريفة ۹۷ من سورة آل عمران بشأن تارك الحج والتى تقول: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، والآية ۴۴ من

المائدة: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ»، والآيه ۲۳ من سورة الجن التى تحدثت عن المذنبين جمعاء: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا».

فقد أطلقت هذه الآيات على بعض المذنبين كلمة الكفر أحياناً، وأحياناً أخرى الخلود فى جهنم الذى يختص بالكفّار، وقد غفلوا عن أنّ مفردة الكفر فى اللغة واصطلاح الشرع لا- تعنى على الدوام الخروج من الإسلام، بل الكفر درجات ومراحل: فقد يكون بمعنى إرتكاب الذنب، ويكون أحياناً أخرى بمعنى إنكار اللَّه والعقائد الدينية، وبعبارة أخرى الكفر بمعنى مجانبة الحق أو ستره وهو على مراحل ودرجات، ولكل أحكامه الخاصة، كما للإيمان درجات، لكل منها أحكامه الخاصة، فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام فى الرواية المعروفة فى اصول الكافى خمسة معانى للكفر الوارد فى القرآن، أحدهما: أنّ الكفر بمعنى ترك أوامر اللَّه والعصيان، ثم يورد الإمام شواهد من القرآن الكريم على هذه المعانى الخمسة[۳۷۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۸

وأوضح دليل على بطلان هذه العقيدة ما أورده أمير المؤمنين على عليه السلام فى هذه الخطبة من كثرة عدد المذنبين فى عصر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والذين كان يقيم عليهم الحد، مع ذلك كان يجرى عليهم كافة أحكام الإسلام، حتى وإن لم يتوبوا من قبيل إقامة صلاة الميت والدفن فى مقابر المسلمين وأحكام الارث، ومن كان حياً بعد إقامة الحد؛ أجرى عليه سائر الأحكام كأخذه لسهمه من بيت المال والزواج من المسلمات وأمثال ذلك، هذه هى سيرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والتى تواصلت فى العهود اللاحقة حتى عصرنا الحاضر بين جميع مسلمى العالم والتى تدل على أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر بمعنى خروجه من الإسلام قط، وليس فقط لا يراق دمه فحسب، بل هناك ديّة على أدنى جرح يعرّض له.

۲- جانب من جنايات الخوارج

إنّ أدنى مطالعة لجانب من التاريخ المظلم للخوارج تكفى لأن نقف على مدى فضاعة الفئة التى وقفت بوجه أمير المؤمنين على عليه السلام، والأسباب التى عاقت برامجه عليه السلام فى النهوض بالامّة، فليست هنالك فئة تشبه الخوارج شهدها التاريخ، فهى فئة متعصبة عاشت جميع التناقضات ويسفكون الدماء بكل بساطة ولا- يرحمون كبيراً ولا- صغيراً حتى الجنين فى بطن امّه، كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الخطبة حيث وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيريقون دم من يريدون، ولم يأمن أحد فى منطق حكومتهم التى لم تدم طولًا لحسن الحظ، وكأنّهم يرون أنفسهم المالكين والناس عبيد فلهم أن يفعلوا بهم ما يشاؤون من قتل وتعذيب وتشريد.

قال ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة: حين مضى الخوارج إلى النهروان أصابوا فى طريقهم مسلماً ونصرنياً، فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر، إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصرانى، قالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم، ونحو ذلك أنّ واصل بن عطاء (وهو من مشاهير علماء عصره) أقبل فى رفقة فأحسوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإيّاهم، فقالوا: شأنك، فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ فقال: قوم مشركون مستجيرون بكم، ليسمعوا كلام اللَّه، ويفهموا حدوده، قالوا:

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۰۹

قد أجرناكم، قال واصل: فعلمونا، فجعلوا يعلمونهم أحكامهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معى، قالوا: فمضوا مصاحبين فقد صرتم إخواننا.

فقال: بل تبلغوننا مأمننا لأنّ اللَّه تعالى يقول: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَايَعْلَمُونَ»[۳۷۲].

فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساورا معهم بجمعهم حتى أبلغهم المأمن ۳۷۳].

ومعروفة هى قصة قتلهم صحابى النبى صلى الله عليه و آله المعروف: عبداللّه بن خباب وقتلهم لإمرأته وهى حامل، وقد عرضنا لشرح ذلك سابقاً، وهذا غيض من فيض جرائم الخوارج، هذا فى الوقت الذى إذا قتل أحدهم خنزيراً، واعترضوا عليه على وأن ذلك فساد فى الأرض وأنكروا قتل الخنزير[۳۷۴]، يبدو أنّ الجهل والتعصب والعجب هى العوامل الأصلية لظهور هذه الفئة السفّاكة التى لا تتورع عن إرتكاب أية جريمة وجناية، أو ليس جزاء هؤلاء تلك الحملات المتتالية التى شنها عليهم جيش الإمام على عليه السلام بعد إتمام الحجّة وتوبة المخدوعين منهم، لكى لا تبقى لهم من باقية، كما حدث فى النهروان؟!

۳- الردّ على سؤال

تصدى الإمام عليه السلام فى الخطبة المذكورة للردّ على الخوارج الذين يقولون بكفر من إرتكب الكبيرة، فى أنّ ذلك خلاف سيرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى إقامته للحدود على مرتكبى الكبائر، وفى الموارد التى تتطلب إعدام صاحبها من قبيل قصاص القاتل، فقد كان يحكم بقتلهم ويورثهم أهلهم من المسلمين.

هذا فى الوقت الذى نعتقد فيه على ضوء مذهبنا بأنّ المسلم لا يرث الكفّار وعليه فان إيصال إرثهم إلى وارثهم المسلمين ليس دليلًا على نفى كفرهم، وللإجابة على هذا السؤال لابدّ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۰

من القول بأنّ الإمام عليه السلام أورد هذا الكلام طبق مذهب أغلب العامّة والخوارج الذين يعتقدون بعدم إرث الكافر للمسلم ولا المسلم من الكافر، وبناءاً على هذا فقد استدلّ على ضوء مسلمات مذهبهم، أمّا مذهب أهل البيت عليهم السلام الكافر لا يرث المسلم بينما يرث المسلم الكافر، للرواية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام

: «إِنَّ الإِسلامَ لَم يَزِد المسُلِمَ إلّاعِزّاً فِى حَقِّهِ»[۳۷۵].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۱

القسم الثانى: شر الناس

اشارة

«ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ!

فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِى هذِهِ».

الشرح والتفسير

أوضح الإمام عليه السلام جهراً فى ما مضى من كلام الخطبة بطلان عقيدة الخوارج فى تكفير المسلمين، وقد حدّثهم بمنتهى المرونة حسبما يقتضيه البحث المنطقى، أمّا فى هذا القسم (القسم الثانى) فقد عنّفهم فى الكلام ليحدّ من غرورهم ويعرضهم بمكانتهم بين المسلمين على أنّهم شر الناس وأغراض الشيطان الذى أضلهم وأوردهم الحيرة، وأفضل شاهد على ذلك أفكارهم الشيطانية وأعمالهم العدوانية ضد البشرية:

«ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ!».

حقّاً ليس هناك من فئة فى أوساط المسلمين شر من الخوارج، فهم مصداق الآية الشريفة:

«اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»[۳۷۶].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۲

وهم مصداق واضح للآية: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»[۳۷۷].

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى وهى أنّ الأفراط والتفريط شيمة الأفراد الجهال، فمنهم من ألّهنى ومنهم من كفّرنى، فقال عليه السلام:

«وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ».

فإن دفعكم جهلكم وجنايتكم لأن تعتبروننى كافراً، فانّ هناك من ذهب إلى عكس ذلك- وبدافع الجهل أيضاً- ليقولوا بالوهيتى، والفئتان ضالتان، والطريف فى الأمر إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أخبر الإمام عليه السلام منذ سنوات بهذا الإفراط والتفريط تجاهه، فقد روى ابن عبدالمالكى فى كتاب «الاستيعاب» أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خاطب علياً عليه السلام بالقول:

«لا يُحِبُّكَ إلّامُؤمِن ولا يُبغِضُكَ إلّا مُنافِق ... وَيَهْلَكُ فِيكَ رَجُلانِ مُحِبٌّ مُفرِطٌ وَكَذّابٌ مُفْتَرٍ .. وَتَفْتَرِقُ فِيكَ أُمَّتِى كَمَا افتَرَقَتْ بَنو إسرائيلَ فِى عِيسى [۳۷۸]

. (الحديث إشارة إلى أنّ طائفة من بنىغ اسرائيل آمنت واعتقدت بالوهيته وطائفة لم تؤمن ورأته ابن اللَّه والعياذ باللَّه).

وروى المرحوم السيد محسن الأمين فى «أعيان الشيعة» عن «مسند أحمد» و «صحيح الترمذى» و «الاستيعاب» لابن عبدالبر و «مستدرك الحاكم» أنّ المعروف بين الصحابة بغض على عليه السلام علامة النفاق والذى يميزه عن المؤمن الصادق.

ثم أضاف والثابت تاريخياً أنّ معاوية كان يسب علياً عليه السلام ويدعو الناس إلى سبّه (وعليه فمعاوية كان من المنافقين)[۳۷۹].

على كل حال فالجهّال دائماً على الإفراط والتفريط، الغلو أو العداوة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه وبالتأكيد على حفظ الاعتدال فقال:

«وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۳

فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال:

«أَلا إِنّ خَيرَ شِيعَتِى النَّمطُ[۳۸۰] الأوسطُ إِليهِم يَرجَعُ الغالِى وَبِهِم يَلحَقُ التّالِى»[۳۸۱].

ثم أصدر أمراً مهما كانت مخالفته السبب فى سقوط الخوارج فى وادى الضلال فقال:

«وَالْزَمُوا السَّوَادَ[۳۸۲] الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ».

كما بالغ فى هذا التأكيد ليقول:

«وَإِيَّاكُمْ

وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ[۳۸۳] مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ».

فالجماعة المؤمنة غالباً من تنطلق فى مسار الحق، فان ضلت طائفة منهم ذكّرتها طائفة أخرى وانقذتها من وادى الضلال، أمّا الأفراد الشاذّون والفئات الصغيرة والمعزولة عن المجتمع الإسلامى فهى عرضة لأنواع الأخطاء والانحرافات والشيطان غالباً من ما يشدد من وساوسه بينهم فهم لقمة سائغة للشيطان على غرار الشاذة من الغنم، فتكون لقمة سائغة للذئب، ثم أورد فى وصيّته فى الخصوص تقضى بقتل كل من رفع شعار لا حكم إلّاللَّهودعى إليه الناس وإن لاذ بالإمام عليه السلام واختفى تحت عمامته:

«أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِى هذِهِ».

وهكذا أصدر حكمه النهائى بشأن هذه الفئة الفاسدة والمفسدة والقاسية المتعطشة للدماء والذى لا يشكلون سوى الخطر الجدّى على

الإسلام والمسلمين، أمّا ما هو مراد الإمام عليه السلام من مفردة «الشعار» التى وردت فى العبارة المذكورة فقد اختلفت فيه أقوال شرّاح نهج البلاغة فقيل: المراد بالشعار التفرقة، قيل يعنى شعار الخوارج، وكان شعارهم أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديراً حوله كالإكليل ۳۸۴]، وقيل هو الشعار الذى يعدّ شعار الخوارج أينما حلّوا وقد إرتكبوا بواسطته ما لا يحصى من الفتن والمفاسد وأشعلوا بالنيران المجتمع

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۴

الإسلامى، والواقع قد مهدوا بهذا الشعار أسباب الفرقة، والقتال وسفك الدماء والفساد فى الأرض، ومن هنا فقد حكم بالإعدام على حملة هذا الشعار.

كما وردت عدّة تفاسير للعبارة:

«لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِى هذِهِ»،

أنسبها ما ذكرناه سابقاً، وهو وإن اعتصم هؤلاء الأفراد الفاسدين بى ولاذوا بدارى وكانوا تحت ثيابى.

تأمّلات

۱- الحذر من الإفراط والتفريط

من بين المسائل التى أكد عليها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة ضلالة وهلاك الفئة المفرطة والمفرطة، وقد ظهرت هاتان الفئتان بصورة جلية بشأن الإمام عليه السلام فى أوساط المجتمع الإسلامى، الفئة التى تصوّرت الإمام عليه السلام هو اللَّه والتى عاشت على عهده عليه السلام وقد تلقّت أشد العقاب من الإمام عليه السلام، والفئة الأخرى التى تراه- نعوذ باللَّه- كافراً، وقد عوقبت هذه الفئة أشدّ العقاب أيضاً، فالإفراط والتفريط مذموم فى كل شىء ومصدر البؤس والشقاء، ولا يقتصر ذلك على القضايا العقائدية، بل يتجاوزه ليشمل الحياة المتواضعة، وعادة ما يستند هذا الإفراط والتفريط إلى الجهل والعصبية، فهناك طائفة انحرفت عن الإسلام وشذت عن إتباع منهج أهل البيت عليهم السلام، فهبطت باللَّه إلى منزلة متسافلة لتراه كالجسمانيات فصوّرته كفتى أمرد وشعر مجعد وما إلى ذلك من صفات الأجسام، بينما رفعته فئة أخرى عن فكر البشر، لتقول باستحالة معرفة ذاته لدينا، وأبعد من ذلك بأننا لا نعلم شيئاً من صفاته، وبعبارة أخرى قال بتعطيل معرفة اللَّه، فئة سلكت طريق الإفراط فقالت: بالتفويض، وأخرى سلكت سبيل التفريط فقالت: بالجبر، أمّا أئمّة الهدى عليهم السلام فقد وصفوا أنفسهم بأنّهم «النمرقة الوسطى» أى الفئة المعتدلة البعيدة عن الإفراط والتفريط، والتى ينبغى أن يعود إليها المتطرفون ويلحق به المغالون:

«نَحنُ النُّمرَقَةُ الوُسطى بِها يَلْحَقُ التّالِى وَإلَيها يِرْجَعُ الغالِى»[۳۸۵].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۵

۲- يد اللَّه مع الجماعة

ورد التأكيد فى الخطبة المذكورة على مرافقة ومسايرة السواد الأعظم، أى جماعة المسلمين والابتعاد عن كافة أشكال العزلة والتفرد، فقال عليه السلام صراحة:

«يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»

، فالجماعة الإسلامية كانت قوية ومقتدرة ذات شوكة كما كانت متحدة ومتفقة، بينما عاشت الذل والهوان والضعف كلما سادها النفاق والشقاق، فمقاطعة الجماعة الإسلامية وبعبارة أخرى الانعزال الاجتماعى يشكل أحد الانحرافات والفكرية والعقائدية، والأفراد

الانعزاليون عادة كما يعيشون خيال العجب بالنفس فيظون أنّهم أفضل من غيرهم وعلى الآخرين أن يعظموهم، وحيث لا يرون ذلك فى الناس تشتعل فى قلوبهم نيران العداوة والبغضاء وسوء الظنّ، الأمر الذى يجعلهم يهمون أحياناً بالثأر وقتل الأبرياء والإساءة إلى المثل الاجتماعية، وأحياناً أخرى يدّعى النبوة أو الإمام أو نيابة الإمام لمهدى عليه السلام فيصبح مصدراً لكل شقاق وفرقة ونفاق، ومن هنا نقف على عمق عبارة الإمام فى قوله:

«فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ».

طبعاً المراد من مسايرة الجماعة بمعنى الأكثرية الموصوفة بالإيمان والقيم الأخلاقية والمبادىء الإنسانية، وإلّا فالإسلام لا يوصى بمسايرة الأكثرية الفاسدة، قال عليه السلام فى موضوع آخر:

«لا تَسْتَوحِشُوا فِى طرِيقِ الهُدىٰ لِقلَّةِ أَهلِهِ»[۳۸۶]

. واما الذمّ الذى أورده القرآن الكريم على لسان عدّة آيات بشأن الأكثرية إلّاكان المراد بها الأكثرية الفاسدة والمفسدة: «قُلْ لَايَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[۳۸۷].

۳- شرار الخلق

وصف الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة الخوارج بصفتها شرار الناس، فهذا الكلام ليس مبالغة، فالحق أنّ الخوارج شرّف فئة ظهرت فى أوساط المسلمين، ليس فقط لتكفيرهم أشرف مؤمن

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۶

بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أى على عليه السلام الذى سقى شجرة الإسلام بدمائه الزكية فاستقام عودها وكثفت أغصانها، وليس لحملهم سيوفهم على عواتقهم وسفكهم لدماء الأبرياء، بل لأنّهم أسسوا لأنفسهم بالتدريج مدرسة منحرفة من حيث العقائد، كما ابتعدت عن أحكام الإسلام والقرآن السنّة، ففى جانب عقائدهم وردت عدّة أبحاث فى كتب الملل والنحل تصوّر مدى اختلافها وتضاربها، ولعل ذلك بسبب اختلاف فروعهم، مع ذلك فقد ذكر المؤرخ المعروف المسعودى اشتراك الخوارج فى ما يلى:

۱- تكفير عثمان وعلى عليه السلام (والعياذ وباللَّه»

۲- وجوب القيام ضد الإمام الجائر.

۳- كفر من إرتكب الكبيرة (وجوب قتله).

۴- أنّهم بريئون من الحكمين (أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص).

۵- كفر معاوية وأبتاعه وأتباعه.

لكنّهم يختلفون فى بعض المسائل كالتوحيد والوعد والوعيد فى القيامة والإمامة[۳۸۸].

وعدّ البعض الآخر من جملة عقائدهم المشتركة وجوب انتخاب الامّة للخليفة سواء كان من قريش أم من غيرها، والأخرى قبولهم الخلفاء الأربعة (وإن عزلوا عثمان وعلى عليه السلام)، وكذلك شدّة مخالفتهم لكافة خلفاء بنى الامية وبنى العباس، خاصّة أنّهم يسبون بنى امية[۳۸۹].

وأمّا الأباضية الذين ينتشرون اليوم فى عمان ومراكش وليبيا والجزائر وتونس ومصر والذين يعدّون أحياناً من الخوارج، فهناك فارق كبير لعقائدهم مع عقائد الخوارج، وإن اشتركوا معهم فى مخالفة التحكيم فى صفين وعدم اشتراط وصف القريشى فى إمام المسلمين.

ولعل عقائد الأباضية تشبه كثيراً عقائد الشيعة مثل:

۱- صفات اللَّه ليست زائدة على ذاته.

۲- استحالة رؤية اللّه فى الآخرة.

۳- القرآن حادث لا قديم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۷

۴- مرتكب الكبيرة كافر بالنعمة لا كافر ملى (يعنى مثل هذا الفرد مسلم وليس خارجاً عن الإسلام).

۵- وجوب موالاة أولياء اللّه والبراءة من أعدائه.

وروى بعض أنّهم يقولون بوجوب حبّ الخليفة الأول والثانى وبغض عثمان وعلى عليه السلام إلّا أنّ الأباضية فى هذا الزمان ينكرون ذلك ۳۹۰].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۱۹

القسم الثالث: انحراف الحكمين

اشارة

«فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ. فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا. فَلَمْ آتِ- لَاأَبَالَكُمْ- بُجْراً، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَايَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا- فِى الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ- سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا».

الشرح والتفسير

عاد الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة والذى يمثل آخرها إلى الأدلة المنطقية ليكشف بالبراهين القاطعة خطأ الخوارج.

توضيح ذلك أنّ الخوارج حين رأوا النتيجة المريرة لقضية التحكيم التى خدع فيها الماكر عمرو بن العاص أبى موسى الأشعرى الساذج وقد حسم التحكيم لصالح معاوية، ارتفعت أصواتهم ليقولوا لم قبلنا التحكيم، ولماذا قبل على عليه السلام التحكيم، رغم أنّهم يعلمون:

أولًا: أنّ التحكيم فرض على على عليه السلام.

ثانياً: أنّ الإمام عليه السلام لم يكن راضياً بأبى موسى الأشعرى ممثلًا عنه فى التحكيم، بل كان رأيه أن يلعب ابن عباس ذلك الرجل العالم دور التحكيم، رغم ذلك أصر اولئك الجهال وفرضوا عليه أبى موسى الأشعرى، وقد خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة فى جواب

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۰

آخر على أن تحكيم الحكمين كان مشروطاً بأن يتمّ على ضوء القرآن لا على أساس الأهواء النفسية والعقد الشخصية، فلم يعملا بهذا الشرط وهذا ذنبهم لا ذنب الإمام عليه السلام فقال:

«فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ».

جدير بالذكر إنّه ورد نفس هذا المطلب الذى أشار إليه الإمام عليه السلام فى متن العهد الذى أشرنا إليه سابقاً: «

وإنَّ كِتابَ اللَّهِ سُبحانَهُ بَينَنا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلى خاتِمَتِهِ نُحيى مَا أَحيا القُرآنُ ونُمِيتُ مَا أَماتَ».

ثم أضاف قائلًا:

«وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ»

، ووضح هذه العبارة من خلال التأكيد على مضمونها بالقول:

«فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا».

فهذا الكلام منطقى يدركه من كان له أدنى فكر وشعور، لكن كأن الخوارج لم يتمتعوا حتى بهذه النعمة الإلهيّة، ثم بيّن الإمام عليه السلام هذا المطلب بتعبير أوضح بحيث يبدو وكأنّه اشتاط غضباً من جهلهم وكلامهم الذى يفتقر إلى المنطق فقال:

«فَلَمْ آتِ- لَاأَبَالَكُمْ- بُجْراً[۳۹۱]، وَلَا خَتَلْتُكُمْ ۳۹۲]

عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَايَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ»

، لكنّهم فقدوا عقلهم «إيمانهم» وتركوا الحق وهم يرونه بام أعينهم، كما كان الظلم والجور يدنهما وهواهما فاتخذوا سبيلًا وقد كنّا اشترطنا عليهما قبل أن يحكما بذلك الحكم الظالم أن يستندا إلى العدل ولا يهملا الحق:

«فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا- فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ[۳۹۳] لِلْحَقِّ- سُوءَ[۳۹۴] رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا».

فالواقع أنّ زبدة الكلام الإمام عليه السلام هى:

أولًا: إنّ انتخاب الحكمين كان على أساس ضغطكم وإصراركم على هذا الأمر، فان كان

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۱

خلافاً فهو خلاف منكم لا منّى.

وثانياً: إننا اشترطنا عليهم الحكم على ضوء الآيات القرآنية، لكنّهم آثروا هوى أنفسهم وانحرفوا عن السبيل البيّن الذى هديناهم إليه، وعليه فان كان هناك من خلاف فقد بدر منهما لا منّى ۳۹۵].

ولكن طبيعة الأفراد الجهّال والمتعصبين حين يرتكبون مخالفة ويبتلون بسوء عواقبها شرعان ما يغرونها إلى الآخرين ويحملونها مسؤولية أخطأهم وهذا أخس الأساليب، والحال يقتضى العقل والانصاف والإيمان الاعتراف بالذنب فى مثل هذه الموارد والاعتذار منها ومن ثم التفكير فى تداركها.

تأمّل

دروس التحكيم

كثير هو الكلام بشأن قضية التحكيم وهى تنطوى على الدورس والعبر التى نقلتها التواريخ والسير ومنها: أنّ عمرو بن العاص اشترط على معاوية إن انتصر فى معركته أن يسلمه حكومة مصر، وقد وفى له معاوية بهذا الشرط وقد قدّم أكثر رشوة لعمرو بن العاص، ولم تمض مدّة حتى كتب معاوية لعمرو بن العاص أن إعطنى خراج مصر لهذا العام فبيت المال لا يسدّ حاجات أهل الحجاز والعراق، فرفض عمرو ذلك من خلال شعر بعثه لمعاوية، فلم يعد معاوية للحديث عن خراج مصر- أمّا كتابه الذى ضمنه فهو:

مُعاوِى حَظّى لا تَغْفَلِوَعَنْ سُنَنَ الحَقِّ لاتَعدِلِ

أَتَنسَى مُخادَعَتِى الأشعَرِىوَمَا كَانَ فِى دَومَةَ الجَندَلِ![۳۹۶]

وَأَعلَيْتُهُ المِنبَرَ المُشَمَخِرَ كَرَجْعِ الحِسامِ إِلَى المَفصِلِ فَأَضحى لِصاحِبِهِ خالِعاًكَخَلْعِ النِّعالِ مِنَ الأَرجُلِ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۲

وَأَثبَتُها فِيكَ مَورُوثَةًثُبُوتَ الخَواتِمِ فِى الأَنمُلِ

وَهَبتَ لِغَيرِى وَزنَ الجِبالِوَأَعطَيتَنِى زِنَةَ الخَردَلِ

وَإِنَّ عَلَيّاً غَداً خَصمُناسَيَحْتَجُّ بِاللَّه وَالمُرسَلِ

وَمَا دَمُ عُثمانَ مُنْجٍ لَنافَلَيسَ عَنِ الحَقِّ مِنْ مَزْحَلِ ۳۹۷]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۳

الخطبة[۳۹۸] المأة والثامنة والعشرون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فِيما يُخْبِرُ به عن المَلاحم بالبصرة

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى عدّة امور:

۱- فتنة صاحب الزنج وهم جماعة من العبيد بزعامة فرد أسمى نفسه على بن محمد العلوى وقد قاموا فى زمان خلافة المهتدى العباسى، وقد سفكوا الكثير من الدماء.

۲- إشارة إلى فتنة أخرى فسّرها شرّاح نهج البلاغة بفتنة المغول والعجيب أنّه أشار إلى أغلب صفاتهم هنا وفى القسم السابق.

۳- بيان الإمام عليه السلام بشأن الغيب بعد أن سأله أحد الحاضرين إنّك تعلم الغيب فتخبر عن المستقبل، كما أشار إلى الفرق بين العلم الذاتى والعلم الإكتسابى، وهو فى الحقيقة تفسير للآيات القرآنية التى تنفى بعضها عن العباد علم الغيب بينما يثبته البعض الآخر.

أمّا المرحوم ابن ميثم فقد إختتم الخطبة فى شرحه لنهج البلاغة بهذه العبارة «وناظرها

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۴

بعينها» واعتبر بقية الخطبة، خطبة أخرى، وهذا ما نهجه أيضاً المرحوم الخوئى وابن أبى الحديد، فقد قسموا الخطبة إلى قسمين واعتبروا كل قسم خطبة منفصلة، بينما اعتبرهما المرحوم مغنية فى شرحه كصبحى الصالح خطبة واحدة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۵

القسم الأول: الفتنة المرعبة بالمرصاد

اشارة

«يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّى بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِى لَايَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلَاحَمْحَمَةُ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

(قَالَ الشَّرِيفُ: يُومئ بذلك إلى صاحب الزنج) ثمّ قال عليه السلام: وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِى لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لَايُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا».

الشرح والتفسير

خاطب الإمام عليه السلام بادىء الأمر الأحنف بن قيس ۳۹۹] وهو من أشراف قبيلته، فقال:

«يَا

أَحْنَفُ، كَأَنِّی بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِی لَايَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ ۴۰۰]، وَلَا قَعْقَعَةُ[۴۰۱] لُجُمٍ، وَلَاحَمْحَمَةُ[۴۰۲] خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ ۴۰۳]».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۶

والإمام عليه السلام لم يذكر إسماً لزعيم الجيش، إلّاأن القرائن الواردة فی هذه العبارات وما بعدها تشير إلى أنّ المراد به صاحب الزنج الذی قام فی البصرة عام ۲۵۵ ه ق وجمع حوله العبيد وقد خلق هناك فتنة عظيمة سنعرض لتفاصيلها فی البحث القادم إن شاء اللّه.

والعبارة:

«لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ»

والعبارات القادمة تدلّ صراحة على أنّ جيش صاحب الزنج كان من المشاة، حيث لم يكن لهم من خيول ليركبوها، طائفة من العراة المستضعفين الذين ساءت أحوالهم فقاموا على الأسياد فارتكبوا الجرائم الفضيعة، والعبارة يثيرون الأرض بأقدامهم تدلّ على أنّهم كانوا حفاة وقد اتسعت أرجلهم بسبب المشی حفاة طيلة أعمارهم لتصبح كرجل الناقة، مع ذلك كانوا مخفين فی السير والحركة، وحين وصل هنا المرحوم السيد الرضی رضی الله عنه قال:

(قَالَ الشَّرِيفُ: يُومئ بذلك إلى صاحب الزنج).

ثم قال عليه السلام:

«وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِی لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ لَايُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ».

والذی يستفاد من هذه العبارة أنّ البصرة كانت عامرة (وإن عاش العبيد منتهى الشقاء والعسر) فقد كانت بيوتهم كالقصور مزودة بالشرفات والظلال الجميلة وخراطيم المياه التی تزيدها روعة وجمالًا، وكما سيأتی فانّ كل ذلك قد تحطم إثر قيام صاحب الزنج وقد ضرّج أصحاب القصور بدمائهم، والعبارة

«لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ».

تشير إلى أنّ العبيد لم يكونوا ذوی زوجات وأولاد، بل كانوا عزّاباً فلا نادبة لهم من الأقرباء ليبحثوا عنهم ويتفقدونهم ويبكون عليهم، وهذه هی صفات العبيد فی ذلك الزمان حيث كانوا يجلبون إلى البلاد الإسلامية وغير الإسلامية بالقهر والغلبة من البلدان البعيدة خاصّة أفريقيا، وخلافاً للتعاليم الإسلامية فقد كانوا يعاملون كالحيوانات، فكان قيام صالحب الزنج ردّ فعل تجاه المعاملة غير الإسلامية والإنسانية، ثم قال آخر كلامه:

«أَنَا كَابُ ۴۰۴]

الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا».

فهذه العبارات الثلاث إشارة إلى تفاهة متاع الدنيا لدى الإمام عليه السلام وكأنّ الدنيا موجود

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۷

حی شرير لا قيمة له وقد كبّه الإمام عليه السلام على وجهه وهو ينظر إليه بحقارة، وتشبه هذه العبارة ما ورد عن الإمام عليه السلام فی قصار كلماته حيث قال:

«يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّی أَبِی تَعَرَّضتِ؟ أَمْ إِلَیَّ تَشَوَّقْتِ؟ لَاحَانَ حِينُكِ، هَيْهَاتَ! غُرِّی غَيْرِی، لَا حَاجَةَ لی فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا![۴۰۵].

ولعل شقاء أهل الدنيا المتكالبين عليها إنّما يعود إلى تقييمهم الباطل للدنيا فهم يرونها بعين أخرى فيعظمونها ويركعون لها ويضحون

بالغالى والنفيس من أجلها، أمّا ما هو الإرتباط بين هذه العبارة والعبارات السابقة بشأن أخطار صاحب الزنج، فيبدو أنّ شرّاح نهج البلاغة لم يخوضوا فى توضيح هذا الأمر، وربّما كان الإرتباط من خلال ذلك الظرف العصيب الذى أصاب أهل البصرة بسبب حبّ الدنيا، فقد شيّدوا القصور واهتموا بالدور وعاشوا الاسراف والتبذير فى حياتهم، فى حين عانى غالبية العبيد فى مدنهم ومزارعهم الأمرّين فسامهم الزنوج أنواع العذاب.

تأمّل: قيام صاحب الزنج

ظهر فى البصرة عام ۲۵۵ ه ق على عهد الخليفة العباسى المهتدى رجل زعم أنّه على بن محمد ونسب نفسه إلى الإمام زين العابدين وزيد بن على عليهما السلام وقد دعى العبيد للقيام ضد مالكيهم ولبّوا دعوته مسرعين بسبب صعوبة معيشتهم فى الدور والمزارع فى خدمة السلاطين فاجتمع له مائة نفر وألف نفر، وقد وعدهم بعتقهم وتسليمهم أموال مالكيهم ومزارعهم، وكانت الطبقية شديدة فى ذلك الزمان، فالبعض مرفه فى القصور كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على عليه السلام فى هذه الخطبة، والبعض الآخر يعيش الحياة الصعبة، لذلك إلتحق به جماعة من غير العبيد أيضاً، فاجتمع له جيش عظيم، لقد أشعل فى قلوب العبيد والمحرومين نار

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۸

الإنتقام حتى أمر غلمانه بعد غلبته للأثرياء بأن يضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة وسبى نسائهم وكان يبيع كل واحدة منهن بدرهمين أو ثلاث وملكهن العبيد.

قال المؤرخ المشهور المسعودى فى «مروج الذهب» أنّ صاحب الزنج قتل النساء والأطفال والشيخ الفانى والمريض وكان يحرق أموالهم وأدواتهم ويخرب بيوتهم، وقد قتل فى البصرة ثلاثمائة ألف، ومن فرّ إلى الصحراء ونجى من القتل كان يأكل الكلاب والقطط والفئران، وأحياناً يأكلون الأموات، إستولى على قسم عظيم من العراق وإيران ودام حكمه مدّة تزيد على أربع عشرة سنة (وهذا يدلّ على أنّ حركته لم تكن عابرة بل كانت متجذرة فى أعماق ذلك المجتمع).

وقد أو شك صاحب الزنج أن يسقط الدولة العباسية، فهب له أبو أحمد الملقب بالموفق وهو أخو الخليفة العباسى فقاتله بجيش كبير حتى تمكن من قتله فى شهر صفر عام ۲۷۰ ه وفرق جيشه بعد معركة دموية طويلة، لقد ألفت عدّة كتب بشأن قيام صاحب الزنج فهو ليس بالأمر الهيّن الذى يمكن المرور عليه بسهولة، وذلك لأنّ جمع جيش يقارب عدده ثمانمائة ألف أو ثلاثمائة ألف آنذاك ليست بالشىء البسط وكذلك تلك المدّة من الحكم والتى تعتبر طويلة نسبياً، وكل ذلك يشير إلى رسوخ ذلك القيام بفعل الاضطراب وغياب العدل والذى ساد آنذاك، وإن قاد هذا القيام إلى الكثير من المظالم والجنايات.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى بعض الامور:

۱- شبّه بعض الكتّاب قيام صاحب الزنج بثورة العبيد التى حدثت فى ايطاليا عام ۷۳ قبل الميلاد بزعامة اسبارتكوس الذى جمع حول فئة عظيمة من العبيد وقد قاتل الأثرياء والمرفهين وأحرز عدّة انتصارات حتى قتل عام ۷۱ قبل الميلاد مع أربعين ألف من العبيد، لكن يبدو أنّ هناك بوناً شاسعاً بين قيامه وقيام صاحب الزنج، فقيام صاحب الزنج كان أوسع وأشمل وقد تمكن من تشكيل الحكومة آخر الأمر والتى حكمت قسماً كبيراً من العراق وايران لمدّة أربع عشرة سنة، على كل حال فهو رجل دموى ومجرم رغم إمتلاكه للحجج التى تبدو منطقية نسبياً من أجل قيامه وثروته.

۲- كما ذكرنا سابقاً فانّ صاحب الزنج أسمى نفسه على بن محمد ومن نسل الإمام السجاد عليه السلام، وتلقب بالعلوى، إلّاأنّ ذلك لا حقيقة له، ولم يكن هدفه سوى شرعية حركته

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۲۹

والاستفادة من مكانة آل بيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام، ولذلك ورد عن الإمام الحسن العسكرى أنّ

قال:

«صاحِبَ الزِّنجِ لَیسَ مِنّا أَهلَ البَیتِ»[۴۰۶]

، وکما أوردنا فانّ قیام صاحب الزنج کان أواخر عمر الإمام الحسن العسکری علیه السلام وتزامناً مع الولادة المبارکة لإمام العصر والزمان المهدی علیه السلام.

۳- کان ظاهر قیام صاحب الزنج وفتنته الدفاع عن العبید والمحرومین، لکنّه انحرف عن هذا الهدف وتسبب فی دمار عظیم وسفک للدماء، حتی قال المسعودی فی «مروج الذهب»[۴۰۷] أنّه قتل خمسمائة ألف من النساء والأطفال والشیوخ وهذا أقل عدد لقتلاه، وقال بعض المؤرخین أنّه دخل البصرة بعد عامین فأحرق مسجدها الجامع وکثیر من البیوت، وأحرق حتی المواشی وجرت الدماء فی أزقة البصرة[۴۰۸].

۴- رغم کل نقاط الضعف فی صاحب الزنج فقد کانت فیه بعض الجوانب الإیجابیة ومنها خطه الجمیل وضلوعه بعلم النحو النجوم وقد نقلت عنه بعض الأشعار التی تدلّ علی ذوقه الشعری ومن أشعاره:

لَهْفَ نَفسِی عَلَی قُصُورٍ ببغدادَ وَمَا قَدْ حَوَتْهُ مُلُّ عاصٍ

وَخُمُورٍ هُناکَ تُشرَبُ جهراًوَرجَالٍ عَلَی المَعاصِی حِراصِ

لَستُ بِابنِ الفَواطِمِ الغُرِّ إنْ لَمأَجُلِ الخَیلَ حَوْلَ تِلکَ العِراصِ

رَأَیتُ المُقامَ عَلَی الإقتِصادِقَنُوعاً بِهِ ذِلَّةً فِی العِبادِ[۴۰۹]

ومن الشعر المنسوب إلیه:

وَإنّا لَتُصبِحُ أسیافَناإذا مَا انْتَضَینَ لِیوم سُفُوکِ

مَنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَکُفِوَأَغمَادهُنَّ رؤوسِ المُلُوکِ ۴۱۰]

فهذان البیتان یکشفان بوضوح عن روحیته وأهدافه.

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۲۳۱

القسم الثانی: نبوءة أخری

اشارة

منه فی وصف الاتراک

«کَأَنّی أَرَاهُمْ قَوْماً «کَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الَمجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ»، یَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّیبَاجَ، وَیَعْتَقِبُونَ الْخَیْلَ الْعِتَاقَ.

وَیَکُونُ هُنَاکَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّی یَمْشِیَ الَمجْرُوحُ عَلَی الْمَقْتُولِ، وَیَکُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ!».

الشرح والتفسیر

خاض الإمام علیه السلام فی هذا القسم من الخطبة فی نبوءة عجیبة أخری طبقها المرحوم السید الرضی وتقریباً کافة شرّاح نهج البلاغة علی المغول وحملاتهم الوحشیة الهدّامة، ومن هنا قال المرحوم السید الرضی: القسم الآخر من الخطبة فی وصف الأتراک (المغول).

فقد قال الإمام علیه السلام:

«کَأَنّی أَرَاهُمْ قَوْماً «کَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الَمجَانُ ۴۱۱] الْمُطَرَّقَةُ[۴۱۲]».

وردت المفردة «كأنّى» فى عدّة موارد من نبوءات أميرالمؤمنين على عليه السلام، والمفردة أراهم إشارة إلى الشهود الباطنى والبصيرة التى كانت ترى الحوادث المستقبلية عبر القرون فيخبر عنها بصورة دقيقة، وتشبيه وجوههم بالدروع لأنّ وجوههم كانت عريضة وكبيرة ووصفها

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۲

بالمطرقة يمكن أن يكون إشارة أنّ أغلب وجوههم كانت تشبه بالضبط موضع المطرقة على صفيحة الترس، ثم قال عليه السلام:

«يَلْبَسُونَ السَّرَقَ ۴۱۳] وَالدِّيبَاجَ ۴۱۴]، وَيَعْتَقِبُونَ ۴۱۵] الْخَيْلَ الْعِتَاقَ ۴۱۶]».

فالعبارة تفيد أنّ هؤلاء وإن كانوا فقراء وجوعى أول أمرهم يرتدون الثياب الخشنة، إلّا أنّهم حين يستولون على البلدان الغنية ويسيطرون على أموالهم وثرواتهم يتجهون صوب الثياب الفاخرة والخيول النفيسة، ويحتمل أن يكون المراد أنّ لهم رغبة شديدة فى القتال، ومن المعروف أن لبس الحرير يمنح الإنسان قوة القلب ويجعله أكثر مقاومة للسيف، كما للخيول الخفيفة دور مهم فى ميدان القتال، وهذا ما يجعلهم يتجهون إلى هذه الأمور.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى أعمالهم وأشار بعبارات قصيرة إلى أبعاد ما يرتكبونه من فاجعة فقال:

«وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ[۴۱۷] قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ

الْمُفْلِتُ ۴۱۸] أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ[۴۱۹]!».

فالعبارتان تشيران إلى مدى سعة أبعاد الفاجعة، حيث لا يبقى فى الأرض مكان يسمح لعبور الجرحى، لابدّ من وضع أقدامهم على أجساد القتلى، ومن لم يقتل يؤسر، وقليل هم الناجون، وإنّ أدنى مطالعة فى تاريخ المغول تفيد انطباق جميع هذه الأوصاف عليهم، قال ابن أبى الحديد: واعلم إنّ هذا الغيب الذى أخبر به على عليه السلام قد رأيناه نحن عياناً ووقع فى زماننا فقد فعل هؤلاء القوم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق اللّه تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله ۴۲۰].

وهنا يبرز هذا السؤال: ماذا كان قصد الإمام عليه السلام بالإخبار عن فتنة صاحب الزنج التى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۳

وقعت بعد مئتى سنة وفتنة المغول التى وقعت بعد ستمائة سنة؟ ربّما أراد الإمام عليه السلام أن يذكّرهم بأنّ أعمالكم الطالحة هذه والتى تأتون بها فى هذا العصر وقد وليتم ظهوركم للحق وأقبلتم على الباطل وضربتم أحكام الإسلام ووقعتم أسرى هوى أنفسكم، فانّ تواصلت هذه الأعمال فى أجيالكم القادمة ستشهدون عواقب وخيمة وسيطالكم العقاب الإلهى، كما يحتمل أن يكون الإمام عليه السلام أراد تحذيرهم من البلاء العظيم الذى ينتظرهم، عليكم أن تتحدوا وتركزوا قوتكم لتتمكنوا من التقليل من آثاره المخربة.

فتنة المغول

المغول فرع من الترك الذين عاشوا فى آسيا المركزية والشرقية فى حدود الصين وهم طوائف مختلفة، طائفة منهم التاتار، وكانوا يأتمرون عادة بأوامر سلاطين الصين، وكان والد جنكيز أول من نهض من هذه الطائفة وإدّعى الاستقلال، وحين خلف جنكيز أباه ۶۰۰ ه سعى للسيطرة على الأقوام المختلفة لتلك المنطقة حيث أراد الرئاسة العامّة لنفسه واستولى على قسم واسع من الصين وسيطر على عاصمتها بكين.

أمّا السلطان محمود خوارزم شاه الذى كان يحكم أكثر الشرط الأوسط وآسيا المركزية، فقد عقد الهدنة بادىء الأمر مع جنكيز، ولكن لم تمض مدّة حتى نشبت بينهما عداوة فقتل رسل جنكيز، فما كان من جنكيز وبدافع الانتقام إلّاأن هجم على ايران وسائر المناطق الخاضعة لنفوذ خوارزمشاه.

أمّا ابن أبى الحديد الذى عاش فى ذلك الزمان وقد شهد تلك الأحداث حسب قوله كما سمع بعضها الآخر، فقد أفرد ۲۵ صفحة فى

شرحه لنهج البلاغة وتطرق فيها بالتفصيل إلى حملة المغول على المناطق الإسلامية وقال: واعلم أنّ هذا الغيب الذى أخبر به الإمام عليه السلام قد رأيناه نحن عياناً، ووقع فى زماننا، وإليك الآن جانب ممّا أورده ابن أبى الحديد بهذا الشأن:

هم التاتار الذين خرجوا من أقاصى المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام، وقد فعلوا بالقوقاز وبلاد ما رواء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد ما لم تحتو التواريخ منذ خلق اللَّه تعالى آدم عليه السلام إلى عصرنا هذا على مثله، رئيسهم هو جنكيز الذى كان شجاعاً عاقلًا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۴

موفقاً منصوراً فى الحرب، كما كان عسكره من الأفراد الشجعان وكانوا يعيشون بصورة شبه وحشية وأنّهم من أصبر الناس على القتال، لا- يعرفون الفرار ويعلمون ما يحتاجون إلى من السلاح بأيديهم، وأنّ خيلهم لا- تحتاج إلى الشعير، بل تأكل نبات الأرض وعروق المراعى، وأنّ عندهم من الخيل والبقر ما لا يحصى، وأنّهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير وهم أصبر خلق اللَّه سبحانه على الجوع والعطش والشقاء، وثيابهم أخشن الثياب مسّاً، ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب والميتة، وأنّهم أشبه شىء بالوحش والسباع، كانوا يقتلون كل من يرونه من الرجال ويغنمون الأموال ويحرقون المدن ويسبون النساء الأطفال، لقد دخلوا من شرق ايران وأشاعوا الخوف والرعب بحيث لم يفكر أحد فى مواجهتهم، ومن قاومهم استسلم أخيراً لهم، وأحياناً كانت تفتح لهم أبواب المدن بعد أن يعطيهم التاتار الأمان حين يطلبونه، ولكنّهم كانوا ينقضون عهدهم ويقتلون أهالى المدن ويسبون النساء والأطفال ويعذبون الناس بأنواع العذاب فى طلب المال .. ومن العجيب فى هذ الأحداث أنّهم وصلوا إلى إصفهان بعد أن سيطروا على المدن الإيرانية، فحصلت بين الفريقين مقتلة عظيمة، ولم يبلغوا منها غرضاً حتى اختلف أهل إصفهان فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وهم طائفتان: حنفية وشافعية، وبينهم حروب متصلة وعصبية ظاهرة، فخرج قوم من أصحاب الشافعى إلى ما يجاروهم ويتاخمهم من ممالك التتار، فقالوا لهم: اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، وفتحت أبواب المدينة فلما دخلوا البلد بدؤا بالشافعية فقتلوهم قتلًا ذريعاً، ولم يقفوا مع العهد الذى عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائرالناس وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء، ثم أضرموا النار، فأحرقوا إصفهان حتى صارت تلولًا من الرماد.

ثم ساروا إلى بلاد العرب فهجموا على بغداد فتصدى لهم عسكر بغداد وثبت أحسن ثبوت ورشقوهم بالسهام، وبعد مدّة توفى جنكيز وخلفه حفيده هولاكو الذى تمكن من السيطرة على بغداد بعد أن قتل آخر خلفاء العباسيين المستعصم باللَّه وقد أنهى حكومتهم بذلك.

وبقى المغول فى إيران والبلدان الإسلامية وقد فقدوا ما طبعوا عليه من وحشية بالتدريج وتأثروا بالثقافة الإسلاميه، وأسلم هولاكو حتى تشيع السلطان محمد خدابنده أحد سلاطين المغول ۴۲۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۵

القسم الثالث: الغيب للَّه‌ولكن ...

اشارة

«فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ! فَضَحِكَ عليه السلام، وَقَالَ لِلرَّجُلِ، وَكَانَ كَلْبِيّاً: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِى عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرضٍ تَمُوتُ ...) الْآيَةَ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِى الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِىٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِىٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِى النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِى الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً.

فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِی لَایَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَی ذٰلِکَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِیَّهُ فَعَلَّمَنِیهِ، وَدَعَا لِی بِأَنْ یَعِیَهُ صَدْرِی، وَتَضْطَمَّ عَلَیْهِ جَوَانِحِی».

الشرح والتفسير

حين خاض الإمام عليه السلام فى تلك الحادثتين المهمتين (قيام صاحب الزنج وفتنة المغول) وذكر خصوصياتهما

«فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِیتَ یَا أَمِیرَالْمُؤْمِنِینَ عِلْمَ الْغَیْبِ!».

فالعبارة وإن كانت على سبيل الإخبار، لكنّها فى الواقع استفهامية، لأنّه سمع أن علم الغيب مختص باللّه سبحانه، ولذلك طلب توضيح الإمام عليه السلام:

«فَضَحِکَ علیه السلام، وَقَالَ لِلرَّجُلِ، وَکَانَ کَلْبِیّاً: یَا أَخَا کَلْبٍ، لَیْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَیْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِی عِلْمٍ».

قطعاً أنّ ضحك الإمام عليه السلام لم يكن بدافع السخرية ولم يفرزه الغرور، بل كان ضحك الفرح

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۶

والسرور، ولعل مرد ذلك إلى حسن الأمر فى طرح ذلك السؤال من الرجل الكلبى ليكشف الإمام عليه السلام عن كنه ذلك الموضوع أمام الجميع .. أو أنّ ضحكه كان من تعجبه فى أنّه لا ينبغى أن يكون مثل هذا الأمر بخفى على أحد، على كل حال فانّ عبارة الإمام عليه السلام تشير إلى حقيقة فى أنّ ذلك العلم مختص باللّه وهو علم ذاتى، والعلم الممكن لما سوى اللّه، فهو العلم الحاصل من التعلم والذى له بُعد إكتسابى، يعنى يتعلّمه الإمام عليه السلام من النّبى صلى الله عليه و آله والنّبى عن طريق الوحى الإلهى (سيأتى شرح هذا المطلب).

ثم قال الإمام عليه السلام:

«وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَیْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَیُنَزِّلُ الْغَیْثَ، وَیَعْلَمُ مَا فِی الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِی نَفْسٌ مَاذَا تَکْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ...»[۴۲۲]».

ثم أوضح معنى ذلك قائلًا:

«فَیَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِی الْأَرْحَامِ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثَی وَقَبِیحٍ أَوْ جَمِیلٍ، وَسَخِیٍّ أَوْ بَخِیلٍ، وَشَقِیٍّ أَوْ سَعِیدٍ، وَمَنْ یَکُونُ فِی النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِی الْجِنَانِ لِلنَّبِیِّینَ مُرَافِقاً».

فخلص عليه السلام إلى نتيجة نهائية مؤدّاها:

«فَهَذَا عِلْمُ الْغَیْبِ الَّذِی لَایَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَی ذٰلِکَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِیَّهُ فَعَلَّمَنِیهِ، وَدَعَا لِی بِأَنْ یَعِیَهُ ۴۲۳] صَدْرِی، وَتَضْطَمَ ۴۲۴] عَلَیْهِ

جَوَانِحِی ۴۲۵]».

فالذى يستفاد من مجموع هذه العبارات:

أولًا: أنّ علم الغيب علم ذاتى مختص باللّه سبحانه وتعالى، لكن العلم الإكتسابى والإعطائى لا يسمى بعلم الغيب، بل هو ذ لك العلم الذى علّمه اللّه سبحانه نبيّه وعلّمه النبى من يراه مستعداً لذلك العلم.

ثانياً: لهذه العلوم التعليمية استثناءات وردت خمسة منها فى الآية الشريفة الأخيرة من

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۷

سورة لقمان، وهذه مصاديق علم الغيب التى لم يعلّمها اللّه سبحانه أحداً من الخلق.

وهنا لابدّ من طرح هذه الأسئلة

۱- كيف يستفاد من الآية الشريفة أنّ هذه العلوم الخمسة مختصة باللّه سبحانه؟

۲- كيف تختص هذه العلوم باللّه والحال أخبر النبى صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام أحياناً عن نزول الأمطار والأطفال فى الأرحام أو الزمان والمكان الذى يتوفون فيه، بل أحياناً أخرى كانوا يخبرون عن العلوم المعاصرة فمثلًا متى وأين سينزل المطر، وذلك الجنين ولد أم بنت؟

۳- ما الفارق بين هذه العلوم الخمسة وسائر الأمور الخفية التى لا يعلمها غير اللّه سبحانه؟

ويقال فى الإجابة على السؤال الأول:

العبارة الاولى بشأن القيامة قد بيّنت بوضوح إختصاص علمها باللّه سبحانه، وتقديم عنده على علم الساعة دلالة على الحصر، يعنى العلم بالقيامة مختص فقط بالذات اللّه المقدس، كما تدلّ العبارة والرابعة والخامسة على الحصر أيضاً حيث قالت:

«وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرضٍ تَمُوتُ ...».

وبناءاً على ما تقدم فانّ المورد الثانى والثالث بمقتضى وحدة السياق جزء من العلوم المختصة باللّه سبحانه، والروايات المتعددة الواردة عن أئمة العصمة عليهم السلام فى تفسير الآية شاهد أخر على هذا المعنى ۴۲۶].

ويقال فى الردّ على السؤال الثانى:

أنّ الالتفات إلى هذه النقطة ضرورة، وهى أنّ العلم بهذه الأمور الخمسة بصورة تفصيلية مختص باللّه سبحانه، وإن أمكن حصول العلم الإجمالى للمعصومين أو بعض أولياء اللّه سبحانه، مثلًا يمكن أن يعلم المعصوم أنّ المطر ينزل غداً، أو الشخص الفلانى يموت فى الأرض الفلانية، أما العلم بجزئيات هذا الأمر من قبيل العلم بلحظة الشروع وحبات المطر التى تنزل فى المكان، وكذلك العلم بلحظة الموت والبقعة التى يموت فيها والحالات الناشئة من سكرات الموت وما إلى ذلك فى أمور فهو مختص بالذات الإلهيّة المقدّسة،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۸

والشاهد على ذلك ما أورده الإمام عليه السلام بشأن الجنين فى رحم امّه فقال:

«فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِى الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِىٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِىٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِى النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِى الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً»

، وسائر الأمور التى يقتصر علمها على اللّه تبارك وتعالى، وبناءاً هلى هذا فما يعلمه الناس من حالات فى بعض الأدوار الجنينية من خلال تعلم الغيب أو المختبرات المتداولة فى الوقت المعاصر، فهو من قبيل العلم الجزئى، والحال يختص العلم الكلى باللّه سبحانه.

وأمّا الإجابة على السؤال الثالث:

فلابدّ من الإذعان بأننا لا نرى من فارق بين الموارد الأربعة الأخرى غير القيامة وسائر الأمور الخفية، سوى أنّ الآية المذكورة وروايات المعصومين عليهم السلام تفرّق هذه الأمور مع سائر الأمور الخفية وتقول بأنّ العلم التفصيلى فيها مختص بالذات الإلهيّة، ولكن فى الموارد الأخرى كالذى ورد فى هذه الخطبة بشأن فتنة صاحب الزنج وحملة المغول، فممكن أن يزود اللّه بعض الخواص من عباده بعلمها الإجمالى والتفصيلى، وعلى كل حال فاننا تبع للنصوص القرآنية وروايات المعصومين المعتبرة.

علم الغيب فى الآيات والروايات

اختلف العلماء فى قضية علم الغيب وهل هناك من يعلم الغيب سوى اللّه سبحانه أم لا؟

ويبدو اختلافهم يعود إلى اختلاف ظواهر آيات القرآن والروايات الإسلامية، فبعض الآيات القرآنية صرّحت علانية قائلة أنّ علم الغيب مختص باللّه تبارك وتعالى، مثل الآية ۶۵ من سورة النمل: «قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ...».

وصرحت فى الآية ۵۹ من سورة الأنعام قائلة: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...»، فى حين يستفاد من البعض الآخر من الآيات أنّ

جانباً من علم الغيب على الأقل قد زود به بعض أولياء اللّه تعالى، كما فى الآية ۴۹ من وسورة آل عمران بشأن السيد المسيح عليه السلام:

«وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ...»، والآية ۲۶ و ۲۷ من سورة الجن: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ...».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۳۹

ونرى نفس هذا التفاوت فى الروايات، فمثلًا جاء فى الحديث أنّ الإمام الصادق عليه السلام ورد مجلساً غاضباً وكان فيه أبو بصير وبعض أصحابه، فلما جلس قال:

«يَا عَجَباً لأقوامٍ يَزْعَمُونَ أَنَّا نَعلَمُ الغَيبَ مَا يَعْلَمُ الغَيبَ إِلّا اللّهُ عزَّ وَجَلَّ»[۴۲۷].

بينما يستفاد من عدّة روايات علم الأئمّة المعصومين عليهم السلام بأغلب الأمور الخفية كالذى ورد فى هذه الخطبة بشأن فتنة صاحب الزنج والمغول، أو سائر خطب نهج البلاغة بخصوص الأمور المستقبلية، وممّا لا شك فيه أنّه ليس هناك من تضارب بين الآيات المذكورة وأمثالها ولا بين الروايات السابقة (والروايات الأخرى التى وردت بهذا المضمون) وقد ذكر المحققون عدّة آراء من أجل الجمع بين هذه الآيات والروايات، منها:

۱- المراد بعلم الغيب الذى اختصته الآيات والروايات باللّه تبارك وتعالى هو العلم الذاتى، وما يعلمه الأنبياء والأولياء هو العلم التعليمى من جانب اللّه سبحانه (وهو ما ورد فى كلام الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة).

۲- أسرار الغيب على قسمين: قسم يختص باللّه تعالى ولا يعلمه أحد إلّاهو كزمان الساعة والأمور الأخرى التى وردت فى الآية ۲۴ من سورة لقمان، وقد أشارت الخطبة إلى هذا الوجه فى الجمع وقد تقدم شرح ذلك.

۳- علم اللّه سبحانه بأسرار الغيب بالفعل يعنى يعلم كل شىء فى كل زمان، أمّا علم أولياء اللّه سبحانه، فليس بفعلى بل حينى، أى إن أرادوا أن يعلموا شيئاً وتتحقق هذه الإرادة باذن اللّه تعالى ورضاه، ومن هنا نقرأ فى سورة يوسف أنّ يعقوب لم يكن يعلم مصير ولده فى صحراء كنعان، والحال علم بعد سنوات بمصيره فى مصر، فقد وجد ريح يوسف من مصر بينما لم يجده فى بئر كنعانه، فلم يكن مأذوناً فى المورد الأول لأن يريد فيعلم، بينما أذن له فى المورد الثانى.

۴- الطريق الآخر للجمع بين الآيات والروايات المختلفة فى أنّ أسرار الغيب مثبتة فى موضعين، اللوح المحفوظ والذى لا يحدث فيه أدنى تغيير ولا يعلمه إلّاتعالى، واللوح المحو والإثبات وهو فى الواقع علم بالمقتضيات لا علم بالعلة التامة، ومن هنا فهو قابل للتغيير، وما

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۰

يعلمه أولياء اللّه إنّما يرتبط بهذا القسم.

ومن أراد المزيد من الشرح لكل من الطرق الأربعة المذكورة، فليراجع المجلد ۱۹، من تفسير الأمثل فى تفسير سورة الجن.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۱

الخطبة[۴۲۸] المأة والتاسعة والعشرون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

فى ذكر المكاييل والموازين ۴۲۹]

نظرة إلى الخطبة

خاض الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بوعظ المسلمين فأورد عدّة نصائح شافية وكافية، الأولى وتحدث فيها عن قصر عمر الدنيا وأنّ الناس فيها كالضيوف وستنتهى بسرعة هذه الضيافة، بينما تبقى تبعات أعمال الإنسان حين الحساب والجزاء، ثم تحدث فى الثانية عن سعة الفساد فى ذلك العصر شاكياً منه، وأشار فى الثالثة إلى الأخيار والصلحاء والاتقياء والسمحاء ليحذر من خلال المقارنة بضرورة إصلاح النفس وإجتثاث الفساد من المجتمع وأخيراً إختتم الخطبة بذم المرائين الذين يأمرون بالمعروف وليسوا من أهله، وينهون عن المنكر ولا ينتهون عنه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۳

القسم الأول: التحذير من الفساد الاجتماعى

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ- وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هذِهِ الدُّنيَا- أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ: أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ. فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ. وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِى زَمَنٍ لَايَزْدَادُ الخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِى هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً. فَهذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ

[[تنظر]]

إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً!».

الشرح والتفسير

كما ورد فى سند الخطبة وخلافاً لما جاء فى عنوان هذه الخطبة فاننا لا نشاهد فى متنها ما يشير إلى رعاية العدل فى الكيل والوزن، ولعل ذلك يعود إلى أحد سببين: إمّا أنّ المرحوم السيد الرضى رضى الله عنه قد حذف بعض جوانب الخطبة المتعلقة بالكيل والوزن حسب طريقته فى اختيار الأفصح، أو ليس هنالك من حذف فى الخطبة إلّاأنّ الإمام عليه السلام خطب بهذه الخطبة فى ظروف حين اتسع الفساد فى الكيل والوزن والتطفيف فى البيع وظلم الناس وساد ذلك فى المجتمع، وبالنظر إلى ذلك أورد الإمام عليه السلام هذه الخطبة ليحذر المردة، بعبارة أخرى فانّ شأن وورد الخطبة قضية الكيل والميزان وإن لم يذكر ذلك صريحاً فى متنها، إلّاأنّه ذكر من خلال الدلالة الالتزامية، على كل حال خاطب الإمام عليه السلام عامة الناس وقد حذرهم من تقلب الدنيا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۴

وفساد المجتمع فقال:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ- وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هذِهِ الدُّنيَا- أَثْوِيَاءُ[۴۳۰] مُؤَجَّلُونَ،

وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ: أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ».

فقد شبّه الإمام عليه السلام وضع أهل الدنيا بهذه العبارة بالضيوف الذين دعوا لمدّة معينة فى ضيافة، وبالأفراد المدينين الذين لا يتركهم دائنوهم، فمن الطبيعى ألا يرى الضيف دار المضيف محطته الأبدية، فهم لا يتعلق بها أبداً ولا يثق بها ولا يحرص عليها، وليس الشخص المدين الذى يتابع دائماً من قِبل الدائن من سبيل سوى منحه كل ما يجد بالتدريج، أملًا بأن يأتى اليوم الذى يكون قد سدد فيه كل دينه، كأنّ العمر الذى منحنا اللَّه تعالى من ديوننا التى تؤخذ منّا كل لحظة، والمشكلة المهمّة أنّ إلى جانب ذلك العمر المتقلب والذى ينقضى بسرعة أعمالنا التى نقوم بها والتى تحفظ ويجب علينا تحمل تبعاتها.

ورى بعض شرّاح نهج البلاغة عن بعض الصلحاء قوله:

«مَا أَدرِى كَيفَ أَعجَبُ مِنَ الدُّنيا! أَمن حُسنِ مَنظَرِها وَقُبحِ مَخبَرِها أَم مِنْ ذَمِّ النَّاسِ لَها وَتَنافُرِهُم عَلَيها»[۴۳۱].

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۲۴۴

واصل الإمام عليه السلام كلامه قائلًا:

«فَرُبَّ دَائِبٍ ۴۳۲] مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ ۴۳۳] خَاسِرٌ».

صحيح أنّ السعى والجهد رمز الموفقية والنجاح، إلّاأنّ هذا ليس قانوناً كلياً، فهناك الأفراد الذين أفنوا عمرهم فى السعى والجد وأجهدوا أنفسهم ليل نها ولم يظفروا بشىء، وهذا أحد إحباطات الإنسان فى الحياة الدنيا، ولعل العبارة إشارة إلى السعى المتعلق بالأمور المادية أوالمعنوية، لأنّهم كثيرون هو الأفراد الذين أجهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى المقامات المعنوية والنجاة الاخروية، ولكن تسللت إليهم أهواء النفس ووساوس الشيطان فى اللحظات الحساسة فاشتعلت النيران فى مزارع طاعتهم وأحرقت كل شىء، ثم أشار إلى الأوضاع المزرية لزمانهم وإقبال الناس على المساوىء وفرارهم من الصالحات فقال:

«وَقَدْ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۵

أَصْبَحْتُمْ فِى زَمَنٍ لَايَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِى هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً. فَهذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ ۴۳۴]».

فهذه العبارات الصريحة والواضحة تشير إلى مدى سقوط الوضع الأخلاقى للمسلمين فى ذلك العصر والزمان بفعل الحكومات المستبدة، ومدى الوسط المضحك الذى واجهه الإمام عليه السلام فى عهده، نعم إن فسد مسؤولوا البلاد ومن كان على رأس الحكومة فانّ الفساد سيشمل كل شىء

«النّاس عَلى دينِ مُلُوكِهِم».

فما الذى يمكن توقعه من الناس إن وزع الخليفة أموال بيت المال المسلمين على بطانته، وولى قرابته الطالحة ونصبهم فى المواقع الحساسة، وتعاطى عامله الشراب علانية ليدخل المحراب فيصلى بالناس جماعة ثملًا، ويمارس الآخرون الرذيلة والأعمال البشعة، أو ليست سلطة الشيطان بالتكالب على الدنيا وإبتاع الأهواء؟

نعم، إنّ سادت هذه الأمور تيسرت حكومة الشيطان، فقد ورد فى الخبر أنّ ابن عمر وبعض ولد أبى بكر وسعد بن أبى وقاص قصدوا علياً عليه السلام حين خلافته وسألوه زيادة العطاء من بين المال، فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس قائلًا:

«... إذا مَنعتُهُم مَا كانُوا فِيهِ يَخُوضُونَ وَصَيّرتُهُم إلى مَا يَستَوجِبُونَ فَيَفقِدون ذَلكَ فَيسأَلُونَ وَيَقُولُونَ: ظَلَمنا ابنُ أبى طالبٍ وَحَرَمنا وَمَنعنا حُقوقَنا- إلى أن قال- أَمّا أَنَّى أَعلَمُ الّذى تُرِيدُونَ وَيُقِيمَ أَودكم، وَلَكن لا أَشتَرى صَلاحَكُم بِفَسادِ نَفسِى ...»[۴۳۵].

ثم قال:

«اضْرِبْ بِطَرْفِكَ ۴۳۶] حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ

[[تنظر]]

إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ[۴۳۷]

فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً[۴۳۸]، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۶

بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً[۴۳۹]!».

فقد ركز الإمام عليه السلام بهذه العبارات البليغة والرائعة على أربع فئات محرومة أو منحرفة تشكل أساس فساد المجتمع وإنهياره:

الأولى: الفقراء الذين يقعون أسرى الفقر، وهو الفقر الذى عبرت عنه الروايات بالقول:

«كَادَ الفَقرُ أنْ يَكونَ كُفراً».

الثانية: الأغنياء الذين غرقوا فى النعم والملذات والشهوات حتى نسوا كل شىء وهووا فى الكفر.

الثالثة: البخلاء الذين تصوروا أنّ البخل سبب زيادة الثروة.

الرابعة: المتمردون الذين عاشوا الغرور ولم تعد آذانهم تسمع كلام الحق.

فعبارة الإمام عليه السلام التى قال فيها:

«اضْرِبْ بِطَرْفِكَ ۴۴۰] حَيْثُ شِئْتَ ...»

فلا تبصر أحداً سوى هذه الفئات الأربع دليل على أنّ الفقر والفساد أصبح على درجة من الشمولية بحيث ظهرت أثارهما فى كل مكان، والدليل على تلك السعة والشمولية ما اشير إليه فى العبارة المذكورة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۷

القسم الثانى: أين الأخيار؟

اشارة

«أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِى مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِى مَذَاهِبِهِمْ! أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ. وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِى حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِى بِذَمٍّ هُمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ! فَ (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، (ظَهَرَ الْفَسَادُ)، فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِى دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟

هَيْهَاتَ! لَايُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ!».

الشرح والتفسير

استعمل الإمام عليه السلام عبارات بليغة رائعة فى هذا المقطع من الخطبة ليكشف النقاب عن فساد الزمان والتولى عن الصالحات والاقبال على السيئات فقال:

«أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ![۴۴۱] وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ ۴۴۲] فِى مَكَاسِبِهِمْ،

وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِى مَذَاهِبِهِمْ!».

فقد بحث الإمام عليه السلام بهذه العبارات عن ستة طوائف فى المجتمع ليدل فقد انها أنذاك على مدى الانحطاط والفساد، والطوائف الست هى: الأخيار، الصالحون، الأحرار، السمحاء،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۸

المتورعون، والمتنزهون، حقّاً إنّ افتقرت المجتمعات البشرية إلى هذه الطوائف الشريفة والنجيبة فى المجتمع، فليس هناك سوى الفساد والانحراف، والمراد من المتورعين فى مكاسبهم، الأفراد الذين لا يطففون فى البيع ولا يغشون ولا يكذبون ولا يقسمون بالباطل ولا يرابون والذين ينقضون عهودهم ومواثيقهم، فمن يرى المجتمع الصالح العامر بالأخيار والصلحاء والأحرار والسمحاء على أنّهم نماذج المجتمع إنّما يشعر بالامتعاظ لا سيّما إن رأى بدلًا منهم الأشرار والطلحاء والأسرى والبخلاء فلا يمتلك سوى الصراخ: اين اولئك الأعزة؟ كيف خلى مكانهم؟

ثم قال الإمام عليه السلام:

«أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا[۴۴۳] جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ

الْمُنَغِّصَةِ[۴۴۴]».

فأردفها عليه السلام بالقول:

«وَهَلْ خُلِقْتُمْ ۴۴۵] إِلَّا فِي حُثَالَةٍ[۴۴۶] لَاتَلْتَقِي بِذَمٍّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ! فَ (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)».

وقد انبثقت هذه الظروف العصيبة والأفراد المنحطين منذ انحراف الخلافة الإسلامية عن محورها الأصلى وقد بلغ الأمر ذروته على عهد عثمان، فقد فوضت المواقع الحساسة من الحكومة الإسلامية إلى أصحاب الدنيا البعيدين عن الورع والتقوى وقد تغلغلوا فى المجتمع الإسلامى بحيث كان من المتعذر تغييرهم ابان حكومة على عليه السلام، كما كان هؤلاء الأفراد هم السبب لكافة المعارك التى حدثت ضد الإمام عليه السلام.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى الوظيفة التى ينبغى أن يقوم بها أصحابه تجاه تلك الظروف والأوضاع فقال:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ، فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۴۹

طبعاً إنّ هذا الاستفهام إستفهام استنكارى، والمراد على ضوء هذا الوضع الذى سلكتموه وقد سكتم إزاء الفساد أو أعنتم عليه، فلا من أمر بمعروف ولا نهى عن منكر، فليس لكم أن تنالوا القرب الإلهى وتكونوا فى صفوف أولياء اللَّه، فأكد ذلك بالقول:

«هَيْهَاتَ! لَايُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

فاولئك المسلمون ظاهراً ويحسبون فى صفوف أهل الإيمان لكنّهم راضون بالفساد ساكتون باطناً، لا يقدرون على خداع اللَّه العالم بأسرارهم وأعمالهم، لعلم يخدعون الآخرين، بل وأنفسهم لمدّة، ولكن أنى لهم ذلك يوم القيامة يوم لا يخفى على اللَّه منهم خافية، فليس أمامهم سوى الندم.

ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لَيسَ الإيمانُ بِالتَّحلّى وَلا بِالتَّمنّى وِلَكن الإِيمانَ ما خَلصَ فِي القَلبِ وَصَدَّقَهُ الأَعمالُ»[۴۴۷].

ثم إختتم الخطبة مشدداً فى التأكيد فقال:

«لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ!».

صحيح أنّ عمل الإنسان لا- يشترط فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبعبارة أخرى فانّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفتان مستقلتان وإن كان نفس الإنسان تاركاً للمعروف وعاملًا بالمنكر.

كما ورد عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«مُروا بِالمَعرُوفِ وَإن لَم تَفعَلوهُ وَانهُوا عن المُنكَرِ وإن لَم تَجتَنِبُوا كُلَّهُ»[۴۴۸].

ولكن أن يأمر الإنسان بالمعروف ولا يأتمر به وينهى عن المنكر ولا ينتهى عنه بحدّ ذاته نوع من النفاق الواضح، والمنافق يستحق اللعن واللوم والعقاب.

وبعبارة أخرى فانّ اختلاف الظاهر والباطن الذى يكون سبباً لخداع الناس وروح النفاق من أسوأ الصفات التى يحعل الإنسان يستحق اللعن فيوجب بُعده عن اللَّه ورحمته.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۰

شكوى أهل الزمان

من المسائل الغايـة فى الصعوبة والمرارة فى التاريخ الإسلام هو أنّ علياً عليه السلام بدلًا من أن يأخذ بزمام أمور الامة الاسلامية بعد

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لينشر الإسلام فى الشرق والغرب ويحفظ مبادئ الإسلامية، قد تسلم الحكومة الإسلامية والامّة الإسلامية عاشت الانحراف عن العدالة والزهد بفعل اضطراب عهود الخلفاء ولا سيّما عهد عثمان الذى ضاعت فيه القيم الإسلامية وقد وضعت الأموال والمناصب تحت تصرف حثالة بنى أمية وآل مروان، فهم لا يفكرون إلّافى المال والثروة والمقام والسيطرة على الناس، وقد انتعشت أغلب مثل الجاهلية، فقد قام الإمام عليه السلام فى ظل هذه الظروف العصيبة من أجل إحياء القيم الإسلامية وسنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإطفاء فتن الجاهلية، من خلال الحث والتبشير أحياناً والانذار واللوم أحياناً أخرى، ون خلال الاستشهاد بحوادث عصر النبى الأكرم عليه السلام ومقارنتها بالأوضاع السائدة، كما يستعين أحياناً بتاريخ سالف الأنبياء والعذاب الذى صبّ على العتاة الذين تمردوا عليهم، وهكذا أخذت تظهر الفضائل الإسلامية والإنسانية شيئاً فشيئاً بين أصحاب الإمام عليه السلام حتى استقرت وتبلورت بعد أن رويت شجرتها بدم الإمام عليه السلام، وكادت أن تثمر، ولكن مع الأسف الشديد أنّ تلك الأجواء تعكرت بفعل فتن الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد بلغت الجريمة بأحدهم لأن ينهال بالسيف على رأس الإمام عليه السلام لتبقى تلك البرامج ناقصة، فتنشط من جديد الشياطين لتعيث فى الأرض الفساد.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۱

الخطبة[۴۴۹] المأة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلام لهُ عليه السلام

لأبى ذرّ رحمه اللَّه لمّا أخرج إلى الربذة

نظرة إلى الخطبة

لما إنهال أزلام بنى أمية وبنى مروان على بيت مال المسلمين بتلويح من عثمان فجعلوا ينهبون ما يريدون، واجههم أبو ذر رحمه الله ذلك الصحابى الشجاع والاسوة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فأصبح يشكل خطراً جدّياً على منافعهم، فأشاروا على عثمان بنفيه إلى ربذة التى تعتبر أسوأ المناطق مناخاً، أمّا الإمام عليه السلام فقد أراد أن يثبت عدم شرعية هذا الحكم الجائر من جهة، وأن يشد من عزيمة أبى ذر من جهة أخرى، فيعينه على تحمل ما يواجهه من صعوبات، ومن هنا شايع أبى ذر وقد واساه بكلمات رائعة وعميقة وأمله بالمستقبل الزاهر الذى ينتظره، كما أضاف ورقة سوداء أخرى إلى سجل بنى أمية ومروان المظلم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۳

القسم الأول: أبو ذر رحمه الله بطل مقارعة الفساد

اشارة

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِى أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً [[خسّراً]]

. وَلَوْ أَنَّ السَّمواتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً! لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ».

الشرح والتفسير

كما ذكرنا فانّ الإمام عليه السلام أورد هذا الكلام حين نفى أبو ذر من قبل عثمان إلى الربذة، جاء فى الخبر: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان، فنودى فى الناس ألا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به، وتنحّى عنه الناس إلّاعلى بن أبى طالب عليه السلام وعقيلًا أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السلام وعماراً رحمه الله، فانّهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر، فقال مروان إيها حسن ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين (عثمان) قد نهى عن كلام هذا الرجل، فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل على عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أذنى راحلته وقال: تنحّ لحالك اللّه إلى النار، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر[۴۵۰].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۴

وهنا وقف أبو ذر رحمه الله فودعه القوم، وخطب الإمام عليه السلام بهذه الكلمات التى تتضمن كل واحدة منها نقطة مهمّة بهدف مواساة أبى ذر وتحمله المصاعب التى ستواجهه فى المستقبل، فقد أشار عليه السلام إلى ست نقاط فقال أولًا:

«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ».

أمّا قوله عليه السلام فارج من غضبت له ولم يقل ارج اللّه، فالواقع بيّن الإمام عليه السلام دليل ذلك الأمل، لأنّ كل شخص يغضب لآخر بالنسبة لشىء يؤذيه، فمن الطبيعى أنّ ذلك الشخص سيقف إلى جانبه.

وقال فى الثانية:

«إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِى أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ».

إشارة إلى أنّهم شعروا بالخطر على حكومتهم ومنافعهم المادية إثر صراحة كلامك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلم يستطيعوا تحمل وجودك فى المدينة، لكنّك قاطعتهم ولم تقبل بذلهم، وذلك لأنّك شعرت بالخطر على دينك، فلما قمت بوظيفتك واطلعت الناس على أعمال هؤلاء الحكام، فاتركهم واهرب بدينك وإيمانك.

ثم قال الإمام عليه السلام:

«فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً»،

فهم بحاجة إلى دينك، الدين الذى لم تكن مستعداً للتضحية به من أجل دنياهم، لكنّك لست بحاجة إلى دنياهم وإن منعوها عنك [۴۵۱]، والعبارة «وستعلم ...» مواساة أخرى لأبى ذر فعمر الدنيا قصير كأنه ويوم وغدا تقوم القيامة، أنذاك سيفتضح الظلمة عبدة الدنيا ويغبطون الأتقياء على درجاتهم العالية، ثم ضاعف من ذلك الرجاء فى قلب أبى ذر فقال فى الثالثة:

«وَلَوْ أَنَّ السَّمواتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً[۴۵۲] ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً!».

والواقع هو أنّ هذه العبارة إشارة إلى الآية الشريفة:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً

* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ»[۴۵۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۵

ثم قال فى الرابعة والخامسة:

«لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ».

فليكن أنسك فى الحق ولا تخشى شيئاً مادمت فى هذا السبيل، ولتكن وحشتك من الباطل وإنّك لسعيد مادمت هارباً من الباطل، فلا ضير عليك إنّك قمت للّهوأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فى اللّه، فلو قبلت دنياهم وعاونتهم فى نيل أطماعهم المادية لأحبّوك،

ولو أخذت من ذلك شيئاً وهادنتهم لأمنوك، ولذا قال فى السادسة:

«فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ ۴۵۴] مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ»

، فهم تجار ظلمة ذائبون فى الدنيا وأهل معاملة فيها، فمن وافق على مظالمهم وهادنهم بقبول سهم من أموالهم، أحبّوه وقدّسوه ودافعوا عن ماله وعرضه.

فعبارته عليه السلام مواساة لأبى ذر من جانب وصاعقة شديدة على الحكام الظلمة من جانب آخر، فالحق أن نفى «أبوذر» ذلك العبد الصالح والزاهد الورع كان نموذجاً للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان وصمة عار فى جبين الحكام الظلمة وأعوانهم، فقد كانوا يعلمون أنّ لسان ذلك الصحابى الجليل يعدل مئة ألف سيف.

تأمّلات

۱- من هو أبو ذر رحمه الله

تعتبر حياة أبى ذر مليئة بالأحداث مقارنة بحياة سائر صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والتى يمكنها أن تكون أسوة لكافة المجاهدين فى سبيل الحق طيلة التاريخ البشرى، ولا غرو فحياته إقتباس من حياة مولاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام مع فارق بسيط هو أنّه خضع لظروف صعبة جدّاً، لكنّه لم يتوان قط فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الوقوف بوجه الظلمة والفساد، وإليك جانب من سيرته:

اسمه جندب وأبوه جنادة[۴۵۵] وأسماه رسول اللّه عبداللّه، ينسب إلى طائفة معروفة من طوائف

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۶

العرب وهى بنى غفار، كانت له ضيعة أطراف مكّة، سمع ببعث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فاتجه إلى مكّة، فلما دخل المسجد رأى فيه طائفة من قريش وهى تتحدث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهى تسبه وتشتمه، فدخل أبو طالب، فقالوا: إسكتوا هذه عمّه، عرف أبو ذر، أبا طالب، فلما خرج من المسجد تبعه فالتفت إلى أبو طالب وسأله هل من حاجة؟ قال: اريد الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله، فقال له أبو طالب تعال هنا غداً، فقضى أبو ذر ليلته فى المسجد الحرام، وفى اليوم التالى إلتقى حمزة، ثم تعرف بجعفر وعلى وأخيراً حمله على عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه و آله فأسلم وآمن طواعية.

ثم أمره رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالرجوع إلى أهله وقال له: فان لك ابن عم قد توفى وليس به وارث غيرك فاستعن بتلك الأموال حتى يؤذن لى بالدعوة العلنية آنذاك عد إلينا، كان أبو ذر من أوائل من أسلم، وإلتحق بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد غزوة بدر وأحد و الخندق وحين أنفق كل ما لديه فى سبيل اللّه، وقد وصفه النبى صلى الله عليه و آله بصدّيق الأمّة وشبيه عيسى بن مريم.

قال العلّامة المجلسى رحمه الله فى كتاب «عين الحياة» يستفاد من مصادر الفريقين أنّه لم يكن من بين الصاحبة بعد المعصومين من هو أجل قدراً من سلمان و أبى ذر والمقداد وقد قال فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«مَا أَظَلَّتِ الخضرَاءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبرَاءُ عَلَى ذِى لَهجَةٍ أَصدَقُ مِن أَبِى ذَر يَعيشُ وَحدَهُ وَيَمُوتُ وَحدَهُ وَيُبعَثُ وَحدَهُ وَيَدخُلِ الجَنَّةَ وَحدَهُ»[۴۵۶].

لازم أبو ذر رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى المدينة، ولمّا ولى عثمان الخلافة وأعطى مروان من بيت المال، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفى الطرقات والشوارع:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ...»[۴۵۷].

فی إشارة إلی عثمان وبطانته الـذین أخـذوا ینهبون بیت مال المسـلمین، کان أبو ذر یردد تلک الآیة ویرفع بها صوته، فرفع ذلک مراراً إلی عثمان وهو ساکت، ولم تمض مـدّة حتی صـعب علی الخلیفـة وبطانته تحمل کلام أبی ذر، فأرسل إلیه عثمان مولی من موالیه أن إنته عمّا بلغنی عنک،

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۲۵۷

فقـال أبو ذر: أو ینهانی عثمان عن قراءة کتاب اللَّه تعالی؟ فواللَّه لأن أرضـی اللَّه بسـخط عثمان أحبّ إلیّ وخیر لی من أن أسـخط اللَّه برضـا عثمـان، فأغضب ذلک عثمان وأحفظه، فتطایر وتماسک، إلی أن قال یوماً والناس حوله: أیجوز للإمام أن یأخـذ من المال شـیئاً قرضاً، فاذا أیسر قضی؟ وکان فی المجلس کعب الأحبار وأبو ذر، فقال کعب الأحبار: لا بأس بذلک، فقال:

أبو ذر: یابن الیهودیة أتعلمنا دیننا؟ (فمثل هذه الأمور لا تجوز فی بیت مال المسـلمین) فقال عثمان: قد کثر أذاک وتولعک بأصحابی، إلحق بالشام، فأخرجه إلیها.

ولـم یسـکت أبـو ذر فی الشـام حین شاهـد الخضـراء الـتی بناهـا معاویـة فی دمشـق إلی جـانب الـبیوت المتواضـعه للفقراء من النـاس والمحرومین، فقال لمعاویـة: یا معاویـة إن کانت هذه من مال اللَّه فهی الخیانة، وإن کانت من مالک فهی الاسـراف، واللَّه لقد حدثت أعمـال مـا أعرفهـا، واللَّه مـا هی فی کتـاب اللَّه ولاـ سـنّة نبیّه، واللَّه إنّی لأـری حقـاً یطفـأ وباطلًا یحیا، وصادقاً مکـذباً، وأثرة بغیر تقی، وصالحاً مستأثراً علیه، فثقل ذلک الکلام علی معاویة، فکتب إلی عثمان، فکتب عثمان أن إحمل جندباً إلی علی أغلظ مرکب وأوعره حتی قدم به المدینة.

فلما دخل أبو ذر رحمه الله علی عثمان، سعی عثمان لأن یضطره للقول بخلاف ما یرید فقال له: أنت الذی تزعم أنا نقول:

«إِنّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَنَحنُ الأغنِیاء»

، فقال أبو ذر: لو کنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال اللَّه علی عباده، ولکنّی أشهد أنّی سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول:

«إِذا بَلَغَ بَنو العاصِ ثَلاثِینَ رَجُلًا، جَعَلُوا مالَ اللَّهِ دُولًا، وَعِبادَهُ خِولًا، وَدِینَهُ دَخلًا»

، فقال عثمان لمن حضـر: أسـمعتموها من رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله؟ قالوا: لا؟ قال عثمان: ویلک یا أبا ذر! أتکـذب علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، ثم قال: ادعوا لی علیاً، فما جاء قال عثمان لأبی ذر: اقصص علیه حدیثک فی بنی العاص، فأعاده، فقال عثمان لعلی أسـمعت هذا من رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله قال: لا؛ وقد صدق أبو ذر، فقال: کیف عرفت صدقه؟ قال: لأنّی سـمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، یقول:

«مَا أظَلَّتِ الخضرَاءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبرَاءُ عَلَی ذِی لَهجَةٍ أَصدَقُ مِن أَبِی ذَر ...»

. فقال من حضر: أما هذا فقد سمعناه کلّنا من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فندم عثمان.

وجـاء فی الخبر عن الإمـام الصـادق علیه السـلام قال: «إنّ عثمان بعث غلامین بمئتی دینار إلی أبی ذر وقال: قولا له إنّ عثمان یقرأک السلام وبعث بهذا المال لتستعن به علی معیشتک، فقال أبو ذر:

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۲۵۸

فهل أعطی سائر المسلمین، قالا: لا، فقال: لا حاجة لی به، قالا: إنّ عثمان یقول إنّه من خاصة مالی ولم یخالطه الحرام، فلم یقبل أبو ذر وقال: إنّنی لأغنی الناس بولایة علی بن أبی طالب، فعودا بالمبلغ إلیه واللَّه یحکم بینی وبینه»[۴۵۸].

وأخیراً ضـاق عثمـان ذرعـاً بأبی ذر واسـتشار من حوله، فأشاروا علیه بنفیه من المدینـة، فاختار أبو ذر الشام والعراق، فلم یوافقوه حیث کـانوا یخشون منه، إلی انتهی بهم الأـمر لنفیه إلی الربـذة[۴۵۹] المعروفـة بسوء أحوالهـا ومناخها حتی توفی فیها، ولم یکن لـدیه حتی الکفن مرّت جماعة وفیهم مالک الأشتر فأخبرتهم بنته فی الطریق، فکفنوه وصـلی علیه صـحابی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عبداللَّه بن مسعود، ثم دفنوه ۴۶۰].

۲- أبو ذر رحمه الله والاشتراكية

لقد سعى البعض من المتعصبين بدافع حبّه لمعاوية وبنى أمية أو لفرط ذوبانه فى عثمان لإثارة بعض الغبار على شخصية أبى ذر، وذلك لعدم إمكانية الجمع بين كون أبا ذر من أولياء اللّه أنّه أصدق من على الأرض وأنّ عثمان خليفةالمسلمين ومعاوية من الصحابة، ومن هنا فلم يروا أخف وطأة عليهم من أبى ذر فقالوا: إنّ أبا ذر لا يؤمن بالملكية الفردية وكانت له نزعة اشتراكيه.

وقال الرزكلى فى كتاب «الاعلام فى أبى ذر»: «ولعله أول اشتراكى طادرته الحكومات»[۴۶۱].

وهذا فى الوقت الذى لم يتطرق فيه أبو ذر قط إلى نفى الملكية الفردية، بل شدد من حملاته ضد الأثرياء كمعاوية ممن يوزعون الثروة بصورة غير عادلة، ولذلك لم يكن يشن مثل هذه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۵۹

الحملات على عهد الخيفة الأول والثانى، قال البعض وردت عبارة «مال اللّه» فى كلمات أبى ذر، فاستفادو منها نفيه للملكية الخاصة، والحال التعبير بمال اللّه عن بيت المال هو تعبير متداول وسائد، فقد صرّح المرحوم العلّامة الأمينى فى المجلد الثامن من الغدير حين نقل نعت أبى ذر بالاشتراكية أنّ التعبير بمال اللّه كثير فى أقوال الصحابة، ثم نقل عدّة روايات عن عمر عبّر فيها صريحاً بمال اللّه، كما وردت عدّة روايات عن أمير المؤمنين على عليه السلام عبّر فيها بمال اللّه ۴۶۲].

لا شك أنّه يمكن التعبير عن تلك الأموال بمال اللّه، بل يمكن اطلاق مال اللّه حتى على الأموال الشخصية للناس، فقد جاء فى القرآن الكريم مثل هذه التعبير:

«وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ ...»[۴۶۳].

والحق إنّ هذه الفئة تسرعت فى الحكم على أبى ذر، حيث كان يؤكد مراراً تمسكه بالآية:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ...»[۴۶۴]

، ونعلم جميعاً أنّ هذه الآية وردت بشأن مانعى الزكاة.

والأدهى من كل ذلك لجنة فتوى الأزهر قد أصدرت فتوى عام ۱۳۶۷ ق تحت تأثير بعض المتعصبين فى نفى الشيوعية لتنقل عقيدة أخرى لأبى ذر وحكمت ببطلانها لتعتبرها معلولة لبعده عن مبادىء الإسلام، وهى أنّه كان يعتقد بوجوب اعطاء المال الزائد عن حاجته إلى أهل الحاجة ولا ينبغى أن يحتفظ بتلك الأموال، قال المرحوم الأمينى بعد ذكره لهذه الفتوى لو اوكل شيخ الأزهر مطالعة هذه المسألة لمن هو أعرف بأبى ذر وحكموا فيها بعيداً عن التعصب، لعلم أنّ ليس هناك مثل هذه العقيدة لأبى ذر، والأسوأ من ذلك ماذكروه من عذر لأبى ذر بعدم معرفة بمبادىء الإسلام، وهذا ما يضحك الثكلى ويبكى كل مسلم غيور، فهل يصح مثل هذا الكلام بشأن صحابى جليل قضى شرطاً من حياته مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد شبّهه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعيسى خلقاً وخلقاً[۴۶۵]، والطريف فى الأمر أنّ أبا ذر ثقة عند بعض

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۰

المحدثين كالبخارى ومسلم حيث نقلوا عنه ۸۱ حديثاً[۴۶۶]، وهذا بدوره يكشف عن مدى بعد لجنة فتوى الأزهر عن الحقيقة.

۳- العاقبة المريرة لأبى ذر

إنّ الحديث فى أبى ذر وما لم يقال فيه لكثير ويتطلب كتاباً مستقلًا، ولكن يبدو من الضرورى ذكر هذه النقطة فى أنّ ما منح أبى ذر القوة والصلابة وأرعب خصومه هو زهده الممزوج بصراحة لسانه، فهم لم يستطيعوا الاعتراض عليه لزهده من جانب، ومن جانب آخر لم يطيقوا تحمل صراحته، وإليك نموذج من ذلك.

روى ابن أبى الحديد عن الجاحظ عن جلّام بن جندل الغفارى قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم فى خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملى، إذا سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار (إشارة إلى الجمال التى كانت تحمل أموال بين المال)، اللّهم إلعن الآمرين بالمعروف التراكين به، اللّهم إلعن الناهين عن المنكر المرتكبين له، فازبأر معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلّام أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللّهم لا. قال:

من عذيرى من جندب بن جنادة، يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثم قال:

أدخلوه علىَّ، فجيئى بأبى ذر بين قوم يقودونه، حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ اللَّه وعدوّ رسوله تأتينا كل ويوم فتصنع ما تصنع، أمّا لو أنى كنت قاتل رجلًا من أصحاب محمد من غير أذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، ولكنى أستاذن فيك. فقال أبو ذر: ما أنا بعدوّ للَّهولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان للَّهولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول للَّهصلى الله عليه و آله ودعا عليك مرات ألا تشبع .. فغضب معاوية وأمر بحبسه وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية أن إحمل جندباً على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلّاقتب، حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۱

فخذيه من الجهد، ثم نفاه عثمان إلى الربذة[۴۶۷].

ونختتم هذا البحث بحديث نبوى شريف ورد فى كتاب أسد الغابة، فقد أسلم أبو ذر لثلاث سنوات قبل البعثة، وكان يعبد اللَّه:

«وَبَايَعَ النَّبِى صلى الله عليه و آله عَلَى أَنْ لاتَأْخُذُهُ فِى اللَّهِ لَومَةَ لائِم وَعَلَى أن يَقُولَ الحَقَّ وإرن كَانَ مرّاً»[۴۶۸].

۴- كلمات المودّعين لأبى ذر

جاء فى الكتب التاريخية أنّ عقيلًا وحسناً وحسيناً عليهم السلام وعماراً رحمه الله قد ودعوا أبا ذر إلى جانب على عليه السلام وكل قال فى وداعه كلمة، فقد قال عقيل:

«ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم إنّا نُحبّك، وأَنت تُحبّنا! فاتق اللَّه فان التقوى نجاة واصبر فان الصبر كرم».

ثم تكلّم الحسن عليه السلام فقال:

«يا عمّاه، لولا أنّه ينبغى للمودع أن يسكت، وللمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدّة ما إشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيّك صلى الله عليه و آله وهو عنك راض».

ثم تكلّم الحسين عليه السلام فقال:

«يا عمّاه، إن اللَّه تعالى قادر أن يغير ما قد ترى، واللَّه كل يوم هو فى شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلى منعتهم، فأسأل اللَّه الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فانّ الصبر من الدين والكرم ...».

ثم تكلّم عمار رحمه الله فقال:

«لا- آنس اللَّه من أوحشك، ولا- آمن من أخافك، أما واللَّه لو أردت دنياهم لأمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّاالرضا بالدنيا، والجزع من الموت، مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۲

فبكى أبو ذر رحمه الله وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم اللَّه يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ما لى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، واللَّه ما أريد إلّااللَّه صاحباً، وما أخشى مع اللَّه وحشة، توكلت على اللَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وآله ۴۶۹].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۳

الخطبة[۴۷۰] المأة والحادية والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

وفيه يبيّن سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحقّ

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام على عليه السلام فى هذا الكلام إلى عدّة مطالب:

۱-

قبوله الحكومة من أجل رفع راية الدين والعدل فى المجتمع الإسلامى وإصلاح البلاد وأمان العباد واستقرار المظلومين.

۲-

أشار عليه السلام فى جانب آخر من الخطبة إلى الاختلافات الفكرية لأصحابه فقال: لا يمكن بسط العدل فى ظل هذه الظروف واعطاء الحقوق إلى أصحابها، ويستحيل بلوغ هذه الأهداف ما لم تتحد قلوبكم وتتفق أعمالكم.

۳-

خاض عليه السلام فى تعريف نفسه فقال: أنى أول من سمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فآمنت به، ولم يسبقنى إلّا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالصلاة.

۴-

أشار فى القسم الأخير من الخطبة إلى صفات الزعيم المقتدر، فعدد أوصافه بكل دقّة، وهى الأوصاف التى يؤدّى توفرها فى الزعيم الإسلامى إلى الديمومة والثبات.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۵

القسم الأول: لستم من الأصحاب الأخيار

اشارة

«أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ».

الشرح والتفسير

من الحوادث الأليمة فى التاريخ الإسلامى أن يبتلى إمام عالم وكفوء مقتدر كعلى عليه السلام بناس جهّال وعبدة للأهواء يعيشون التناحر والفرقة، فقد كانوا وسائل سيئة لإقامة حكومة الحق والعدل، وقد رأينا منذ بداية الكتاب لحدّ الآن فى مختلف خطب نهج البلاغة أنّ الإمام على عليه السلام كان يتألم بشدّة من هذا الأمر وكان دائم الشكوى، باحثاً عن مختلف الأساليب لعلاج أمراضهم النفسية والأخلاقية، فقد قال عليه السلام مستهلًا هذه الخطبة:

«أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ».

فقد ركز الإمام عليه السلام هنا على الجذور الأصلية لداء المجتمعات والامم، ألا وهو الاختلاف والتشتت والذى يؤدّى إلى النزاعات وهدر الطاقات، والعبارة:

«الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُم ...»

إشارة إلى حضورهم الجسمانى فى المجتمع وغيابهم الفكرى والروحى عن الحوادث الخطيرة التى تصيب المجتمع، أمّا أهمية هذا الموضوع فقد دفعت بالإمام إلى ذكر مثل هذه العبارات مع اختلاف طفيف فى الخطب الأخرى، كالذى ورد فى الخطبة ۲۹ و ۹۷ حيث قال فى الأولى:

«أَيُّهَا النَّاس، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، والْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۶

وقال فى الثانية:

«أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ».

ثم قال عليه السلام:

«أَظْأَرُكُمْ ۴۷۱] عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى ۴۷۲] مِنْ وَعْوَعَةِ[۴۷۳]

الْأَسَدِ!»

، العبارة «أظأركم» بالنظر إلى أنّ «ظأر» جاءت فى اللغة بمعنى القابلة، فهى تشير إلى مراده أنّى كالقابلة الشفيقة قد رويتكم على الدوام من عين الحق الجياشة، لكنّكم كنتم تفرون من ذلك دائماً، تفرون فراركم من الأسد، وهذه أسوأ حالة يمكن أن تعرض لإنسان فينفر من الحق ويهرب منه بالشكل الذى يفوق التصور، والعبارة

«وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ!»

، تعبير رائع فلم يقل «من الأسد» بل قال

«وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ!»

يعنى إنّ هذا الحيوان على درجة من الجبن بحيث لا ينظر إلى أطرافه ليرى هل هو أسد أم لا، بل يهرب لمجرّد سماعه الصوت، وهذا هو حال بعض الحيوانات التى تهرب إذا سمعت زئير الأسد مهما كانت المسافة بعيدة فى الصحراء.

ثم قال عليه السلام:

«هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ ۴۷۴] بِكُمْ سَرَارَ[۴۷۵] الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ».

قطعاً ليس للحق من إعوجاج ليراد قيامه، والمراد يخلطونه بالباطل وقد سعى أئمة الهدى عليهم السلام لتخليص الحق من شوائب الباطل، كما ليس فى العدل من ظلمة ليجلوها عنه، فالظلم الذى غالباً ما يخالط العدل ويلبسه على حال لا شك أنّ إزالة الظلمة عن العدالة وتمييز الباطل عن الحق، يتطلب أعواناً وأنصاراً من أهل الوعى والتضحية، ولم يكن للجهال والغدرة المشتتين كأهل الكوفة من قدرة للإستعانة بهم فى إزالة الظلمات وتسوية الاعوجاجات، وهذا داء دوى عرض لإمام عادل وشجاع كعلى بن أبى طالب عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۷

العوامل الرئيسية للفشل

أشرنا سابقاً إلى إبتلاء الإمام عليه السلام بالأصحاب الذين اعتادوا الحياة المرفهة والدعة والراحة، وقد اعتمدوا مختلف الذرائع للهروب من الجهاد ومقاتلة العدو، وقد سعى الإمام عليه السلام جاهداً لتطهير روحيتهم من هذه الأدران عن طريق الحث والتشجيع تارة

واللوم والعتاب والذم تارة أخرى.

وقد أشار فى هذه الخطبة إلى نقاط ضعفهم ليخلصها فى ثلاث هى الاختلاف و التشتت وغياب العقل والهروب من الواقع، ثم صرّح إثر ذلك: كيف يمكن تطهير المجتمع من رواسب بنى أمية وعناصرهم المنافقة المتبقية من عصر الجاهلية وإقامة الحق وتسوية العوج، وأنتم بهذه الأحوال.

وكما أراده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة قانون كلى دائم يحكم كل عصر ومصر ويصدق فى المشاريع السياسية والاجتماعية والعسكرية، وهى الامة المتحدة الواعية التى تستقبل الحق وتعمل به مهما كان مريراً.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۶۹

القسم الثانى: الهدف هو إقامة الحق وبسط العدل

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله بِالصَّلَاةِ».

الشرح والتفسير

بيّن الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة أهداف الحكومة الإسلامية- ومنها حكومته- بعبارات غاية فى الروعة والدقة ليضمنها دروساً خالدة لجميع الحكّام المؤمنين والمخلصين فقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً[۴۷۶] فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ».

ربّما كانت هذه العبارة إشارة إلى أصل قبول بيعة الامة على الخلافة، أو إشارة إلى المعارك التى وقعت بينه وبين الأعداء فى صفين وأمثالها، وهى تعكس الأهداف الرئيسية لحكّام الاستبداد الذين يهدفون إلى أمرين: الحصول على المنصب مهما كان الثمن والاستيلاء على الأموال أينما كانت ومن أى كان، والواقع ليس ذلك سوى حب الجاه وحب المال الذى ساد تاريخ البشر واجتاح حتى الحكومات المستبدة، وقد أثبت الإمام عليه السلام عملياً ما قال، فقد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۰

اشترط على الإمام عليه السلام من قبل الشورى التى عينها عمر نيل الخلافة شريطة الانحراف عن مسار رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلم يستجب الإمام عليه السلام كما وقف بقوّة بوجه طلحة والزبير وما قدماه من اقتراح ليس بصواب، كيف يستجيب لهما الإمام عليه السلام هو يرى الدنيا كعطفة عنز، ثم بيّن الإمام أهدافه الأربعة من أجل قبول الحكومة وهى:

«وَلكِنْ لِنَرِدَ[۴۷۷] الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ

الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ».

فالواقع أشار الإمام عليه السلام فى العبارات الأربع التى أوردها كدافع أصلية لقبول البيعة، إلى برامجه المعنوية فى الحكومة ومشاريعه المادية والظاهرية، فلابدّ فى الدرجة الأولى من إعادة معالم الدين التى تعين للناس مسيرتها نحو اللّه سبحانه وقد اندثرت بفعل الحكومات المستبدة، ومن ثم الإصلاحات فى كافة الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، ونصرة المظلوم من الظالم وإجراء الحدود الإلهيّة بحيث يشعر المظلومون بالأمن والاستقرار حقاً، وإن كان هذه الأهداف الأربعة هى مراد الحكومات لعاشت المجتمعات السعادة والمادية والمعنوية، وإن كان هدفهم الحصول على المناصب ونيل الأموال والثروات، فليست هناك من نتيجة سوى الفساد والظلم وتعطيل الحدود الإلهيّة ومحو الأخلاق والدين، وهذا بحدّ ذاته درس لجميع المسلمين فى كافة الأزمنة والعصور،

وهذه هى الأمور التى ذكرها القرآن الكريم كأهداف لبعثة الأنبياء وتشكيل الحكومة الإسلامية، فقد ذكر التعليم والتهذيب والنجاة من الظلال المبين كهدف للبعثة فقال: (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ»[۴۷۸]، كما ذكر فى موضع آخر هذا الهدف المتمثل ببسط العدل والقسط: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...»[۴۷۹]، كما قال: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»[۴۸۰].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۱

ثم إختتم الإمام عليه السلام هذا المقطع من الخطبة بذكر شهادة واضحة على صدق قوله بالنسبة لداوفعه فى قبول البيعة فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِى إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله بِالصَّلَاةِ».

إشارة إلى أنّ الإسلام كان غريباً آنذاك، والرسول لوحده وليس إلى جانبه سوى خديجة عليها السلام زوجته الوفية، فكان الجهر بالإسلام إزاء المشركين المتعصبين غاية فى الخطورة، فقد بايع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإنقاد له، فكان أول من إلتحق به، ولم يكن همّه سوى طاعة اللَّه سبحانه وإحياء الحق والتوحيد والعدل، ومازال ذلك الهدف هوالدافع له من أجل قبول البيعة.

ليس هناك من خلاف بين علماء الفريقين بشأن خديجة على أنّها أول إمرأة أمنت بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأنّ علياً عليه السلام أول من آمن به من الرجال، وإن تذرع البعض من علماء العامّة بصغر سن على حين أمن، ليسقطوا عنه تلك الفضيلة ويلصقوها بالآخرين، ولكن يتضح خواء هذه الذريعة من خلال قبول النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لإسلام على صلى الله عليه و آله وأبعد من ذلك تسميته بوصيّه فى يوم الدار[۴۸۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۳

القسم الثالث: شرائط حكّام العدل

اشارة

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَايَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ الْوَالِى عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِى أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَافِى فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِى فِى الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام فى المقطع الأخير من الخطبة فى بيان خصائص ولاة العدل ودعاة الحق حيث أشار إلى ست صفات من صفاتهم، وهكذا يختتم هذه الخطبة التى أوردها بشأن الحكومة الإسلامية، والحذير بالذكر أنه استهل الكلام بالعبارة «وقد علمتم» حيث يرى الالتزام بهذه الصفات من الأمور العقلية الواضحة والمسلمة التى يعرفها كل شخص، أو على الأقل ينبغى معرفتها من كل شخص، فقال: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَايَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ الْوَالِى عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِى أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ ۴۸۲]».

والواقع هو أنّ هذه الأمور تشكل أصول الحياة الفردية والاجتماعية للناس وهى الفروج، والأرواح، والأموال، والقوانين، وإدارت الدولة التى ينبغى للإمام المدبّر والواسع الآفاق والعادل المنصف أن يؤدّى حقوقها جميعاً، فتأمن الأمّة على أرواحها وأموالها وأعراضها،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۴

وتطبق القوانين والأحكام وتوكل زعامة الامة وإمامتها إلى الصالحين من أفرادها، فان كان إمام الخلق بخيلًا اقتصرت همّته وشهوته

على جمع الأموال وضحى بكل شيء من أجل بلوغ هذا الهدف، فلا من أمن واستقرار، ولا من احترام للقوانين والأحكام.

ثم قال عليه السلام فى بيان الصفة الثانية:

«وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ»،

فلا شك أنّ العلم بالأحكام والموضوعات والأساليب الصحيحة تعدّ من أهم دعائم الحكومة وليس للجهّال من الأفراد قدرة إدارة شؤون الحكومة وإن صفت نيّتهم واتصفوا بالورع و التقوى، فهم يقودون الامة إلى المجهول بجهلهم.

وقال عليه السلام فى بيان الصفة الثالثة:

«وَلَا الْجَافِى ۴۸۳] فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ»،

فمن أبرز صفات والى العدل العطف والمحبّة والسماحة والمدارسة، ونعلم بأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد استقطب القلوب البعيدة عن الحق بهذه الشفقة والمحبّة، وهذه رحمة إلهيّة كبرى كما وصفها القرآن الكريم بالقول:

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...»[۴۸۴].

ثم قال عليه السلام فى الصفة الرابعة:

«وَلَا الْحَائِفُ ۴۸۵] لِلدُّوَلِ ۴۸۶] فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ»،

وهذا هو البلاء الذى أصاب عثمان، وقد سدّد الضربات المهلكة للمجتمع الإسلامى بحيث لا يمكن معالجتها، فقد أغدق أموال بيت المال المسلمين على قرابته وبطانته ومتملقيه، ممّا أدّى إلى قيام المظلومين عليه حتى قتلوه فظهرت الخلافات العظيمة بين الناس آنذاك وما زالت أثارها باقية.

ثم قال عليه السلام فى الصفة الخامسة:

«وَلَا الْمُرْتَشِى فِى الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ ۴۸۷]»،

فأهم عامل للحكم بالظلم والجور هو الرشوة التى يقدمها أصحاب الثراء والقدرة فيغيرون مسار القضاء ليصدر أحكامه لصالحهم ضد أصحاب الحق فيحولون دون إجراء الحق والعدل.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۵

طبعاً فلسفة القوانين والمحاكم حفظ حقوق الضعفاء، وإلّا فالأقوياء يحفظون حقوقهم، وإن تسللت هذه الرشوة إلى المحكمة ونفذت إلى ذهن القاضى والتى لا يقوى على دفعها سوى الأثرياء والأقوياء، فعندما تسلب قدرة الضعفاء على الدفاع فتضيع حقوقهم، وهذا هو الأمر الذى نشهده فى كافة أنحاء عالمنا المعاصر، ومن الضرورى الالتفات إلى هذه النقطة أنّ الرشوة لا تقتصر على الجانب المالى، فقد تتخذ أشكالًا أخرى كتصفية الحسابات السياسية والوصول إلى المناصب والمقامات والشهوات الجنسية والمدح الكاذب وأمثال ذلك، وهكذا تتحرك عجلة المحكمة باتجاه الظلم والجور.

وقال عليه السلام فى الصفة السادسة الأخيرة:

«وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ»، طبعاً

يمكن أن يكون المراد بالسنّة سنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو السنن والقوانين التى أمضاها اللَّه فى عالم الخلقة أوالسنين الاجتماعية الحسنة التى أشير إليها فى عهد مالك الأشتر:

«وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ لْأُمَّةِ»

، أو جميعها وإن بدا المعنى الأول هو الأقرب.

آفة الحكومات

كما ورد فى بداية هذه الخطبة، فهى تتألف فى الواقع من ثلاثة أقسام مرتبطة مع بعضها تماماً، الأول ذم الإمام عليه السلام القوى الجاهزة التى ينبغى لها أن تنشط فى إقامة الحق والعدل، لكنّها عاشت الضعف والجز بفعل الاختلاف وعدم توظيف العقل والفكر، ثم أشار إلى أهداف ودوافع حكومة العدل الإسلامية والإنسانية، بينما ذكر آخر الخطبة الأركان الأصلية لمواصفات حكّام العدل، طبعاً إن كانت القوى المؤمنة والمتحدة من جانب، والأهداف والدوافع المقدّسة والوالى الذى يتحلى بالصفات الست المذكورة من جانب آخر، فانّ ذلك سيؤدّى إلى قيام حكومة من شأنها حفظ الأمن والاستقرار وإحياء القيم الإنسانية، وبالعكس لو:

حل البخل بدل الكرم.

والجهل بدل العلم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۶

والعنف بدل الرأفة والرحمة.

وخاض الحكّام فى البذخ ونهب الأموال والثروات والتمييز والظلم والجور، وتسللت الرشوة إلى الجهاز القضائى، وعطلت السنن الحسنة، فتتأسس حكومة فاسدة ينعدم فيها الدين كما تزول فيها الدنيا ... ويا له من درس وعبرة لحكّام الحق.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۷

الخطبة[۴۸۸] المأة والثانية والثلاثون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

يعظ فيها ويزهّد فى الدنيا

نظرة إلى الخطبة

تشمتل هذه الخطبة كما ورد فى عنوانها على المواعظ والإرشادت والنصائح والوصية بالزهد فى الدنيا، وتتألف من أربعة أقسام هى:

۱- حمد اللَّه والثناء عليه مع ذكر صفات اللَّه سبحانه الخاصة والشهادة الخالصة للنبى صلى الله عليه و آله بالنبوة.

۲- إشارة إلى انتهاء الأجل وسلخ الإنسان من كافة ممتلكاته التى حازها فى الحياة الدنيا.

۳- لزوم الاعتبار بحياة الامم السالفة، واولئك الذين جمعوا الأموال والثروات، فكان عاقبة دورهم أن أصبحت قبورهم، كما خلّفوا للآخرين أزواجهم وأموالهم.

۴- ضرورة اغتنام فرض الدنيا وإعداد المتاع والزاد للآخرة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۷۹

القسم الأول: صفات اللَّه الخاصة

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ. العَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ نجيّه وَبَعِيثُهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ».

الشرح والتفسير

استهل الإمام عليه السلام الخطبة بحمد اللَّه والثناء عليه وذكر أوصافه الخاصة فقال:

«نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى .

والمراد من «أخذ» سلب النعم والآلاء الإلهيّة، والمراد من «أعطى» وهبها، ومن «أبلى» إعطاء النعمة و «إبتلى» الامتحان بواسه أخذ النعم، ومن هنا ذهب أغلب شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ هاتين العبارتين تفسيرتين (أى أن أخذ تعادل أبلى وأعطى تعادل ابتلى)، لكن يحتمل أن تكون الأولى إشارة إلى النعم المادية والثانية إشارة إلى النعم المعنوية، لأنّ المفردة «أخذ» كثيراً ما تستعمل فى الأمور المادية.

على كل حال يستفاد من العبارات المذكورة أنّ سلب النعمة قد يكون نفسه نعمة، لأنّ وفور النعمة سبب الغرور والابتعاد عن اللّه ومقاطعة الخلق، أضف إلى ذلك فانّ الحمد تجاه سلب النعم علامة على التسليم المطلق لمشيئة اللّه.

ثم أشار إلى ذكر ثلاثة أوصاف أخرى من أوصاف اللّه سبحانه وتعالى والتى تشكل فى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۰

الواقع تحذيراً لكافة الأفراد الذين يراقبون أنفسهم ونيّاتهم فقال عليه السلام:

«الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ[۴۸۹]، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ. العَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ».

فهذه الصفات تدلّ بوضوح على أنّ علم اللّه سبحانه علم حضورى، يعنى أنّه حاضر وناظر فى كل مكان، فالخفيات والعلنيات لديه على حدّ سواء، والحضور والغياب عنده واحد، فهو يعلم أسرار الصدور وخائنة الأعين، وهو علم بباطن كل شخص وكل شىء.

حقّاً إنّ الإنسان لو تأمل حقيقة الحمد والثناء وذكر هذه الصفات وأمن بها إيماناً راسخاً لأدرك أنّ العالم حاضر عند اللّه تبارك وتعالى، وللّه حضور فى روحه وفكره، ولما قارف السيئة، بل لما فكر فيها.

ثم إختتم هذا المقطع من الخطبة بالشهادة للّهبالوحدانية وللنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالنبوة، فقال عليه السلام:

«وَنَشْهَدُ أَنْ لَاإِلهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ ۴۹۰] نجيّه وَ بَعِيثُهُ ۴۹۱] شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ».

طبيعى أنّ الشهادة بهذين الركنين الأصليين الذين يشكلان أسس الإيمان تدعو الإنسان إلى نفى معبود آخر وتحذر من عبادة الشيطان وهوى النفس الأمارة، كما تدعو الشهادة بالنبوّة إلى طاعة الإنسان لأوامر النبى صلى الله عليه و آله، ولا سيّما الشهادة التى لا تقتصر على اللسان بل تتعزز بالقلب وروح الإنسان.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۱

القسم الثانى: نزول الموت؟

و منها: «فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَااللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَاالْكَذِبُ. وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ. فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ- طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ. أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً؛ وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ لَافِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ!».

الشرح والتفسير

حذر الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة الجميع فى أنّ هذه الحياة الدنيا إلى زوال ولابدّ من مفارقة هذه الدنيا عاجلًا أم آجلًا والالتحاق بالآخرة وتحمل تبعات الأعمال فقال:

«فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَااللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَاالْكَذِبُ. وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ۴۹۲]، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ ۴۹۳]».

ولما كان الموت حقيقة واقعة بالنسبة لجميع الأفراد، وقضية قطعية تأبى الاجتناب، فقد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۲

أكّد الإمام عليه السلام كلامه بأنواع التأكيدات ۴۹۴]، والتى بلغت عشرة أنواع حسب قول بعض شرّاح نهج البلاغة، فقال أنّ صوت داعى الموت يطرق الأذن من كل جانب وقد دوّى صوت الرحيل ليملا كافة أرجاءالعالم، وملك الموت لا يفرق بين كهل وشاب وطفل، فقد كمن للجميع ولا يتنظر سوى أمر اللّه، ثم قال عليه السلام:

«فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ- طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ ۴۹۵] عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ»

، يمكن أن يكون للعبارة

«فَلَا يَغُرَّنَّكَ

سَوَادُ النَّاسِ»

، معنيان:

الأول: إن رأيت الناس أحياء وسالمين فلا يخدعك ذلك ولا يغفلك من الموت.

والثانى: لا تخدعك جماعات الناس لأن تفكر فى الحياة لا الموت، ومفهوم العبارة:

«وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ»

، ابعاد النفس (حسب طنه) عن الفقر بجمع الأموال، والعبارة: «

وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ»

تعنى تصور الشخص أنّه بمأمن من عاقبة عمله بسبب الآمال الفارغة بأنّ الوقت مازال مبكراً على الموت، ولكن رغم كل هذه الآمال والأمانى، فقد فاجأهم الموت وأخرجهم بسرعة وعنف من وطنهم المألوف وطردهم من مكانهم الآمن، ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأنّ ذلك فى الوقت الذى يحملون فيه على الأولاد وقد تناولتهم أيدى الرجال ليمسكوهم بالأنامل، وكأنّهم متنفرون ومرعبون من حمل توابيتهم بكامل أيديهم: «

مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ».

فقد رسم الإمام عليه السلام صورة واضحة بهذه العبارات الصريحة والبليغة المؤثرة لكيفية نهاية حياة الأثرياء المرفهين والمغرورين بالجاه والمنصب، ولاسيّما حين يدركهم الموت المفاجىء، فهى عبارات تمزق كافة الحجب التى تسدل على عين الإنسان، كما توقظ كل سامع من نوم غفلته.

ثم أضفى عليه السلام صورة أخرى على هذا المعنى مواصلة لكلامه فقال:

«أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۳

بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً[۴۹۶]، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً؛ وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ لَافِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ!

نعم، يفيق الإنسان من نوم الغفلة حين يصفعه الأجل، وفى تلك اللحظة تغلق صحف الأعمال تماماً، فلا من شىء يمكن واضافته إلى الحسنات، ولا يمكن تقليل شىء من السيئات، ولو سلب الإنسان حياته بينما بقيت صحف العمل مفتوحة والسبيل مشرع أمام تداركها فلا عقبة ولا ضير، إلّاأنّ المشكلة تكمن فى غلق صحيفة الأعمال فلا مجال لتداركها، وهذا ما يجعل الإنسان يعيش الهم والغم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۵

القسم الثالث: ممر يعرف باسم الدنيا

اشارة

«فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ

[[بَرز]]

مَهَلُهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ. فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا: فَإِنَّ الـدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ. فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ. وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ [[للزّوال]]».

الشرح والتفسير

خلص الإمام عليه السلام إلى نتيجة بعد مقدمات دقيقة أوردها فى بداية ووسط هذه الخطبة بشأن علم اللّه بكل شىء سيّما بأعمال العباد ونيّاتهم وكذلك قرب الموت والاعتبار بحياة الماضين فقال:

«فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ[۴۹۷] بَرزمَهَلُهُ ۴۹۸]، وَفَازَ عَمَلُهُ».

فمن الواضح أنّ التقوى إذا تجذرت فى أعماق قلب الإنسان ظهرت ثمارها على يديه ولسانه وعينه وسمعه، وذلك لأنّ التقوى ملكة نفسية تتمثل بخشية اللّه وهى الدافع القوى للإتيان بالأعمال الصالحة وحاجز عن الذنوب والمعاصى.

ثم واصل الإمام كلامه فقال:

«فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا[۴۹۹]، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا»

، إشارة إلى أنّ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۶

الجنّة لا تعطى لأحد بالمجان، كما لا تتأتى من خلال الظن والتصور والخيال والزعم الفارغ، فمفتاح الجنّة الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة تنبعث من التقوى.

ثم قال عليه السلام فى مواصلة لشرح وضع الدنيا والآخرة ومنزلة كل جماعة:

«فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ»

، فالنظرة الإسلامية التى تعرض لها القرآن الكريم ونهج البلاغة مراراً تكمن فى أنّ الدنيا دار ممر وأنّها قنطرة وميدان للتدريب وبالتالى فهى متجر ومقدمة للآخرة الموضوع الأصلى للإنسان، وإن اعتمدنا هذه النظرة للدنيا آنذاك سيبدو لنا كل شىء بصيغة أخرى وستحول دون مقارفتنا للذنب والظلم، وتسوقنا نحو الخير والاحسان.

أمّا أتباع المدارس المادية التى ترى الدنيا ولذاتها هدفها النهائى، وقد غفلت تماماً عن الآخرة، فليس هناك من حد لتلوثها بالذنوب والنزاعات من أجل الاستحواذ على الأموال والمناصب الظاهرية، وعليه فلا أمل فى إطفاء غائلة المعارك والنزاعات بينها، وأخيراً خلص الإمام إلى نتيجة رائعة عميقة المعنى فقال:

«فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ[۵۰۰]. وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ

لِلزِّيَالِ ۵۰۱]»،

فى إشارة إلى أنّ الوقت ضيق والموانع كثيرة وزمان الرحيل مجهول تماماً، ولا ينبغى أن يقتصر التأهب على الكهول، بل لابدّ أن يعيش ذلك التأهب حتى الشباب على الدوام، فما أكثر من بقى من الآباء الكهول والعجزة، بينما رحل الشبان الأشداء.

نتيجة الخطبة

أشار الإمام فى هذه الخطبة إلى أمور مهمّة يمكن إيجازها فى ما يلى:

۱- لفت الأنظار فى بداية الخطبة إلى حضور اللّه سبحانه فى كل مكان وعلمه بخفايا الإنسان وباطنه، ليراقب الجميع أعمالهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۷

۲- عدّ الشهادة الحقيقة بالوحدانية للحق والنبوة للنبى صلى الله عليه و آله من العلم الذى ينسجم فيه الظاهر والباطن وينفصل عن كل نفاق.

۳- إلفات إنتباه الجميع إلى قرب الموت والرحيل عن الدنيا وهو سبب اليقظة والعلم.

۴- دعى مخاطبيه لمطالعة تاريخ الماضين من خلال الكتب والآثار التى خلفوها فى المدن والمناطق، ليعلموا أنّ ذلك المصير ينتظرهم مهما كانوا ومهما بلغوا.

۵- دعى الجميع إثر تلك المواعظ والإرشادات إلى الروع والتقوى، التقوى التى تخترق أعماق قلب الإنسان وتظهر آثارها على جميع أفعاله وممارساته.

۶- يذكّر كافة مخاطبيه بهذه النقطة وهى عدم إعطاء الجنّة لأحد دون حساب، بل لها ثمن لا يبلغها العبد إلّابه.

۷- يستعرض أخيراً هذا الأمر فى أنّ الدنيا ممر ولا مقر، متجر ينبغى للجميع التزود منه فيستعدوا فى كل آن للرحيل والانطلاق.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۸۹

الخطبة[۵۰۲] المأة والثالثة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

يُعظّم اللّه سبحانه ويَذكر القرآن والنبى ويَعظُ الناس

نظرة إلى الخطبة

يتضح من النظرة الإجمالية إلى الخطبة أنّها تتألف من خمسة أقسام مهمّة هى:

القسم الأول: يتحدث عن عظمة اللّه وقدرته المطلقة وسجود كافة المخلوقات لذاته المقدّسة.

القسم الثانى: إشارة إلى عظمة القرآن الكريم وخلوده.

القسم الثالث: فى النبى صلى الله عليه و آله وأنّ اللّه سبحانه أرسله بعد فترة وختم به النبوة.

القسم الرابع: الحديث عن تفاهة الدنيا ودعوة الجميع لليقظة والتعرف على الدنيا والتزود منها.

القسم الخامس: وعظ المخاطبين والعود على التذكير بالقرآن وعظمته ولزوم التدبر فى آياته، وهكذا يعرض اطروحة كاملة لأهل الحق لنيل السعادة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۱

القسم الأول: انقياد ما فى الدنيا لله

اشارة

«وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمواتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع فى بيان طائفة من أوصاف اللَّه تبارك وتعالى، وأشار بخمس عبارات إلى أمور دقيقة بهذا الشأن فقال:

«وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا[۵۰۳]».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام شبّه الدنيا والآخرة بالحيوانات السلسة والمروضة التى أسلمت زمامها فيقودها حيث يشاء، ثم قال عليه السلام فى العبارة الثانية مؤكّداً ذات المعنى السابق بصيغة أخرى:

«وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمواتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا[۵۰۴]»،

فهو يفتح ما يشاء ويغلق ما يشاء ويفعل كل ذلك على أساس الحكمة، وأشار فى العبارة الثالثة إلى سجود الأشجار والناضرة لذاته المقدّسة وقال عليه السلام:

«وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۵۰۵] الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ».

صبغاً التركيز على الأشجار الناضرة لا يعنى الحصر، بل نموذج من أجمل الكائنات الحية

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۲

لعالم الخليقة، كما يشير الغدو والآصال إلى جميع الأوقات، كقولنا إنا فى خدمة نشر المبادىء الإسلامية ليل ونهار، أى فى جميع الأحوال والأوقات، ومن هنا أطلق القرآن الكريم القول:

«والنَّجمِ والشَّجَرِ يَسجُدَانِ»[۵۰۶]، كما يحتمل أن تكون آثار اللَّه وعظمته أوضح فى الأشجار حين شروق الشمس وغروبها أكثر من أى زمان، ويمكن أن يكون هذا السجود بلسان الحال، لأنّ نظامها الدقيق يعكس علم خالقها وقدرته المطلقة، كما يمكن أن يكون بلسان القال، وبناءاً على تمتع كافة ذرات كائنات العالم بالعلم والشعور وتسبيحها للَّهسبحانه عن علم وسجودها له.

وقال عليه السلام فى العبارة الرابعة:

«وَقَدَحَتْ ۵۰۷] لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا[۵۰۸] النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ».

وهذا من عجائب القدرة الإلهيّة بأن يخلق مادة بين الماء والتراب تكون مركزاً للنور والضوء، وذلك الضوء الذى تحل من خلاله أغلب مشاكل الإنسان.

ثم قال عليه السلام:

«وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ[۵۰۹]».

اسجام الآيات والروايات

تتفق عبارات الخطبة التى تضمنت آثار التوحيد اللَّه وعظمته وما ورد فى الآيات والقرآنية، فقد ورد فى موضع من القرآن الكريم: «لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»[۵۱۰]، وفى موضع آخر: «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ»[۵۱۱]، وكذلك: «أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ...»[۵۱۲]، وورد أيضاً: «الَّذِى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۳

جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ»[۵۱۳]، وقال: «وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ...»[۵۱۴].

على كل حال كلما تأملنا آيات القرآن الكريم وخطب نهج البلاغة كهذه الخطبة اتضحت لنا عظمة الحق تبارك وتعالى وقدرته ونعمته فتثير الدنيا حس الشكر له لنرتوى من العين الصافية لفرات معرفته وتعرفنا على صفات جماله وجلاله.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۵

القسم الثانى: إعجاز القرآن

اشارة

منهَا: «وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَايَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَاتُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَاتُهْزَمُ أَعْوَانُهُ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع القصير من كلامه بالحديث عن أهميّة كتاب اللَّه القرآن الكريم، وقد أدّى حق المطلب بثلاث عبارات قصيرة وبليغة:

«وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ [۵۱۵]

نَاطِقٌ لَايَعْيَا[۵۱۶] لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَاتُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَاتُهْزَمُ أَعْوَانُهُ».

فقد أشار فى العبارة الاولى إلى هداية القرآن فى كل زمان ومكان وتحت أية ظروف، وإن بدا صامتاً، لكنّه تحدث بمئة لسان، وقد سمعه كل من جلس إليه ومنحه آذاناً صاغية، فهو لا ينفك يلقن الإنسان دورس الحياة السعيدة، والعبارة:

«لَا يَعْيَا لِسَانُهُ»،

يمكن أن تكون إشارة إلى أنّ تقادم الزمان لا يؤثر مطلقاً على حقائق القرآن الكريم، وهو غض طرى على الدوام كما صورته الأخبار والروايات ۵۱۷].

وأشار فى العبارة الثانية إلى نقطة أخرى حفظ القرآن الكريم، فكما يحفظ البيت المستحكم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۶

ذا الأعمدة القوية أصحابه من مخاطر الحوادث والحرارة والبرودة والحيوانات الوحشية والأعداء واللصوص، فانّ القرآن الكريم يتكفل بحفظ أتباعه من الانحراف والضلال ووسوسة الخناسين وإلقاءات الشياطين.

وأشار فى العبارة الثالثة إلى هذه الحقيقة وهى أنّ قدرة الإنسان لا تقهر إن لاذ بالقرآن وهبّ لنصرته، وذلك لأنّ قدرة هداية القرآن تستند إلى قدرة اللَّه سبحانه وقدرة اللَّه قاهرة لا تغلب، وبفعل مصداق الآية الشريفة: «إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ...»[۵۱۸]، فمن تأيد بنصر القرآن لن يهزمه عدو.

القرآن الناطق

لعل العبارة التى وردت فى هذا المقطع من الخطبة والتى عبّرت عن القرآن الكريم بأنّ

«نَاطِقٌ لَايَعْيَا لِسَانُهُ»

تثير هذا السؤال: كيف التوفيق بين هذه العبارة وما ورد عن الإمام فى الخطبة ۱۵۸ بشأن القرآن إذ قال عليه السلام:

«ذلِكَ الْقُرْآنُ، فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ».

وكذلك العبارة التى وردت فى الخطبة ۱۸۳ إذ قال عليه السلام:

«فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ»، أو ليس

هناك من تضاد بين هذه العبارات؟

تتضح الإجابة على هذا السؤال من أدنى دقّة وتأمل، بعبارة أخرى فانّ العبارات المذكورة تفسر بعضها البعض الآخر، لأنّ القرآن حين

يعبر عن القرآن بالصامت والناطق فمفهوم ذلك أنّ كل تعبير ناظر لشيء، مثلًا يمكن القول: القرآن صامت من حيث الظاهر، لكنّه فى الواقع تحدث بصوت جلى بليغ، أو أنّه صامت إزاء الأفراد السطحيين بينما ناطق هو تجاه العلماء المفكرين، أو أنّه ناطق فى مواصلة الطرق العملية الأصولية، أمّا بالنسبة لتطبيقها على مصاديقها استنباط الأحكام الفرعية (كقضية التحكيم فى حادثة معركة صفين)، فيجب على المجتهدين أن ينطقوا عنه، ويمكن جمعها معاً فى مفهوم جامع لكلام على عليه السلام وسيأتى مزيد من التوضيح فى ذلك هذه الخطبة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۷

القسم الثالث: رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله

منهَا: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْىَ، فَجَاهَدَ فِى اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ».

الشرح والتفسير

تحدّث الإمام عليه السلام فى المقطع الأول والثانى عن صفات اللَّه سبحانه والقرآن الكريم، ثم أشار هنا بعبارات قصيرة عميقة المعنى إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى أنّ اللَّه تعالى أرسله بالإسلام بعد مدّة وفترة من الرسل السابقين حين كان النزاع قائماً على قدم وساق بين الأفراد فى دفاع كل عن معتقده فقال:

«أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[۵۱۹] مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ».

فالعبارة:

«تَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ»

، إشارة إلى أنّ الحوادث التى تدور بين أتباع المذهب المختلفة بما فيهم عبدة الأوثان وأهل الكتاب ومن ليس له دين وعقيدة، لم تكن حوارات منطقية ذات محتوى فكرى وعقلى، بل كان كل يسطّر بعض الألفاظ بدافع التعصب لإثبات أحقيقته، بل كان هذا النزاع والاختلاف اللفظى أحياناً مصدر معارك طاحنة وسفك دماء غزيرة.

ثم قال عليه السلام:

«فَقَفَّى ۵۲۰] بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْىَ»،

فقد أشار الإمام إلى نقطتين: الأولى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله واصل مسيرة الأنبياء الماضين، وذلك لأنّ مسرتهم بصورة كلية واحدة، والثانية أنّه بلغ بتعاليمهم الكمال وختم بهم النبوّة، ثم إختتم كلامه عليه السلام بالقول:

«فَجَاهَدَ فِى اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ ۵۲۱] بِهِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۸

فالواقع هو أنّ الكفّار فريقان: فريق نسى اللَّه تعالى بالمرّة ولا يعتقد بالحق، وفريق آخر مشرك جعل للَّهسبحانه شريكاً، وقد جاهد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كلا الفريقين، جهاد ثقافى وإعلامى وخاضه لمدّة ثلاث عشرة سنة وقد أسلم العديد منهم، وعندما شاهد الفريق المعاند الذى حال دون إقبال الناس على الدين اللَّه خاض الجهاد المسلح ليقضى على تلك الموانع دون أن يجبر أحداً على قبول دينه ذلك لأنّه:

«لَاإِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ...»[۵۲۲]

، وزبدة الكلام فقد أوجز الإمام عليه السلام جميع أنشطة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله فى الجهاد، وهو الجهاد ذو المفهوم الواسع والذى يشمل كل سعى وجهد من أجل نشر دين الحق، والعبارة جاهد فى للَّهإشارة لطيفة فى أنّه لم يكن أسيراً للمال أو المقام والجاه

والجلال، بل جاهد من أجل اللّه سبحانه وسعى لنجاة العباد.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۲۹۹

القسم الرابع: الدنيا غاية بصر الأعمى

اشارة

منهَا: «وَإِنَّمَا الـدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَـرِ الْأَعْمَى لَايُبْصِـرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَـيْئاً، وَالْبَصِـيرُ يَنْفُذُهَا بَصَـرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا. فَالْبَصِـيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ».

الشرح والتفسير

أورد الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة كما ذكر ذلك الشارح البحرانى عدّة نقاط لطيفة ورائعة رغم اقتضابها، وقد لفت الأنظار إلى الأصول التى تعد معالم حياة الأفراد فقال:

«وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى .

ثم أكمل ذلك بقوله:

«لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا».

نعم، فعبّاد الدنيا وبسبب حبّهم وشغفهم بزخارف الدنيا وزبرجها كالمحبوس فى سجن لا يرى سوى ما فى داخل السجن، فأمّا نظرهم ضعيف، أو هناك حجب تحيط بأطرافهم، أو كلاهما، وأمّا دعاة الحق فنظرهم ثابت ولا حجاب لهم، ومن هنا فهم يرون ببصيرتهم الثاقبة الدار الآخرة منزلهم الأبدى الخالد بكل وضوح فليس لهم من هم سواها والحق إننا عرفنا الدنيا كما هى تبع ذلك الإيمان بالآخرة، وذلك لتعذر فهم الدنيا دون الآخرة، فهل خلق الخالق الحكيم كل ما فى هذا العالم الواسع ليعيش الإنسان هذه المدّة المعينة فيأكل ويشرب وينام ويصحو بالتالى يموت ويوارى جثمانه الثرى ويدع النسيان؟ والحال بداية عمره كنهايته ممزوجة بالضعف والعجز، ووسطه الذى يمكن الاستفادة منه مشوب بأنواعه المشاكل المصائب والآلام والمعاناة؟ هل هناك حكيم يقوم بمثل هذا العمل الطائش؟ ولذلك صرّح

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۰

القرآن الكريم:

«يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ»[۵۲۳].

وقال فى النقطة الثانية التى تمثل فى الواقع نتيجة بالنسبة للنقطة الأول:

«فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ».

وبناءاً على هذا فقد استعمل الشاخص بمعنيين وما يصطلح عليه بالجنس التام، المعنى الأول من مادة شخوص بمعنى الرحيل والمفارقة، والمعنى الثانى التطلع وتصويب العين نحو موضع والتخلف عن الحركة، وكأن العين تريد مغادرة الحدقة، وللعبارة تفسير آخر اقتصر على ذكره شرّاح نهج البلاغة وهو أنّ الشاخص هنا يعنى الراحل غاية ما فى الأمر تطلق حين يقال «منها شاخص»، كما يقال «إليها شاخص» وهذا هو الفارق بين من كانت له بصيرة والأعمى، وقال فى النقطة الثالثة والأخيرة:

«وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ».

فهل البصيرة يتزودون من الدنيا للآخرة كما صرّح بذلك القرآن الكريم: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»[۵۲۴]، بينما يتزود عمى القلوب من أجل العيش فى الدنيا، فهناك اختلاف تام بين المسيرين بتعين فقط بكلمة «منها» و «لها».

التعامل مع الدنيا

هناك على الدوام نظرتان يمتلكها الإنسان تجاه الدنيا، فأتباع الأديان السماوية يرون الدنيا بصفتها منزلًا لابدّ من التزود فيها إلى الآخرة، يبلغون مرادهم بواسطة هذا الزاد والمتاع وليس لهم من مراد سوى السعادة الأبدية والفوز برضوان اللّه سبحانه وتعالى، أمّا أتباع المدرسة المادية (والمدارس التى تتفق معها) فهم ينظرون إلى الدنيا على أنّها الهدف النهائى والغاية فيوظفون كافة طاقاتهم ويجندون قواهم من أجل الظفر بها، وأحياناً يتفق أصحاب النظرة الأولى فى العمل مع أتباع النظرة الثانية، يعنى رغم اعتقادهم بأنّ الدنيا وسيلة لنيل الآخرة، إلّا أنّ عملهم يشير إلى نسيان ذلك الاعتقاد وتعاملهم مع الدنيا كهدف نهائى ومن هنا وردت

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۱

تحذيرات أئمّة الدين التى تهدف ايقاظهم من الغفلة، فيقولون أحياناً:

«تَجَهَّزُوا، رحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِىَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ»[۵۲۵].

وأخرى يقولون:

«النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنيا وَالدِّينُ لَعرقٌ عَلى ألسِنَتِهِم»[۵۲۶]

، كما يقولون:

«الدنيا: تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ»[۵۲۷].

وأخيراً يقولون: إنّما الدنيا منتهى بصر الأعمى، ولا يبصر ما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره، ويعلم أنّ الدار وراءها».

وأعظم مانع من الا فراد، وأهم وظائف أئمّة الدين إيقاظ هؤلاء الأفراد ولفت إنتباهم إلى أنّ الدنيا ممر لا مقر.

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۳۰۱

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۳

القسم الخامس: أهمية القرآن و دور عبادة الدنيا فى الصراعات

منهَا: «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَايَجِدُ فِى الْمَوْتِ رَاحَةً. وَإِنَّمَا ذلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِى هِىَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِىٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلامَةُ. كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِى اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ. قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيما بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ. وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِى كَسْبِ الْأَمْوَالِ. لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِى وَأَنْفُسِكُمْ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع إلى مسائل مهمّة وقضايا مختلفة لا يبدو أنّها مرتبطة مع بضعها، ومن هنا يعتقد بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ هذه العبارات قطوف اختارها المرحوم السيد الرضى من خطبة طويلة مرتبطة، وذلك لأنّه رآها أعظم فصاحة وبلاغة، وإلى هذا يعود سبب عدم رؤيتنا لإرتباط واضح بينها، ومع ذلك فهناك حكمة بالغة تختزنها هذه العبارات، فقد ساق فى البداية تثبيتها من أجل لفت الأنظار إلى أهميّة العلم الذى يمثل حياة قلب الإنسان فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَايَجِدُ فِى الْمَوْتِ رَاحَةً».

وقد صرّح أغلب شرّاح نهج البلاغة هنا سؤالًا وهو: لا ينسجم هذا التعبير مع ما ورد فى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۴

بعض الآيات والروايات التى تصور راحة أولياء اللّه سبحانه فى الموت، ومن ذلك ما ورد فى سورة الجمعة: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ»[۵۲۸]. وما ورد فى سورة الواقعة: «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ»[۵۲۹].

فمن الطبيعى ألا يكره الموت من يرى نفسه على أعتاب الروح والريحان والجنّة المليئة بالنعم، وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف:

«لَيسَ لِلمُؤمِنِ راحَةٌ دُونَ لِقاءِ اللَّهِ»[۵۳۰]

، كما ورد هذا المعنى بعبارة أخرى عن الإمام الصادق أنّه قال:

«لا راحَةَ لِلمُؤمِنِ عَلَى الحَقِيقَةِ إلّاعِندَ لِقاءر اللَّهِ»[۵۳۱].

وجاء فى الدعاءالمعروف للإمام على بن الحسين عليهما السلام فى يوم الثلاثاء:

«وَاجعَل الحَياةَ زِيادَةً لِى فِى كُلِّ خَيرٍ وَالوَفاةَ راحَةً لِى مِنْ كُلِّ شَرٍ».

وقد ذكرت عدّة أجوبة على هذا السؤال أوضحها جميعاً أنّ هذه العبارة إشارة إلى الناس الذين يهربون عادة من الموت، بينما ليس لأمر كذالك بالنسبة لخواص اللّه سبحانه، كما يحتمل أن يكون المراد كراهة حتى أولياء اللّه تعالى للموت بفضله نهاية التزود ومواصلة مسيرتهم التكاملية، على كل حال فقد أراد الإمام على عليه السلام هذه المقدمة على أنّها نتيجة وتشبيه للعلم والمعرفة التى يرتوى منها الإنسان مطلقاً فقال:

«وَإِنَّمَا ذلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِى هِىَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِىٌّ ۵۳۲] لِلظَّمْآنِ ۵۳۳]، وَفِيهَا الغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلامَةُ».

فالواقع أراد الإمام عليه السلام أن هناك نوعين من الحياة حياة مادية وجسمانية والتى لا يشبع منها الناس غالباً، والحياة المعنوية والروحانية والأفضل منها العلم والمعرفة التى لا يرتوى منها العقلاء والعلماء قط، وبناءاً على هذا فانّ المشار إليه «ذلك» بالضبط هو ذلك الشىء الذى ورد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۵

قبل ذلك وهو الحياة المادية التى لا يشبع منها الناس، والغريب هنا كما أورده شرّاح نهج البلاغة حيث ذكر كل واحد منهم احتمالًا للعبارة المذكورة، الحال تفسيرها واضح وهو يشبه ما ورد فى إحدى قصار الكلمات لأميرالمؤمنين على عليه السلام إذ قال:

«مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا»[۵۳۴].

على كل حال فالمراد بالحكمة فى العبارة المذكورة هو العلم والمعرفة التى تقرب الإنسان من اللّه وتنظم أموره المادية والمعنوية وتحول دون أعماله العبثية، وبعبارة قصيرة كما وردت فى القرآن الكريم فانّ الخير الكثير يعود إلى صاحبه: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً ...»[۵۳۵].

وقد يبيّن الإمام عليه السلام فى عبارته المذكورة العميقة المعنى الأوصاف الخمسة للحكمة وكشف عن منزلتها فى حياة الإنسان المادية والمعنوية، فقال أولًا إنّ الحكمة حياة القلب الميت، يعنى أنّ الأرواح والأفكار التى تصبح بفعل الجهل كالأموات خالية من أية حركة إيجابية، إنّما تعود إلى الحياة فى ظلّ العلم والحكمة فتحيا وتمارس الحركة.

وثانياً وثالثاً أنّ الحكمة تبصر الأعمى وتسمع الأصم وتوضح الحقائق لمن غطت الحجب بصره وأثقل الوقر أذنه، بحيث يرى الحق فى كافة أنحاء الخلق ويسمع نداء تسبيح الكائنات ويدرك رسالته أولياء اللّه سبحانه، وقال فى الوصف الرابع والخامس أنّ عطشى الحق لا يرتوون من منابع الحكمة ويجدون فيها أسباب عافيتهم وسلامتهم، وعليه فلن يبقى من الخير والبركة والسعادة شيئاً إلّاوقد اختزنته الحكمة.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالحديث عن القرآن الكريم والذى يراه بعض شرّاح نهج البلاغة أنّه جمل استئنافية قطع إرتباطها بالعبارات السابقة بسبب ما اعتمده السيد الرضى فى الانتخاب ۵۳۶]، ولكن كما أورد المرحوم البحرانى فانّه لا يمكن القول أنّ ليس هناك إرتباط بين هذه العبارات وسابقاتها حيث بيّنت أحد منافع الحكمة المهمّة وهى القرآن الكريم، أو بعبارة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۶

أخرى قد ركّزت على المصداق التام للحكمة، والجدير بالذكر أنّ الأوصاف التى بيّنتها للقرآن تشبه الأوصاف التى بيّنتها العبارات المذكورة للحكمة، على كل حال فقد قال كتاب اللّه الذى تبصرون به الحقائق وتتحدثون به، وتسمعون به ينطق بعضه البعض الآخر (وتفسر فيه المتشابهات على ضوء المحكمات) ويشهد بضعه على البعض الآخر (ويؤيد بعضه الآخر) ولا يختلف ما يقوله فى اللّه، ومن يصحبه لا يخلاف اللّه: «كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ».

والأوصاف السبعة التى بيّنها الإمام عليه السلام بشأن القرآن تشبه من جهات الأوصاف الخمسة التى بيّنها بصورة كلية بخصوص الحكمة.

والجدير بالذكر أنّ الحكمة اقترنت بالكتاب فى غلب الآيات القرآنية[۵۳۷] والذى يدلّ على العلاقة الوثيقة بينهما وأنّ رسل اللّه سبحانه كانوا يمضون قدماً فى ظلّهما (الكتاب والحكمة).

من جانب آخر فانّ الأوصاف التى تضمنتها العبارة بشأن القرآن الكريم فى أنّه أساس البصر والسمع والنطق، وقد وردت الإشارة إليها فى بعض الآيات القرآنية ومن ذلك الآية:

«قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ...»[۵۳۸].

وممّا لا شك فيه أنّ الآيات الإلهيّة ودلائل الحق قد وردت بكثرة فى القرآن الكريم بحيث يسع الإنسان بواسطتها رؤية جمال الحق ويسمع نداء اللّه تبارك وتعالى، وهناك فارق واضح بين العبارة:

«يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ»

والعبارة:

«يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ»

، لأنّ الحديث فى العبارة الأولى عن آيات القرآن التى يفسر بعضها البعض، وتتضح المتشابهات فى ظل المحكمات، وأمّا العبارة الثانية فتتحدث عن إنسجام آيات القرآن وكلّ منها يعاضد الأخرى وتشهد على صدقها، وبالعبارة:

«وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ»

، إشارة إلى عدم اختلاف القرآن الكريم فى بيان صفات الجمال والجلال والتى تعدّ من أهم مباحث القرآن الكريم، ويتحدث بجميع أياته عن تلك الذات المقدّسة الجامعة لكافة الكمالات اللامتناهية، والعبارة:

«وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ».

إشارة إلى أنّ أى من آيات القرآن لا تبعد الإنسان عن مسار الحق، بل

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۷

تأخذ بيده إليه، فمن تمسك بالقرآن لن يضل أبداً، ومن رجاه لا يخيب، فالقرآن يعرّف نفسه:

«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً»[۵۳۹].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه كطبيب حاذق وحكيم ماهر فخاض فى بيان معاناة مخاطبيه المعنوية وقد ذكرهم بنقطة مهمّة، كيف ولم عجزتم عن مواصلة سبيل الحق وعندكم هذا القرآن- وعليه لا يبدو صواباً ما أورده شرّاح نهج البلاغة من عدم إرتباط

العبارات اللاحقة بالعبارات السابقة، فقال بادىء الأمر كأنّى بكم قد إتفقتم على الخيانة والحسد والحقد:

«قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِ ۵۴۰] فِيما بَيْنَكُمْ».

ثم قال:

«وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ ۵۴۱]»،

إشارة إلى أن أعمالكم الخاطئة إنّما تفرزها أفكاركم الملوثة، وأضاف فى بيانه لنقطة ضعفهم الرابعة والخامسة فقال:

«وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ»

، فنقطة اشتراككم تكمن فى تعلقكم بالآمال والأمانى الفارغة، ونقطة اختلافكم فى كسب المال، حيث يريد كل منك أن يختطف المال الذى فى يد غيره.

والواقع يمكن خلاصة نقاط ضعفهم فى أربع كلمات هى الحقد والحسد والرياء وطول الأمل والنزاع من أجل كسب المال، والحق أنّ المجتمع لن يرى الأمن والاستقرار إن سادته هذه الرذائل، ولا يسوده سوى النزاع والقتال وأنواع التوتر، كما لا يعيش سوى الضعف والوهن تجاه العدو الخارجى، وإن طالعتنا بعض مظاهر الجمال فى هذا المجتمع فهى بمثابة الزهور الجميلة التى تنبت فى المزابل وجذورها عفنة، وكأنّ الإمام عليه السلام أراد أن يفهمهم هذه القضية وهى أنّ المبادىء التى سادت المجتمع الجاهلى قبل الإسلام والتى وردت الإشارة إليها فى صدر هذه الخطبة قد إنتعشت اليوم مرّة أخرى فى وسطكم، ثم أشار الإمام عليه السلام فى آخر الخطبة إلى أحد الأركان المهمة لانحرافهم والذى يتمثل بوساوس الشياطين والتى جعلتهم يضلون سبيل

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۸

السعادة والنجاة:

«لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ ۵۴۲] بِكُمُ الْغُرُورُ[۵۴۳]، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى

نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ».

قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً ...»[۵۴۴]، كما قال: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»[۵۴۵]، استهام من مادة هيام على وزن قيام خرج لا يدرى أين يذهب، فهو يمشى دون هدف حيران فلا يبلغ الهدف، ولمّا كان العاشق حيران فى حياته فقد اطلقت هذه المفردة على العشق الشديد.

على كل حال فانّ الشيطان يحث الإنسان على العبث والعشوائية ولا يقود ذلك سوى للحيرة والاضطراب، وهذا بدوره يلقى بالإنسان فى وادى الهلكة، وبالنتيجة فانّ صفاتهم الباطنية القبيحة من جانب، والانقياد لوساوس الشياطين من جانب آخر قد مهدت السبيل لبؤسهم وشقائهم وسلبتهم بصيرتهم وسمعهم ونطقهم وفهم الصحيح، وهكذا يستعرض هذا الطبيب الربانى بهذه الخطبة الغرّاء جذور الأمراض وطرق مكافحتها وعلاجها.

أشار الإمام فى هذا المقطع الأخير من الخطبة إلى عدّة أمور مهمّة منها:

۱- أنّ القرآن الكريم مصدر البصر السمع والنطق، مع ذلك هناك من لم يستثمر ذلك، لأنّهم محجوبون وحجابهم فسادهم والباطنى وتلوثهم وطول أملهم وغرقهم فى حبّ الدنيا، ونعلم أنّ هذه الأمور أهم حجب المعرفة، نعم فالكتب السماوية مهما ملئت الحكمة، ومهما تحلى الأئمّة بالعلم والبلاغة فلا جدوى من ذلك ما لم تكن هناك قابلية فى القابل، فالشمس ترسل أشعتها

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۰۹

على الدوام ولكن ما جدوى هذا الشعاع بالنسبة للأعمى، وكذلك هى الأمطار فى لطافة طبعها لكنه لا ينبت الأزهار فى كل مكان.

۲- إنّ حبّ المال والثراء أساس الحروب والمعارك النزاعات ولا يقتصر هذا الأمر على الزمان والماضى، بل تلمسه بوضوح فى كل مكان فى الوقت الحاضر، فالدول الغاشمة تصرّح دون خشية إننا دخلنا تلك الحرب من أجل حفظ مصالحنا، أو لدينا بعض المصالح

فى البلـد الفلانى (طبعاً مصالـح غير مشـروعة) وعليه فلابدّ أن يكون لنا تواجد عسـكرى فيه لنرعى تلك المصالح، والمؤسف أن وجه الدنيا أخذ يتكدر يوماً بعد آخر والحياة أصبحت فيها عديمة الأمن، وليس ذلك سوى ما أورده الإمام عليه السلام إذا قال:

«وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۱

الخطبة[۵۴۶] المأة والرابعة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

وقد شاوره عمرُ بن الخطاب فى الخروج إلى غزو الروم

نظرة إلى الخطبة

قال بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ الإمام عليه السـلام خطب بهذا الكلام حين اتّجه قيصـر بجيشه نحو ثغور الإسـلام عندما عزل خالد بن الوليد عن إمرة جيش المسـلمين وقد تولى الإمرة أبو عبيدة الجراح وشرحبيل وقد ضاق عليهما الأمر، لذلك عزم عمر أن يحضر بنفسه وأسـتشار أمير المؤمنين على عليه السلام ۵۴۷]، ويفهم من كلاـم ابن أبى الحديـد أنّ عمر خـالف ما أشار عليه على عليه السـلام، فلمّا علم الروم مقدم عمر بنفسه خافوا وسألوا الصلح على أن يؤدّوا الجزية إلى المسلمين، ثم روى قصة أشبه بالخرافة[۵۴۸].

قال المرحوم العلّامة التسترى أولًا: ما وراه ابن أبى الحديد عن سيف وروايات سيف لا تخلو من الوضع والتحريف.

ثانياً: لا دليل لدنيا أنّ هذا الكلام قاله على عليه السلام حين استشارة عمر فى الخروج بنفسه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۲

لقتال الروم، بل ظاهر بعض كلمات الشيخ المفيد رحمه الله أنّ الكلام فى معركة القادسية أو نهاوند[۵۴۹].

والجـدير بالـذكر هنا أنّ عمر كان يقبل عادة ما يشـير عليه على عليه السـلام وكان يرى نجاته فى ذلك القبول، وهـذا بـدوره يؤيـد ما أورده المرحوم العلّامة التسترى.

على كل حال تتألف هذه الخطبة من قسمين: الأول وعد اللَّه سبحانه لهذه الامة بالنصر والغلبة والامل بهذا الوعد، والثانى الذى قال فيه على عليه السلام لعمر: لا تشخص بنفسك فانّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب لا يكن للمسلمين كهف دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۳

«وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ. وَالَّذِى نَصَـرَهُمْ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَايَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتَى تَسِـرْ إِلَى هـذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ، لَاتَكُنْ لِلْمُسْـلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَـى بِلَادِهِمْ. لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً، و احْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاءِ وَالنَّصِـيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَـذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ».

الشرح والتفسير

الحضور الخطير

استهل الإمام عليه السلام كلامه للخليفة بهدف تقوية معنوياته حذراً من خوف لقاءالعدو الغاشم كالروم بقوله:

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ[۵۵۰]، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ»

، والعبارة توكل تشير إلى أنّ اللّه سبحانه تكفل بحمايتهم والدفاع عنهم، وهو الأمر الذى أشار إليه القرآن الكريم: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[۵۵۱].

وهذا الوعد الإلهى- طبق كلام الإمام عليه السلام- لم يكن مقتصراً على زمان النبى صلى الله عليه و آله، بل يجرى فى كل عصر ومصر، والعبارة:

«وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ»

، بالنظر إلى أنّ العورة تعنى فى الأصل النقاط الحدودية الهشة وما يخشاه الإنسان ويخافه، فهى تشير إلى أنّ الحق تبارك وتعالى وإضافة إلى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۴

تعهده بعزّة المسلمين ورفعتهم فانّه يمنع العدو من الالتفات إلى نقاط ضعفهم أسرارهم حتى لا يتمكن من تسديد ضرباته للمسلمين.

ثم شدّ من العزائم أكثر فأتى بشاهد حى فقال عليه السلام:

«وَالَّذِى نَصَرَهُمْ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ ۵۵۲]».

فقد نصر اللّه تعالى اولئك المسلمين الذين كانوا يبدون فى الظاهر ضعفاء ومن حيث العدّة قلائل، واليوم وقد اتسعت حوزة الإسلام والحمد للّهوقد إنضوت عدّة أفواج تحت رايته، فهم مشمولون قطعاً بنصرة الحق والغلبة لهم والهزيمة لأعدائهم، فناصرهم هو اللّه تعالى الحى القيوم الذى لا يموت، طبعاً إنّ أى موجود تثق به وتعتمد عليه فانّ مرور الزمان يصيبه بالضعف والهن والفتور وبالتالى الزوال والفناء، والذات الإلهيّة المقدّسة الوحيدة التى لا تعرف للضعف الفتور من معنى والتى لا ينبغى الاعتماد سوى عليها.

ثم ورد الإمام عليه السلام ذى مقدمة بعد هذه المقدمة فيخلص إلى نتيجة ليؤكد على عمر عدم حضور ميدان القتال بنفسه بعد أن ذكر دليلًا واضحاً لذلك والذى يقبل بصورة تامة فى الموارد المشابهة فقال:

«إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ ۵۵۳]، لَاتَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ[۵۵۴] دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ».

إشارة إلى هذا الأمر إن حضرت ميدان القتال بنفسك وقتلت فانّ أرادت الامة مبايعة شخص آخر فانّ المجتمع الإسلامى سيفقد مركزيته وتنها المناطق النائية التى تكون عرضة للخرق أكثر من غيرها وهذا ما سيسرى إلى سائر أنحاءالبلاد، ولما كان السلب فى القضايا الاجتماعية يقترن دائماً بالايجاب بغية سدالفراغ الاجتماعى، فبعد أن أشار عليه الإمام بعدم الذهاب بنفسه، طرح عليه البديل ببعث رجل مجرب فى الحرب وطائفة ممن أبلت فى القتال، من أهل النصح والخير فانّ أتاهم النصر فذلك ما يبغى ويحب، وإن حدث شىء آخر (إشارة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۵

إلى الهزيمة المسلمين) فسيكون هو ملاذ المسلمين وكهفهم (فيستطيع ومن خلال بعث القوى السيطرة على الأوضاع وتحيق النصر على العدو):

«فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً[۵۵۵]، واحْفِزْ[۵۵۶] مَعَهُ

أَهْلَ الْبَلاءِ[۵۵۷] وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، كُنْتَ رِدْءاً[۵۵۸]

لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً[۵۵۹] لِلْمُسْلِمِينَ».

فقد بيّن الإمام عليه السلام جوابه للخليفة حين المشورة بدليل منطقى وواضح وهو أنّ حضور زعيم جماعة فى ميدان القتال أمر خطير

سوى فى الموارد الاستثنائية، لأنّ من الاحتمالات الواردة قتله فى المعركة ونتيجة ذلك إنهيار الجيش من جانب وتصدع كيان البلاد من جانب آخر، بينما لو بقى مكانه كان له أن يبعث بجيوش بدل جيش واحد ويحتفظ بقدرته وسيطرته على جميع البلاد.

تأمّلات

۱- الردّ على سؤال

طرح بعض شرّاح نهج البلاغة هذا السؤال أشار على عليه السلام على عمر ألا يشخص بنفسه، فما بال رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يشاهد الحروب بنفسه، ويباشرهم بشخصه، وما بال أميرالمؤمنين على عليه السلام شهد حرب الجمل وصفين والنهروان بنفسه؟

وقد أجاب بعض الشرّاح بالقول أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان عالماً عن طريق الوحى بأنّه لا يقتل فى الحرب، كما كان على عليه السلام عالماً من جهة النبى صلى الله عليه و آله أنّه لا يقتل فى هذه الحروب، ويشهد لذلك الخبر المتفق عليه بين الناس يقاتل بعدى الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وعليه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۶

فليست هنالك من خطورة فى حضورهما، وقال البعض الآخر، أنّهما كانا يحضران المعارك التى لم تكن تدور بعيداً عن مركز البلاد، بينما اقتصر حضور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى المعارك الخارجية على تبوك فقط، وبعد أن استخلف علياً عليه السلام فى المدينة.

وبعبارة أخرى يمكن القول: الموارد مختلفة تماماً ولكل ميدان من ميادين القتال وشرائطه ووضع العدو حكمه الخاص، ولكن غالباً إن كان الميدان بعيداً عن مركز الحكومة واشترك رئيس الحكومة فيه وقتل أدّى إلى عدّة مشاكل، ومن هنا نهى الإمام عليه السلام الخليفة عن حضور ميدان القتال بنفسه.

۲- شبهة أخرى

لعل هناك من يشكل: كيف قدم الإمام عليه السلام هذه النصيحة الودّية والمشفقة للخليفة مع أنّه يرى الحكومة من حقوقه المسلمة وقد صرّح النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والآيات القرآنية بهذا المعنى فى أنّ الولاية لعلى عليه السلام؟

الجواب على هذا السؤال واضح وهو أنّ الإمام عليه السلام إنّما يفكر فى المصير النهائى للإسلام والمسلمين لا فى شخصه، وهو يعلم أنّ الخليفة الثانى قد تربع على مسند الحكومة وتسلم زمام الأمور وقد وقف إلى جانبه عوام الناس وطائفة من الخواص، فانّ تعرض فى ظل هذه الظروف إلى أزمة عظيمة وقتال خطير ساد الهرج والمرج البلاد وعمتها الفوضى وتعرض كيان الإسلام للخطر، فروح على عليه السلام العظيمة تقتضى نسيانه لكل شىء وإيثاره لخير المسلمين على كل شىء.

۳- الأمانة فى الاستشارة

الكلام المذكور درس لجميع المسلمين بتقديم الخير والصلاح حين المشورة دون الأخذ بنظر الاعتبار قضية المستشار وكيفية العلاقة به.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۷

بعبارة أخرى: إمّا يرفض المشورة وإمّا أنّ يقبلها ويؤدّى حقها، فقد ورد فى الحديث أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«اعْلَم أَنَّ ضَارِبَ عَلِيٍّ بِالسَّيفِ وَقَاتِلَهُ لَو إِتَمَنَنى واستَنصَحَنِى وَاستِشارَنِى ثُمَّ قَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ لَأَدَّيتُ الأَمانَةَ»[۵۶۰].

۴- إستنتاج خاطىء

أراد بعض المخالفين التشبث بكلام الإمام عليه السلام ليقيموا الدليل على أحقيّة الخليفة الثانى بالخلافة وعلى لسان على عليه السلام، ولكن من الواضح أنّ هذا الاستنباط خاطىء، لأنّ الوظيفة الشرعية والعقلية وحفظاً لمصالح المسلمين تتطلب من كل شخص فى مثل ظروف على عليه السلام أن يقدم النصح لمن كان يمر بظروف عمر، فينطق لسانه بخير المسلمين وصلاحهم، وإن جرت الأمور على خلاف مصالحه الشخصية، بل إن كانت بضرورة، والعبارة:

«لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ»

، لا تعنى قط أنّك أصلح الامة، بل معناها أنّ الناس عرفوك فى ظلّ الظروف الفعلية- حقّاً أم بغير حق- بهذه الصفة فان قتلت تطلبت البيعة لآخر زماناً طويلًا وهنا تنهار الامة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۱۹

الخطبة[۵۶۱] المأة والخامسة والثلاثون

اشارة

ومِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان

فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال على عليه السلام للمغيرة:

نظرة إلى الخطبة

صرّح ابن أبى الحديد وآخرون أنّ هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان، وإن أفادت عبارات الخطبة أنّ هذه المشاجرة كانت بحضرة عثمان، فقد جاء فى الخبر أنّ عماراً لما سمع بخبر وفاة أبى ذر ترحم عليه بحضور عثمان، فغضب عثمان وقال: انفوه إلى الربذة، فقال عمّار: مجالسة الكلاب والخنازير أحبّ إلىَّ من مجالستك قال ذلك وخرج، فعزم عثمان على نفيه، فذهب بنو مخزوم إلى على عليه السلام وشكوا له ضرب عثمان لعمار وهو عازم الآن على إبعاده فسألوه أن يكلم عثمان وإلّا وقعت فتنة عظيمة، فذهب الإمام على عليه السلام إلى عثمان وقال له: نفيت أبى ذر إلى الربذة حتى مات غريباً وهو من صحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقد نقم عليك الناس ذلك، وتريد الآن نفى عمار.

فغضب عثمان وقال: لابدّ من نفيك أولًا لكى لا يجرأ عمار، ففسادهم منك، فقال على عليه السلام: لا تقدر على ذلك وفساد أمثال عمار بسبب أعمالك، فأنت تعمل خلاف دين اللَّه تعالى فنقم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۰

الناس عليك، قال ذلك ثم خرج من عند عثمان، وقد أحاط الناس به وقالوا فليبعدنا عثمان جميعاً لنموت بعيداً عن أهلنا، فقال الإمام عليه السلام قولوا لعمار يلازم بيته ولا يخرج.

فقال بنو مخزوم: إن كنت معنا فليس لعثمان أن يفعل شيئاً، فلما بلغ ذلك عثمان شكى علياً عليه السلام إلى الناس، فقال له زيد بن ثابت وكان من شيعته وخاصته: أفلا أمشى إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتى إليك، قال: بلى، فأتاه زيد معه المغيرة بن الأخنس [۵۶۲] وعداده بنى زهرة وامّه عمة عثمان، فحمد زيد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فانّ اللَّه قدم لك سلفاً صالحاً فى الإسلام، وجعلك من الرسول بالمكان الذى أنت به، فأنت للخير كل الخير أهل، وأميرالمؤمنين عثمان ابن عمك ووالى هذه الامة، فله عليك حقان، حق

الولايۀ وحق القرابۀ، وقد شكا إلينا أنّ علياً يعرض لى، ويرد أمرى علىَّ، وقد مشينا إليك نصيحۀ لك، وكراهيۀ أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما، فحمد على عليه السلام اللَّه وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: أمّا بعد، فواللَّه ما أحبّ الاعتراض ولا الردّ عليه، إلّاأن يأبى حقّاً للَّه‌لا يسعنى أن أقول فيه إلّابالحق، وواللَّه لأكفنّ عنه ما وسعنى الكف.

فقال المغيرۀ بن الأخنس وكان رجلًا وقاحاً، وكان من شيعۀ عثمان وخلصائه: إنّك واللَّه لتكفن عنه أو لتكفن، فانّه أقدر عليك منك عليه.

فقال له عليه السلام: يابن اللعين الأبتر، والشجرۀ التى لا أصل لها ولا فرع ...[۵۶۳].

بناءاً على هذا فخلاصۀ الكلام أنّه اعتراض شديد على المغيرۀ بن الأخنس الذى نطق بكلام أكبر منه واعتقد أنّ له منزلۀ أعظم ممّا فى نفسه.

نفحات الولايۀ، ج۵، ص: ۳۲۱

«يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِى‌لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِى؟

فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ. اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ!».

الشرح والتفسير

أنت عاجز

كان على عليه السلام الكهف الحصين للمظلومين والمحرومين على عهد الخلفاء الثلاث سيّما على عهد الخليفۀ الثالث عثمان الذى جاوزت بطانته الحدّ فى الظلم والجور، فلم ترحم صغيراً ولم توقر كبيراً، فكان عليه السلام من يوصل نداء المظلوميۀ للخليفۀ، فمن الطبيعى أن يسبب له هذا الأمر بعض المشاكل حيث كان يجند الامۀ ضد الخلافۀ الحاكمۀ.

فقد عرض الإمام عليه السلام بهذا الردّ على تهديد المغيرۀ بن الأخنس بالذم له والاستخفاف به، فأشار بادىء الأمر إلى جذور فساده ونقاط ضعفه ليخلص إلى نتيجۀ تفيد عجزه عن القيام بأى عمل ضد الإمام عليه السلام فقال:

«يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِى‌لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِى؟»،

والتعبير عن المغيرۀ بن الأخنس باللعين كونه من رؤوس النفاق حيث أظهر الإسلام فى فتح مكۀ وأبطن الكفر، وقد حاول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إستمالۀ قلبه فأعطاه سهماً كبيراً من غنائم حنين، وأخوه أبو الحكم الذى قتله على عليه السلام يوم احد، ومن هنا حقد المغيرۀ على على عليه السلام ۵۶۴].

وأمّا وصف الإمام لأبيه بالأبتر لا أنّه لم يكن له عقب، بل الأبتر هنا تعنى انقطاعه عن الخير والسعادۀ، أو أبتر من حيث النسب حيث كان أولاده ممن لا خير فيهم فكانوا كالعدم،

نفحات الولايۀ، ج۵، ص: ۳۲۲

وأمّا قوله والشجرۀ التى لا أصل لها ولا فرع فهو كنايۀ عن وضاعۀ هذه الاسرۀ وبُعدها عن القيم والمثل، فالواقع أنّ قول الإمام عليه السلام إقتباس من الآيۀ الشريفۀ:

«وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ»[۵۶۵].

ثم قال الإمام عليه السلام:

«فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ ۵۶۶]»،

العزّۀ والقدرۀ بيد اللَّه سبحانه ذلك طبقاً للآيۀ الكريمۀ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»[۵۶۷].

وقوله تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»[۵۶۸]، فالعزّۀ للَّه‌لا- للمنافقين، ثم إختتم الخطبۀ

باستخفافه الشديد بالمغيرة فقال:

«اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ ۵۶۹]، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ ۵۷۰] إِنْ أَبْقَيْتَ!».

إشارة إلى أنّك لأصغر من أن تهدد علياً عليه السلام، فافعل ما بوسعك لترى إنّك لا تقوى على شيء، وبائس هو الفرد الذى أنت ناصره.

سلوك الإمام عليه السلام تجاه الفرد العديم المنطق

لو أنعمنا النظر فى شأن وورد هذا الكلام للإمام عليه السلام وتتبعنا بدقة مساره التاريخى لرأينا كيف اصطدم الإمام عليه السلام بصورة منطقية بالانحرافات فى عصر الخلفاء ولا سيّما على عهد عثمان، فلم يتوان فى تقديم الوعظ والنصح من أجل منع أى توتر واضطراب حيث كان يكتفى بالحدّ الأدنى من التذكير، أمّا حين كان يصطدم بالمنافقين والجهّال عديمى المنطق، فقد كان يقف بوجههم بكل شدّة وصلابة حتى لا يقتدح فى أذهانهم التفكير بالأعمال الطائشة والخطيرة، وصدر وذيل الكلام المذكور خير شاهد على السلوكين.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۳

الخطبة[۵۷۱] المأة والسادسة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فى أمر البيعة

نظرة إلى الخطبة

أشار الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة إلى أمور:

الأول: أنّ بيعتى لم تكن صدفة بعيدة عن تفكير الناس وتخطيطهم، وعليه فلا يحق لأحد نقضها لأنّها بيعة عامّة.

الثانى: أنّى أريدكم جنوداً لتبلور الأهداف الربانية، لكنّكم تريدوننى من أجل ضمان منافعكم الدنيوية.

الثالث: أبغى من كل الافراد النصرة لاستنقاذ حق المظلوم من الظالم، ويبيّن الإمام عليه السلام عزمه القاطع بهذا الشأن

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۵

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّاىَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِى وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً. إِنِّى أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِى لِأَنْفُسِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِى عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً».

الشرح والتفسير

أنصف المظلوم من الظالم

كما ورد سابقاً فانّ الإمام أورد هذا الكلام- بعبارة أخرى هذا المقطع من الخطبة- حين إمتنع بعض صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عن بيعته، فأتمّ الإمام عليه السلام الحجة عليهم بهذا الكلام فقال:

«لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّاىَ فَلْتَةً»،

بل حين رأيتم المشاكل الناشئة من بيعة الخلفاء السابقين ولاسيّما بيعة الخليفة الثالث وما ترتب عليها من آثار فقد عزمتم على الإقبال عليَّ فأبيتم أمراً جديداً فى مسألة البيعة، وبناءاً على ما تقدم فانّ الأقلية لا تمتلك الحق فى نقض البيعة التى سارعت إليها الأكثيرة من الامة.

وبالنظر إلى أنّ الفلتة تعنى العمل الذى يقع بغتة دون روية وتدبر فقد أراد الإمام:

أولًا: يوضح أنّ بيعته كانت دقيقة جدّاً وقد حصلت بعد مشورة الامة وزعماء القبائل مع بعضهم.

ثانياً: التلميح إلى بيعة أبى بكر التى حصلت فى أجواء متوترة مغلقة من قبل قلّة قليلة حتى قال عمر بهذا المضمون:

«إِنَّ بَيعةَ أبى بَكرٍ كَانتْ فَلتَةً، وَقى اللَّهُ شرّها»[۵۷۲]

، كما ورد فى بعض الروايات فى ذيل هذا الحديث

«فَمَن عادَ إِلى مِثلِها فاقتُلُوهُ»[۵۷۳]

، وسنقدم شرحاً وافياً لهذا الموضوع فى البحث اقادم.

ثم قال الإمام عليه السلام فى مواصلة كلامه:

«وَلَيْسَ أَمْرِى وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّى أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۶

وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِى لِأَنْفُسِكُمْ»، فلست

من قبيل طلاب الدنيا من الحكّام الذين ينشدون من وراءها تأمين جلالهم وأبهتهم ومصالحهم الشخصية، فما أريده هو إقامة الدين بواسطتكم وأن اؤدّى حقوق الناس وأفوز برضى اللَّه سبحانه، ولكنكم تريدوننى لمصالكم الشخصية كالحصول على سهم كبير من بيت المال أو نيل المناصب والمقامات والرفاه فى الحياة، وبالإلتفات إلى الاختلاف بين هاتين النظرتين فمن الطبيعى ألا تتساوى المسارات تبعاً لوسائل العمل، ثم دعاهم لإصلاح أنفسهم بعد أن وبّخهم وأيقظهم فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِى عَلَى أَنْفُسِكُمْ»

، فى إشارة إلى أنّ مدرستى التربوية معدة لإصلاحكم، فما اريده منكم وبقبول نصائحى- التى تستند إلى مصدر الوحى والقرآن الكريم وتعاليم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- الإلتحاق بها والتعاون معى، فانّ لم يكن لديكم الإندفاع فلا جدوى من أى برنامج، ثم أشار فى الختام إلى نقطة مهمّة ووضح عزمه الراسخ فيها وهى مسألة بسط العدالة فى كافة أرجاء البلد الإسلامى مقاتلة الظلمة فقال:

«وَايْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ ۵۷۴] حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ ۵۷۵] الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً»

، فهذا التشبيه الرائع للظلمة بالبعير الجامح الذى يمتنع حتى من شرب الماء ويريد صاحبه أن يورده مشربه كرهاً ويرويه، يفيد أنّ الهدف من مقارعة الظلمة لا يقتصر على استرداد حقوق المظلومين فحسب، بل أنّ هذا العمل بنفعهم أيضاً، لأنّ الظالم إن جاوز الحدّ فانّ التمرد والعصيان العام سيكون كألسنة اللهب التى تحرق الأخضر واليابس وأنّ الظلمة أول من تحرقهم تلك النار، الأمر الذى وقع فى عصر عثمان قبيل حكومة الإمام عليه السلام كما يفيد من جانب آخر أنّ أهم هدف اجتماعى للإمام عليه السلام بسط العدل وأخذ حق المظلومين، وهذا هو الدواء الشافى المرير على ألسنة أغلب الأفراد الجهّال، وهذا أهم هدف لبعثة الأنبياء والذى صوره القرآن الكريم بالقول: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...»[۵۷۶].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۷

الخطبة[۵۷۷] المأة والسابعة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فى شأن طلحة والزبير وفى البيعة له

نظرة إلى الخطبة

المحاور الأصلية للخطبة هى:

۱- نقض طلحة والزبير للبيعة لحجّة اشتراك على عليه السلام فى قتل عثمان، والحال هم كانوا يحرضون الناس للقيام على عثمان.

۲- النصيحة المشوبة بالتهديد لطلحة والزبير ليكفا عن الفتنة، ويلتحقا بصفوف عامّة المسلمين.

۳- الإشارة إلى مسألة البيعة وأنّ الإمام عليه السلام لم يكن طالباً للحكومة، بل هم الذين أصروا عليه بقبول البيعة.

۴- لعن الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة طلحة والزبير وهو الأمر الذى جرى عليهما عملياً فساءت عاقبتهما.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۲۹

القسم الأول: الحاقدون الظالمون

«وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ

[[وُلُّوهُ]

دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي؛ مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ.

وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ؛ فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ؛ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغَبِهِ. وَايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ، لَايَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ!».

الشرح والتفسير

لا شبهة ولا شك أنّ طلحة والزبير كانا من بين اولئك الذين أثاروا الناس ضد عثمان ويجمع العدو والصديق على اشتراكهما فى قتل عثمان، كما أعلنت عائشة صراحة اعتراضها على عثمان، إلّا أنّ العجيب ما إن هبت الامة لمبايعة على عليه السلام فتسلم زمام الأمور حتى وقف بوجهه طلحة والزبير وكذلك عائشة، والأعجب من ذلك أنّ حجّتهم لذلك الوقوف هو الطلب بدم عثمان، ولا زال التاريخ يحفل بالكثير من هذه العجائب والأفراد الذين يحرصون على الدنيا وزخارفها، على كل حال فانّ الإمام عليه السلام أشار فى هذه الخطبة إلى هذا المطلب فقال:

«وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً[۵۷۸]»،

ثم أضاف قائلًا:

«وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ

حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۰

ثم استدلّ بدليل واضح على ذلك فقال:

«فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ

[[وُلّوهُ]

دُونِی فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ»

، قطعاً ليس الإمام عليه السلام من يد فى قتل عثمان، وإن اعتبر أغلب الصحابة أنّ عثمان يستحق القتل، إلّا أنّ الإمام عليه السلام ليس فقط لن يشترك فى هذا العمل فحسب، بل بعث بولديه الحسن والحسين عليهما السلام للدفاع عنه، مع ذلك صرّح تجاه ذرائع طلحة والزبير وبغية سلبهم حق المطالبة فقد قال لم يقل أحد بأنّى كنت الوحيد فى قتل عثمان على فرض أنّى اشتركت فى قتله، فقد شركتمونى فيه، وعليه فأى منطق يستول لكم مطالبة الآخرين بأمر اشتركتم فيه معهم، وإن كنتما لوحدكما من فعل ذلك، فالعقاب يقتصر عليكم، وعليكم أن تدينوا أنفسكم قبل أى شخص، فالمتعارف بين الساسة الشياطين أنّهم يسعون لخلق بعض الذرائع التى يستحسنها العوام بغية التشنيع على منافعهم، فهم يبذلون قصارى جهدهم لإتهام منافسهم بما يشوه سمعتهم لدى الرأى العام، وفى ظلّ هذه الأجواء تغيب معانى المنطق والعدالة والوجدان والشرف، فالهدف إقصاء المنافس الخصم مهما كان الثمن، وهذا بالضبط هو المنهج الذى مارسه طلحة الزبير وعائشة بعد بيعة الامة لعلى عليه السلام فألبّوا الكثير من الناس لقتاله عليه السلام حتى احترقوا بنيران تلك المعارك، على كل حال فانّ الإمام عليه السلام سلب من خصومه الحجّة وأفشل خططهم ليعلم الناس أنّهم قتلة عثمان وقد تذرعوا بالمطالبة بدمه وهدفهم ضمان مصالحهم الشخصية، فهم لا يفكرون فى الناس ولا يهتمون بدم الخليفة المظلوم.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بالإشارة إلى حديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بشأن أصحاب الجمل الذين ينقضون البيعة:

«إِنَّ مَعِی لَبَصِيرَتِی ۵۷۹]؛ مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَیَّ. وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ؛

فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ؛ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغَبِهِ ۵۸۰]».

فهذا الكلام إشارة للحديث المعروف عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لا تَذهَب اللّيالِی وَالأَيّامُ حتّى تَتنابَحَ كِلابُ ماءٍ بِالعِراقِ يُقَالُ لَها الحَوأَبُ إِمرَأَةً مِنْ نِسائِی فِی فِئَةٍ بَاغِيةٍ»[۵۸۱].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۱

فالحديث يشير إلى الحادثة المعروفة لأصحاب الجمل حين قدموا من المدينة إلى البصرة، فلمّا بلغوا الحوأب نبحت عائشة كلابها، فتذكرت حديث النبى صلى الله عليه و آله فقالت: إرجعونى إلى المدينة، لكن الساسة المحترفين جندوا أهل تلك المنطقة ليشهدوا بأنّ تلك المنطقة ليست الحوأب ۵۸۲].

وروى ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» ومتقى الهندى فى كنز العمال أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لعلى عليه السلام:

«يَا عَلَیُّ ستُقاتِلُ الفِئَةُ البَاغِيةُ وَأَنتَ عَلَى الحَقِّ فَمَن لَم يَنصُرکَ يَومَئذٍ فَلَيسَ مِنِّی»[۵۸۳]

، ومن هنا قال الإمام عليه السلام إنّ معى لبصيرتى ما لبست ولا لبس علىَّ، فالعبارة:

«فِيهَا

الْحَمَأُ وَالْحُمَةُ»

، بالنظر إلى أنّ الحمأ بمعنى المستنقع والمادة الغامقة فى جرف الأحواض والجداول، والحمة بضم ففتح بمعنى الإبرة اللاسعة للعقرب والحية، فهى كناية عن الأفراد الأرجاس والخطيرين الذين كانوا من مثيرى فتنة الجمل.

وهنا تفسير آخر لهاتين المفردتين فى أنّ الحمأ بمعنى القرابة الحميمة والحمة بمعنى الزوج وهى كناية عن الزبير بن العوام ابن عمة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وعائشة إحدى أزواج النبى صلى الله عليه و آله، والعبارة الشبهة المغدقة بالنظر إلى أنّ المغدقة من مادة أغداق تعنى فى الأصل التغطية إشارة إلى الضجة التى أقامها أصحاب الجمل بعنوان المطالبة بدم عثمان والحال أيديهم ملطخة بدم عثمان، بينما صوروا أنفسهم من حماته، وهذه العبارة لا تنافى العبارة اللاحقة التى قالت بوضوح المطلب، لأنّ المراد هو عدم خفاء الأمر على الأفراد من ذوى العقول والإدراك، لأنّهم كانوا على علم بمؤامرات أصحاب الجمل ودعاياتهم المغرضة الكاذبة.

ثم إختتم الإمام عليه السلام كلامه بتوجيه تهديد شديد استهله بالقسم فقال عليه السلام:

«وَايْمُ اللَّهِ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۲

لَأُفْرِطَنَ ۵۸۴] لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ ۵۸۵]، لَايَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِي ۵۸۶]، وَلَا يَعُبُّونَ ۵۸۷] بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ![۵۸۸]».

كما أوردنا فى الخطبة العاشرة التى تشبه إلى حدّ بعيد هذه الخطبة، مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة أنّى سأجعل من ميدان معركة الجمل مستنقعاً خطيراً مملوءاً بالماء بحيث لا يسعهم الهروب منه وأخمد الفتنة فى مهدها حتى لا يفكروا قط فى العودة إلى مثل ذلك الميدان، وكما ورد فى التواريخ فانّ الإمام عليه السلام حقق عملياً ما قاله، فقد قتل زعماء الجمل وعادت عائشة مخذولة إلى المدينة وافتضح أصحاب الفتنة وتشتتوا فى البلاد.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۳

القسم الثانى: إصراركم على البيعة

اشارة

و منه: «فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا. اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ؛ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا. وَلَقَدِ اسْتَتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى مسألة البيعة فقال:

«فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ[۵۸۹] الْمَطَافِيلِ ۵۹۰] عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا».

فقد أشار الإمام عليه السلام فى الواقع إلى هذه الحقيقة وهى أنّ عليكم أن تقارنوا بى الزاعمين الطالبة بدم عثمان ليجعلوا ذلك ذريعة للوصول إلى الخلافة والحكومة وهم طلحة والزبير، فهما لا يتورعان عن أية حيلة وخدعة من أجل تحقيق أهدافهما، أمّا أنا فقد أريتكم منذ البداية أنّى لا أطلب المقام، وأنتم الذين أصررتم علىَّ البيعة، ولأن قبلت بيعتكم فإنما ذلك بسبب القيام بالمسؤولية التى تتمثل باجراء الحق وبسط العدل والقسط وإحياء الإسلام فعبارات الإمام عليه السلام

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۴

تكشف مدى شوق الناس للبيعة، وفى ذات الوقت مدى زهد الإمام عليه السلام بها.

ثم إتّجه إلى الحق تبارك وتعالى فشكى إلى اللّه الظلمة الذين نقضوا العهد وجعلوا من إراقة دماء الأبرياء وسيلة لتحقيق أطماعهم وأغراضهم، ثم أخذ بالدعاء عليهم ولعنهم:

«اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا[۵۹۱] النَّاسَ عَلَيَّ».

ثم قال:

«فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا»،

والتفت إلى الناس قائلًا:

«وَلَقَدِ اسْتَتَبْتُهُمَا[۵۹۲] قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ ۵۹۳] بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ ۵۹۴]،

فَغَمَطَا[۵۹۵] النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ»

، لعل العبارة الأخيرة مواصلة شكوى الإمام عليه السلام للَّه‌سبحانه، ويمكن أن تكون خطاباً للناس،، يبدو المعنى الثانى أنسب، على كل حال فانّ هذه العبارات تبيّن مدى سعى الإمام عليه السلام لاجتناب الحرب وسفك الدماء وقد بذل قصارى جهده لوعظ أصحاب الجمل ومثيرى الفتن علّهم يعودون إلى رشدهم وتثار حميتهم الدينية، فيعودا عن سبيل الغى، إلّاأنّ حبّ الخلافة والجاه والمقام قد أعمى أبصارهم وأصم أسماعهم بحيث لم يعد لنصائح الإمام عليه السلام ومواعظه من تأثير عليهم، بالتالى حلّت عليهم لعنة الإمام عليه السلام ففشلوا فى تحقيق أهدافهم، فانهزموا شرّ هزيمة وقتلوا بذلة وهوان.

القاتل يطالب بالثأر

لا شك أنّ طلحة والزبير كانا ممن أثارا الناس ضد عثمان، فقد أورد ابن قتيبة فى كتابه «السياسة والإمامة» أنّ أهل الكوفة ومصر حين قاما ضد عثمان وحاصروه فى داره كان

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۵

طلحة ممن أثار الفريقين ضد عثمان ويقول: أنّ عثمان لا يهتم لمحاصرتكم طالما يحمل إليه الماء والغذاء فاقطعوا عنه الماء[۵۹۶]، كما ورد عن ابن أبى الحديد بشأن الزبير أنّه كان يقول: اقتلوا عثمان فقد أحدث فى دنيكم، فقالوا له: ابنك على باب دار عثمان يدافع عنه، قال: إن قتل عثمان فليقتل ابنى قبله ۵۹۷]، فقد كان تصور طلحة العكس حين قتل عثمان وبايع الناس علياً عليه السلام فتغيّرت الأوضاع تماماً، ولم تكن الامة مستعدة لبيعتهما على حدّ قول الكاتب المصرى المعروف العقاد، حيث لم يكن أمرهما يختلف عن عثمان ۵۹۸]، وكانت عائشة من الناقمين على عثمان ۵۹۹]، إلّاأنّ هؤلاء الأفراد الثلاث انقلبوا على عقبهم بعد بيعة الامة لأمير المؤمنين على عليه السلام فاصبحوا من أنصار عثمان وهبوا للمطالبة بدمه، وكثيرة هى هذه الانقلابات التى تسود حركة الساسة المحترفين، وبالتالى ذاق الثلاث العاقبة المريرة لإثارتهم الفتن، فقد هزم طلحة والزبير وقتلا فى المعركة، وعادت عائشة تجر أذيال الخيبة إلى المدينة، وقد تناولنا بالتفصيل موقعة الجمل وطيش عائشة ودور طلحة والزبير فى المجلدات السابقة من هذا الشرح ۶۰۰].

ولكن ما ينبغى إضافته هنا أنّ اتباعهم ممن حاول توجيه أعمالهم قد خسروا أنفسهم فى زوايا حرجة، فمن جانب اعتبروا طلحة والزبير من الصحابة، كما يجرون عليهم نظرية عدالة الصحابة (طهارة وقدسية جميع صحابة النبى صلى الله عليه و آله)، ومن جانب آخر يعتبرونهما من ضمن العشرة المبشرة، تارة يزعمون أنهّم كانوا مجتهدين وإن أخطاؤا فى اجتهادهم، وعليه فهم معذورون ومأجورون، والحال لو وجهنا أعمالهم تحت هذا الغطاء لأمكن تبرير كل جريمة ومن كل فرد، ذلك لأنّ الاجتهاد لا يقتصر على هؤلاء الأفراد، وهذا بدوره يؤدّى إلى تجاوز البديهيات العقلية والنصوص القرآنية، وتارة أخرى يزعمون أنّهم تابوا، وتوبتهم مقبولة عند اللَّه، ولكن هل يمكن اشعال فتيل حرب تؤدّى بسبعة عشر آلف شخص ثم تنسلخ مسؤولية هذه الدماء بمجرّد لقلقة اللسان بالقول استغفر اللَّه؟! فهل أدّوا حق تلك الدماء لأصحابها؟ أم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۶

هل عوضوا تلك الأموال التى ذهبت هدراً بهذا الخصوص؟ وهل اعترف طلحة والزبير وعائشة بخطأهم أمام الملأ العام؟

إنّ مثل هذا الدفاع العابث هو نتيجة للأغماض عن الحقائق والتعصب الأعمى، أو ليس من الأجدر بنا تقسيم صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى طائفتين، طائفة كانت صالحة على عهده وأخرى منافقة وطالحة، كما تقسم الطائفة الصالحة إلى فئتين، فئة واصلت صلاحها، وأخرى انقلبت على عقبها فجانبت الحق والعدل والإيمان والسلاح، كما علينا أن نعلم بأنّ المراد من بشارة القرآن الكريم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بنجاة شخص أو أشخاص فى ذلك الزمان هو شمولها بهذا الحكم، على أنّهم ربّما غيروا مسيرتهم، فممكن أن يقوم الإنسان بعمل بحيث تجب له الجنّة، ثم يفعل بعد ذلك ما يوجب دخوله النار.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۷

الخطبة[۶۰۱] المأة والرابعة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

يومئ فيها إلى ذكر الملاحم

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام مرتبطة مع بعضها:

القسم الأول: إشارة إلى ولى من أولياء اللَّه سبحانه ينطلق فى عمله على أساس هداية القرآن، ويرى أغلب شرّاح نهج البلاغة أنّ ذلك الولى واستناداً إلى صفاته هو الإمام المهدى «عجلّ اللَّه تعالى فرجه الشريف».

والقسم الثانى: إشارة إلى الأحداث الدامية التى يفرزها قيام ذلك الولى من أجل بسط العدل فى ظلّ الحكومة الإلهيّة حيث يملأ الأرض بالقسط والعدل.

القسم الثالث: إشارة إلى الحوادث دامية أخرى تظهر من الشام، ولعل ذلك إشارة إلى حكومة البعض من بنى مروان، أو ظهور بعض الأفراد كالسفيانى الذى يسبق ظهور الإمام المهدى عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۳۹

القسم الأول: خصائص الإمام المهدى عليه السلام

«يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْىَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْىِ».

الشرح والتفسير

كما ورد سابقاً فانّ هذه الخطبة تشير إلى الحوادث المستقبلة حيث تطرقت إلى ثلاث حوادث، الاولى عدّها أغلب شرّاح نهج البلاغة فى الإمام المهدى عليه السلام، لأنّه قال يجعل رغبات النفس وهواجس القلب تابعة للهدى حين يسود العكس باتباع الهدى للهوى، ويجعل الرأى والفكر منقاداً للقرآن فى الوقت الذى يجعلون القرآن فيه تابعاً للرأى:

«يَعْطِفُ ۶۰۲] الْهَوَى عَلَى

الْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْىَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْىِ».

والسؤال هل للعبارتان مفهوم واحد ويؤكد كل منهما الآخر؟ أم أنّ العبارة الاولى إشارة إلى الهداية العقلية والعبارة الثانية إلى الهداية القرآنية؟ يبدو المعنى الثانى أنسب، يعنى فى ذلك اليوم الذى يغيب فيه الناس منطق العقل والهداية بسبب عبادة الهوى فانّه يزيل حجب الهوى، ويجعل السيادة لهداية العقل، كما يجعل القرآن هو ميزان التقييم بعد أن يقصى التفسير بالرأى حين يحاول ذوى الاطماع تطبيق النصوص القرآنية على ضوء تفسيرهم إيّاه حسب أرائهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۰

من أجل تحقيق أطماعهم للامشروعة، ولو تأملنا أسباب البؤس والشقاء لرأيناها تتمثل بهذين الدائين، تحكيم هو النفس على العقل وتطبيق الرغبات الخفية على آيات القرآن من التفسير بالرأى، وإن زال هذان السبيلان تمهد السبيل من أجل بلوغ حكومة العدل

الإلهى، ولعل جميع القضايا التى أصابت المسلمين منذ البداية لحدّ الآن إنما تعود إلى هذين الانحرافين كما يعود سبيل الصلاح إلى إصلاحهما.

ذكر العلماء فى بحث المعرفة أنّ الهوى من بين حجب المعرفة، حيث قال القرآن الكريم:

«أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ...»[۶۰۳].

وما أورع ما قال أمير المؤمنين على عليه السلام فى الخطبة ۱۰۹:

«وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ»

، والتفسير بالرأى وحمل الآيات القرآنية عليه إحدى مكائد الشيطان الكبرى فى تحريف العبارات عن معناها الواقعى وإسقاط الوحى عن قيمته، ومن هنا فقد عدت الأحاديث الإسلامية هذا العمل بمنزلة الكفر حيث قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ فَسَّرَ بِرَأيِهِ آيَةً مِنْ كِتَابَ اللَّهِ فَقَد كَفَرَ»[۶۰۴]

، ولمّا كان الوقوف بوجه هذين الانحرافين من خصائص الإمام المهدى (أرواحنا فداه) فانّ الضمير فى هذه العبارات يعود كما يعتقد شرّاح نهج البلاغة إلى الإمام المهدى عليه السلام.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۱

القسم الثانى: جانب من الحوادث المرعبة آخر الزمان

و منهَا: «حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ- وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ».

الشرح والتفسير

يمثل هذا القسم من الخطبة فىالواقع استمراراً للقسم السابق وهو إشارة إلى حوادث آخر الزمان يتعرض بادىء الأمر فيها إلى المعارك الدموية المدمرة التى تثقل كاهل المجتمعات البشرية ويعمّ الظلم والجور كافة الأماكن، ثم يظهر رمز العدل الإلهى فينهى النزاعات والاقتتال ويملأ الأرض قسطاً وعدلًا، ويوفر كافة مستلزمات الراحة والرفاه، فقال عليه السلام بأنّ هذا الوضع سيتواصل:

«حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا[۶۰۵]»،

ثم أشار إلى الانتصارات التى تتحقق فى بداية الحرب والمرارة التى تختتم بها فقال:

«مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا[۶۰۶]،

حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً[۶۰۷] عَاقِبَتُهَا»،

وكأنّ الحرب تنطوى على لبن حلو وفى نفس الوقت مسموم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۲

بحيث يجذب الأفراد المهوسين ليأملوا بتحقيق نصر خاطف سريع، بينما يصرعون ويهلكون فى نهاية الأمر، ثم أشار الإمام إلى ظهور حكومة العدل الإلهى:

«أَلَا وَفِي غَدٍ- وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا».

ثم تطرق إلى ذكر الأوضاع المطلوبة المفعمة بالخير والبركة والتى تحصل بعد قيامه فقال:

«وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ[۶۰۸] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ،

وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»،

فمن جانب: يتم اكتشاف المعادن النفيسة باطن الأرض بسهولة.

ومن جانب ثان: بيده مقاليد تلك الكنوز أو مقاليد حكومة أرجاء الأرض.

ومن جانب ثالث: يبسط العدل والقسط بالاستناد إلى التمتع بتلك المصادر الغنية وهذه الحكومة الشاملة.

ومن جانب رابع: يحيى التعاليم المندرسة والقيم المغيبة للقرآن والكريم والسنّة الشريفة، وهكذا تسير البشرية باتجاه التكامل على المستوى المادى والمعنوى، فالعقول تتم فى ظلّ حكومة الإمام المهدى عليه السلام، وتحيى القيم الإنسانية وتفيض النعم بأنواعها على الناس ويطاح بصنم الظلم والجور.

وقد وردت مثل هذه العبارات فى الروايات المتعلقة بقيام الإمام المهدى عليه السلام فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: « وتَظهرُ لَهُ الكُنُوزُ ويَبلُغُ سُلطَانُهُ المَشرِقَ والمَغرِبَ، ويُظْهِرَهُ دِينَهُ عَلىَ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ فَلا يَفقَى عَلَى وَجهُ الأَرضِ خَرابٌ إلّا عُمِّرَ»[۶۰۹].

وقا فى موضع آخر:

«يَملأُ اللَّهُ بِهِ الأَرضَ عَدلًا وَقِسطَاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلمَاً وَجَوراً، فَيفتَحُ اللَّهُ لَهُ شَرقَ الارضِ وَغَربِها»[۶۱۰].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۳

القسم الثالث: خصائص ذلك الحاكم الدموى

منهَا: «كَأَنِّى بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّام، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِى ضَوَاحِى كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِى الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَايَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِى الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا! فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِى عَلَيْهِ بَاقِى النُّبُوَّةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة إلى حاكم دموى وغاشم ومقتدر يظهر مستقبلًا بالشام فيشهر سيفه ويستولى على جميع البلاد الإسلامية، ثم ذكر له تسع صفات، فقال:

«كَأَنِّى بِهِ قَدْ نَعَقَ ۶۱۱] بِالشَّام، وَفَحَصَ ۶۱۲] بِرَايَاتِهِ فِى ضَوَاحِى ۶۱۳] كُوفَانَ ۶۱۴]».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۴

ثم قال:

«فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ ۶۱۵]، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ ۶۱۶] فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِى الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ[۶۱۷]، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ[۶۱۸]».

ثم أقسم قائلًا:

«وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ ۶۱۹] فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَايَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِى الْعَيْنِ».

فهذه الصفات التسع لذلك الحاكم الدموى المقتدر والتى تكشف عن شخصه بصورة تامة تشير إلى أنّه يدك أهل الإيمان دكاً بحيث لا يبقى منهم إلّاالقليل، فهو يكتم الأنفاس فى الصدور ويخنق كل حركة ونشاط، ويستولى على البلاد بعد سفكه للدماء وانطلاقه من الشام إلى الكوفة ثم سائر المناطق، أمّا من هو هذا الشخص الذى يتصف بهذه الصفات؟ هناك رأيان لشرّاح نهج البلاغة، رأى يراه عبدالملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية، كان جباراً طاغياً ودموياً، فقد تحرك بجيش عظيم من الشام ليقضى على مصعب بن

الزبير الذى كان يحكم الكوفة، فاستولى على العراق والكوفة، ثم وجه جشياً بقيادة الحجاج إلى الحجاز فقتل عبد اللّه بن الزبير فسيطر على مكة والمدينة، كما هدم جانباً من الكعبة بعد أن لاذ بها جمع من جيش عبداللّه بن الزبير.

والرأى الآخر أنّ ذلك الشخص هو السفيانى الذى يسبق ظهور الإمام المهدى عليه السلام حيث يظهر فى الشام ويسفك الدماء ويدعو الناس إلى نفسه، وبالنظر إلى أنّ الأقسام السابقة من الخطبة بشأن ظهور الإمام المهدى عليه السلام لذلك يبدو أنّ هذا القسم فى الظهور أيضاً، والعبارات المذكورة إشارة إلى ظهور السفيانى.

وقد ورد فى الخبر عن حذيفة بن اليمان أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أشار إلى فتنة بين أهل الشرق والغرب فيخرج السفيانى حتى يرد دمشق فيبعث بجيش إلى الشرق وآخر إلى المدينة حتى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۵

يصل بابل وبغداد، فيقتل أكثر من ثلاثة الاف وينتهك عرض أكثر من مئة إمرأة، ثم يتّجهون إلى الكوفة فيخربون أطرافها، ثم يعودن إلى الشام، فتظهر راية هدى فى الكوفة وينطلق جيشها إلى جيش السفيانى فيقتله ولا ينجو منه إلّاواحد يخبر عن الحادثة (وهكذا تخمد الفتنة).

قال المرحوم العلّامة المجلسى نقل أصحابنا هذا الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام ضمن أحاديث المهدى عليه السلام ۶۲۰].

ولكن القسم الأخير من هذه الخطبة لا ينسجم مع هذا التفسير، ثم قال الإمام عليه السلام: بأنّ هذا الوضع من الاضطراب وسفك الماء والابعاد والتشتت يستمر حتى يعود إلى العرب رشدها وعقلها فتتخلص بهذا العقل من فرقتها واختلافها وتتحد كلمتها:

«فَلَا تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ ۶۲۱] إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ ۶۲۲] أَحْلَامِهَا![۶۲۳]».

ثم أمر الناس بأربع من شأنها نصرهم على حكّام الظلم والجور، وإعادة الأمن والسلام إليهم فقال عليه السلام:

«فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِى عَلَيْهِ بَاقِى النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّى ۶۲۴] لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ».

والمراد بالسنن القائمة ضروريات الإسلام وتعاليمه التى ينبغى أن تكون محور الأنشطة السياسية والاجتماعية والفردية فى كل زمان، والمراد بالآثار البيّنة هى الأخبار والروايات التى ثبتت من الطرق المعتبرة والتى تختزن أغلب التعاليم والوصايا الإسلامية، والمراد بالعهد القريب وصيّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بولاية على عليه السلام، والمراد بالعبارة «واعلموا ...» مراقبة الشيطان والحذر منه فى الإتيان بالأمور المذكورة، وذلك لأنّ الشيطان يسهل طرقه ليصد الناس عن طاعة اللّه والأئمة المعصومين عليه السلام والذى لا يخلو عادة من المصاعب، أمّا الأفراد الذين اعتبروا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۶

القسم الأخير من الخطبة بشأن حكومة عبدالملك بن مروان فيرد عليهم إشكالات:

الأول: مفهوم العبارة هو أنّ اسقاط حكومة بنى أمية ومجيىء حكومة بنى العباس قد تمّ فى ظلّ عقل العرب ودرايتها والعودة إلى الطريق الصحيح، والحال نعلم أنّ بنى العباس قد واصلوا جنايات بنى أمية ولم تكن حكومتهم أقلّ استبداداً من حكومة بنى أمية، إلّاأن يقال بعقلائية سقوط بنى أمية وشروع حركة بنى العباس وإن انحرفوا فى مواصلة الطريق.

الثانى: لم يكن ظهور بنى العباس مباشرة بعد موت عبدالملك، بل استغرق عشرات السنين حيث حكم ولد عبدالملك ثم أعقب ذلك سقوط بنى أمية، إلّاأن يقال فى جواب هذا الإشكال أنّ حكومة ولد عبدالملك كان امتداداً لحكومته، ولكن من اعتبر القسم الأخير من الخطبة إشارة إلى خروج السفيانى قبل قيام الإمام المهدى عليه السلام قد فسّر العبارات المذكورة على أنّها بعد سفك الدماء الطائش فى آخر الزمان والفساد الذى يحصل الناس مع خروج السفيانى، حيث يطرح حجب الغفلة وتتم العقول وتستعد الناس لقبول

حكومة المهدى عليه السلام لابدّ فى تلك الشرائط ومن أجل مزيداً من الاستعداد من حفظ السنن الإسلامية والولاء للولاية، وقد مرّ علينا فى الخطبة ۱۰۱ العبارات المشابهة لما ورد فى هذه الخطبة، وقد وردت الابحاث بشأن تطبيقها على حكومة عبدالملك.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۷

الخطبة[۶۲۵] المأة والتاسعة والثلاثون

اشارة

وَمِنْ كَلام لهُ عليه السلام

فى وقت الشُّورَى

نظرة إلى الخطبة

نعلم أنّ عمر حين أشرف على الموت عهد بتشكيل الشورى المؤلفة من ستة أفراد لتعيين الخليفة، كان أحدهم علياً عليه السلام وعثمان، وكان إختيار الأفراد قد جرى وفق تخطيط وسياسة، وكان الهدف واضحاً منذ البداية فى إقصاء على عليه السلام وتسلم عثمان لزمام الأمور بصفته الخليفة السابق، بل بصفته منتخب شورى كبار المسلمين وقد مضى شرح ذلك فى الخطبة الشقشقية[۶۲۶].

أمّا الإمام على عليه السلام الذى كان ينظر لما هو أبعد من الشورى فقد خطب هذه الخطبة ليحذر أصحاب الشورى، وقد ذكر المرحوم السيد الرضى جانب منها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۴۹

«لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِى إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِم، وَعَائِدَةِ كَرَم. فَاسْمَعُوا قَوْلِى، وَعُوا مَنْطِقِى؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ».

الشرح والتفسير

تحذير من الحوادث المستقبلية

يتألف هذا الكلام فى الواقع من ثلاثة أقسام:

الأول: أشار فيه الإمام عليه السلام إلى جانب من فضائله، ولم يكن ذلك بدافع الفخر ومدح النفس، بل ليمهد السبيل أمام الآخرين للقبول.

الثانى: طلب فيه من مخاطبيه سماع ما يقول وقبول نصائحه التى تستبع خيرهم ومصالحهم وسعادتهم.

والقسم الثالث: تطرق فيه إلى الحوادث الأليمة التى يشهدها المجتمع الإسلامى فى حالة عدم قبول مواعظه وإشراته.

فقد قال فى القسم الأول: «لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِى إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِم، وَعَائِدَةِ كَرَم».

فقد أشار فى هذه الفضائل الكبرى الثلاث إلى قبول الإسلام فقال إنّ علياً عليه السلام هو أول من أسلم ومن الطبيعى أنّ مثل هذا الفرد يكون أكثر وعياً به من غيره وأحرص، والآخرى إلى سبقه فى صلة الرحم، لأنّه وقف إلى جانب رسول اللّه صلى الله عليه و آله منذ إنبثاق الدعوة الإسلامية حتى وفاة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد فدى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بنفسه فى المواطن الصعبة من قبيل مبيته على فراش النبى صلى الله عليه و آله واقعة أحد وأمثال ذلك، كما كان الأبرز فى البر والخير والإحسان حتى نزلت

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۰

آيات من القرآن الكريم بشأن تصدّقه بالخاتم حين الركوع فى الصلاة[۶۲۷]، وتصدقه بالطعام على المسكين واليتيم والأسير[۶۲۸]، وتصدقه بدرهم فى السر وآخر فى العلانية، ودرهم فى الليل وآخر فى النهار[۶۲۹].

ثم قال بالاستناد إلى إذعان الجميع بالفضل فيما ذكر:

«فَاسْمَعُوا قَوْلِى، وَعُوا مَنْطِقِى»

، لا تتعجلوا الأمور بانتخاب عثمان، فهذا عمل خطير له عواقب وخيمة على المسلمين، وتطرق عليه السلام إلى المصير الصعب الذى سيفرزه هذا الانتخاب فقال:

«عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى ۶۳۰] فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ».

هناك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة فى أنّ هذا الإخبار إشارة لحادثة قتل عثمان وشهر السيوف ونقض البيعة من قبل بعض الأفراد كطلحة والزبير وأمثالهما أم إشارة إلى تمرد الناكثين والقاسطين والمارقين (أصحاب الجمل وصفين والنهروان)، ولكن بالنظر إلى الظروف التى وردت فيها هذه الخطبة (حين تشكيل الشورى لانتخاب الخليفة الثالث)، يبدو المعنى الأول أقوى، وكما تكهن الإمام عليه السلام فبمجرّد تسلم عثمان زمام الأمور حتى بدأ التبذير والبذخ فى بيت مال المسلمين وحصل أقرباؤه وبطانته على المراكز الحساسة فى البلد الإسلامى فتهافتوا على بيت المال ليفعلوا فيه ما شاؤوا، وهو الأمر الذى أثار غضب المسلمين فثاروا عليه وكان فى مقدمة من ثار عليه طلحة والزبير، وقد تبعهم طائفة من الناس فحصل ما لم ينبغى أن يحصل، والحال لو لم تسود الشورى تلك العصبيات والملاحظات الشخصية وفوضت الخلافة لأهلها، لما وقعت تلك الحوادث المريرة ولا ما تبعها من نتائج، وذلك لأنّ جذور فتنة الناكثين والقاسطين والمارقين إنّما ترعرعت فى ظلّ حوادث عصر عثمان.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۱

جذور الفساد

ذكرنا فى المجلد الأول من هذا الكتاب فى شرحنا لخطبة الثالثة المعروفة بالخطبة الشقشقية قصة الشورى المؤلفة من ستة أفراد والتى شكّلها عمر وأدّت إلى انتخاب عثمان كخليفة والتى تمثل فى الواقع مؤامرة ضد خلافة على عليه السلام، وقد أوردنا جانباً من الأقوال بهذا الشأن استناداً إلى التواريخ المعتبرة والذى نود إضافته هنا إلى ما ذكرناه هو أننا لو أنعمنا النظر فى تركيب هذه الشورى وحوادثها السلبية وسنرى أنّ أغلب مشاكل المسلمين قد أفرزتها تلك الشورى، ومن ذلك أيضاً حكومة عثمان واستيلاء بنى أمية وبنى مروان على المناصب الحساسة للبلاد الإسلامية وبيت المال المسلمين وحكومة معاوية ومعارك الجمل وصفين والنهروان ومن ثم حكومة يزيد وأمثال عبدالملك.

والجدير بالذكر هنا ما أورده شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد حيث قال بخصوص الشورى:

«إنّ ذلك كان سبب كل فتنة وقعت وتقع إلى تنقضى الدنيا»[۶۳۱].

فهذه الشورى هى التى أدّت بالتالى إلى تغييب القيم الإسلامية وأحيت السنن الجاهلية والمعايير المادية والدنيوية وشادت المجتمع الإسلامى وقطعت ألسن دعاة الحق ونفت وشردت أبى ذر وأثارات النقمة ضد عمّار بن ياسر حين اعترض على نتيجة الشورى فلم يكترث أحد لما كان يقول: فقد استوى اوالئك العتاة على عرش الغرور والحمية فعاثوا الفساد فى أوساط المجتمعات الإسلامية، الفساد فى الحكومة والفساد فى الإيمان والأخلاق، ولو سمحت النعرات الطائفية بالتعامل الدقيق مع هذه الأحداث لاتضحت فداحة الخسارة التى منى بها المسلمون من جراء الشورى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۳

الخطبة[۶۳۲] المأة والأربعون

اشارة

ومِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام
فى النهى عن غيبة الناس

نظرة إلى الخطبة

نهى الإمام عليه السلام الناس فى هذه الخطبة عن اغتياب بعضهم البعض الآخر وقد عزز ذلك بعدّة أدلة، فقد ذكر بادىء الأمر وجوب الشكر على من تطهر من العيوب والذنوب، ويتمثل شكرها بتجنب الغيبة واقتفاء عيوب الآخرين، الأمر الآخر لو تأمل صاحب الغيبة نفسه لإكتشف فيها العيوب التى يحاول العثور عليها فى الآخرين، فكيف والحال كذلك يسعى لذم الآخرين على عيوبهم وهم يحملونها، وأخيراً لعل الإنسان يقارف الصغيرة وهو يظن بأنّه لم يرتكب الكبيرة من الذنوب فيخوض فى غيبة الآخرين، وتقصى معايبهم وهذا بحدّ ذاته من الكبائر، أضف إلى ذلك فما يدرى من يغتاب الآخرين أنّ اللّه قد غفر لهم بينما لم يغفر لمن فتش عن عيوب الآخرين، وزبدة الكلام فانّ اللّه قد أغلق الطريق على أصحاب الغيبة والباحثين عن عيوب الناس ليطهر المجتمع الإسلامى من هذه الفاحشة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۵

القسم الأول: التغابى عن عيوب الذات

«وَإِنَّمَا يَنْبَغِى لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ. أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيما سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِى الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِى الصَّغِيرِ، لَجَرَاتُهُ
[[لَجُرأَتُه]
عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!».

الشرح والتفسير

إهتم الإسلام بقضية الغيبة وإقتفاء عيوب الآخرين على أنّها من المشاكل الاجتماعية الكبرى التى تشيع روح التشاؤم والنفاق وتفكك عرى الثقفة وتقضى على روح الاتحاد والأخوة، ومن هنا عدّها الإسلام من الذنوب الكبيرة، وقد قسم الإمام عليه السلام الناس إلى خمس طوائف، الطائفة الاولى التى شملتها عناية اللّه سبحانه فلم تتلوث بالذنوب المعاصى، فقال بشأن هذه الطائفة:

«وَإِنَّمَا يَنْبَغِى لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ»

، فأى نعمة أعظم من أن يتلطف اللّه تعالى على إنسان ويصونه من مقارفة الذنب، وأى شكر أعظم من شكر هذه النعمة الإلهيّة الكبرى بأن يحفظ لسانه من إغتياب الآخرين واقتفاء عيوبهم.

الطائفة الثانية التى تحمل العيوب وتذم الآخرين على مثلها، أى إنّ حب الذات لا يدعهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۶

يرون عيوبهم بينما دقيق هو فى متابعة عيوب الآخرين، وقد قال فيها على عليه السلام:

«فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ. أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ!».

إشارة إلى أنّ الإنسان المؤمن يجب أن يتحلى بقبسات من صفات اللّه سبحانه، فاللّه ستار العيوب، فينبغى عليه أن يستر عيوب الآخرين.

الطائفة الثالثة التى ترتكب الذنوب وتذم الآخرين على مثلها، والحال من الطبيعى أن يكون الإنسان أحرص على نفسه من الآخرين، فكيف لهذا الإنسان بالتفكير فى عيوب الآخرين دون أن يهم بإصلاح نفسه وعيوبه، أى عقل يسوّل للإنسان نسيانه لذاته بصورة كلية ويلقى بها فى مستنقع البؤس والشقاء فيخوض فى ذنوب الآخرين، ناهيك عن أنّ الدافع من ذلك هوالفساد لا الإصلاح، فقد قال الإمام عليه السلام:

«وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ!».

الطائفة الرابعة من تذم الآخرين على ذنوب لم ترتكبها، لكنّها إرتكبت ما هو أفضع منها، وهو غافل عن هذه الذنوب غير مكترث لها، فقال الإمام عليه السلام بشأنها:

«فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيما سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ».

الطائفة الخامسة التى ربّما لم ترتكب تلك الذنوب التى تذم الآخرين على إرتكابها، حيث لم تصدر منها سوى بعض الصغائر من الذنوب فقال قال الإمام عليه السلام بشأنها:

«وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِى الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِى الصَّغِيرِ، لَجَرَاتُهُ

[[لَجُرأَتُه]

عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!».

وهكذا أغلق الإمام عليه السلام جميع الطرق على اولئك الذين يقتفون عيوب الآخرين ويسلبهم أية ذريعة بعد أن يذكرهم بكافة العواقب الوخيمة التى تترتب على شنائع أعمالهم، ليبتعدوا عن وساوس الشياطين ويطلعهم على أهوائهم وقبح أفعالهم ليجسدها أمام أنظارهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۷

القسم الثانى: اقتفاء العيوب جحود عظيم

اشارة

«يَا عَبْدَاللَّهِ، لَاتَعْجَلْ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِىَ بِهِ غَيْرُهُ».

الشرح والتفسير

أكد الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة تلك المبادىء التى أوردها فى القسم السابق وقد حذر كافة العباد من تتبع عيوب الآخرين وغيبتهم، ثم تابع هذا الأمر من خلال الأدلة المنطقية فقال عليه السلام:

«يَا عَبْدَاللَّهِ، لَاتَعْجَلْ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ».

فى إشارة إلى أنّ ذنب الآخرين قد يغفر بسبب التوبة أو شفاعة المعصومين عليه السلام أو على أساس القيام بأعمال الخير بينما يؤاخذ هذا الإنسان بذنبه مهما كان صغيراً بفعل الغرور والغفلة، وعليه كيف يسمح العاصى لنفسه بذم الآخرين على معايبهم ومثالبهم

فيغتابهم؟

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فقال:

«فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ»،

فاللَّه هو المنزه من العيوب والطاهر من الذنب هوالمعصوم، وعليه فلا يجيزنا العقل بأن نصوب سهام غيبتنا وذمّنا للآخرين ونحن غارقون فى العيوب والذنوب.

ثم إختتم الخطبة بالإشارة إلى المطلب الذى ذكره فى القسم الأول من الخطبة ولكن بعبارة أخرى فقال عليه السلام:

«وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۸

فو فرضنا تنزه شخص عن كل عيب أو عيوب معينة، فذلك نعمة كبيرة تستحق شكر اللَّه والشعور بلطف اللَّه تعالى وعنايته، والحق إنّ مثل هذا الشكر يشغل الإنسان بنفسه إلى الحد الذى يسلبه فرصة البحث عن عيوب الآخرين.

نعم، فهذا المعلم الربانى يعتمد مختلف الأدلة المنطقية بغية القضاء على هذه الرذيلة القبيحة المتمثلة بالغيبة وتحرى عيوب الآخرين، كما يغلق جميع الطرق على أصحاب الحجج والذرائع.

الغيبة والبحث عن العيوب آفة المجتمعات الإنسانية

الغيبة تعنى إفشاء عيوب الأفراد ومثالبهم، والمؤسف له هو أنّ هذه الظاهرة شائعة فى أغلب المجتمعات البشرية، وبما لا شك فيه أنّها تختزن مختلف الآثار السلبية على المستوى الأخلاقى وكذلك الاجتماعى، وذلك لأنّ السند الرصين لكل مواطن فى المجتمع هو ماء وجهه، والغيبة تزيل ماء الوجه وتطعن فى شخصية الفرد وتقضى على روح الثقة وبين أفراد المجتمع والتالى تلعب دوراً سلبياً فى إضعاف التعاون الاجتماعى، ومن هنا عدّها الشارع وحداة من أقبح وأشنع الذنوب حتى شبهها القرآن الكريم يأكل لحم الأخ الميت، وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى خطبة حجّة الوداع وهى خطبة حساسة:

«أيُّها النَّاسُ إنَّ دِماءَكُم وَأَموالَكُم وَأَعراضَكُم عَلَيكُم حَرامٌ كَحُرمَةِ يومِكُم هذا فِى شَهْرِكُم هذا فِى بَلَدِكُم هذا إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الغِيبَةَ كَمَا حَرَّمَ المَالَ والدَّمَ»[۶۳۳].

وكفى بقباحة الغيبة ما ورد فى الحديث القدسى أنّ اللَّه تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران:

«مَنْ ماتَ تائِباً مِنَ الغِيبَةِ فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ مُصِراً عَلَيها فَهُوَ أوَّلُ مَنْ يَدخُلُ النَّارَ»[۶۳۴].

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بهذا الشأن:

«مَنْ مَشى فِى غِيبَةِ أَخِيهِ وَكَشَفَ عَورَتَهُ كَانَ أوَّلُ خُطوةٍ خَطَاهَا وَضَعَها فِى جَهَنَّمَ»[۶۳۵].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۵۹

كما قال صلى الله عليه و آله:

«مَا عَمَرَ مَجلِسٌ بِالغِيبَةِ إلّاخَرِبَ بِالدِّينِ»[۶۳۶].

وكثيرة هى الأحاديث التى وردت بهذا الخصوص والتى لا يسع المجال ذكرها، ونكتفى هنا بذكر حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: ونحيل من أراد المزيد إلى المجلد الثالث من كتاب الأخلاق فى القرآن فى مبحث الغيبة وكتاب جامع السعادات المجلد الثانى والمجلد الثامن من وسائل الشيعة، حيث قال:

«الغِيبَةُ حَرامٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ وَأَنَّها تَأكُلُ الحَسَناتِ كَمَا تَأكُلُ النَّارُالحَطَبَ»[۶۳۷].

والحقيقة هى أنّ الإسلام يرى حرمة ماء وجه المسلم والتى تعدل حرمة دمه، وقد اقترن العرض بالدم فى الروايات والأخبار الإسلامية

وبناءاً على ما تقدم فانّ من إغتاب شخصاً آخر وانتهك حرمته الاجتماعية وأراق ماء وجهه فكأنه قتله، ومن هنا تواترت الروايات التى أكدّت الثمن الباهض الذى سيدفعه صاحب الغيبة يوم القيامة وما سيؤخذ منه حسنات بسبب ما اقترف من غيبة فتضاف إلى حسنات من إغتابه، فانّ لم يكن له من حسنات، أخذت من سيئات من إغتابه وأضيفت إلى سيئات صاحب الغيبة.

نعم، الغيبة حق الناس على غرار قتل النفس وجرح الأفراد، ولهذا فلو إلتفت المؤمنون إلى تبعات السيئة لهذه الذنوب والتى صورتها الروايات الإسلامية لما سعى لمقارفة هذه السيئة، وهذا ما دفع بالإمام عليه السلام للإتيان بعدّة أدلة منطقية لبيان الآثار السيئة لهذه السيئة وقد حذر الجميع من مقارفتها، ويبدو بحث موضوع الغيبة من الأبحاث الواسعة كما صورها علماء الأخلاق ونكتفى هنا بذكر بعض الأمور بهذا الشأن:

۱- لابدّ أن نتّجه قبل كل شىء نحو دوافع الغيبة وذلك لأنّه يمكن الاستدلال على قبح النتائج من خلال قبح الدوافع، فدافع الغيبة غالباً هوالحسد وحبّ الذات والغرور والتكبر والحقد والرياء وحبّ الدنيا والثأر والسخرية والاستهزاء بالآخرين وما شاكل ذلك، حيث يحاول الأفراد الملوثون بهذه الأمراض بلوغ أهدافهم السيئة عن طريق الغيبة وبالنظر إلى أنّ الداوفع المذكورة جميعاً من الكبائر فانّه يمكن الوقوف على قباحة الغيبة.

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص ۳۶۰

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۰

۲- إنّ أهم أرصدة المجتمع وسنده الأصل والذى من شأنه توحيد الأفراد ويدفعهم باتّجاه الأهداف النبيلة هو الثقة المتبادلة وممّا لا يشك فيه أنّ أولى النتائج السيئة للغيبة تتمثل بالقضاء على هذا السند، وذلك لأنّ كل فرد فى الغالب ينطوى على عيب أو عيوب فانّ بقيت خفية لن تنعكس سلباً على الآخرين ويبقى التفاؤل ثقة الأفراد بعضهم بالبعض الآخر قائمة، أمّا كشف هذه العيوب عن طريق تحريها والبحث عنها وممارسة الغيبة وذم كل فرد آخر إنّما يحيل المجتمع إلى جهنم محرقة بحيث يسيىء كل فرد الظن بالآخر وينفر منه، بالنتيجة تزعزع النظام العام للمجتمع وتعرّضه للقلق والاضطراب.

وبعبارة أخرى كما يتهدد الأمن العام للمجتمع بفعل نهب الأموال وسفك دماء الأبرياء، فانّ سلب ماء الوجه وسرقته من الآخرين عن عن طريق الغيبة إنّما يشيع تلك الفوضى ويقضى على الأمن، وذلك لأنّه كما ورد فى الرواية المذكورة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فانّ التعرض لحيثيات الآخرين بمثابة التعرض لأنفسهم وأموالهم، لا يمكن كتمان الغيبة عادة وتفشى على صاحبها فتشتعل فيهم نيران الحقد والكراهية، الحقد الذى يمهد السبيل أمام سفك الدماء وعظام المشاكل، والغيبة أحد أسباب إشاعة الفحشاء وعامل مهم من عوامل سوء الظن، إلى جانب كونها تجعل الآثم جريئاً فى ذنوبه، لأنّ المذنب الآثم يراعى عادة جانب الاحتياط إن بقيت معصيته خفية مستورة، فان هتكت زال حجاب الحياء والخجل.

۳- الغيبة حق الناس، والمسألة المهمّة بشأن الغيبة أنّها ليست معصية بين الإنسان وربّه تبارك وتعالى يمكن غسلها بماء الندم فتحصل التوبة، بل كما لا يمكن تلافى الخسائر الناجمة عن سفك الماء وغصب الأموال دون القصاص أو الدية ودفع التعويضات المالية، فانّه لا يمكن غفران إزالة ماء وجه الآخرين دون تعويض، سيّما إن توفى من أغتيب ولم يكن هناك من سبيل لمن إغتابه للوصول إليه ولم يبق أمامه سوى الحساب والقيامة، يعنى حين لا يكون هنالك من سبيل للتعويض سوى إضافة حسناته إلى ذلك الفرد أو تقبل سيئاته، وهذه بحدّ ذاته مصيبة كبرى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۱

۴- إنّ أفضل علاج للغيبة يتمثل بما ذكره مولى الموحيد أميرالمؤمنين على عليه السلام فى الكلام المذكور وقد لفت انتباه الإنسان إلى هذه الحقيقة وهى إن رأى الإنسان عيباً ومنقصة فى شخص آخر وليس فيه مثلها، فقد وجب عليه شكر اللّه، الشكر الذى يصده

عن تحرى عيوب الآخرين، وإن قارف معصية وقد إرتكبها مثله، فلا ينبغى له أن يتجاهل عيبه وينشغل بعيوب الآخرين، وإن إرتكب الصغيرة وجب عليه أن يفكر فى أنّ كبيرة غيره ربّما غفرت ولم يغفر له، بل جرأته على تقصى عيوب الآخرين لأكبر من ذنونهم مهما كبرت.

أضف إلى ذلك فكما أنّ الأمراض البدنية لن تعالج بصورة تامة ما لم تزول جذورها فانّ الأمراض الروحية كالغيبة لابدّ من إقتلاع جذورها حتى تزول الرغبة فى مقارفتها.

۵- استماع الغيبة أحد الذنوب- كما سيأتى شرح ذلك فى الخطبة القادمة- ذلك لأنّ السامع شارك فى إراقة ماء وجه مسلم فهو شريك فى الجرم، سيّما إن إستمع مختاراً بما يجعله سبباً لتشجيع صاحبه الغيبة.

۶- لا يقتصر سبيل التوبة عن الغيبة على الاستغفار، بل لابدّ من محاولة تعويض من أغتيب واريق من ماء وجهه إلى جانبى الندم والتوسل إلى اللّه تعالى فى طلب العفو الرحمة، فان أمكن مناشدته إبراء الذمّة، وأمّا إن تعذّر ذلك بسبب ترتب مفسدة، أو توفى الشخص، فلابدّ من القيام بأعمال الخير من أجله حتى يرضى، وكل هذه الأمور تشير إلى مدى فضاعة الغيبة وصعوبة التخلص من تبعاتها، ومن أراد المزيد بشأن المسائل المتعلقة بالغيبة ومن ذلك موارد الاستثناء عليه مراجعة الجلد الثالث من كتاب الأخلاق فى القرآن ۶۳۸].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۳

الخطبة[۶۳۹] المأة والحادية والأربعون

اشارة

وَمِنْ كَلامٍ لهُ عليه السلام

فى النهى عن سماع الغيبة وفى الفرق بين الحقّ والباطل

نظرة إلى الخطبة

يبدو أنّ هذا الكلام مواصلة للخطبة السابقة، فقد ورد الحديث فى الخطبة السابقة عن نهى الناس عن الغيبة، وجرى الكلام هنا فى النهى عن سماع الغيبة، كما أكد عليه السلام عدم تصديق كل ما يصدر من الشخص بهدف حفظ شخصية الآخرين، فالخطأ جائز حتى على الصادقين.

وإختتم عليه السلام الخطبة بوصيّة الجميع بعدم تصديق الشىء ما لم يره، فما أكثر الخطأ واللبس فى السماع.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۵

«أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ. أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِى الرَّامِى، وَتُخْطِئُ السِّهَامُ، وَيُحِيلُ

[[يُحيك]

الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فَسُئِلَ، عليه السلام، عَن مَعْنى قولِهِ هذَا، فجمع أَصابِعَهُ وَوَضعهَا بين أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثمَّ قَالَ: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ!».

الشرح والتفسير

المسافة بين الحق الباطل

كما ورد سابقاً، يبدو أنّ هذا الكلام جزء من الخطبة السابقة فصلها عن بعضها المرحوم السيد الرضى، وذكرها بصورة مستقلة، والواقع أنّ الهدف من الخطبتين واحد هو حفظ ماء الوجه وإشاعة أجواء الثقة بين أفراد المجتمع والابتعاد عن الآثار السيئة للغيبة وتحرى العيوب.

فقد بيّن الإمام عليه السلام فى الخطبة السابقة طرق معالجة الغيبة، وسعى هنا للحد من الآثار الهدامة للغيبة أو القضاء عليها تماماً.

فقال بادىء ذى بدء:

«أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ[۶۴۰] طَرِيقٍ، فَلَا

يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ».

فالواقع هو أنّ الإمام عليه السلام قد أبطل بهذه العبارة القصيرة ومن خلال عدّة طرق الآثار السيئة للغيبة فى المستمع، وأول تلك الطرق ما ورد فى العبارة المذكورة، لانّ الإنسان إن عرف

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۶

أحداً بحسن السيرة والورع والتقوى كان عليه أن يوقن بخطأ ما يقال فيه من أمور مخالفة، لأنّ الموارد المشكوكة غالباً ما تحمل على الموارد المعلومة وعلى حدّ التعبير المشهور:

«الظَّنُّ يَلحَقُ الشَّىءَ بِالأَعَمِّ الأغلَبِ»

، وبالطبع فانّ هذا الكلام لا يعنى قبولنا لغيبة الأفراد وتتبعهم لعورات الآخرين الذين ليس لهم من سابقة، بل الهدف مضاعفة التأكيد بالنسبة للأفراد من ذوى السوابق الحسنة، بحيث لا ينبغى التصديق مطلقاً بما يقال بشأن اولئك.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى نقطة أخرى وهى لو فرضنا أنّ المتكلم كان صادقاً، ولكن من الموقن به أنّه ليس بمعصوم، وعليه فالخطأ محتمل من جميع الناس سوى المعصومين، وعليه فلا ينبغى تصديق المقابل بكل سهولة فى ما ينسبه إلى الآخرين، ناهيك عن عدم مطابقة الظن والحدس إلى الواقع على الدوام، فقال:

«أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِى الرَّامِى، وَتُخْطِئُ السِّهَامُ»،

أضف إلى ذلك وعلى ضوء كلام الإمام عليه السلام: «

وَيُحِيلُ ۶۴۱]

[[يُحيك]

الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ[۶۴۲]، وَاللَّهُ

سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ»، فى

إشارة إلى أنّ أغلب الناس لا يلتزمون بكلام الحق ويتفوهون بكل ما يرد على ألسنتهم، ومن هنا لا ينبغى قبول ما ينسبونه إلى الآخرين من عيوب، فقد يكون ذلك من الأقوال الباطلة التى تنسب إلى الأفراد دون تريث.

ثم أشار عليه السلام إلى نقطة مهمّة أخريس فقال:

أَمَا إِنَّهُ لَيسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ».

وفى هذه الأثناء سأله أحد الحاضرين:

«عَنْ مَعْنى قولِهِ هذَا، فجمع أَصابِعَهُ وَوَضعهَا بين أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثمَّ قَالَ: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ!».

فالعبارة فى الواقع إشارة إلى الشائعات التى تتناقها الألسن فيطالعك هذا وذاك وهم يرددون يقال كذا ويقال كيت وليس الأمر سوى شائعات لا أساس لها، وقد قال عليه السلام لا تلتفتوا إلى الشائعات ولا تنسبوا إلى الآخرين ما لا ترون، ومن هنا تتضح الإجابة على

السؤال الذى أورده أغلب شرّاح نهج البلاغة ومفاده: إنّ الآيات القرآنية والوحى السماوى وسنّة النبى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۷

الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة المعصومين عليهم السلام كلها عن طريق السمع فكيف يحكم ببطلانها؟

فليس مراد الإمام عليه السلام بطلان أخبار الثقاة والأحاديث المتواترة والمستفيضة التى وصلتنا عن طريق السمع، بل مراده ذلك المعنى العرفى والمتداول بشأن الشائعات، والشاهد على ذلك ما روى عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لما سئل: كم بين الحق والباطل؟ فقال عليه السلام:

«أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحق وقد تسمع باذنيك باطلًا كثيراً»[۶۴۳].

وزبدة الكلام ليس كل ما يراه الإنسان حق، وذلك لأنّ العين قد تخطىء أحياناً، وليس كل كما يسمعه باطل، وذلك لأنّ المتكلم قد يكون فرداً عادلًا وثقة، لكن قليل هو الخطأ على مستوى العين، أمّا الكلام الباطل عن طريق السمع فهو كثير، وهذا ما أشارت إليه العبارة الواردة عن الإمام عليه السلام.

ولعل هذا هو أنسب التفاسير للعبارة المذكورة، بينما أورد البعض من شرّاح نهج البلاغة تفسيراً آخر خلاصته أنّ العبارة: «ليس بين الحق والباطل إلّاأربع أصابع» إشارة إلى العيوب التى تقال فى حق الأفراد، أغلب هذه العيوب ناشىء من سوء الظن وعدم التحقيق والحسد، والحقد والكراهية وما شاكل ذلك، وعليه فهناك الكثير من الكذب والباطل فى هذه الأقوال، ولكن يمكن للإنسان القول بأنّ العيوب الفلانية فى الشخص الفلانى إن رآها بعينه.

درس أخلاقى رفيع

لو وضع الناس نصب أعينهم واستحضروا على الدوام وفى كل مكان عبارة الإمام عليه السلام ليس بين الحق ولباطل إلّاأربع أصابع وعملوا بها فى حياتهم، قطعاً كل التفاؤل محل التشاؤم وحسن الظن بدل سوء الظن والثقة والاعتماد بدل عدمهما والمحبّة بدل البغض والكراهية، وسوف تبهت الإشاعات ولا يكون لها ذلك الصدى والتأثير وبالتالى سوف لن يبلغ أصحابها ما يرومونه من أهداف فلا يسود المجتمع سوى الحب والأخاء، والمؤسف له أنّ الشائعات فى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۸

الوقت الحاضر قد جاوزت الأفراد لتطيل فئات البلاد وتجمعاته بحيث ألقت بظلالها الوخيمة على جميع أرجاء العالم وما ذلك إلى للغفلة عن الفارق بين الحق والباطل التى أشير إليها فى كلام الإمام عليه السلام، وإننا لنلمس الثمن الباهظ الذى يدفعه العالم بسبب عدم التزامه بهذا الأمر.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۶۹

الخطبة[۶۴۴] المأة والحادية والأربعون

اشارة

ومِنْ كَلام لهُ عليه السلام

المعروف فى غير أهله

نظرة إلى الخطبة

تدور هذه الخطبة حول محورين:

المحور الأول: يشرح النتائج السلبية للمعروف والإحسان إلى غير أهله.

والمحور الثاني: الموارد المؤهلة لأن يصنع الإنسان إليها المعروف لينال من خلالها شرف الدنيا والفوز بفضائل الآخرة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۱

القسم الأول: المعروف في موضعه

«وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ فِيما أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَادَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ!

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيُفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

الشرح والتفسير

كما ورد سابقاً هذه الخطبة حسب بعض الروايات المعتبرة جزء من الخطبة رقم ۱۲۶، والتي اعترض فيها بعض الجهّال على الإمام عليه السلام بسبب تسويته بين الناس في العطاء من بيت المال المسلمين، فكلّموه لم لا تزيد في عطاء أشراف القبائل ليطروه ويثنوا عليه ويقفوا إلى جانبه عند الشدائد، أمّا الإمام عليه السلام فقد وبّخهم في هذه الخطبة في أنّ البذل والعطاء في غير موضعه لا يوجب غضب اللَّه وسخطه فحسب، بل به آثاره السلبية حتى في الدنيا أهونها ثناء الأشرار وإنسحاب الأخيار، فقال عليه السلام:

«وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ فِيما أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ[۶۴۵] اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۲

أضف إلى ذلك فانّ هذا المدح والثناء قائم مادام البذل والعطاء ومد يد الجود والسخاء، ولكن بمجرّد أن يقطع هذا البذل لا يبقى من أثر لذلك المدح ولاثناء، هذا في الوقت الذي يكون فيه بخيلًا عن البذل في سبيل اللَّه تعالى: «مَادَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ!».

وقد جربنا كلام الإمام عليه السلام مراراً في حياتنا والذاكرة البشرية تحتفظ بالكثير من ذلك طيلة التاريخ، فقد حفلت الدنيا بالأفراد المتكالبين على الدنيا ممن تحكموا بثروات المجتمع وقد أغدقوها على المتملقين من الأشرار ممن حولهم وبطانتهم وقد ولو ظهورهم بالمرّة عن معاناة المحرومين وآلام المساكين، فان دارت عليهم الدوائر وتنكرت لهم الدنيا، هب المحرومون للوقوف بوجههم ولم يكتف الأمر عند هذا الحدّ، بل تنكر لهم حتى أنصارهم من المتملقين وعرضوا لهم بالذم والتوبيخ، فلم يتركوهم وشأنهم فحسب، بل سارعوا للتمرد عليهم وأعدوا أنفسهم للإنسجام مع من يخلفونهم من الحكّام، وهذه هي عاقبة من ولى ظهره للحق تبارك وتعالى والخلق والتحق بركب النفعيين.

ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ طَلَبَ مَحامِدَ النَّاسِ بِمعاصِي اللَّهِ عادَ حامِدُهُ مِنهُم ذَامًّا»[۶۴۶]

، وعن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا أَرَدتَ أَنْ تِعلَمَ إِلى

خَيرٍ يَصيرُ الرَّجُلُ أم إِلى شَرٍّ؟ انظُر إِلى أَينَ يَضَعُ مَعرُوفَهُ؟ فَإِنْ كَانَ يَضَعُ مَعرُوفَهُ عِندَ أَهلِهِ فاعلَم أَنَّهُ يَصِيرُ إِلى خَيرٍ وَإِنْ كَانَ يَضَعُ مَعرُوفَهُ عِندَ غَيرِ أَهلِهِ فاعلَم أَنَّهُ لَيسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ»[۶۴۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۳

القسم الثانى

«فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

الشرح والتفسير

عرض الإمام عليه السلام بالذم الشديد لصانع المعروف فى غير أهله كما ورد ذلك فى المقطع الأول من الخطبة والذى كان يمثل الجانب السلبى من القضية، أمّا فى هذا القسم فقد تعرض إلى جانبها الإيجابى فبيّن الموارد الطبيعة التى تستحق الانفاق والبذل والعطاء، حذراً من استغلال البعض لما مرّ معنا سابقاً فى العبارات، فيعتمد البخل وعدم الانفاق فقال:

«فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ ۶۴۸]، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ۶۴۹]».

فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ستة موارد للانفاق والبذل وفى مقدمتها القرابة من ذوى الحاجة، فمما لا شك فيه أنّ هؤلاء مقدمون على غيرهم، وهذا ما ورد فى الخبر المروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفضَلُ؟ فقال صلى الله عليه و آله: عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ»[۶۵۰]

، ثم ركز الإمام على قضية الضيافة وهى الأمر الذى يؤدّى إلى إشاعة أجواء المودّة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۴

والمحبّة بين الأصدقاء ويزيل الأحقاد، كما يوطد العلاقات العاطفية والاجتماعية وقد أولى الإسلام هذه المسألة الإنسانية والأخلاقية أهميّة قصوى حتى ورد فى الخبر أنّ الإمام الصادق عليه السلام سأل أحد أصحابه:

«أَتُحِبُّ إِخوانَكَ يا حُسَين؟ قُلتُ: نَعم، قَالَ: تَنفَعُ فُقَرائَهُم؟

قُلتُ: نَعم، قَالَ: إِنَّهُ يَحُقُّ عَلَيكَ أَنْ تُحِبَّ مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ، أَمَا وَاللَّهِ لاتَنْفَعُ مِنهُم حَتّى تُحِبَّهُ، أَتَدعُوهُم إِلى مَنزِلِكَ؟ قُلتُ: نَعم، مَا أَكُلُ إِلّا وَمَعِي مِنْهُم الرَّجُلانِ والثَّلاثَةُ وَالأَقَلُّ وَالأَكثَرُ، فَقالَ أَبُوعَبدِاللَّهِ عليه السلام: أَمَ إِنَّ فَضْلَهُم عَلَيكَ أَعظَمُ مِنْ فَضلِكَ عَلَيهِم، فَقُلتُ: فِداكَ أَطعِمُهُم طَعامِي وَأَوطِئُهم رَحلِي وَيَكُونُ عَلَيَّ فَضْلَهُم عَلَيَّ أَعظَمُ؟ قَالَ: نَعم، إِنَّهُم إِذا دَخَلُوا مَنزِلَكَ دَخَلُوا بِمَغفِرَتِكَ وَمَغفِرَةِ عِيالِكَ، وإِذا خَرَجُوا مِنْ مَنزِلِكَ خَرَجوا بِذُنُوبِكَ وَذُنُوبِ عِيالِكَ»[۶۵۱].

ولمّا كان دفع الحقوق الواجبة والمستحبة وتعويض الخسائر شاقاً على النفس فقد أكد الإمام عليه السلام على الصبر والتحمل فقال:

«وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ۶۵۲]، ابْتِغَاءَ

الثَّوَابِ».

وبناءاً على هذا فالتعبير بالحقوق يشمل الواجبة والمستحبة، والنوائب جمع نائبة والحادثة الأليمة، وتشير هنا إلى جميع الأمور التى تتضمن الخسارة المالية، سواء كان من جانب ظلم الظلمة وحكّام الجور، أو الحوادث غير المتوقعة التى تصيب الإنسان طيلة حياته.

والعبارة

«ابتغاء الثواب»

إشارة إلى أنّ الصبر تجاه كل هذا البذل وصرفه فى الموارد المذكورة لابدّ أن يكون للّه‌تعالى ليحصل الأجر والثواب.

وإختتم كلامه بالإشارة إلى الآثار العظيمة لهذا البذل فقال عليه السلام:

«فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»

، فالحقّ أنّ البذل فى الموارد الستة المذكورة يؤدّى إلى حسن سمعة الإنسان فى المجتمع، كما يوجب فوزه فى الحياة الآخرة، وأفضل شاهد على ذلك ما روى عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ جَادَ سَادَ»[۶۵۳]

، وقد أصبحت هذه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۵

العبارة مثل يضرب لتأكيد المعنى المذكور، وكذلك ما روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«وَأَحسن إلى مَنْ شِئتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ»[۶۵۴]

، بل يؤيد ذلك ما نلمسه فى حياتنا اليومية، وهذا على مستوى الدنيا.

أمّا من حيث الآخرة فانّ البذل من أهم أسباب النجاة ولاسيّما إعانة المحتاجين، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

«أَوَّلُ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ المَعرُوفُ»[۶۵۵].

والتعبير ب

«فوزاً»

بصيغة النكرة يفيد حقيقة فى أنّ هذا البذل وإن كان قليلًا فانّه يوجب عزّة الدنيا ورفعة الآخرة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۷

الخطبة[۶۵۶] المأة والثلاثة والاربعون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

فى الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد على وجوب استغاثة رحمة اللّه إذا حبس عنهم رحمة المطر

نظرة إلى الخطبة

الخطبة كما ورد فى عنوانها بشأن الاستسقاء والتضرع إلى اللّه سبحانه فى طلب نزول الأمطار، وهى الخطبة الثانية من خطب نهج البلاغة فى باب الاستسقاء (الخطبة الاولى رقم ۱۵۵)، وتتألف هذه الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يشير إلى هذه الحقيقة فى أنّ السماء والأرض مطيعة لأمر اللّه فان شاء أخرج بركاتهما إلى الناس، وبناءاً على هذا فانّ الذى ينبغى التوجه إلى قبل عالم الأسباب هو ذات مسبب الأسباب.

القسم الثانى: ناظر إلى هذا المطلب وهو أنّ أعمال السوء والذنوب والمعاصى تؤدّى إلى إغلاق أبواب الخير والبركة بأمر اللّه تبارك وتعالى، ومفاتحها الاستغفار من الذنوب والإنابة إلى اللّه تعالى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۸

القسم الثالث: يعرض إلى رفع الإمام عليه السلام يده بالتوسل إلى اللّه سبحانه فى مراسم صلاة الاستسقاء حيث يطلب نزول المطر بعبارات دقيقة رائعة عميقة المعنى، والأمطار المفعمة بالبركة والتى تروى الأرض وتسقى الأشجار والثمار وتسرّ الناس.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۷۹

القسم الأول: درس فى التوحيد والأخلاق

«أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِى تُقِلُّكُمْ تحملكم، وَالسَّمَاءَ الَّتِى تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا».

الشرح والتفسير

من الوصايا الإسلامية التى وردت بصورة موسعة فى الكتب الفقهية الوصيّة بصلاة الاستسقاء، حيث يقبل فيها الناس على اللّه تبارك وتعالى ويتوبون إليه من ذنوبهم معاصيهم ويسألونه نزول المطر، وقد حدث هذا الأمر كراراً ومراراً فى الإتيان بهذه الصلاة ونزول الرحمة الإلهيّة، ويبدو أنّ الإمام عليه السلام قد دعى الناس حين الاستسقاء، ومن هنا فقد خطب بهذه الخطبة المليئة بدروس التوحيد والتهذيب والتربية، فقد قال عليه السلام بادىء الأمر بهدف إعداد الناس وإحياء روح التوحيد فيهم والتوجه إلى اللّه تعالى الذى يمثل مصدر الخير والبركة والعطاء:

«أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِى تُقِلُّكُمْ ۶۵۷] تحملكم، وَالسَّمَاءَ الَّتِى تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ».

ثم قال عليه السلام:

«وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا»

، والتعبير بالسماء إشارة إلى الغيوم المحلية، لأنّ العرب تستعمل السماء بمعنى الجانب العلوى،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۰

فتطلقه أحياناً على موضع النجوم فتقول نجوم السماء، وتطلقه أحياناً أخرى على موضع الشمس والقمر، وأخيراً على موضع السحب والغيوم وحتى الموضع الذى يضم الغصون المرتفعة للأشجار، ومن ذلك الآية القرآنية: «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ»[۶۵۸].

هذا الكلام يشتمل على درس مهم فى التوحيد والأخلاق، فقد قال الإمام عليه السلام من جانب أنّ اللّه أمر السماء والأرض بمنافعكم، وكأنّ السماء أشبه بالأب والأرض بالام اللذان يتحدان لتزويد الإنسان بما يحتاجه من غذاء وشراب ولباس ودواء ومركب دون التمييز بين المطيع والعاصى والمؤمن والكافر، لأنّهما مظهر رحمانية الحق.

الطريف فى الأمر أنّ المائدة الإلهيّة لا تنضب فالأجيال متعاقبة فى الذهاب والإياب وهما قائمان على خدمتهم، ومن جانب آخر فانّ السماء والأرض ورغم تقديمها لكل هذه الخدمات فهما لا يرجوان أى عوض من الإنسان، بل يخدمان بكل إخلاص، وهذا درس مهم للإنسان يشدّه إلى خدمة الآخرين بعيداً عن الأجر والثواب.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۱

القسم الثانى: الذنب وقلّة البركة

اشارة

«إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِى عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَءاً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة إلى نقطة مهمّة من أجل إعداد الناس لصلاة الاستسقاء فقال:

«إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ».

ثم إعتمد الإمام عليه السلام بعد ذلك أسلوب الطبيب الماهر الذى يصف العلاج بعد تشخيص المرض فقال:

«وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ[۶۵۹] الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ،

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۲

بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً»».

وأخيراً يخلص إلى نتيجة:

«فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَءاً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ ۶۶۰] خَطِيئَتَهُ،

وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ!».

نعم، حين تغلق أبواب الرحمة الإلهيّة بفعل كثرة الذنوب فليس هنالك من سبيل لفتحها سوى الاستغفار والتوبة والنصوح.

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام وبهدف إثبات هذا الأمر قد استدلّ بأنسب أية قرآنية، وهى الآية التى وردت على لسان نبى اللّه نوح عليه السلام حين خاطب قومه باستغفار اللّه والتوبة إليه والذى يؤدّى إلى نزول البركات والخيرات ومضاعفة الأرصدة المادية والمعنوية وتقوية الوجود الإنسانى وتحسين الأوضاع الاقتصادية والزراعية.

والعبارة

وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ!»

، إشارة إلى أنّ التوبة لا تقتصر على بلوغ الرفاه المادى فى الحياة الدنيا، بل الهدف الأهم من ذلك النجاة فى الآخرة، وذلك لأنّ الموت إن سبق التوبة فلا سبيل للتدارك، وإن كان العكس وسبقت التوبة والأعمال الصالحة الموت، كان مفتاح النجاة بيده فى الدار الآخرة.

جانب من فلسفة البلاء

لقد قيل الكثير فى فلسفة البلاء، والذى يستفاد من أغلب الآيات القرآنية والروايات الإسلامية هو أنّ الذنوب والمعاصى تشكل أحد علل الآفات والحوادث الصعبة فى الحياة البشرية، حيث تحدث عدّة آيات عن التلازم بين هذين الأمرين، بل يستفاد من بعض الروايات والأخبار الترابط الوثيق بين نوع الذنب والبلاء الذى يترتب عليه، على سبيل المثال فانّ الزنا وعدم العفة وشرب الخمر والتطفيف والربا وقطع الرحم كل ذلك يؤدّى إلى سلب نعمة معينة كما أشار إلى ذلك الحديث النبوى الشريف، من ذلك روى أبى حمزة عن الإمام الباقر أنّه قال:

«وَجَدنا فِى كِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: إِذا ظَهَرَ الزِّنا مِنْ بَعدِى كَثُرَ مَوتُ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۳

الفُجأة، وإِذا وإِذا طَففَ المِكيالَ وَالمَيزانَ أَخَذَهُم اللَّهُ بِالسِّنِينِ وَالنَّقصِ إِذا مَنَعُوا الزَّكاةَ مَنَعَتْ الأَرضُ بَرَكَتَها مِنَ الزَّرعِ وَالثِّمارِ وَالمَعادِنِ كُلُّها، إِذا جَارُوا فِى الأَحكَامِ تَعاوَنُوا عَلَى الظُّلمِ والعُدوانِ، إِذا نَقَضُوا العَهدَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيهِم عَدُوَّهُم، إِذا قَطَعُوا الأَرحامَ جُعِلتْ الأَموالُ فِى أَيدِى الأَشرارِ إِذا لَم يَأمُرُوا بِالمَعرُوفِ وَلَم يَنهُوا عَنِ المُنكَرِ وَلَم يَتَّبِعُوا الأَخيارَ مِن أَهلِ بَيتِى سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيهِم شِرارَهُم فَيَدعُوا خِيارهُم فَلا يُستَجابُ لَهُم»[۶۶۱]

والدليل العقلى يؤكد هذا الأمر على أنّ هناك إرتباط بين الذنب وقطع النعم، فالفيض اللّه يتوقف على الاستعداد والاستحقاق، فان قارف الإنسان الذنب وأفضح عن عدم استعداده كان من الطبيعى أن يقطع عن نفسه الفيض الإلهى.

أضف إلى ذلك فالذى يستفاد من الآيات القرآنية أنّ هناك هدفاً مهمّاً آخر يتمثل بايقاظ الغافلين وإعادتهم إلى اللّه تبارك وتعالى، حتى صرّحت بعض الآيات بأنّ البلاء يعمّ الأقوام المشركة حين بعث الأنبياء والرسل لهدايتها من أجل تمهيد السبيل أمامهم لقبول الدعوة ومن ذلك الآية ۹۴ من سورة الأعراف التى قالت: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ».

وهكذا فانّ القضية التربوية تشكل أحد الأهداف المهمّة للبلاء والحوداث الأليمة، على كل حال فانّ مفتاح الأبواب الموصدة وإخماد جذوة أمواج البلاء إنّما يكمن فى العودة إلى اللّه سبحانه كما صرّح بذلك القرآن الكريم إذ قال: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»[۶۶۲].

وهكذا سائر الآيات، وورد فى الخبر أنّ شخصاً قال لأميرالمؤمنين على عليه السلام لقد أسرفت فى المعاصى فادعوا اللّه أن يغفر لى، قال على عليه السلام: عليك بالاستغفار، وقال الآخر: مزارعنا تشكو من قلّة الماء، فادعوا اللّه أن يرسل علينا المطر، فقال عليه السلام: عليك بالاستغفار، وشكى الثالث من الفقر فأشار عليه الإمام عليه السلام بالاستغفار، وشكى الرابع العقم وكان له مال كثير فأشار عليه الإمام بالاستغفار، وشكى له الخامس من قلّة ثمار البستان فنصحه عليه السلام بالاستغفار، وشكى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۴

السادس من جفاف الآبار وعيون الماء فقال له عليه السلام عليك بالاستغفار، فتعجب ابن عباس من إشارته على الجميع بالاستغفار وقد كان لكل مشكلته التى تختلف عن غيره، فقال عليه السلام أولم تسمع إلى القرآن والآيات ۱۰، ۱۱، ۱۲ من سورة نوح إذ قال: «وَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً»[۶۶۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۵

القسم الثالث: إلهى أمطرنا مطراً مباركاً

اشارة

«اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِى رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ. اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا (بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَايَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ المحن الْمُسْتَصْعِبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا تناقشنا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً نافعة مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِى بِهَا مَا قَد مَاتَ. نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى تُرْوِى بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ»».

الشرح والتفسير

بعد أن مهد الإمام عليه السلام قلوب الناس ودعاهم إلى التوبة من الذنوب والإنابة إلى اللّه سبحانه فى هذه الخطبة التى خطبها بمناسبة صلاة الاستسقاء، إلتفت إلى الحق تبارك وتعالى فتوسل إليه بعبارات وهو يسأله اللطف والرحمة، كما فرض عدّة مطالب من خلال

خمس عبارات يستهلها بالقول اللّهم، فقد قال بادىء ذى بدء:

«اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۶

وَالْأَكْنَانِ ۶۶۴]، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ».

إشارة إلى أنّ خروجنا من المنازل وقدومنا إلى الصحراء من أجل أداء صلاة الاستسقاء دليل على إسرافنا على أنفسنا، فان كنّا من عبادك الخاطئين فما ذنب هذه الماشية والأطفال العطاشى، وليس لنا من دافع فى هذا الخروج سوى طلب رحمتك وفضلك وكرمك وقد أقبلنا عليك وأتينا إليك واستجرنا بك من عذابك وعقوبتك، وقد صرّحت الروايات الإسلامية الواردة فى باب آداب صلاة الاستسقاء بحمل حتى الرضع من الأطفال والهيم العطاشى إلى الصحراء، بل وردت الوصيّة بتفريق الأطفال عن امهاتهم لترق القلوب لبكاء الأطفال ويزداد الإقبال على اللّه تبارك وتعالى ۶۶۵].

ولا يخفى ما لهذا المنظر من عظيم الأثر فى إثارة عواطف الناس وحضور قلوبهم وجريان دموعهم والذى يؤدّى إلى استجابة الدعاء، إلى جانب كونه سبب المزيد من لطف اللّه ورحمته.

ثم طرح طلبه الرئيسى فقال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ ۶۶۶]، وَلَا تُؤَاخِذْنَا «بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا» يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

، أى وإن فعل فريق من الجهّال ما يوجب قطع الفيض الإلهى عنهم، ولكن عاملنا بكرمك وفضلك ولا تعاملنا بعدلك، فلا طاقة لنا بعدلك وليس لنا سوى عفوك ورحمتك، ولما كان شرط استجابة الدعاء فى إذعان الفرد بعجزه وأنّ اللّه على كل شىء قدير فقد قال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَايَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ[۶۶۷]، وَأَجَاءَتْنَا[۶۶۸] الْمَقَاحِطُ[۶۶۹] الْمُجْدِبَةُ[۶۷۰]، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ ۶۷۱] عَلَيْنَا الْفِتَنُ المحن الْمُسْتَصْعِبَةُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۷

فقد أشار الإمام عليه السلام بهذه العبارات إلى مسألة وهى إننا إن عددنا حاجاتنا ومشاكلنا الواحدة بعد الأخرى لا على أساس إنّك لا تعلمها، بل لأنّك تحبّ أن يطرح العباد مشاكلهم بألسنتهم ويقرون بعجزهم وسعة حاجاتهم، ثم أشار إلى أربع مشاكل تشترك مع بعضها من جهات وتشترك فى أخرى وهى: صعوبات الحياة والجدب والقحط و الرغبات التى يتعذر نيلها فى الشرائط العادية، وأخيراً الفتن الصعبة والمزعجة، وهى المشاكل التى لا يرجى حلّها إلّا من اللّه تبارك وتعالى، ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَاجَتَكَ وَما تُرِيدُ وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أن تَبُثَّ إِلَيهِ الحَوائِجَ»[۶۷۲].

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه فقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ ۶۷۳]، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا تناقشنا بِأَعْمَالِنَا».

فليس هنالك من سبيل للنجاة إن عاملتنا على أساس أعمالنا، فنسألك أن بحملنا على لطفك وكرمك وألّا نرجع خائبين من بابك، والطبع فانّ هذه الأدعية وإن اشتملت على الطلبات المؤكدة من اللّه تبارك وتعالى، فهى تنطوى على الدروس العميقة المعنى للسامعين ليقضوا على آثار ذنوبهم وشناعة أعمالهم فيسارعوا لإصلاح أنفسهم، وتشتمل أغلب الأدعية التى تردنا عن المعصومين عليه السلام على هذه الأمور التربوية.

وأخيراً طرح طلبه النهائى قائلًا:

«اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ؛ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً نافعة مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً[۶۷۴]، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَد مَاتَ. نَافِعَةَ الْحَيَا[۶۷۵]، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ ۶۷۶]، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ؛ «إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ»[۶۷۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۸

سل اللّه كل شيء

تحدثنا باسهاب فى ذيل الخطبة ۱۵۵ عن صلاة الاستسقاء وآدابها، ونخوض هنا فى الإجابة عن سؤال وهو لم شرح الإمام عليه السلام الصفات المذكورة فى المطر حين استغاثته باللّه سبحانه فى نزوله (حيث ذكر فى هذه الخطبة تسع صفات وفى الخطبة السابقة عشرين صفة) والحال اللّه عليم بكل هذه الصفات ولا داعى من شرحها؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابدّ من الالتفات إلى أنّ شرح الطلبات بجميع جزئياتها وبالنظر إلى طلب الحاجات من اللّه تعالى، تفيد هذا المعنى وهو ضرورة سؤال الناس من اللّه عزّ اسمه عن جميع وحاجاتهم وطلباتهم، وذلك لأنّ هذه الأدعية تفيد مدى حاجة الناس، وهذا بدوره يضاعف من عشق الناس للّهسبحانه، ومن جانب أخر لابدّ أن يعلموا كم هو حيوى المطر النافع وأى بركات وخيرات فيه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۸۹

الخطبة[۶۷۸] المأة والرابعة والاربعون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

مبعث الرسل

نظرة إلى الخطبة

تحدث الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة عن ثلاثة محاور هى:

المحور الأول: الذى بيّن فيه بعض الأمورالمهمّة بشأن مبعث الأنبياء ورسالاتهم.

المحور الثانى: الذى تطرق فيه إلى فضائل أهل البيت عليه السلام وأفضليتهم على من سواهم.

المحور الثالث: الذى يتضمن إشارات عميقة المعنى إلى نهج الضالين وعاقبة أمرهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۱

القسم الأول: فلسفة الإمتحان الإلهى

«بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً؛ لَاأَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَلكِنْ «لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً».

الشرح والتفسير

يعتقد جمع من شرّاح نهج البلاغة أنّ دافع الإمام عليه السلام من هذه الخطبة بيان الرد القاطع على المغرضين الذين ينكرون فضائل

الإمام عليه السلام، والطبع فانّ جانباً من الخطبة قد عالج هذا الأمر، وإن إشتملت سائر الأقسام على إبعاد كلية.

وعلى كل حال فقد أشار الإمام عليه السلام فى المقطع الأول من هذه الخطبة إلى أمرين: هما فلسفة بعثة الأنبياء وفلسفة الامتحان الإلهى، فقال عليه السلام:

«بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ[۶۷۹] إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ».

فهذه العبارة تشير إلى نقطة مهمّة وردت كراراً فى الآيات القرآنية وهى عدم مؤاخذة اللَّه سبحانه العباد دون بعث الرسل وإبلاغهم أوامره ونواهيه سبحانه عن طريق الوحى، فقد جاء

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۲

فى الآية ۱۵ و ۱۶ من سورة الاسراء: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا* وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً»، هنا يطرح هذا السؤال وهو عدم انسجام ما ورد فى هذه الخطبة والآيات القرآنية الواردة بهذا الشأن ومبدأ استقلال حكم القتل، فالحجة تتم على الإنسان من خلال العقل الذى يحكم بحسن وقبح الأشياء (كإدراكه لحسن العدل وقبح الظلم) وعليه فهو يستحق العقاب أو الثواب حتى دون بعث الأنبياء والرسل، ونقول فى الإجابة عن هذا السؤال صحيح أنّ هناك استحقاقاً للثواب والعقاب وإرادة الحق تبارك وتعالى ومن باب اللطف بالعباد واقتضت عدم مؤاخذة العباد وعقابهم ما لم تويد المستقلات العقلية بواجبات الشرع ومحرماته التى تعين عن طريق الوحى.

ومن هنا تتضح عدم الحاجة للإجابة التى ذكرها بعض شرّاح نهج البلاغة حيث صرّحوا بأنّ هذه الآية فى حكم العموم الذى يخصص فى المستقلات العقلية.

وبعبارة أخرى: إنّ اللَّه تعالى لا يعاقب شخصاً دون بعث الأنبياء ونزول الوحى سوى فى المستقلات العقلية من قبيل قبح الظلم والجور والسرقة وقتل النفس، ثم خاض الإمام عليه السلام فى مطلب آخر فى إطار مواصلة لكلامه والذى يتمثل بفلسفة الإمتحان الإلهى فقال:

«أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً؛ لَاأَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَلَكِنْ «لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً[۶۸۰]».

فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه العبارة اللثام عن مسألة مهمّة حيث لا معنى لمفهوم الامتحان بالنسبة للَّهبالشكل الذى تعارف على العباد، فالهدف من اختبار العباد لرفع الجهل والإبهام، لمعرفة الأشياء و التعرف على الأشخاص، وليس لمثل هذه الأمور من مفهوم لمن كان الغيب والشهادة والظاهر والباطن عنده سواء، بل هدف البلاء الإلهى هو أن يظهر الإنسان ما يبطنه لتتحقق مسألة استحقاق الثواب والعقاب.

وبعبارة أوضح: لا يمكن إثابة الفرد أو معاقبته على ما يضمره من نيّات حسنة أو سيئة، بل يترتب الثواب والعقاب على ما يصدر منه من أعمال وأفعال تفرزها النيّات، وهذا ما بيّنه

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۳

الإمام عليه السلام فى إحدى قصار كلمات فى تفسير للآية القرآنية:

«وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ...»[۶۸۱]، معنى أن يختبرهم بالأموال والأولاد ... «وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِى بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ»[۶۸۲].

فلم يرد فى الفقه ولا فى دستور أى بلد التصريح بعقاب شخص بسبب نيّة القتل أو السرقة، وكما لا يثاب بسبب نيّته الحسنة فى الخدمة، وإن شمل مثل هؤلاء الأفراد بنوع من التكريم تفضلًا بسبب تلك النيّات وقد تظافرت الروايات التى صرّحت بجزاء الخير تفضلًا منه سبحانه كونه أرحم الجميع، لكنّه لايعاقب على نيّة الشرّ كما ورد فى الحديث:

«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ... وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَم تُكتَبْ عَلَيهِ»[۶۸۳].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۵

القسم الثانى: منزلة الولاية

اشارة

«أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِى هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ؛ لَاتَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ».

الشرح والتفسير

خاض الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة فى الرد على التخرصات فى مجال العلم والمعرفة الإسلامية تجاه أهل البيت عليهم السلام ويقدمهم على أنّهم أعلم من غيرهم بكذبهم، وأنّ الساسة المحترفين آنذاك كانوا يثيرون تلك التخرصات بهدف النيل من مسألة خلافة وإمامة أهل البيت عليهم السلام فقال:

«أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا».

وأضاف عليه السلام أينهم اولئك ليروا كيف رفعنا اللَّه تعالى وفضلنا وأعطانا ووضعهم وحرمهم وأدخلنا فى سعة رحمته وأخرجهم منها:

«أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ».

فى إشارة إلى أنّ إتّباع أهل البيت عليهم السلام فى معارفهم والإسلامية ووقوفهم على القرآن والوحى والسنّة النبوية الشريفة ليس بالشىء الخفى على أحد، فهم كهف الامة الذى كان يلوذ به حتى الخلفاء فى ما يعترضهم من مشاكل وصعوبات، وهذا من البديهيات التى لا يختلف عليها إثنان، وأمّا اولئك الذين تدفعهم القضايا السياسية والحب والبغض الناشىء من العلاقات المادية بانكار هذه الحقيقة فإنّما يفضحون أنفسهم.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۶

ثم قال عليه السلام: «

بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى ،

والشواهد التاريخية المستفيضة والأحاديث النبوية القطعية إنّما تؤيد هذا الكلام، وهذا ما سنتعرض له فى البحث القادم.

وأخيراً إختتم الإمام عليه السلام هذا المقطع من الخطبة بالإشارة إلى الحديث النبوى الشريف بشأن اقتصار الإمام على قريش وبنى هاشم فقال:

«إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِى هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ؛ لَاتَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ».

فالإمام بإشارته إلى الحديث النبوى المعروف:

«إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ»

، ومن ثم حصرها فى بنى هاشم أوضح بأنّ أدعياء الخلافة من غير بنى هاشم لا يستحقون هذا المقام ولابدّ من التحرى عن بنى هاشم فى كل زمان للعثور على الإمام الحق.

قبسات من علم على عليه السلام

لقد عمد تجّار السیاسة بهدف نیل أهدافهم وتحقیق مآربهم إلی إنکار أوضح المسائل أحیاناً أو المرور علیها من خلال التوجیهات الجوفاء وأحد مصادیق ذلک منح بعض الصحابة الأفضلیة علی علی علیه السلام حتی قدموا علیه تلمیذه فی التفسیر والذی کان یفخر بذلک هو ابن عباس ۶۸۴]، وزید بن ثابت فی العلم بأحکام المیراث وأبی بن کعب فی القراءة، ولم ینسبوا للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله حدیثاً بهذا الشأن، فی حین تظافرت مصادر الفریقین (الشیعة والسنّة) التی تؤکد أعلمیّة علی علیه السلام علی سائر الصحابة قاطبة بما لا یمکن إنکارها ومن ذلک:

۱- حدیث الثقلین وهو من أشهر الأحادیث التی روتها مصادر العامّة- وقد استشهدنا به سابقاً[۶۸۵]- بالکتاب وأهل البیت علیهم السلام الذین لا یفترقون عنه والکل یعلم بأنّ القرآن هو مصدر جمیع العلوم المعارف.

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۳۹۷

۲- الحدیث المعروف

«أقضاکُم علیّاً»[۶۸۶]

، هو الشاهد الآخر علی هذا الأمر، وذلک لأنّ القضاء واصدار الأحکام الإسلامیة یتطلب إحاطة علمیة بأصول الإسلام وفروعه، ومن کان الأعلم کان هو الأقضی.

۳- الحدیث المروی عن علی علیه السلام أنّه قال:

«عَلَّمَنِی رَسُولُ اللَّهِ أَلفَ بَابٍ کُلُّ بَابٍ یَفْتَحُ (منه) أَلفَ بَابٍ»[۶۸۷]

، وهو دلیل آخر یکشف بوضوح أن لیس بین الامّة من یماثله فی العلم والمعرفة وذلک لأنّ هذا الحدیث لم یرد فی شخص سواه.

۴- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی تفسیر الآیة: « «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتَابِ»[۶۸۸] إنّما هو علی»[۶۸۹].

لابدّ من الإلتفات هنا إلی أنّه طبق الآیة ۴۰ من سورة النمل فقد تمکن آصف بن برخیا:

«الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْکِتَابِ ...»، من الإتیان بعرش بلقیس من الیمن إلی الشام، فما بالک بقدرة من لدیه علم بکل الکتاب.

۵- الکلام المشهور لعلی علیه السلام حین قال:

«سَلُونِی قَبلَ أَنْ تَفقِدُونِی»

والذی صرّح کبار علماء العامّة أنّ شخصاً غیر علی علیه السلام لم یقل ذلک إلّاافتضح ۶۹۰].

۶- العارفون بتاریخ الإسلام فی عصر الخلفاء یعلمون أنّ علیّاً علیه السلام کان الکهف العلمی الحصین للُامة حتی قال الخلیفة الثانی کراراً ومراراً

: «لولا علی لهلک عمر»

، وقال فی عبارة اخری:

«اللّهمّ لاتُبقِنِی لِمعضلَةٍ لَیسَ لَها ابن أَبِی طالبٍ»

، وقال:

«لا أَبقَانِی اللَّهُ بِأَرضٍ لَستَ فِیها (یا) أَبا الحَسن»[۶۹۱].

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۳۹۸

وهذا المطلب علی درجة من الوضوح حتی أصبح المثل یضرب به بین الناس، فکلما عصیت قضیة علی أحد ولم یکن هنالک من یحلّها قالوا:

«قَضِیةٌ وَلا أَبَا حَسَنٍ لَها»[۶۹۲].

رواية أنّ الأئمّة من قريش

نشير فى الخطبة إلى هذه النقطة وهى أنّ الأئمّة من قريش ومن بنى هاشم وليس للآخرين صلاحية الخلافة والإمامة وينسجم هذا الكلام مع عدّة روايات التى وردت فى أشهر مصادر العامّة ومنها:

١- روى عن جابر بن سمرة فى صحيح مسلم أنّه قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«لا يَزالُ الإِسلامُ عَزِيزاً إِلى إِثنى عَشَرَ خَلِيفة- ثُم قال كلمة لم أفهمها- فقلتُ لأبِى مَا قَالَ؟ قال: فقال: كُلُّهُم مِن قُرَيش»[۶۹۳]

، وقد وردت هذه الروايات بعبارات مختلفة.

والجدير بالذكر إننا نقرأ فى أحد طرق هذا الحديث فى صحيح مسلم أنّ جابراً قال فى ذيل الحديث

«فَقَالَ صلى الله عليه و آله كَلِمَةً أَصَمنِيها النَّاسُ فَقُلتُ لأَبِى مَا قَالَ؟ قَالَ: كُلُّهُم مِن قُرَيشٍ»

، كما ورد عنه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«لا يَزالُ الدِّينُ قَائِماً حَتّى تَقُومَ السَّاعَةُ أو يَكُونَ عَلَيكُم إِثنا عَشَرَ خَلِيفَةً كَلُّهُم مِن قُرَيشٍ».

٢-

جاء فى صحيح البخارى عن جابر قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:

«يَكُونُ إِثنى عَشَرَ أَمِيراً فَقَالَ كَلِمَةً لَم أسمَعها فَقالَ: أَبِى أَنّه قَالَ: كَلُّهُم مِن قُرَيشٍ»[۶۹۴].

٣- وورد مثل هذا المضمون فى صحيح الترمذى مع اختلاف طفيف وقال فيه:

«هذا حِديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ»[۶۹۵].

۴- كما ورد نفس هذا المضمون فى صحيح أبى داود ويفيد تعبير الحديث أنّ النبى صلى الله عليه و آله قاله فى جماعة، حيث جاء فى الخبر أنّ النبى صلى الله عليه و آله حين قال:

«لا يَزالُ الإِسلامُ عَزِيزاً إِلى إِثنى عَشَرَ خَلِيفةٍ كَبَّرَ النَّاسُ بِأَعلَى أَصواتِهِم»[۶۹۶].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۳۹۹

۴- كما ورد الحديث فى عدّة موارد فى مسند أحمد بن حنبل ۶۹۷].

وقد ذهب بعض المحققين إلى أنّ عدد طرقه فى مسند أحمد ۳۴ طريق ۶۹۸].

لقد أسهب علماء العامّة بشأن تفسير الأحاديث المذكورة والتى وردت فى أشهر مصادرهم، إلّاأنّهم لم يقدموا تفسيراً قانعاً حول الإثنى عشر خليفة أو أمير، وذلك لأنّهم يعتقدون بعدم انطباق هذا العدد والخلفاء، ولا يمكن تفسيره إلّاعلى ضوء اعتقاد أتباع أهل البيت عليهم السلام.

منزلة بنى هاشم فى الإسلام

اشير فى الخطبة إلى منزلة بنى هاشم فى قريش، والذى أقتبس فى الواقع من كلمات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ومن ذلك ما روى عن عائشة فى كتاب «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل قالت:

قَال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«قَالَ لِى جِبرَائيلُ يَا مُحَمّد قَلَّبتُ الأَرضَ مَشَارِقَها وَمَغَارِبَها فَلَم أَجِدْ وُلْدَ أَب خَيْرَاً مِنْ بَنِى هَاشِم»[۶۹۹].

ومن الواضح أنّ المقصود ليس جميع بنى هاشم، والحديث يبدو ناظراً إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۱

القسم الثالث: هؤلاء الجفاة يحرقون الأخضر واليابس

منهَا: «آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً؛ كَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّی شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَايُبَالِی مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِی الْهَشِيمِ لَايَحْفِلُ مَاحَرَّقَ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فی هذا المقطع من الخطبة إلی الأفراد الذين وقفوا بوجه أئمّة الحق وقد ولوا ظهورهم للحق من أجل الحكومة لبضعة أيّام فقال:

«آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً[۷۰۰]؛ كَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ ۷۰۱] وَوَافَقَهُ، حَتَّی شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ۷۰۲]».

ثم قال مواصلة لكلامه عليه السلام:

«ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً[۷۰۳] كَالتَّيَّارِ[۷۰۴] لَايُبَالِی مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ

فِی الْهَشِيمِ ۷۰۵] لَايَحْفِلُ ۷۰۶] مَاحَرَّقَ!».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۲

هنالك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة بشأن الضمير وعودته فی هذه العبارات، فقد ذهب البعض إلی أنّ المراد بالخلفاء الأوائل، وذهب البعض الآخر إلی أنّ المراد بعض الصحابة الذين انحرفوا، وقال البعض يراد بها مفهوماً عاماً وأخيراً رآه البعض إشارة إلی بنی امية، ويبدو الاحتمال الأخير أنسبها جميعاً، لأنّهم آثروا الدنيا علی الآخرة جهرة وقد تنكروا للحق وسقطوا فی مستنقع الدنيا العفن، وبناءاً علی هذا فالمراد بالعبارة

«كَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی فَاسِقِهِم»

، هو عبدالملك بن مروان حيث كان من أقدر عناصر بنی امية، وقد إرتكب الكثير من الجرائم وباشرها بنفسه، وما أبشع الجنايات التی إرتكبها واليه الغاشم الحجاج، فقد كان كالنار الملتهبة التی تحرق الأخضر واليابس ولا يقف أمامها شیء، والعبارة كأنّی انظروا إلی فاسقهم إشارة إلی فرد يظهر فی المستقبل، فلا يمكن تطبيقها علی الماضين أو المعاصرين له عليه السلام إلّامع تكلّف.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۳

القسم الرابع: دعاة الحق و أتباع الشيطان

«أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَی، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَی مَنَارِ التَّقْوَی! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِی وُهِبَتْ لِلَّهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَی طَاعَةِ اللَّهِ! ازْدَحَمُوا عَلَی الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَی الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَی النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا!».

الشرح والتفسير

تحدّث الإمام عليه السلام فی المقطع الأخير من هذه الخطبة عن فئتين: فئة عاقلة ومتقية ومطيعة للحق وأخری تكالبت علی حطام الدنيا وتسابقت مع بعضها من أجل نيل الأموال الحرام فقال:

«أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَی، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ[۷۰۷] إِلَی مَنَارِ

التَّقْوَی! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِی وُهِبَتْ لِلَّهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَی طَاعَةِ اللَّهِ!»

، إشارة إلی أنّ جماعة عظيمة من الناس سلكت سبيل المخالفة، وقد قل الصالحون وكأن الإمام عليه السلام يبحث عنهم ليجدهم.

ثم تطرق عليه السلام إلى الفئة الثانية التى تهافتت على الدنيا فقال:

«ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَام ۷۰۸]،

وَتَشَاحُّوا[۷۰۹] عَلَى الْحَرَام، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۴

وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا[۷۱۰] وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا

وَأَقْبَلُوا!».

يبدو أن الفئتين اللتان أشار إليهما الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة، هما تلك الفئتان اللتان ذكرتا سابقاً، فئة سلمت لأئمة الهدى وانقادت لهم، وأخرى تمردت ووقفت بوجههم سعت لإطفاء نورهم، فهى فئة أخلدت إلى الدنيا ولم تهتم بالحلال والحرام وتتسابق فيما بينها من أجل تبعية الشيطان وطاعته.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۵

الخطبة[۷۱۱] المأة والخامسة و الأربعون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

فناء الدنيا وذم البدع

نظرة إلى الخطبة

الخطبة ناظرة إلى موضوعين:

الموضوع الأول: إشارة إلى تقلب الدنيا ووزال نعمها، حيث يتعرف الإنسان أكثر فأكثر على حقيقة هذا العالم المتغير حين يتأمل هذه العبارات التى تضمنت مواعظ توقظ السامع من غفلته.

الموضوع الثانى: حول ذم البدع حيث تتغيب سنة كلّما شاعت بدعة بين الناس.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۷

القسم الأول: تضارب نعم الدنيا

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِى هذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِى كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ! لَاتَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ، يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ، إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِى أَكْلِهِ، إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ. وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ. وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ. وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة إلى أفات الدنيا التى تهدد الإنسان من كل ناحية وقد عكس هذه الآفات بثلاث عبارات عميقة المعنى فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِى هذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ ۷۱۲] تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ۷۱۳]، وَفِى كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ![۷۱۴] لَاتَنَالُونَ

مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى»

، فهى تشير من جانب إلى الآفات المميتة التى تشمل الفردية من قبيل أنواع الأمراض وحملات الحيوانات ومنازعة الأشرار والسقوط من الشاهق وإلى ذلك، وكذلك الآفات الجماعية كالزلزل والسيول والقحط والحروب، ومن جانب أخر ذكر اقتران كل نعمة بنقمة وكل نصر ونجاح بهزيمة وفشل، أهونها ما ورد فى عبارة الإمام عليه السلام حين قال:

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۸

«مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِى كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ! لَاتَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى»

، فلعله يغص بالطعام ويموت رغم لذّته وشوقه إليه، وأخيراً أشار إلى تنافر النعم الدنيوية المادية فصرّح بتعذر جمعها، فما إن ينال واحدة حتى تفارقه أخرى، مثلًا يحرم من نعمة الولد فيهبه اللّه الولد لكنه يسلبه الهدوء والراحة، أو أنّه فقير لا مال لديه ويعيش ظروفاً صعبة فيهبه اللّه المال، ولكن الحرص على هذا المال وكيفية التصرف به لا تدع له مجالًا للراحة، ليس لديه وسيلة نقلية فهو يعانى من المصاعب وما إن يحصل عليها حتى يعانى من مشاكل جديدة من قبيل إنفاق المال عليها وكيفية المحافظة عليها، وهكذا فهو لا يحصل على نعمة إلى بفراق أخرى.

والعبارة تنتضل بالنظر إلى أنّها تستعمل بشأن الأفراد الذين يشتركون فى مسابقات الرمى فهى تشير إلى آفات الدنيا وكأنّها تتسابق لاستهداف حياة الإنسان، والعبارة منايا جمع منية بمعنى الموت إشارة إلى اختلاف أنواع الوفيات سواء الفردية أو الجماعية والتى اشير إليها فى الخطبة، قد يتصور أحياناً أنّ العبارة «

لَا تَنَالُونَ مِنْهَا ...»

، تعبير آخر عن الجملة

«مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ...»

، والحال العبارتان مختلفتان، فالعبارة مع كل جرعة شرق إشارة إلى أنّ بانتظار كل نعمة آفة كامنة، وأمّا العبارة لا تناولوا منها ... فهى تشير إلى أنّه لو لم يكن هنالك من آفة فانّ النعم لا تجتمع، فلا تنال واحدة إلّابمفارقة أخرى.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بشرح رائع للعبارة السابقة حين قال لا تنالون نعمة إلّابفراق أخرى، فبيّن خمسة نماذج واضحة فى خمس عبارات فقال:

«وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ، يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ، إِلَّا بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِى أَكْلِهِ، إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ. وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ. وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ ۷۱۵] لَهُ جَدِيدٌ. وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ

إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ[۷۱۶]».

نعم، للإنسان حيوية خاصة حين الطفولة فان انتقل إلى مرحلة الشباب ودبّ فيه نشاطه تزوال عنه حيوية الطفولة، فان اتّجه نحو مرحلة الشيخوخة وأصبح وجوده مجموعة من

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۰۹

التجارب والخيرات فقد نشاط الشباب، وهكذا يمنح اللّه الإنسان نعمة الولد ولا تمضى مدّة حتى يفقد أباه ويتعرف على أصدقاء جدد، فى حين يسلب القدماء من أصدقائه، وهكذا يحصل على نعمة ويفقد أخرى، وهذه هى طبيعة الحياة الدنيا والنعم المادية، فهى لا تجتمع لأحد فى أى زمان ومكان فلا تنال نعمة إلى بفراق نعمة أخرى، وهذا بحدّ ذاته إنذار لكافة الناس بعدم التعلق بنعم الدنيا وربط القلب بها، والعبارة

«وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ ...»

، إشارة إلى أنّ الإنسان إن خلّف بعض الآثار- سواء كانت هذه الآثار علمية أم خيرية ذات النفع العام- فانّه يفقد قطعاً من أجلها طاقة

من حيث الفكر والبدن، والعبارة

«وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ ...»

، يمكن أن تكون إشارة إلى نعمة الولد والحفيد حيث كلما كبر هؤلاء فقدوا بالتدريج قرابتهم الأكبر، كما يمكن أن تكون إشارة إلى كل نمو وتقدم، مثلًا يغرس الإنسان بذور جديدة فى جانب من بستانه فى حين يعانى جانب أخر من ذبول الأشجار وموتها الواحدة بعد الأخرى.

ثم إختتم الإمام عليه السلام كلامه بالقول:

«وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!»

، فقد ذهب أباؤنا وأسلافنا وصاروا إلى الزوال فلا ينبغى لنا إنتظار البقاء، لأنّ الفرع الزائد على الأصل ليس بممكن، وبناءاً على هذا سنلحق بهم عاجلًا أم آجلًا.

لقد رسم الإمام عليه السلام صورة واضحة ودقيقة فى هذا القسم من الخطبة عن الدنيا، نعم، فلهذه الدنيا نعيش فيها آفاق تختلف تماماً عن واقعها، أفاق القصور والثروات والنعم والجمال والنشاط ولكن ما إن نقترب منها حين نصطدم بصورتها القبيحة، فالإنسان من جانب- كما أشار الإمام عليه السلام- هو هدف دائم لسهام الآفات والبلاء، بحيث لا يسعه التهكن بمستقبله لما بعد ساعة، ومن جانب أخر فإلى جانب كل نعمة مصيبة وإلى جانب كل وردة شوكة وأخيراً لا ننال نعمة حتى نفقد أخرى، نعيش حياة متواضعة، لكنّها مفعمة بالاستقرار، نتمنى سعة هذه المعيشة، إلّاأننا إن نلنا منيتنا طالعتنا العديد من المشاكل، حفظ المال والثروة بحدّ ذاته مشكلة كبيرة، إلى جانب عين الحسّاد التى تصوب نحوه وأمانى الأشرار بزواله واللصوص الذين يتربصون به، وأحياناً خيانة الزملاء والأصدقاء وهكذا سائر المشاكل التى تصب على رأسه من كل حدب وصوب والتى تقضى على استقراره بصورة تامة، ناهيك عن مختلف الأمراض

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۰

التى تعرض للإنسان بفعل الجهاد، إننا خام ما دمنا شباباً فان نضجنا وعجزنا، وآنذاك يسعنا الاستفادة الصحيحة من الأموال بينما أيدينا خالية، فان أصبحنا نملك شيئاً لم يسعنا الاستفادة منه، فهل يمكن التعلق بمثل هذه الدنيا والوثوق بها؟ يقال إنّ أحدهم طلب من ملك أن يجلس على عرشه ساعة ويسلمه مقاليد الحكم ويأتمر بأمره الحرس والغلمان، فأجابه الملك لكنه أمر أن يعلق فوق رأسه بشعرة، فلما جلس على العرش شعر بالفرح الشديد، فوقعت عينه على الخنجر وأنّه معلق بشعرة فارتعش، لأنّه ظن سيقع عليه فى كل لحظة، فلمّا هم بالهروب قيل له لم تنتهى ساعتك، فجلس خائفاً ينتظر انتهاء المدّة وهو يدعو إلى إنتهائها، ففهم إن كان السلطة من جمال فهى تشتمل على آلاف الأخطار، ولعل هناك من يهم بقتله من أقرب مقربيه كما يفيد التاريخ ذلك، ورغم كل هذه المشاكل فليس هناك من بقاء وخلود فى الحياة الدنيا ليسعى إليها الإنسان ويجهد نفسه من أجلها، وما عليه إلّاالسير نحو الآخرة، وكما قال آخر خلفاء بنى امية

«لَمّا حَلا لَنا الدَّهرُ خَلا مِنّا»[۷۱۷].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۱

القسم الثانى: موت السنن بظهور البدع

منهَا: «وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ. فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ.

إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا».

الشرح والتفسير

يعالج هذا الكلام من الخطبة قضية مهمّة وهى قبح البدع، وعلى ضوء عدم الإرتباط الواضح بين هذا القسم والذى سبقه فالذى يبدوا

أنّ بين هذين القسمين أقسام حذفها المرحوم السيد الرضى رضى الله عنه، ولابدّ من تغير مفردة البدعة على أساس اللغة والشرع ليتضح لدينا مضمون هذا القسم من الخطبة: فالبدعة لغوياً تعنى كل تجدد والذى يمكنه أن يكون حسناً أو سيئاً، حسب ما صرّح به أرباب اللغة: «البدعة إنشاء أمر على غير مثال سابق».

أمّا المعنى السائد بين الفقهاء العلماء- كما ذكرنا ذلك فى شرح الخطبة السابعة عشرة- إدخال شىء فى الدين أو إخراجه دون قيام دليل معتبر على ذلك، ولما كانت تعاليم الإسلام وأحكامه خالدة ونازلة عن طريق الوحى فكل بدعة كبيرة، وإليها تعود كل فرقة واختلاف أصاب الامة الإسلامية، نعود الآن إلى شرح كلام الإمام عليه السلام فقد قال:

«وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ».

ثم نصح باجتناب البدع وضرورة السير على النهج المستقيم فقال عليه السلام:

«فَاتَّقُوا الْبِدَعَ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۲

وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ ۷۱۸]. إِنَّ عَوَازِمَ ۷۱۹] الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا[۷۲۰] شِرَارُهَا».

فقد اتضحت حقيقة ما قيل فى هذه العبارة فى كيفية ترك سنّة حين ظهور بدعة، وكيف تكون البدعة شرّ الامور، لأنّه لو سمح للأفراد أن ينقصوا من الدين شيئاً أو يضيفوا له شيئاً على ضوء ذوقهم وفكرهم القاصر، لما بقى من أحكام الدين وتعاليمه شيئاً خلال مدّة وجيزة ولإنقلب كل شىء رأساً على عقب، وفقد اعتباره وأصالته، ولإستبدلت التعاليم الأصلية للدين بسلسلة من الأفكار المنحرفة والواهية ولحل السراب محل العين الزلال، طبعاً إن كان التجدد وليد البحث والتحقيق والدقيق فى أدلة أحكام الشرع وكشف حقائق حديثة من خلال الكتاب والسنّة والدليل القاطع للعقل، فليس هذا من البدعة فى شىء فحسب، بل سيكون سبب رفعة الدين وإزدهاره.

وبعبارة أخرى: فانّ الكشف شىء جديد، أمّا المكشوف فهو موجود سابقاً فى الدين، أمّا إن كان الذوق الشخصى والاستحسان الظنى هو دعامة وأساس التجدد فليس له من نتائج سوى الظلال ومسخ الصورة الحقيقية الناصعة للدين ويتضح ممّا مرّ معنا عدم صواب ما أورده شرّاح نهج البلاغة للعبارة المذكورة من أن كلّ بدعة خلاف لسنّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى حرم البدعة، وعليه فالسنّة تترك بظهور البدعة، بل المراد أنّ لكل موضوعه فى الإسلام حكم، وكل بدعة تعارض ذلك الحكم، إذن فبظهور البدع تترك الأحكام الأصلية للدين- كما تبيّن جسامة خطأ ما أورده بعض شرّاح نهج البلاغة مثل ابن أبى الحديد الذى قسم البدع إلى حسنة وسيئة، فاعتبر مثلًا صلاة التراويح (تلك الصلاة المتسحبة التى كان يصليها الناس فرادا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى ليالى رمضان وقد ابتدع عمر أن تصلى جماعة) من البدع الحسنة،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۳

وذلك لأنّه بهذه البدعة ترك سنّة، وترك سنّة استحباب الإفراد فى الصلاة المستحبة، وعليه فليس لدينا بدعة حسنة، وإن أقررنا البدعة الحسنة كان ذلك الإقرار بأنّ السنّة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، كما اتضح المعنى الذى أراده بعض العلماء للبدعة حين أجروا عليها الأحكام الخمسة من أن بعض البدع واجبة وبعضها محرمة، فانّما أرادوا المعنى اللغوى لا الشرعى باضافة أو طرح أشياء من الدين وأحكامه ومن هنا ورد فى الحديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«أَلَا وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، ألا وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِى النَّارِ»[۷۲۱].

ومن أراد الوقوف على المزيد بشأن البدعة فليراجع المجلد الأول من هذا الكتاب ذيل الخطبة السابعة عشرة.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۵

الخطبة[۷۲۲] المأة والسادسة والأربعون

اشارة

وَمِنْ كلام لهُ عليه السلام

وقد استشاره عمر بن الخطاب فى الشخوص لقتال الفرس بنفسه

نظرة إلى الخطبة

هناك خلاف بين المؤرخين فى أنّ هـذه الاستشارة بخصوص الحضور فى معركة نهاوند أو القادسية، ويرى الطبرى حسب قول ابن أبى الحديد أنّها فى معركة نهاوند، بينما يراها المدائنى فى كتاب «الفتوح» بشأن معركة القادسية[۷۲۳]، وخلاصة ما ورد فى تاريخ الطبرى أنّ عمر حين عزم على الشخوص بنفسه لقتال العجم طلب مشورة الصحابة فتقدم طلحة والزبير وقالا رأيهما، إلّاأنّ عمر استشار علياً عليه السلام فأشار عليه السلام بعدم الشخوص بنفسه كما فى الخطبة، قال المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله فى «الإرشاد»، ورد عن أبى بكر الهذلى أنّ من بين الامور التى نقلت عن أميرالمؤمنين على عليه السلام فى إرشاد الناس لما فيه مصلحتهم ولولا إرشاده لكان فسادهم أنّ فريقاً من أهل همدان والرى وإصفهان ودامغان ونهاوند تكاتبوا بينهم وبعثوا الرسل فرأوا أنّ الإسلام قد فقد زعيمه (النبى الأكرم صلى الله عليه و آله) وخلفه من لم يستمر، ثم خلفه من طال عمره وقد

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۶

هجم على مدننا وإنّه لن يتركنا ما لم نخرجه، فلمّا بلغ عمر الخبر فقدم إلى المسجد وأطلع الصحابة بالخبر، فقال كل رأيه، فأشار على عليه السلام (كما ورد فى هذه الخطبة) بما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، قال الشيخ المفيد: انظر كيف بيّن الإمام عليه السلام رأيه الصائب فى تلك الظروف الحساسة وأنقذ المسلمين ۷۲۴]، على كل حال فانّ هـذه الخطبة تعالج بمجموعها موضوعاً واحداً، وهو أنّ حضور رئيس الدولة فى الحرب فى بعض الظروف أمر خطير جدّاً من شأنه أن يؤدّى إلى مشكلتين، أحدهما إتحاد أفراد العدو فيما بينهم وبذل قصارى جهدهم من أجل قتله، فيضطرب الجيش ويختل نظمه، والأخرى على فرض عدم حدوث مثل هـذا الخطر فلعل إخلاء الجبهة الداخلية يشجع العدو على الهجوم على المراكز الأصلية للبلاد من كافة الجهات فتنجم من جراء ذلك الأخطار الشديدة التى تهدد كيان الإسلام والمسلمين، وتشير هـذه الخطبة بوضوح إلى أنّ علياً عليه السلام أنّه كان يقف حتى إلى جانب أعدائه إذا اقتضت ذلك مصالح الإسلام والمسلمين حرصاً على الدين وكيانه.

طبعاً هذا الكلام لا يعنى أنّ رئيس الدولة لا ينبغى أن يشخص بنفسه قط فى ميدان القتال فقد شخص أمير المؤمنين على عليه السلام بنفسه فى معارك الجمل وصفين والنهروان، وأعظم من ذلك حضور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى الغزوات، فالشرائط متفاوتة تماماً بحيث كانت تتطلب عدم حضور الخليفة الثانى فى الميدان.

والجدير بالذكر أنّ المعارك قد تقع أحياناً بالقرب من البلاد الإسلامية وفى المناطق القريبة منه فانّ حضور المعركة من قبل رئيس الدولة لا يترتب عليه أية مخاطر فى مثل هـذه الظروف، فى حين تبرز مثل هـذه المخاطر فى المناطق البعيدة وتجاه عدو قوى يمتلك جيشاً كبيراً، وقد تحدثنا فى مثل هذا الأمر فى شرحنا للخطبة ۱۳۴.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۷

القسم الأول: الالتصاق بمركز الدولة

اشارة

«إِنَّ هـذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِى أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِى أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ

حَيْثُ طَلَعَ؛ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ».

الشرح والتفسير

صرّح الإمام عليه السلام فى البداية بهدف عدم رعب المسلمين بفعل كثرة جيوش العدو فى تلك المعركة القاسية، سيّما ما ذكرته بعض التواريخ من أنّ رأى عثمان حين أشار عليه الخليفة الثانى كان مقبولًا، فقال:

«إِنَّ هذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِى أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِى أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ»

، فى إشارة إلى أننا كنّا دائماً قلّة مقابل العدو فى الحروب التى خضناها على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، مع ذلك فقد انتصرنا وشملنا اللَّه برحمته وعنايته، وقد لمسنا هذا الفضل دائماً، وعليه فلا تخشوا من كثرة العدو وامضوا بعد التوكل على اللَّه تعالى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۸

والعبارة هذه تذكّر بنصر المسلمين فى بدر والأحزاب وأمثالهما.

ولعل الفارق بين العبارتين بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع أنّ العبارة الثانية تخبر عن انتشار الإسلام والأولى عن منتهى منطقة نفوذ الإسلام، كما يحتمل أن تكون العبارة الاولى إشارة إلى المناطق التى نفذ إليها الإسلام، والعبارة الثانية إلى المناطق التى ذاع فيها صيت الإسلام وشع عليها بما يمهد السبيل أمامه وإن لم ينفذ إليها بعد، أو أنّ العبارة الاولى إشارة إلى قوّة الإسلام وقدرته، والثانية إلى سعة الإسلام وانتشاره.

ثم قال عليه السلام مؤكداً ذلك الكلام:

«وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ»

، إشارة إلى الآية الشريفة: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[۷۲۵]. والآية: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»[۷۲۶].

نعم، فقد وعدنا فى ظل الإيمان بالنصر فى الدنيا والآخرة وتشهد سائر الآيات القرآنية على هذا المعنى، وما إن فرغ الإمام عليه السلام من بيان هذه المقدمة بهدف الاستقرار الروحى للخليفة والحاضرين حتى تطرق إلى الموضوع الأصلى للمشورة فى حضور عمر بنفسه فى المعركة فقال:

«وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ ۷۲۷] مِنَ الْخَرَزِ[۷۲۸] يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ ۷۲۹] أَبَداً»،

يا له من تعبير رائع وتشبيه جميل فالقائد والزعيم لبلد بمنزلة خيط المسبحة أو القلادة بفضله رمز الوحدة وإنسجام والأمّة، كما تحمل الزعيم قضية فى أن يتحلى بسعة الصدر ووسع الفكر بحيث يستطيع استقطاب كافة الأفراد وصهرهم فى كتلة متحدة.

ثم خاض الإمام ثانية فى رفع معنوياتهم على أنّ العرب اليوم هم الكثرة رغم قلّتهم وما

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۱۹

ذلك إلّابالإسلام فقهم عزيزون ومقتدرون فى ظل اجتماعهم واتفاقهم فى ظل هذا الدين:

«وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ!».

فخلص من ذلك إلى نتيجة أصلية:

«فَكُنْ قُطْباً، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ ۷۳۰]
دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ».
ثم ذكر دليل ذلك فقال عليه السلام:
«فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ ۷۳۱] مِنْ هذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ
مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ ۷۳۲] أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ»،
إشارة إلى أنّ الإسلام فى بداياته لحدّ الآن، وما زال المنافقون وسليلوا عصر الجاهلية فى صفوف العرب وهم يتربصون الفرصة لطعن المسلمين من الخلف، فلو انطلق القائد وصحبه الأوفياء إلى نقطة بعيدة يكون الميدان قد خلى للمفسدين والمنافقين، ولعلهم يسببون بعض الأخطار التى تفوق أخطار العدو الخارجى، أضف إلى لذلك فلو اصطدم الجيش بمشكلة فى الجبهات، كان بإمكان القائد إن استقر فى المركز أن يعبىء جيشاً جديداً ويبعث به إلى ميدان القتال، بينما ينهار سند الجيش إن حضر بنفسه الميدان.
والجدير بالذكر أنّ العرب فى العبارة
«وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ ...»
تختلف عن العرب فى العبارة
«انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ ...»
فالمراد بالاولى المخلصون من المؤمنين، والثانية المنافقون الذين يظهرون الإيمان، أو المسلمون الضعاف.
نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۰

فائدة

ما يستفاد من هذه العبارات دورس مهمّة فى مجال الإدارة والقيادة وتصريف شؤون البلاد:
أولًا: حفظ القائد والزعيم للُامّة لا من منظار شخصى بل كونها قضية اجتماعية تعدّ من أهم الواجبات، وذلك لأنّه رمز وحدة الامة وتماسكها، ومن هنا لابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار جميع التدابير للازمة من أجل حفظه ودفع أى احتمال يمكنه أن يشكل خطراً عليه، سيّما أنّ العدو ومن خلال الاطلاع على هذا الموضوع يسعى لاستهداف شخص القائد قبل كل شيء، وقد دلت التجربة التاريخية أنّ أقصر طريق لهزم جماعة يتمثل بدك موقع القيادة واستهداف القائد، ولعلنا نلمس هذا الأمر فى قضية بنى اسرائيل وقتالهم لجالوت التى عرضها القرآن الكريم حيث استهدف داود شخص جالوت فقتله فانهزم الجيش إثر ذلك.
ثانياً: على القائد أن ينظر باحدى عينيه إلى العدو الخارجى وبالاخرى إلى الاعداء فى داخل البلاد، حتى ورد فى هذه الخطبة وكما دلّت التجارب التاريخية الكثيرة على خطر العدو الداخلى الذى يفوق الخطر الخارجى، وذلك لأنّ الذى يأتى من الخارج معروف، بينما يتمثل العدو الداخلى عادة بالمنافقين الذين يتخفون بين أبناء المجتمع، فانّ سنحت لهم أدنى فرصة سددوا سهام حقدهم وضربوا ضربتهم، إضافة إلى أنّهم على علم تام بمواقع الخلل فى الداخل وكيفية التسلل إلى المناطق، ومن هنا عبّر الإمام عليه السلام عنهم وعن أخطارهم المتوقعة بالعورات وعد أخطارهم من أهم الأخطار.
نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۱

القسم الثانى: الكثرة لا تسبب النصر

اشارة

«إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أَصْلُ الْعَرَبِ، فَإِذَا اقتطعتموه

[قَطَعْتُمُوهُ

] اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيما مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ!».

الشرح والتفسير

هذا المقطع من الخطبة فى الواقع تأييد وتأكيد للقسم الأول، وقد أشار إلى ثلاث نقاط، الأولى: الدليل الذى أقامة الإمام عليه السلام على عدم حضور الخليفة فى ميدان الحرب فقال:

«إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أَصْلُ الْعَرَبِ، فَإِذَا اقتطعتموه

[قَطَعْتُمُوهُ

] اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ ۷۳۳] عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ».

الثانية:

«فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ»

، وتشير العبارة إلى أنّ عمر قال سابقاً بأنّ الأعاجم قد زحفوا نحونا وينوون قتالنا وهذا يدلّ على ما يرونه فى أنفسهم من قوّة، ولعل الأمر كان كذلك حسب الظاهر وما تفيده الشواهد التاريخية، إلّاأنّ الإمام عليه السلام ذكر بقدرة اللَّه الخاصة من أجل رفع معنوياته وهو الأمر الذى لمسه المسلمون كراراً فى غزواتهم، ومن

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۲

الطبيعى أن يتعقد الأمر لو بقى المسلمون فى ديارهم وهجم عليهم العدو فما أمراهم لو توكلوا على اللَّه وتصدوا للعدو خارج بلادهم.

الثالثة: أنّ الخليفة الثانى كان يخشى عدم التكافىء وموازنة القوى بين المسلمين والأعداء، فرد عليه الإمام عليه السلام بالقول:

«وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيما مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ!»،

فقد كان عمر يرى قوّة العدو واقتداره فى أمرين، أحدهما كثرتهم وزيادة عددهم، والآخر حركتهم وهجومهم على بلاد الإسلام.

نفحات الولاية ؛ ج۵ ؛ ص۴۲۲

د صرح الإمام عليه السلام إننا لم نقاتل العدو وننتصر عليهم بهذه القوّة الظاهرية، وقد أيدنا اللَّه بنصره ومدده العينى فى جميع مواقف القتال، وقد انتصرنا رغم قلّة العدد وكثرة العدو وهجومه علينا، وهكذا شجعه الإمام عليه السلام على مواجهة العدو، وأكد وأيضاً عدم حضوره شخصاً فى الحرب، واستجاب له عمر وكان النصر حليف المسلمين.

معركة القادسية ونهاوند

وقعت معركتان مهمتان بين المسلمين والساسانيين على عهد عمر القادسية[۷۳۴] فى عام ۱۴ ه ومعركة نهاوند عام ۲۱ ه، وقد استشار عمر بشأن حضوره القتال، وقد مرّ علينا فى الخطبة أنّ الإمام عليه السلام منعه من ذلك بعد ذكره للأدلة المحكمة، بينما أشار عليه الآخرون بالحضور، فقبل من الإمام عليه السلام وبقى فى المدينة، وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ هذه المشورة كانت فى معركة نهاوند، على كل حال حين عزم عمر على عدم الحضور فى القادسية ولى سعد بن أبى وقاص إمرة الجيش، بينما نصب يزدجرد الساسانى رستم فرخزاد، فبعث سعد رسوله النعمان بن المقرن إلى يزدجرد، فعنفه حيث لم يتوقع ذلك من العرب آنذاك وقال له لولا

أنّك رسول لقتلتك، ثم أمر بذر التراب على رأسه وطرده من المدائن، وقال له أنّ رستم سيدفن قائد عسكركم فى خندق القادسية، فلما عاد النعمان إلى سعد، فقال سعد، ابشر أن وضعوا التراب على رأسك فاننا سنملك بلدهم، والعجيب أنّ رستم كان يخشى قتال المسلمين رغم تعداد جيشه الذى بلغ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۳

۱۲۰ ألف بينما كان عدد جيش المسلمين بضع وثلاثين ألف.

وأخيراً تقاتل الجيشان، وفى اليوم الأول هجم الساسانيون بفيلهم على المسلمين، ولكن المسلمين تمكنوا من قطع خراطيمها وقد قتل من العدو فى ذلك اليوم ۲۰۰۰ ومن المسلمين ۵۰۰، وفى اليوم الثانى تقدم أبوعبيدة الجراح بجيش من الشام لنصرة سعد بن أبى وقاص فقتل من الساسانيين عشرة آلاف بينما قتل ألفان من المسلمين، وفى اليوم الثالث إشتد القتال واستمر القتال حتى اليوم الرابع فبان الضعف على العدو، فهبت ريح شديدة فهجم المسلمون على خيمة رستم، فحاول الهرب لكنه صرع تحت حوافر الخيل، فانهزم الجيش الساسانى فلما بلغ الخبر عمر أمر بعدم تعقيب العدو وأن تستقر الجيش هناك فبقى سعد هناك فى الكوفة فعلًا فبنى مسجداً وباشر بناء الكوفة، أمّا معركة نهاوند[۷۳۵]، فقد ذكر الطبرى أنّ عمر أراد أنّ يشخص لقتال الجيش الساسانى فى نهاوند فأشار عليه الصحابة حتى خطب الإمام عليه السلام فوافقه عمر وقال هذا هو الصواب.

ثم أمرّ النعمان الذى كان والى البصرة، فواجهة لقتال الفيروزان قائد جيش كسرى فى نهاوند، فان قتل خلفه حذيفة ومن بعده نعيم، كما وجه معه طلحة بن خويلد وعمرو بن معدى كرب العارفين بالقتال ثم أمره بمشورتها، وقد قتل النعمان فى المعركة، فحمل الراية حذيفة حتى قتل الفيروزان ودخل المسلمون نهاوند وحصلوا عن غنائم كثيرة فبعثوا بها إلى عمر، فلما رآى عمر الغنائم بكى فسألوه عن ذلك، قال: أخشى خداع الناس من هذا الثراء.

قال بعض المؤرخين: أنّ هذه المعركة حدثت عام ۲۱ ه لسبع سنوات بعد القادسية وقد انهزم الساسانيون ودخل المسلمون ايران، فما كان من الايرانيين المعروفين بالفطنة إلّاأنّ تعرفوا على الإسلام واعتنقوه فأصبحوا من رواد العلوم الإسلامية.

والجدير بالذكر أنّ مقاومة الايرانيين تركزت فى القادسية ونهاوند، بينما كانوا يستقبلون المسلمين حين دخلوا من سائر المدن، ولم يبدو أية مقاومة، فقد كانوا يعانون من الساسانيين من جانب، ومن جانب آخر رأوا نجاتهم فى الإسلام ۷۳۶].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۵

الخطبة[۷۳۷] المأة والسابعة والأربعون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

فى الغاية عن بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وأهميّة القرآن، والإخبار عن المستقبل

نظرة إلى الخطبة

تتألف هذه الخطبة من عدّة أقسام:

القسم الأول: إشارة إلى أهداف بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ودور القرآن فى هداية الناس.

القسم الثانى: يخبر فيه الإمام عليه السلام عن الفتن القادمة ويتحدث عن وقت يغرق الناس فيه بالذنوب والمعاصى وينسون القرآن.

القسم الثالث: إنذار الناس والتذكير بعاقبة الأقوام السابقة التى صب عليها البلاء.

القسم الرابع: بين فيه الإمام عليه السلام بعض المواعظ الموثرة والمفيدة وقد دعى الناس إلى إتباع القرآن وأهل البيت عليهم السلام من أجل النجاة من الفساد.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۷

القسم الأول: تجلى اللّه لعباده فى القرآن

اشارة

«فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!».

الشرح والتفسير

أشار الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة- كما ذكر ذلك الشارح البحرانى- إلى بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ثم شرح أهداف البعثة، ثم أشار إلى الوسيلة التى اعتمدها لتحقيق ذلك الهدف وهى القرآن الكريم فقال: «فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ»، يالها من عبارة بليغة رائعة وقصيرة بشأن الهدف من بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والتى تستند إلى ركنين:

الأول: ترك عبودية الأصنام والتمسك بالتوحيد فى العبادة، أى عبادة اللّه.

الثانى: التحرر من طاعة الشيطان والاقبال على طاعة اللّه سبحانه وتعالى.

لا شك أنّ طاعة الشيطان نوع من الوثنية، وعليه فهى داخلة فى مفهوم العبارة الاولى يعنى عبادة الأوثان، إلّاأنّ تقابل هاتين العبارتين يفيد أنّ العبادة قد استعملت فى معناها الخاص، والمراد طاعة الشيطان، إتباع أوامره لا عبادته، على كل حال فانّ للأوثان والشيطان فى هاتين

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۸

العبارتين مفهوم واسع يشمل كل معبود غير اللّه سبحانه وتعالى ويضم شياطين الانس والجن، وبناءاً على هذا يدخل فى مفهوم هذه الجمل التسليم لحكام الظلم والجور وطاعة أوامرهم والاستسلام للاستعمار والاستغلال والانصياع للقوانين غير الشرعية، وهذا هو هدف البعثة والذى يتمثل بالتحرر من كل هذه الأمور.

نقل المرحوم الكلينى فى الكافى العبارات المذكورة بهذه الصيغة:

«إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالى بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه و آله بِالحَقِّ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلى عِبَادَتِهِ وَمِنْ عُهُودِ عِبَادِهِ إِلى عُهُودِهِ وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلى طَاعَتِهِ وَمِنْ وِلايَةِ عِبَادِهِ إِلى وَلايَتِهِ»[۷۳۸].

وهكذا بيّن الإمام الهدف الأصلى لبعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والذى تعود إلى سائر الأهداف بهذه العبارات المختصرة وقد أماط كل إبهام.

ثم أشار عليه السلام إلى الوسيلة اللازمة لتحقيق هذا الهدف السامى فقال:

«بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ».

لا شك أنّ مشركى العرب كانوا يؤمنون باللّه ويعترفون بوجوده وأنّه خالق السماوات والأرض ويرون الأوثان شفعائهم إليه، ولكن ليس لهذا الاعتقاد الممزوج بالشرك أية قيمة، وقد بعث اللّه نبيّه الأكرم صلى الله عليه و آله ليطهّر أرواحهم وأفكارهم من أدران

الشرك والوثنية ويشدهم نحو التوحيد والعبودية الخالصة، وهذا فى الواقع وظيفة كافة الأنبياء والمرسلين فى تطهير التوحيد من رواسب الشرك.

وقال عليه السلام فى تعريفه للقرآن وآثاره البنّاءة فى الفكر والعمل:

«فَتَجَلَّى ۷۳۹] لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِى

كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ».

والعبارة إشارة إلى آيات التوحيد وبيان أسماء اللَّه وصفاته والتى تفعل مثل هذا الفعل فى الإنسان حين يتأملها وكأنّه يرى اللَّه سبحانه وتعالى جهرة، نعم يراه ولكن بالبصيرة لا

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۲۹

بالبصر، احتمل البعض أنّ المراد بالكتاب هنا كتاب عالم التكوين المملوء بآيات اللَّه سبحانه بحيث نشاهدها أينما نظرنا[۷۴۰]، ولكن يبدو هذا المعنى مستبعداً بالاستناد إلى العبارة السابقة التى أشير فيها إلى القرآن فى العبارة اللاحقة إلى الإنذار الإلهى، والمراد بالكتاب القرآن الكريم، ولما كان تجلى اللَّه بواسطة الآيات القرآنية قد يوهم إمكانية رؤية اللَّه بالعين، فقد صرّح عقيب ذلك مباشرة بأنّ هذا التجلى يحصل دون رؤية بالبصر.

وأشار فى العبارة القادمة إلى جانب آخر من آيات القرآن الكريم وهى آيات الإنذار والتخويف، فقال عليه السلام:

«وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ»،

ثم تطرق بعد ذلك إلى القصص الأليمة للأقوام السابقة وما تنطوى عليه من دروس وعبر فقال:

«وَكَيْفَ مَحَقَ ۷۴۱] مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ ۷۴۲]،

وَاحْتَصَدَ[۷۴۳] مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ!».

وأخيراً مازال هناك احتمال فى تفسير العبارات المذكورة فى أنّ اللَّه تعالى قد تجلى فى كتابه بجميع هذه الموارد (آيات القدرة والتخويف من السطوة والقصص الأليمة للأقوام العاصية).

كيفية تجلى اللَّه فى القرآن

كما شحن كتاب عالم التكوين بآثار عظمة اللَّه وقدرته فى آيات الآفاق والأنفس وفى السماوات والأرض وفى أكثر المنظومات والكرات السماوية وفى أصغر ذرات وجودنا، وكما صور ذلك الشاعر بأنّ كل نبات يخرج من الأرض يهتف وحده لا شريك له، وكذلك الذات الإلهيّة متجلية فى القرآن الكريم، حين يتحدث عن آياته فى السموات والأرض وحين يستعرض نعم الجنان ونقم النيران وحين يتحدث عن قدرته الباهرة فى الخلق وحين يكشف اللثام عن صفات جلاله وجماله ورحمانيته، فذاته ظاهرة متجلية فى كل هذه الآيات وقد قال

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۰

بعض الأعلام أنّ أغلب المكاشفات تتم حين تلاوة القرآن الكريم والتدبير فى مفاهيمه، أجل لا يمكن رؤية اللَّه سبحانه بهذه العين، بينما يمكن رؤيته بعين القلب ومن خلال آياته القرآنية، فما أحرانا بالنظر إلى عالم التكوين والتفكير وفى أسرار الوجود ومن ثم نفتح القرآن الكريم ونطالع آيات التكوين فى الكتاب التدوين، حقّاً لو كان لنا مئة ألف عين لشاهدنا مئة ألف تجلى من تجليات الحق تبارك وتعالى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۱

القسم الثانى: لا يبقى من القرآن سوى اسمه

اشارة

«وَإِنَّهُ سَيَأْتِى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِى زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَىْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِىَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا فِى الْبِلَادِ شَىْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ، فِى طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَايُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ. فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِى ذلِكَ الزَّمَانِ فِى النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَاتُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ. وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِى الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ».

الشرح والتفسير

تحدّث الإمام عليه السلام فى القسم المذكور عن ظهور الإسلام والهدف من بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والآثار العظيمة للقرآن فى الهداية، ثم واصل عليه السلام كلامه فى هذا القسم بالحديث عن زمان لا يبدو بعيداً وسيشهد تغيراً تاماً فى الأوضاع بما يهدد بالخطر جهود النبى صلى الله عليه و آله فينذر كافة المؤمنين بالالتفات إلى الأخطار التى تتربص بهم، فاستهل عليه السلام كلامه ببيان الوضع فى ذلك الزمان بسبع عبارات قصيرة بليغة فقال:

«وَإِنَّهُ سَيَأْتِى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِى زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۲

شَىْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»

، كما ليست لدى الناس من سلعة أبور من القرآن الكريم آنذاك إن فسّر وتلى حق تلاوته، بينما يزداد الإقبال عليه إن حرّف عن معناه الحقيقى:

«وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ[۷۴۴] أَبْوَرَ[۷۴۵] مِنَ

الْكِتَابِ إِذَا تُلِىَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ ۷۴۶] مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا فِى الْبِلَادِ شَىْءٌ أَنْكَرَ

مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ ۷۴۷] حَفَظَتُهُ».

نعم، ستظهر غيوم الجاهلية ثانية فى سماء الإسلام فتحجب شعاع شمس النبوّة والقرآن فيتغير كل شىء وتنطمس حقائق الإسلام ويستولى سليلوا أئمّة الكفر والشرك والوثنية على الحكومة الإسلامية فتعانى الامة من ظلمات الجهل والجور، والسؤال المطروح أى زمان هذا الذى أشار إليه الإمام عليه السلام؟ هل المراد زمان معين؟ أم الحكومة مفهوم عام ويشمل مختلف الأزمنة حتى زماننا الحاضر؟ هناك خلاف بهذا الشأن بين شرّاح نهج البلاغة، ولكن بالنظر إلى العبارة «سيأتى» التى تفيد عادة الإخبار عن المستقبل القريب والتعبير ب «عليكم» ومن بعدى التى تشير إلى درك مخاطبيه له، يبدو أنّه إشارة إلى زمان سيطرة بنى امية ومعاوية ويزيد وسائر حكامهم الذين تنطبق عليهم هذه الصفات، نعم، فهؤلاء الذين كتموا الحق وقطعوا رقبة كل من تعصب له، إلى جانب ذلك فقد إتسق سوق الكذابين والوضاعين والمتملقين لبنى امية ممن اندفع فى مدحهم والثناء عليهم، فقد ظهرت المنكرات فى كل مكان وضاع المعروف.

طبعاً لا ننكر أنّ هذا الأمر حدث ويحدث فى سائر الأزمنة وحتى فى عصرنا، مع ذلك فمراد الإمام عليه السلام من هذه العبارات العصر المظلم لبنى امية.

ثم خاض الإمام عليه السلام فى وضع القرآن وأصحابه فى ذلك الزمان المظلم وشرح علّة بؤس الناس آنذاك والتى تتمثل بابتعادهم

عن القرآن: «فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ ۷۴۸] مَنْفِيَّانِ ۷۴۹]،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۳

وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ، فِی طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَايُؤْوِيهِمَا[۷۵۰] مُؤْوٍ».

ثم أكّد عليه السلام قائلًا:

«فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِی ذلِكَ الزَّمَانِ فِی النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ!»

، فهم يتلون القرآن فی دورهم وعلی منابرهم، ويقبّلونه ويتبركون به، بينما ليس هنالك أدنی أثر لتعاليمه ومفاهيمه فی حياتهم الفردية والاجتماعية، فقد اكتفوا من القرآن بغلافه وتركوا مضمونه، إنهمكوا بالألفاظ وأهملوا المعانی.

ثم خاض عليه السلام فی الدليل قائلًا:

«لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَاتُوَافِقُ الْهُدَی، وَإِنِ اجْتَمَعَا».

نعم، فالضالون فی وادی والهدی وأتباعه فی وادی آخر، وإن كانوا معاً فی الظاهر، والدليل الآخر المهم لشقائهم:

«فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَی الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَی الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ»،

بعبارة أخری فقد اتفقوا علی أن لا يتفقوا، وقد أدّت هذه الفرقة إلی أن يفسّر كل القرآن حسب رغبته، أو بعبارة أخری فقد أسسوا بنيانهم علی التفسير بالرأی، يأخذون ما ينسجم مع رغباتهم من آيات بينما يسعون لتوجيه البعض الآخر من الآيات التی تتعارض وأهوائهم بما يتفق ورغباتهم، فهم يجعلون أنفسهم أئمة القرآن بدلًا من أن يكون القرآن الكريم إمامهم، ولذلك فهم لا ينتفعون بالقرآن، بل يجعلونه الموجّه لضلالهم، فيزدادوا ضلالًا وبعداً عن القرآن الكريم.

ثم رسم صورة واضحة عن مصير القرآن فی ذلك العصر والزمان بعبارة رائعة لا تماثلها عبارة فقال عليه السلام:

«فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ ۷۵۱]»

، فقد يسطر القرآن بخطوط غاية فی الجمال وتذهب صفحاته وغلافه ويبتدعوا روائع الفن بهذا الخصوص وتتداول الأيدی القرآن ويتلی فی المساجد بمختلف الأصوات بصورة فردية وجماعية، ولكن دون أن يكون هناك أدنی خبر عن مضمونه ومحتواه، بالضبط كالدواء الشافی الذی يوضع فی زجاجة جميلة تترك علی الرف دون أن يتناول المرضی منها شيئاً، وهنا يبرز هذا السؤال: هل الصالحون والمؤمنون وأصحاب القرآن صامتون فی ذلك الزمان؟ كأنّ الإمام عليه السلام أجاب فی

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۴

العبارة الأخيرة علی هذا السؤال فقال:

«وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا[۷۵۲] بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا

صِدْقَهُمْ عَلَی اللَّهِ فِرْيَةً[۷۵۳]، وَجَعَلُوا فِی الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ».

فالعبارة إشارة إلی التاريخ الأسود لبنی امية الذين مثلوا بالصالحين من العباد لما رأوهم يشكلون خطراً عليهم، حتی قيل بلغ تعداد من قتلهم معاوية ما يزيد علی الأربعين ألف من المهاجرين والأنصار.

ولا نری من حاجة لاستعراض تلك الفاجعة التی إرتكبها ولده يزيد بحق الحسين عليه السلام وأنصاره فی كربلاء، كما لا يمكن إحصاء من قتلهم عبدالملك بن مروان وعامله الحجاج من أهل العراق والحجاز[۷۵۴]، وهكذا أخمدوا كل دعوة حق وقطعوا كل لسان صدق ومهدوا السبيل لإملاء أفكارهم ورغباتهم.

تأمّلان

۱- أبشع عصور الإسلام

لا شك إنّ عصر حكومة بنى امية من أبشع العصور التى شهدتها الامة الإسلامية، ويشترك حكام بنى امية من معاوية حتى أخرهم الذى بعرف بمروان الحمار فى ثلاث خصال هى: الجلافة والقسوة المتناهية وحبّ الحكومة والذوبان فيها مهما كان الثمن لبلوغها وحسن الثأر والانتقام، ومن هنا فقد ضحوا بكل معانى الحق والعدل والشرف والإنسانية من أجل حكومتهم المقيتة فارتكبوا من الظلم والجور ما لم يرد مثيله فى التاريخ، وقد أذاقوا دعاة الحق

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۵

وصحابة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الأمرّين بين قتل وتشريد وقطع الرأس ونفى وصلب وحصار فى البيت من أجل تلك الحكومة، وهذا ما أشآر إليه الإمام عليه السلام فى عباراته الأخيرة من هذا القسم من الخطبة، إلّاأنّ أهم كهف كانت تلوذ به الامة الإسلامية والذى يشكل أكبر عقبة تعترض طريقهم إنّما هو القرآن، القرآن الذى أعلن الحرب ضد الظلمة، والطغاة وهدد دائماً عروش الغاشمين، وكان المعيار لتمييز الحكومة الإسلامية من الحكومالت الغاصبة والظالمة والكافرة، فما كان من اولئك الطغاة إلّاأن وظفوا أشباه العلماء ووعاظ السلاطين ويهدف إزالة تلك العقبة عن طريقهم بتفسير القرآن حسب أهوائهم، فى أنّ آياته تشهد بحقانية اولئك الغرباء على القرآن والبعيدين عن الحق تبارك وتعالى، كما منعوا من يرون تلاوة القرآن حق تلاوته، وهكذا لم يبق من القرآن سوى اسمه ورسمه فحكم عليه بأن يصبح كالسجين الذى أودع زنزانة إنفرادية مخيفة ليبعد عن أفكار الناس، وهو الأمر الذى أشار إليه الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة.

فقد جاء فى الخبر أنّ معاوية حين قدم المدينة مرّ بمجلس من كبار قريش، فلما رأواه قاموا له خوفاً سوى ابن عباس، فقال له مالك لا تقوم يابن عباس أهى صفين، فقد قتل عثمان مظلوماً (وهذا ما دفعنا للقتال).

فقال ابن عباس: فقد قتل عمر بن الخطاب مظلوماً (لماذا لم تقم لنصرته)، فقال معاوية: إنّ كافراً قتل عمر. قال ابن عباس: فمن هم قتلة عثمان، قال معاوية: المسلمون. قال ابن عباس:

فهذه عليك لا لك.

قال معاوية: لقد أمرنا بعدم ذكر فضائل على وأهل بيته فاحفظ لسانك. قال ابن عباس:، أتمنعنا من قراءة القرآن؟ قال: لا. قال ابن عباس: تمنعنا من تأويله؟ قال معاوية: بلى، لك القراءة دون التأويل، وإن كان ولابدّ فلا تحدث بفضائل أهل البيت.

ثم أمر لابن عباس بمئة ألف درهم (ليمزج الترهيب والترغيب ليتمكن بكل الوسائل من إسكات ابن عباس)[۷۵۵]، ومن أراد المزيد بشأن جنايات بنى امية والتعرف عليهم بدقّة على ضوء القرآن وأخبار العامّة والأعمال التى قاموا بها من أجل مسخ المعارف الإسلامية وتحريفها فليراجع المجلد الثالث من هذا الكتاب.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۶

۲- التاريخ يعيد نفسه

ما أورده الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة بشأن العصر المظلم للحكومة الاموية بأنّ لا يبقى من القرآن إلّااسمه لا يقتصر على ذلك الزمان، والمؤسف له أنّ ذلك الأمر قد تكرر فى مختلف النقاط وإن لم يبلغ ما بلغه أبان الحكومة بنى امية، وما زلنا نلمس نماذج ذلك حتى فى عصرنا.

وقد وردت للإمام عليه السلام عبارة أشمل فى قصار كلماته بهذا الخصوص إذ قال:

«يَأتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لايَبقَى فِيهِن مِنَ القُرآنِ إلّا إسمُهُ وَمِنَ الإسلام إلّاإِسمُهُ وَمَسَاجِدُهُم يَومَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ البِنَاءِ خَرابٌ مِنَ الهُدى سُكَّانُها وَعُمَّارُها شِرُّ أَهلِ الأَرضِ مِنهُم تَجرُجُ الفِتنَةُ وَإِلَيهِم تَأوى الخَطِيئَةُ».[۷۵۶]

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۷

القسم الثالث: أسباب شقاء الإنسان

«وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِی تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ».

الشرح والتفسير

أنذر الإمام عليه السلام الجميع فی هذا المقطع من الخطبة ودعاهم لتأمل تاريخ الامم السابقة ويفكروا فی أسباب بؤسهم وشقائهم فيعتبروا بذلك حيث قال:

«وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ»،

المراد بالهلك فی قوله إنّما هلك حسب ما ذهب إلى جمع من شرّاح نهج البلاغة الهلاك المعنوی يعنی الضلالة التی ينتج عنها العذاب الاخروی، ولكن لا يبعد أن تشمل الهلاك المعنوی والاخروی وكذلك المادی والدنيوی، أی أنّ طول الأمل ونشيان أجل الحياة والغرق فی الشهوات، إنّما يفسد الآخرة ويحط من قدر وعظمة الإنسان فی الدنيا، وبالتالی تعرضهم لأنواع العذاب الدنيوی من قبيل طوفان قوم نوح وزلزلة قوم لوط والصواعق السماوية التی أصابت الأقوام الأخرى.

نعم، فتغيب الآجال أحد آثار طول الأمل والذی يعد من أعدى أعداء سعادة الإنسان، لأنّه يلقی بحجاب ضخم على بصيرة العقل ويجعل الهوى حاكماً عليه ويقذف بالإنسان فی مستنقع الذنوب والمعاصی، وهذا ما ورد عن النبی الأكرم صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين علی عليه السلام:

«وَأَمّا طُولِ الأَمَلِ فَيُنسِی الآخِرَةَ»[۷۵۷]

، ويفهم من العبارة:

«حَتّی نَزَلَ بِهِم المَوعُودُ»

، أنّ اولئك

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۸

الأفراد يفيقون فی تلك اللحظة، أجل يفيقون، ولكن حيث لا ينفعهم ذلك، ولذلك قال الإمام عليه السلام:

«الَّذِی تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ[۷۵۸] وَالنِّقْمَةُ[۷۵۹]».

نعم، فمصدر كل تلك الجنايات والمخالفات التی ورد الكلام عنها فی القسم السابق من الخطبة إنّما يكمن فی حبّ الدنيا وطول الأمل ونسيان الأجل، الأجل الذی لا رجعة فيه ولا يمكن تدارك ما فرط من الإنسان فيه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۳۹

القسم الرابع: سبيل النجاة

اشارة

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِیَ (لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ)؛ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ؛ وَإِنَّهُ لَايَنْبَغِی لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِی مِنْ ذِی السَّقَمِ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِی تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا

بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ. فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ؛ لَايُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ».

الشرح والتفسير

تحدّث الإمام عليه السلام فى هذا القسم السابق عن فئة ضالة ومستبدة غيرت جميع الحقائق وإرتكبت أفضع الجرائم، ثم حل أجلها ولم تتب إلى ربّها فسارعت إلى عالم آخر ليصب عليها العذاب، فأبان الإمام عليه السلام فى هذا المقطع سبيل النجاة حتى لا يبتلى الآخرون بذلك المصير الأسود فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)»

، نعم، هذه هى الخطوة الاولى من أجل الإهتداء إلى الحق والصراط المستقيم ثم استدلّ على ذلك بقوله:

«فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۰

وأضاف بعد ذلك بهدف استماع الناس للمواعظ الإلهيّة ويبعدوا عنهم الكبر والغرور ويسلموا لأوامر اللَّه: «وَإِنَّهُ لَايَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ»، فى إشارة إلى أنّ اولئك الذين يعيشون الغرور والتكبر غافلون عن عظمة اللَّه سبحانه، والذين يغترون بقدرتهم جاهلون بقدرة اللَّه تعالى، أمّا من عرف اللَّه وقدرته فهو يدرك أنّه لا شيء تجاهه، عليه فلا داعى لهذا الكبر والغرور الفارغ.

ثم قال على سبيل الاستنتاج:

«فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِي ۷۶۰] مِنْ ذِي السَّقَمِ»

، إشارة إلى أنّ سعادتكم وفلاحكم وسلامتكم فى إتباع الحق، وأنّ النزوع نحو الباطل نوع من أنواع المرض والسقم، لكن من المؤسف هناك من يهرب من الحق وكأنّه يفر من مرض معدى، أو حسب تعبير القرآن الكريم: «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ»[۷۶۱].

ثم عرض الإمام عليه السلام فى الخطوة التالية سبيلًا واضحاً بهدف هداية مخاطبيه إلى الحق وإبعادهم عن الباطل فقال:

«وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ»،

والواقع هذا هو أحد طرق معرفة الحق والباطل والذى ينطوى تحت القاعدة المعروفة:

«تعرَفُ الأَشياءُ بِأضدَادها»

، فالإنسان يجهل معنى العافية ما لم يمرض ولا يدرك مفهوم الضياء ما لم يرى الظلمة، فقد اعتبر الإمام عليه السلام- فى هذا المقطع من الخطبة كما ورد فى العبارة المذكورة- التعرف على تاركى الحق ومخالفيه كطريق بلوغ الحق، فأشار إلى ثلاث طوائف:

طائفة تركت الحق، وطائفة نقضت ميثاق القرآن، والطائفة الثالثة التى نبذته وراء ظهرها، والفارق بين هذه الطوائف الثلاث واضح، فالبعض يترك الحق دون أن يحضره والبعض الآخر يحقره علاوة على تركه، وأخيراً هناك من ينقض عهود اللَّه ومواثيقه، والذى وردت الإشارة

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۱

إليه فى الآية القرآنية الشريفة: «أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَايَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ...»[۷۶۲]، والآية صادقة على الآخرين وإن كانت فى الظاهر فى بنى اسرائيل.

نعم، يمكن الظفر بسبيل الحق من خلال معرفة هؤلاء التاركين للحق والناقضين لمواثيق اللّه والمحقرين لكتاب اللّه، ومعرفة المبادىء التى تسود حياتهم.

ثم عرض الإمام عليه السلام طريقاً آخر فى آخر قسم من هذه الخطبة من زيادة الاطمئنان بهدف الظفر بالحق وإدراك مفاهيم القرآن الكريم وهو التمسك بأهل البيت من عترة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بفضلهم أحد الثقلين الذين خلفهما النبى فى الامة، فقال عليه السلام:

«فَالتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ. هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ؛ لَايُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ».

فقد وصف الإمام عليه السلام أهل البيت عليهم السلام فى هذه العبارات القصيرة والعميقة المعنى بأوصاف منها:

«فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ...»

، حيث عندهم علم اللّه تعالى وسنّة النبى صلى الله عليه و آله، فأينما يحلّون يكشفون الظلام بنورهم، وحكمهم (سواء كان الحكم بمعنى القضاء أوالحكم بمعنى كافة وصاياهم وبيانهم للحلول) ينطق عن علمهم، وصمتهم العميق المعنى يفيد منطقهم ومقاصدهم (لأنّ السكوت أبلغ من الكلام فى أغلب الموارد)، وظاهر على قدر من الرزانة والإخلاص والطهر بحيث يعكس طهارة ونقاء باطنهم، من خصائصهم الأخرى أن علمهم لا يختلف مع الدين قط ولا يختلفون فى تفسيرهم لحقائق الدين، ولا غرو فعلومهم تنبع من ذات المصدر، ومن هنا لديهم حقيقة الدين والقرآن وروحهما، فى حديث الثقلين:

«... إنّهما لَن يَفتَرِقا (العترة والقرآن) مَا إن تَمَسَّكتُم بِهِما فَلَن تَضِلُوا ...».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۲

تأمّل: معرفة الأشياء بأضدادها

كثيرة هى طرق معرفة الحق والباطل والمهم أن يعزم الإنسان على معرفة الحق ويتجه قدماً بشجاعة- وإحدى هذه الطرق ما أشار إليه الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة والذى يتمثل بمطالعة الأضداد.

فانّ رأى الإنسان المصير الأسود لجماعة تسبح فى بحر من الأخطاء والزّلات، أدرك ببساط أنّ الطريق الصحيح عكس ذلك، وإن أراد السير على الحق وجب عليه التخلى عن الاصول التى اعتمدتها تلك الجماعة، فيتعلم الأدب من عديميه والعدل الظالمين والطهر من المدنيين.

لعل هناك من يتصور تضارب هذه العبارة مع ما ورد فى عبارة أخرى للإمام عليه السلام قالها للحارث الهمدانى:

«إنّ دِينَ اللَّهِ لا يُعرَفُ بِالرّجالِ بَل بِآيَةِ الحَقِّ فَاعرِفْ الحقَّ تَعرِفُ أَهلَهُ»[۷۶۳]

، لكن الطريقان صحيحان، كل فى محلّه، فان عرف الحق بوضوح فى موضع كان لابدّ من معرفة شخصية الأفراد على أساس معياره، فمن كان مع الحق فهو الحسن الصالح ومن كان ضده فهو السيىء الطالح، فهنا نعرف الاشخاص بمعيار الحق. وان كان الأفراد معروفين والحق خفى كان لابدّ من التعرف على الحق والباطل بواسطتهم، على سبيل المثال لو تنازع عمار بن ياسر مع أبى جهل، فاننا ندرك بسهولة أنّ عمّاراً على الحق وأبى جهل على الباطل، وقد يتعذر أحياناً معرفة الأشخاص ومعرفة الحق، فهنا ننظر إلى حاشية وأصدقاء اولئك الأشخاص، فرضاً شككنا فى شخص معاوية ورأينا بطانته وحاشيته جماعة من المنافقين وأصحاب الدنيا كعمرو بن العاص وممن طردهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومن تبقى من أقطاب الجاهلية آنذاك يمكننا التعرف عليه.

وزبدة الكلام هناك عدّة طرق لمعرفة الحق والباطل ولابدّ من استفادة ما يناسب كل مورد من طريق.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۳

الخطبة[۷۶۴] المأة والثامنة والأربعون

اشارة

وَمِنْ كَلام لهُ عليه السلام
فى ذكر أهل البصرة

نظرة إلى الخطبة

تحدّث الإمام عليه السلام فى المقطع الأول من هذه الخطبة عن طلحة والزبير واللذان قد إتحدا فى الظاهر واتفقا على قتال على عليه السلام فى الجمل، فقد كشف الإمام عليه السلام اللثام عن جانب من أسرارها فقا إنّهما وإن اتحدا ظاهرياً، إلّاأنّ ذلك الاتحاد مرحلى ومؤقت، فان تسلّط أحدهما أسقط الآخر، وأشار عليه السلام فى المقطع الثانى إلى فتنة البصرة وأصحاب الجمل، وقد دعى الناس للعمل على إخماد نار هذه الفتنة، كما حذر فى الختام من ضرورة مراقبة التحركات المشبوهة لناقضى المواثيق (طلحة والزبير وأعوانهما).

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۵

«كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ، دُونَ صَاحِبِهِ، لَايَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَايَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ! وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِى يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هذَا نَفْسَ هذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هذَا عَلَى هذَا. قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ. وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَاللَّهِ لَاأَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لَايَعْتَبِرُ!».

الشرح والتفسير

الإتحاد الظاهرى والعداء الباطنى

كشف الإمام عليه السلام فى القسم الأول من هذه الخطبة النقاب عن حقيقة فى عدم وجود دافع شرعى لطلحة والزبير- اللذان أثارا معركة الجمل- وليس لهما من همّ سوى الدنيا والاستيلاء على الحكومة، ومن هنا فانّ تحقق لهما ما يريدان سعى كل منهما لإزالة الآخر لينفرد بالحكومة فقال:

«كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ، دُونَ صَاحِبِهِ».

ثم استدلّ عليه السلام على ذلك بالقول:

«لَا يَمُتَّانِ ۷۶۵] إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَايَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ. كُلُ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍ ۷۶۶] لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ!»

، والضبّ هوالحيوان المعروف، وتعتقد العرب بأنّه خال من العاطفة إلى جانب حماقته حتى أنّه ليأكل فراخه ومن هنا ضرب به المثل فى العقوق، وقد استشهد الإمام عليه السلام بذلك المثل فى قوله:

«حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ»،

فهى عبارة غاية فى الروعة لمدى العداوة والبغضاء التى يخفيها كل منهما لصاحبه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۶

ثم قال عليه السلام:

«وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِی یُرِیدُونَ لَیَنْتَزِعَنَّ هذَا نَفْسَ هذَا، وَلَیَأْتِیَنَّ هذَا عَلَی هذَا»

، والطریف أنّ ما أورده الإمام علیه السلام فی العبارة السابقة بشأن طلحة والزبیر یصدق علی جمیع الأفراد الذین یتحدون من أجل نیل السلطة دون أن یکون لهم أی دافع إلهی، فهم متحدون ومتفقون مادامهم لم ینتصروا، فبمجرّد الانتصار یسعی کل واحد منهم للقضاء علی الآخر والتفرد بالسلطة، وشواهد ذلک کثیرة علی مرّ العصور وفی کل زمان ومکان، والحال لو کانت الدوافع إلهیّة لدام الإتحاد وربّما اقترح کل السلطة علی غیره، وقد إتضحت حقیقة کلام الإمام علیه السلام بشأن طلحة والزبیر حتی قبل شروع معرکة الجمل وتنازعهما علی الزعامة، وهذا ما سنتناوله إن شاء اللَّه فی البحث القادم، ولما کانت هذه الخطبة قبل معرکة الجمل فقد دعی الإمام الناس إلی الوقوف بوجه ناقضی العهد الذین حملوا رایات معرکة الجمل فقال:

«قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِیَةُ، فَأَیْنَ الْمُحْتَسِبُونَ ۷۶۷]! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ».

والعبارة الفئة الباغیة إشارة إلی کل جماعة تقوم بوجه الحق وحکومة العدل، کما یصدق هذا الکلام علی أصحاب الجمل، وعلی أعوان معاویة أیضاً، لأنّهم وقفوا جمیعاً ضد الحق، ومن هنا جاء فی الحدیث النبی الأکرم صلی الله علیه و آله لعمّار الذی استشهد فی صفین وقتله أعوان معاویة:

«یَا عَمّارُ تَقْتُلُکَ الفِئَةُ البَاغِیةُ»[۷۶۸].

والمفردة «المحتسبون» إشارة إلی الأفراد الذین یجاهدون حسبة للَّهولا ینتظرون سوی ثوابه وأجره.

والعبارة

«فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ ...»

، إشارة إلی أنّ سنن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قد عرضت السبل اللازمة للقیام ضد البغاة والعصاة.

العبارة:

«وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ»

، إشارة إلی حدیث النبی الأکرم صلی الله علیه و آله لصحبه:

«تُقاتِلُونَ النّاکِثِینَ والقَاسِطِینَ والمَارِقِینَ»[۷۶۹]

، بناءاً علی هذا وبالنظر إلی اتضاح الضلال بالنسبة لتلک

نفحات الولایة، ج۵، ص: ۴۴۷

الفئة واتضاح سنن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله تجاه مثل هؤلاءالأفراد والنبوءة السریعة التی طرحها النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فلم یبق هنالک من مجال للإبهام ولابدّ لکل مؤمن مخلص أن یقف فی وجه الباطل.

ثم قال الإمام علیه السلام:

«وَلِکُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِکُلِّ نَاکِثٍ شُبْهَةٌ»

، قطعاً لم یرد الإمام علیه السلام بها الکلام توجیه الأعمال القبیحة والطائشة لطلحة والزبیر، بل یریدالإشارة إلی هذه الحقیقة إلی أن الظلال لیس عبثیاً، وعادة ما تکون علّته اختیاریة، فالعلّة الأصلیة لأغلب الظلال تتمثل فی هوی النفس وحبّ الدنیا والجاه والاستبداد والکبر والغرور والحسد، وهذا المعنی واضح تماماً بالنسبة لطلحة والزبیر.

والعبارة:

«وَلِکُلِّ نَاکِثٍ شُبْهَةٌ»

، إشارة إلی أنّ کل ناکث لعهد عادة ما یخلق لنفسه ذریعة لیخدع العوام ویجرهم إلیه، کما تذرع طلحة والزبیر بدم عثمان علی أنّه الخلیفة الذی قتل مظلوماً، فیثیروا طائفة من العوام ضد علی علیه السلام فیتمکنا من تحقیق أهدافهما المغرضة، بینما کانا من العناصر

التى قتلت عثمان، كما مرّ معنا فى الخطبة ۱۳۷ خيث قال الإمام بشأن طلحة والزبير ومعاوية:

«وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ».

والعبارة

«ناكث»

إشارة إلى طلحة والزبير حيث بايعا علياً عليه السلام فى البداية ثم نقضوا البيعة.

ثم إختتم الإمام الخطبة بالإشارة إلى نقطة مهمّة وهى المراقبة وعدم الغفلة عن العدو فقال:

«وَاللَّهِ لَاأَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ ۷۷۰]، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لَايَعْتَبِرُ!»،

إشارة إلى أنّ الزعيم اليقظ لا يسمع أنين المظلومين وتعبئة قوى الشياطين، وقد مضى شبيه هذا المعنى فى الخطبة السادسة:

«وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كالضَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْها طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُها، وَلكِنّى أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۸

تأمّل: أصدقاء الأمس وأعداء اليوم

العبارة أعلاه تبيّن حقيقة وهى أنّ أصحاب الباطل وإن إتّحدوا فى بادىء الأمر من أجل تحقيق أهدافهم، إلّاأنّهم ما إن ينتصروا ويتمكنوا حتى يسعى كل منهم لإزالة الآخر والتفرد بتناول ثمرة شجرة النجاح والنموذج البارز لذلك الإتحاد طلحة والزبير فى معركة الجمل والذى يشكل الموضوع الرئيسى لهذه الخطبة، والطريف فى الأمر أنّ بوادر هذه المنافسة الهدامة قد لاحت حتى قبل شروع المعركة.

فقد نقل ابن أبى الحديد عن المؤرخين أنّ خلافاً وقع بينهما قبل الجمل بشأن إمامة العسكر، ولمّا إشتد النزاع بينهما تدخلت عائشة فأمرت أن تصلى يوماً محمد بن طلحة وآخر عبداللّه بن الزبير حتى تنتهى المعركة[۷۷۱].

من جانب آخر سأل طلحة عائشة أن يسلم عليه الناس بصفته أميرالمؤمنين، كما سألها الزبير ذلك، فسلّمت عائشة عليهما بأميرالمؤمنين، كما اختلفا فى إمرة الجيش فقد أراد طلحة الإمرة، بينما رأى الزبير نفسه الأجدر بها[۷۷۲]، وكل هذه الامور شواهد حيّة على ما أخبر به الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة حين قال كل واحد منها يرجو الأمر له ويفكر فى القضاء على صاحبه، فليس هناك من دافع إلهى، ولا تؤدّى الدوافع النفسانية سوى إلى الاحتكار دائماً.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۴۹

الخطبة[۷۷۳] المأة والتاسعة والأربعون

اشارة

وَمِنْ كَلام لهُ عليه السلام

قبل شهادتهٍ عليه السلام

نظرة إلى الخطبة

كما ورد فى أسناد الخطبة فانّ الإمام عليه السلام خطبها حين كان على أعتاب الشهادة، فقد أوردها على سبيل الوصية إلى جانب النصح والمواعظ، والواقع أنّ الخطبة تتألف من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: بشأن الموت الذى لا يستطيع أحد الفرار منه ولا يعلم أين ومتى يدركه.

القسم الثانى: وصيّة قصيرة وبليغة عظيمة المضمون تجذب القلوب وتوضح معالم الطريق فى المستقبل.

القسم الثالث: الدروس التى ينبغى للناس تعلمها من شهادة الإمام عليه السلام كما يشير عليه السلام إلى هذه الحقيقة وهى إننى إن رحلت عنكم وخلّفنى غيرى آنذاك ستعرفون، من كنت؟ وماذا أردت؟ وما كانت سرائرى؟

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۱

القسم الأول: إستحالة الهروب من الموت

«أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. وَ الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ؛ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هذَا الْأَمْرِ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ!».

الشرح والتفسير

أكد الإمام عليه السلام فى هذا القسم من الخطبة أنّ الفرار من الموت مستحيل، وأبعد من ذلك فانّ الإنسان يستقبل الموت حين فراره، فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. وَ الْأَجَلُ مَسَاقُ ۷۷۴] النَّفْسِ؛ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ».

هناك عدّة تفاسير لشرّاح نهج البلاغة للعبارة الهرب من الموت موافاته، فقد قال البعض:

المراد من هذه العبارة أنّ الأجل إذا حلّ وجاء أمر اللَّه سبحانه برحيل من الدنيا فحتى الدواء يعطى نتيجة معكوسة، فما كان مشفياً فى الأحوال العادية يصبح سبباً للموت، وقيل فى تفسير العبارة أنّ الزمان الذى يصرفه الإنسان من أجل العلاج فى مثل هذه الحالات إنّما يقرّبه من آجله ۷۷۵].

وبعبارة أخرى، فقد شوهد كثيراً وقوع الإنسان فى ما يخافه ويحذره، ويدركه ما هرب منه، وعلى ضوء هذا التفسير فانّ الحكم المذكور حكم غالبى وليس كلى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۲

ثم قال عليه السلام:

«كَمْ أَطْرَدْتُ ۷۷۶] الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هذَا الْأَمْرِ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ.

هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ!».

سؤال

هنا يبرز هذا السؤال وهو: كيف قال الإمام بأنّ اللَّه وحده العالم بالآجل ولا يعلمه أحد[۷۷۷]، بينما تظافرت الأخبار التى وردت عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه كان يعلم بزمان وفاته، وكان يعرف قاتله، كما يخبر ولده على الدوام فى ليلة شهادته، بل أشار بعبارات مختلفة إلى زمان شهادته حتى خلال شهر رمضان الذى استشهد فيه، وقد ورد فى الكافى أنّ الطيور فى بيت الإمام عليه السلام كانت على علم بشهادته؟

جواب

يعتقد البعض بالاستناد إلى بعض الروايات ۷۷۸]، أنّ حالات المعصومين عليهم السلام وأولياء اللَّه تعالى مختلفة، فأحياناً يعلمون كل شىء بإرادة اللَّه تعالى، وأحياناً أخرى تخفى عليهم بعض المسائل بإرادة اللَّه تعالى حتى اللحظات يمكن أن تكون متفاوتة، فقد شم نبى اللَّه يعقوب رائحة قميص يوسف من مساحة بعيدة (مصر) بينما لم يراه فى بئر كنعان، وهناك احتمال أخر ما ذكره الإمام عليه السلام قانوناً كلياً حول الأجل وخاتمة حياة جميع الأفراد، إلّاأنّ هذا القانون الكلى كسائر القوانين الكلية له استثناءات، فما المانع أن

يعلم أولياء اللَّه وباذن اللَّه وتعليمه بلحظة موتهم.

وهناك نقطة أخرى هى: إنّ علوم المعصومين عليهم السلام بالنسبة لمسائل المستقبل على أساس لوح المحو والإثبات وهو قابل للتغيير، أو ما يصلح عليه بالعلم بالمقتضيات، لا العلم بالعلة التامة التى تأبى التغيير، لأنّ ذلك القسم الذى يسمى باللوح المحفوظ مختص باللَّه تبارك وتعالى، مثلًا جاء فى قصة السيد المسيح عليه السلام أنّه أخبر عن موت عروس فى ليلة زفافها، بينما لم يقع ذلك، وذلك لأنّها تصدقت وحالت الصدقة دون وقوع تلك المصيبة.

وسنتناول شرح هذا الموضوع فى محله إن شاء اللَّه.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۳

القسم الثانى: وصيّة الإمام عليه السلام

«أَمَّا وَصِيَّتِى: فَاللَّهَ لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا. حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ.

رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللَّهُ لِى وَلَكُمْ!».

الشرح والتفسير

بيّن الإمام عليه السلام فى القسم من الخطبة وصيّته وقد صبّ الإمام عليه السلام فيها عصارة روحه وفكره فى تلك اللحظة الحساسة والصعبة التى يوشك فيها على الرحيل فقال:

«أَمَّا وَصِيَّتِى: فَاللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ ۷۷۹] مَا لَمْ تَشْرُدُوا».

والمراد بالشرك هنا المعنى الواسع للكلمة والذى يشمل الشرك فى الذات والصفات وكذلك الشرك فى الأفعال، وبعبارة أخرى، كل ميل لما سوى اللَّه سبحانه سواء فى العقيدة أو العمل، وكذلك اريد بالسنّة معناها الواسع الذى يشمل جميع البرامج العبادية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، والواقع هو أنّ العبارتين قد تضمنتا جميع أسباب سعادة الإنسان،

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۴

فالإنسان لم يتعلق بما سوى اللَّه ولا يطلب غير رضاه ولم يحكم هو نفسه وطبّق كافة تعاليم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله على كافة الأصعدة والمجالات فهو الإنسان سعيد وموفق، ومن هنا شبّه الإمام هذين الاثنين بعمودى الخيمة إن اقيما فانّ الخيمة ملاذ آمن من الحرارة والبرودة وواقية من أغلب المخاطر، كما شبّهها بمصباحين على جانبى الإنسان وهما يضيئان الفضاء والطريق، ومن البديهى ألا يبقى مجالًا للظلالة مع وجود هذين المصباحين المضيئين.

ولذلك قال الإمام عليه السلام فى مواصلته لكلامه، إعملوا بهذه الوصايا وخلاكم ذم، وسوف لن يكون هناك من خلل ونقص فى دينكم وإيمانكم وحياتكم، ولكنه يشترط ذلك بمواصلة الطريق دون الانحراف، والالتزام بمسار التوحيد والعمل بالسنّة، والواقع هو أنّ جميع أصول الإسلام وفروعه قد جمعت فى هذه العبارة: فالتوحيد يشمل كافة الاصول العقائدية وحفظ سنة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يشمل جميع التعاليم العلمية والأخلاقية، وإن قال عليه السلام أقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم، للدليل السابق، ولما كان إقامة التوحيد وسنّة النبى صلى الله عليه و آله فى جميع الأبعاد ليس ميسراً للجميع وذلك لعدم تساوى القدرات الفكرية والجسمية، فقد قال عليه السلام:

«حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ»

، وهو ذات الأمر الذى اشير إليه كراراً فى الآيات الروايات.

فقد قال القرآن الكريم: «لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ...»[۷۸۰]، وقال فى موضع آخر:

«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ...»[۷۸۱].

وجاء فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«يُغفَرُ لِلجَاهِلِ سَبعُونَ ذَنباً قَبلَ أنْ يُغفَرَ لِلعَالِمِ ذَنبٌ وَاحدٌ»[۷۸۲]

. كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّما يُداقُ العِبادُ فِى الحِسابِ يَومَ القِيامَةِ عَلَى قَدَرِ مَا آتَاهُم مِنَ العُقُولِ فِى الدُّنيا»[۷۸۳]

، والواقع أنّ هذا هو مقتضى العدالة فى أن تؤخذ القدرات الفكرية والجسمية للأفراد بنظر الاعتبار فى تفويض المسؤوليات والحساب على المخالفات، ومن هنا قال الإمام عليه السلام:

«رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۵

والواقع هو أنّ كافة أسباب السعادة فى ظل هذه الثلاث، فاللَّه سبحانه رحيم قد فتح كافة أبواب السعادة بوجه الإنسان والدين الذى أتى به نبى الإسلام صلى الله عليه و آله يتمتع برسوخ لا مثيل له، والإمام عليه السلام الذى نصب لإجراء أحكام الدين عادل من جميع الجوانب يمكن أن تكون كلمة الإمام هنا إلى شخص النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو على عليه السلام أو جميع أئمة الإسلام من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حتى آخر الأئمة الإمام المهدى (سلام اللَّه عليهم أجمعين)، ومن الطبيعى أنّ مثل هذا الرب والدين والإمام لا يكلّف الإنسان سوى على قدر وسعه.

ثم أشار الإمام عليه السلام فى الختام إلى نقطة مهمّة ليكمل بها القسم الأول والثانى فقال:

«أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللَّهُ لِى وَلَكُمْ!»

، إشارة إلى أنّكم إن جعلتم هذه الأيام الثلاث مع بعضها لعلمتكم مطالب كثيرة، فبالأمس كنت مثلكم، بل زعيمكم وقائدكم حيث صرعت الكثير من على شاكلة عمرو بن عبد ود، لقد فتحت خيبر وقلعت بابها، ودافعت عن رسول للَّهصلى الله عليه و آله فى ميادين القتال حين تظافرت علينا الأعداء، وكنت أجندل الأبطال فى الجمل وصفين والنهروان، لكننى اليوم لكم عبرة بعد أن رقدت على فراش الموت، وغداً أنا مفارقكم،، سوف ترون مكانى خالياً، أو ليست هذه الأيام الثلاث تكفيكم عبرة لتكشف عن وضع الدنيا وتفاهتها؟ حقاً لم يسمع كلام أبلغ من هذا الكلام وبهذا الاختصار والعمق فى المعنى.

أمّا بشأن المراد من العبارة

«وَغَداً مُفَارِقُكُمْ ...»

، هل هو الإخبار عن شهادته فى ذلك الوقت أم الإخبار عن مستقبل بعيد والذى ورد التعبير عنه فى العبارات المتداولة بقولهم غداً؟ يبدو هنالك خلافاً بين شرّاح نهج البلاغة، ولكن ما يفهم من القرآن المختلفة وسائر كلمات الإمام عليه السلام فى تلك الحادثة الأليمة وقبلها أنّ المراد الخبرالقطعى عن المستقبل القريب، ولا يتنافى ذلك مع العبارة:

«إن تَثبُتِ الوطَأةُ ...»

، لأنّ مثل هذه التعبيرات تهدف إلى بيان مقاصد خاصة واعتيادية، كما ورد فى القرآن الكريم: «أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ...»[۷۸۴]. والحال يعلم اللَّه سبحانه أنّ نبيّه صلى الله عليه و آله لا يقتل، فهدف الإمام عليه السلام هنا بيان هذا المطلب، أنّى لو بقيت لعفوت عن ضاربى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۷

القسم الثالث: معرفتى بعد موتى

«إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ. وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً: سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي».

الشرح والتفسير

شرح الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الخطبة مصيره على فراش الشهادة كما بيّن وضع المسلمين بعده فقال:

«إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ[۷۸۵] فِي هذِهِ الْمَزَلَّةِ[۷۸۶] فَذَاكَ. وَإِنْ تَدْحَضِ ۷۸۷] الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا

فِي أَفْيَاءِ[۷۸۸] أَغْصَانٍ، وَمَهَابِ ۷۸۹] رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا[۷۹۰]، وَعَفَا[۷۹۱] فِي

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۸

الْأَرْضِ مَخَطُّهَا[۷۹۲]».

فتاريخ البشر وتجاربنا اليومية تكشف هذه الحقيقة فى أنّ الحياة كظلال الأشجار والقدرات كظلال الغيوم تمرّ بشرعة وتزول آثارها إلى الأبد، لكن العجيب عدم التفات الإنسان رغم رؤيته لكل هذه الأمور وكأنّه غير مشمول بهذا القانون.

ثم بيّن هذا المعلم الربانى إثر ذلك وبالنظر إلى علمه بمفارقة الدنيا عاجلًا بعض الدروس والعبر التى يمكن للآخرين الاستفادة منها والتى من شأنها إيقاظهم من غفلتهم فقال:

«وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[۷۹۳] سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ۷۹۴]، وَصَامِتَةً

بَعْدَ نُطْقٍ».

ثم استنتج مباشرة:

«لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي ۷۹۵]، وَخُفُوتُ ۷۹۶] إِطْرَاقِي ۷۹۷]، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ

أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ».

حقّاً أنّ الأمر كذلك فالمتحكمون مهما كانوا فصحاء وبلغاء، والسامعون مهما كانوا صاغين ولكن هناك فارق كبير بين النظر والسماع، فيا لها من عبرة أنترى ذلك الرجل الشجاع الذى ذاع صيته فى الأرجاء وهو الآن طريح الفراش جثة هامدة لا يقوى حتى على تحريك جفن عينيه، كما لا تقوى شفتاه على الحركة وهذا ما ينطوى على أعظم درس وعبرة حيث يشاهد الإنسان بعينه أفول القوة والقدره فيغرق فى هالة من التفكير، وهل لواعظ القدرة على إبراز هذا التأثير؟

وأخيراً إختتم الوصيّة بتوديع الناس، ذلك الوداع الأليهم فقال:

«وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ[۷۹۸] لِلتَّلَاقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ

مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي».

نعم، فحين رجل مظهر العدل ذلك الزعيم الشفيق والرؤوف، وحين غادر الناس تلك

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۵۹

الكنوز العلمية التى كانت تجرى على لسان الإمام عليه السلام وحل محلّه جبابرة بنى امية الذى لا يجيدون سوى لغة الظلم والجور ولا يفكرون سوى بأهوائهم وغرائزهم الحيوانية وأراقوا دماء الأبرياء، آنذاك فهم المسلمون من فقدوا، وأية خسارة تكبدوا.

وبناءاً على تقدم فالتعبير بغد لا يثير حسب ظاهر العبارة إلى لعالم البرزخ ولا القيامة (كما ذهب إلى ذلك بعض شرّاح نهج البلاغة)، بل إشارة إلى الأيّام السوداء والمريرة التى مرّت على المسلمين بعد شهادة أميرالمؤمنين على عليه السلام.

والعبارة

«مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي»

، سواء كانت بمعنى لقاء ملائكة الموت أو اللَّه سبحانه فهى تفيد عدم تعلق روحه المقدّسة سلام اللَّه عليه بهذا العالم المادى الزائل، بل كان متعلقاً بالعالم العلوى والملائكة والذات الإلهيّة المقدّسة، وضربة ابن ملجم كانت المقدمة لذلك الفوز العظيم ولقاء ربّ الكعبة، والشاهد الناصع على ذلك قوله عليه السلام حين ضرب:

«فُزتُ وَرَبِّ الكَعبَةِ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۱

الخطبة[۷۹۹] المأة والخمسون

اشارة

وَمِنْ خُطبَةٍ لهُ عليه السلام

يومى فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال

نظرة إلى الخطبة

تتألف الخطبة فى الواقع من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتحدث عن فئة ظلت الطريق القويم وإتجهت نحو الانحراف، ثم تحدث عن إمامة أهل البيت عليهم السلام الذين يرون الفتن بمصابيح الهداية وينهضون بهداية الامة، الإمامة والزعامة التى تذلل الصعاب وتحرر الامم.

القسم الثانى: تحدث عن ضعاف الإيمان الذين يسبحون فى الفتن والظلال إثر إتباع أهواء النفس، فئة أخرى راسخة الإيمان وهى تجابه الكفر والشرك وقد نالت القرب الإلهى.

القسم الثالث: الذى أشار إلى الأفراد الذين تراجعوا القهقرى بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقطعوا أواصر الإيمان وجانبوا أولياء اللَّه سبحانه والتحقوا بأعدائه وقد اقتلعوا اسس الولاية وحولوها إلى غير موضعها.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۳

القسم الأول: إنتظام كل شىء فى ظل وجوده

اشارة

«وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالًا ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ. فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ! يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَاتَعْرِفُونَ. أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَايُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ. ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ!».

الشرح والتفسير

كما ورد سابقاً فانّ هذه الخطبة بالمجموع تتكهن بحوادث المستقبل وتفيد القرائن والعبارات الواردة فيها، أنّ الإمام عليه السلام قد

أشار إلى الحوادث ما قبل ظهور الإمام المهدى عليه السلام ومن ثم قيامه المبارك.

فقد قال الإمام عليه السلام:

«وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالًا ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ. فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ[۸۰۰]، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ».

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۴

ثم خاض الإمام عليه السلام فى ذكر الدليل لترك الاستعجال فقال:

«فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ[۸۰۱] غَدٍ!»

، إشارة إلى الانتصارات الموعودة بعد الفتن (لاسيّما ظهور المهدى عليه السلام الذى وردت الوعود الصريحة فى عصر النبى بشأن بسط العدل والقسط فى كافة أنحاء العالم)، وفى عدم استعجالها وذلك لأنّ لكل شىء زمان وشرائط، وما لم تحصل الشرائط فهى كالثمار الخام وتقطف من الشجرة فلا يؤدّى ذلك سوى إلى الندم.

ثم خاطب الناس قائلًا بأنّ الآن أوان تحقق ما وعدتم به (من ظهور الفتن والبلابل وسلطة الظلمة وزيادة الضغط على المظلومين):

«يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ ۸۰۲] وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَاتَعْرِفُونَ».

ثم تحدّث بصورة أوضح عن هذا الظهور العظيم فقال:

«أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو[۸۰۳] فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ»

، ثم تطرق فى مواصلته لحديثه إلى برامج ذلك المصلح الكبير بعبارات قصيرة عميقة المعنى، فقال:

«لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[۸۰۴]، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً،

وَيَصْدَعَ ۸۰۵] شَعْباً[۸۰۶]، وَيَشْعَبَ صَدْعاً، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَايُبْصِرُ الْقَائِفُ ۸۰۷] أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ».

فهذه العبارات تنطبق تماماً على قضية ظهور المهدى عليه السلام، لأنّه يقطع أغلال الأسر ويطلق المظلومين ويكسر شوكة الظالمين ويفرق جمعهم، فهو يعيش لسنوات فى الخفاء بحيث يعجز أعظم الباحثين عن العثور عليه، وقد أورد البعض من شرّاح نهج البلاغة عدّة تفاسير

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۵

للعباره، وحيث لا يجدر الالتفات إليها فاننا نعزف عن ذكرها.

والجدير بالذكر أنّ شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد المعروف بتعصبه بالنسبه لأغلب المسائل المرتبطة بالإمامة، صرّح فى شرحه للعبارة المذكورة:

«وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ»،

إلى أنّ المراد بها مهدى آل محمد صلى الله عليه و آله، كماترى إنطباق سائر الصفات المذكورة عليه، وإن كان اعتقاد العامّة بالنسبة للإمام المهدى عليه السلام أنّه يولد فى آخر الزمان ۸۰۸].

ثم أشار فى ختام هذا المقطع من الخطبة إلى أصحاب الإمام المهدى عليه السلام وأوصافهم:

«ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ ۸۰۹] فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ ۸۱۰] النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ ۸۱۱] كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ!».

ويستفاد من العبارات إلى أنّ أصحاب الإمام المهدى عليه السلام هم من الرجال الشجعان والعلماء الذين أعدوا سلفاً وعملية بنائهم

مستمرة متواصلة، وقلوبهم نابضة بآيات القرآن وتفسير كلمات ا سبحانه، وهم دائموا التعلم صباح مساء ويزدادون إستعداداً وتأهباً، ولكن من هذا الذى أعدهم مسبقاً؟ هل حصل ذلك بأنفسهم أو لديهم بعض الأساتذة الذين أمروا باعدادهم؟ أم لإرتباطهم بإمامهم ومعلمهم الغائب؟ القضية ليست واضحة لدينا بالضبط، ولكن على كل حال أنّهم أفراد أعدوا للمساعدة فى هذه الثورة العظيمة حتى وصفهم ابن أبى الحديد بالعرفاء، فممن جمع فيهم الزهد والحكمة والشجاعة فهم أصحاب ولى اللّه الذى إصطفاه ۸۱۲].

ويفهم ممّا مرّ معنا فى هذا القسم من الخطبة أنّالإمام عليه السلام قد بشّر المسلمين بفجر مضيىء بعد تلك الظلمات، وهو الفجر الذى يأتى به ولده الميمون المهدى (عج) وبشروق شمس جماله تنجاب الظلمات.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۶

تأمّل: قطعية قيام المهدى الموعود عليه السلام

وردت فى هذه الخطبة الشريفة فى الفصل الشابق- كسائر خطب نهج البلاغة- البشارة بظهور الإمام المهدى عليه السلام، البشارة التى وصلتنا من خلال الروايات المتواترة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ومن هنا إتفق علماء الإسلام من الفريقين على هذا الأمر، ولم يشذ سوى النزر اليسير الذين يعانون من انحراف فكرى، حتى سطر أبرز علماء العامّة كتباً تحت عنوان تواتر روايات المهدى عليه السلام ۸۱۳].

ويستفاد من هذه الخطبة كأغلب روايات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمة أهل البيت عليهم السلام أمران:

الأول: أنّ هذا الظهور المقدّس بهدف إزالة بساط الظلم ونشر التوحيد والعدل سيكون فى زمان يعم فيه الفساد العالم، أى يملّ الناس الظلم والجور وتغلق طرق الصلاح وتثبت جميع المدارس والقوانين البشرية فشلها وهزيمتها، وهذا ما يضاعف من استقبال تلك الحكومة الإلهيّة.

الثانى: أنّ أصحاب المهدى عليه السلام وبهدف إجراء هذا المشروع العالمى الإنسانى العظيم هم من الأفراد الشجعان والعلماء والحلماء والرهن لإمتثال الأوامر.

ونختتم هذا البحث بحديث عن الصحابى المعروف أبى سعيد الخدرى فى مسند أحمد بن حنبل قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى تَمتَلأ الأَرضُ ظُلمَاً وَعُدواناً، قال: ثُمَّ يَخرُجُ رَجلٌ مِنْ عِترَتِى أو مِن أَهلِ بَيتِى يَملأُها قِسطَاً وَعَدلًا كَمَال مُلِئَتْ ظُلماً وَعُدواناً»[۸۱۴].

كما ورد مثل هذا المعنى باختلاف طفيف فى سنن أبى داود[۸۱۵].

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۷

القسم الثانى: خصائص أنصار النبى صلى الله عليه و آله

منهَا: «وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ؛ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ».

الشرح والتفسير

اختلف شرّاح نهج البلاغة فى هذا القسم من الخطبة وذلك لأنّ الضمائر التى وردت فى هذا القسم والأوصاف لا تبد منسجمة، ومن هنا قال بعض الشرّاح بوجود تقدير فى العبارات، واعتقدوا بأنّ عدم الإنسجام هذا يرتبط إختيار السيد الرضى رضى الله عنه، فلعل عدم

الإنسجام هذا يزول لو نقل المرحوم جميع الخطبة، على كل حال ما يبدو مناسباً فى تفسير هذا القسم هو أنّ الإمام عليه السلام نظر إلى ناس العصر الجاهلى ومن ثم عصر الظهور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فقسم أهل ذلك الزمان إلى ثلاث طوائف: الضالون، وضعاف الإيمان، والمؤمنون الشجعان الأشداء، فقال بشأن الطائفة الأولى:

«وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ[۸۱۶]».

نعم، فأحياناً يترك اللّه الأفراد الذين يصرون على سلوك سبيل العصيان والطغيان ليبلغوا قمة الفضحية فيستوجبوا العقاب الإلهى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۸

وقد أشارت الآشارت القرآنية إلى هذه الطائفة فى عدّة موارد واصطلحت على عقابهم بالاستدراج. ثم تحدّث عن الطائفة الثانية والثالثة فقال:

«حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ ۸۱۷] الْأَجَلُ،

وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا[۸۱۸] عَنْ لَقَاحِ ۸۱۹] حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ

يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِى الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ».

وهكذا ميّز هذه الطوائف الثلاث التى لا يخلو مجتمع من نظائرها، وكل تسلك طريقها، وقد قسمهم جمع من شرّاح نهج البلاغة إلى قسمين، والعبارة:

«وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ...»

، اعتبروها إشارة إلى الصالحين الذين يتخذون جانب الصمت والتقية تجاه بعض الفتن فى زمان معين حتى يحين موعد القيام، والعبارة:

«لَمْ يَمُنُّوا ...»

معطوفة عليها.

وكما أشرنا سابقاً فقد اختلف شرّاح نهج البلاغة بشأن هؤلاء القوم ومن هم اولئك الأفراد ومتى ينهضون ومن هو زعيمهم وفى أى وقت يظهر.

ذهب البعض إلى أنّ ذلك هو زمان بنى امية الذين يتسلطون بادىء الأمر على كافة البلاد الإسلامية ويطردون الأخيار الصالحين من الساحة ويختفون أصوات المظلومين، ولكن لا تمرّ مدّة حتى تقوم طائفة ضدهم وتطيح بسلطانهم وتقذف بهم فى مزبلة التاريخ.

ويرى البعض الآخر أنّهم أنصار الإمام المهدى عليه السلام الذين ينهضون بالأمر بعد كل ذلك الفساد والظلم والإبتعاد عن اللّه سبحانه بأمر من إمامهم فيملأون الأرض قسطاً وعدلًا بعد أنّ تملأ ظلماً وجوراً، ولكن بالنظر إلى ما سيرد فى المقطع الآخر يبدو أنّها إشارة إلى ناس يعيشون فى الجاهلية وقد سلكوا سبيل الفساد، ثم نهض عليهم ثلة من الصالحين التى تهب لنصرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فتصحى بما لها ونفسها حتى ينتشر الإسلام فى كل مكان.

والعبارة:

«حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ ...»

، تعبير غاية فى الروعة تشير إلى أنّ الجهاد الإسلامى لابدّ أن يبتنى على العلم والجهاد الثقافى مقدم على الجهاد العسكرى.

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۶۹

القسم الثالث: العودة إلى القيم الجاهلية

اشارة

«حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ».

الشرح والتفسير

واصل الإمام عليه السلام بحثه السابق عن العصر الجاهلي ومن ثم زمان قيام رسول اللّه صلى الله عليه و آله وإنبثاق الدعوة الإسلامية، ليتحدث هنا عن العصر الذي يعقب النبي الأكرم صلى الله عليه و آله حيث رسم صورة واضحة عنه وأزاح الستار ليكشف الحقائق فقال:

«حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ ۸۲۰] السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ ۸۲۱]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ».

المراد من العبارة:

«رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ»

، العودة إلى الجاهلية وإحياء سنن ذلك الزمان والذي ظهر للأسف في المجتمع الإسلامي بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقد استحوذ الطالحون على

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۷۰

مختلف المناصب وأقصى الصالحون وبرز حبّ الدنيا وأصبح بين المال العائد لجميع المسلمين تحت تصرف طبقة معينة.

والعبارة:

«وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ»

، إشارة إلى اختلاف الآراء الذي ظهر بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله وقد فسّر العديد من الأفراد محكمات الإسلام على ضوء ميولهم ومنافعهم الشخصية، وهذا ما أدّى إلى ضلالة الكثير من الناس، وهي الضلالة التي عبّر عنها الإمام بالهلكة.

والمراد بالعبارة:

«وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ»

أنّ جماعة من المسلمين قد إختارت المنافقين بطانة لها.

والعبارة:

«وَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ»

، إشارة إلى الآية الشريفة:

«قُلْ لَاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...»[۸۲۲].

والعبارة:

«وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ»

، تأكيد آخر على هذا المعنى في أنّهم مأمورون بمودة أهل البيت عليهم السلام واتّباع منهجهم، وإلّا أنّهم تركوهم واتبعوا غيرهم.

ثم خاض الإمام عليه السلام بصراحة أبعد بشأن الخلافة وتغيير أساسها فقال:

«وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِ ۸۲۳] أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ»،

رغم أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله عين خليفته مراراً صراحة وكناية فقال، تمسكوا بالقرآن والعترة، لكنّهم هدّموا هذا البنيان

ونقلوه إلى موضع هش آخر.

ثم تطرق الإمام عليه السلام فى ختام الخطبة إلى صفات العامل الأصلى وراء ذلك التغيير فقال:

«مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[۸۲۴]. قَدْ مَارُوا[۸۲۵] فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ».

فقد بيّن الإمام عليه السلام هذه الصفات الخمس لهم ليشير إلى انحراف أفكارهم وأعمالهم من

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۷۱

الجذور، فهم أفراد فاسدون ومفسدون ومغرورون وغافلون وغارقون فى الدنيا ومجانبون لدين الحق، وقد شبّههم الإمام عليه السلام بآل فرعون، وأحدى صفات آل فرعون أنّهم قسموا المجتمع إلى قسمين: الأقباط والأسباط، أو بعبارة أخرى آل فرعون وبنى اسرائيل، وقد تمتع الفريق الأول بكافة الامتيازات فى البلاد (مصر) ومرغوا انوف الفريق الثانى بالتراب، فكانوا يقتلون رجالهم ويسبون نسائهم وملأوا الأرض فساداً:

«إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ»[۸۲۶].

فقد اعتمد خط النفاق الجاهلى بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات السنة الفرعونية، فقد اقتصرت كافة إمتيازات البلاد الإسلامية على بنى امية ولم يكن نصيب شيعة على عليه السلام سوى القتل «تحت كل حجر ومدر» والتشريد والحبس والتعذيب، وقد ملؤا العالم الإسلامى بالفساد.

والعبارة:

«مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا ...»

؛ إشارة إلى أنّ طائفة منهم قد أقبلت علانية على الدنيا، فقد طاولت قصورهم عنان السماء، كما ذكر ترفهم وبذخهم بحياة كسرى والقيصر، ويبدون أنّ من بين حاشيتهم ممن لا يبدى علاقة ظاهرية بالدنيا لكنه باع دينه بدنيا غيره ووضع له الأحاديث التى تصّرح بفضله ونسبها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ووجه أعماله القبيحة، ومصداق ذلك واضح للجميع.

تأمّل: مصير جاحدوا الولاية

تعدّ هذه الخطبة من أقوى الخطب التى تدافع عن ولاية أهل البيت عليهم السلام، وإن مرّ عليها بعض شرّاح نهج البلاغة مرور الكرام، فقد أعلن الإمام عليه السلام صراحة وجود حركة رجعية بعد رحيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأساسها إسقاط ولاية أهل البيت عليهم السلام وضرب الوصايا المؤكدة للنبى

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۷۲

الأكرم صلى الله عليه و آله بهذا الخصوص، وأفضل محمل لها يتمثل ب «الاجتهاد مقابل النص» وعدم اعتبارهم وصايا النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لمصلحة المسلمين، ولكن على كل حال فانّ مؤججى نيران تلك المعركة هى العناصر المعروفة فى الجاهلية وخصوم الدعوة كأبى سفيان وأعوانه الذين نفذوا تدريجياً إلى الخلافة الإسلامية وتقدموا إلى الصفوف الأمامية بعد أن كانوا من المؤخرين، فسيطروا على كل شىء وإرتكبوا من المفضائع ما ليس له مثيل فى التاريخ أو قل مثيله، لكن الخطبة تشير بصورة دقيقة إلى نهجهم ومسارهم وبالتالى عاقبتهم.

والجدير بالذكر أنّ ابن أبى الحديد المعروف بتعصبه فى مسألة خلافة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والخلفاء الأوائل قد اعترض صراحة ليقول بأنّ الإمام عليه السلام قصد بهذه الخطبة مسألة الخلافة والإمامة غير أنّه سعى بتكلف ليراها مختصة بزمان بنى امية، ثم يفصل العبارة:

«حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»

عن

«رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ»،

ويفسّرها لما بعد أربعين سنة[۸۲۷]، وهو الضعف الذى لا يخفى على أحد، وذلك لأنّ صريح كلام الإمام عليه السلام هو أنّ هذه الحركة على الأعقاب قد بدأت مباشرة بعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، والتاريخ يشهد بأنّ الجنايات بنى امية جذور فى عصر الخلفاء والطريف فى الأمر أنّ هذه الإشارة وردت فى «صحيح البخارى» الذى يعتبر من المصادر الروائية المعتبرة لدى العامّة فى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أخبر عن الحوادث الأليمة من بعده، حيث قال:

«يَرِدُ عَلَيَّ الحَوضَ رِجَالٌ مِنْ أَصحَابِى فَيُحَلَّوَ عَنْهُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصحَابِى، فَيَقُولُ، إِنَّكَ لاعِلمَ لَكَ بِما أَحدَثُوا بَعدَكَ إِنَّهُم إِرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِهِم القَهقَرى [۸۲۸]

. والعبارة إرتدوا جديرة بالتأمل.

والجدير بالذكر أنّه وردت عدّة روايات بهذا الخصوص وفى هذا الباب فى صحيح البخارى والتى تدلّ جميعاً على قلق النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد رحيله من أعمال طائفة من أصحابه، وهذا شاهد بيّن على ما ورد فى هذه الخطبة بشأن الأحداث الأليمة بعد رحيل النبى صلى الله عليه و آله، والواقع هو أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أراد بهذا البيان تحذير أصحابه فى أن يراقبوا أنفسهم وأنّهم

نفحات الولاية، ج۵، ص: ۴۷۳

مؤاخذون يوم القيامة على أى خلاف يصدر منهم فيسعوا لأن لا يكونوا من تلك الطائفة.

حسن الختام

انتهى المجلد الخامس من هذا الكتاب بالخطبة المأة والخمسين وهى نهاية رائعة حيث تتحدث عن ولاية أهل البيت عليهم السلام فى أيّام الولاية، الولاية بفضلها الصراط المستقيم وسبيل النجاة والمانعة من كل انحراف وزلل.

اللّهم ثبتنا على ولايتهم، واحشرنا بولايتهم، واجعلنا من أتباع منهجهم، إنّك حميد مجيد، وبالإجابة جدير وعلى كل شىء قدير.

نهاية المجلد الخامس

محرم الحرام ۱۴۲۴

---

[۱] (۱) سند الخطبة: نقل هذه الخطبة طائفة من الأعلام ممن عاشوا قبل وبعد المرحوم السيد الرضى ومنهم: ابن شعبة الحرّانى فى« تحف العقول»، وابن طلحة الشافعى فى« مطالب السؤول»، ومحمد بن عمران المرزبانى فى« الموفق»، كما فسّر ابن أثير ما صعب من مفرداتها فى كتابه« النهاية»، إلّا أنّ هناك اختلافاً فى نقله مع بعض عبارات هذه الخطبة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۱۴۴) وقال ابن أبى الحديد حين شرحه لهذه الخطبة: نقل هذه الخطبة أيضاً أبو عثمان الجاحظ فى كتاب« البيان والتبيين»(شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۲۳۶).

[۲] (۱)« راقت»: من مادة« ورق» على وزن ذوق بمعنى المسرة والإعجاب.

[۳] (۲) سورة آل عمران/ ۱۸۵؛ الحديد/ ۲۰.

[۴] (۳) سورة الإنسان/ ۲۷.

[۵] (۴) سورة آل عمران/ ۱۴.

[۶] (۱) سورة الحِجْر/ ۳.

[۷] (۲)« حبرة»: من مادة« حبر» باالفتح السرور والنعمة.

[۸] (۳)« حائلة»: من مادة« حول» على وزن قول المتغيرة.

[۹] (۴)« نافدة»: من مادة« نفاد» بمعنى الفناء والعدم والزوال.

[۱۰] (۵)« بائدة»: من مادة« بيد» على وزن صيد هالكة.

[۱۱] (۶)« غوالة»: من مادة« غول» على وزن قول الهلكة المباغتة.

[۱۲] (۷)« هشيماً»: من مادة« هشم» بمعنى كسر الأشياء ومن هنا تطلق على النبت اليابس المكسّر.

[۱۳] (۸) سورة الكهف/ ۴۵.

[۱۴] (۱)« منحت»: من مادة« منح» على وزن مدح بمعنى العطاء.

[۱۵] (۱)« تطلّه»: من مادة« طل» على وزن تل المطر الخفيف ويقابله الوابل المطر الشديد.

[۱۶] (۲)« ديمة»: من مادة« دوام» مطر دوم فى سكون لا رعد ولا برق معه.

[۱۷] (۳)« هتنت»: من مادة« هتن» على وزن حتم بمعنى إنصبت.

[۱۸] (۴)« مزنة» قطعة من السحاب الممطر.

[۱۹] (۵)« اعذوذب»: من مادة« عذب» الفرات الزلال.

[۲۰] (۶)« احلولى»: من مادة« حلو» الطعم المعروف.

[۲۱] (۷)« أوبى»: من مادة« وبى المرض والهلكة.

[۲۲] (۸)« غضارة»: من مادة« غضر» على وزن نذر كثرة النعم، وسعة العيش.

[۲۳] (۹)« أرهقت»: من مادة« رهق» على وزن شفق ألبسته بالقوّة والقهر.

[۲۴] (۱۰)« قوادم»: جمع« قادمة» الواحدة من الريشات فى مقدم جناح الطائر، وهى زلقة عادة.

[۲۵] (۱)« يوبق»: فى الأصل من مادة« وبوق» على وزن نبوغ، بمعنى الهلكة، وعليه فيوبقه يعنى يهلكه.

[۲۶] (۱)« أبهة»: بمعنى العظمة وقد اشتقت من مادة« أبه» بمعنين الفطنة حيث توصل ممن يتصف بها من الأفرادإلى المجد والعظمة.

[۲۷] (۱) الطبرى ۵/ ۳۰۵.

[۲۸] (۲)« دول»: بضم الدال وفتح الواو المشددة المتحول، الشيء الذى يتحول من يد إلى أخرى، ولما كانت حالالحكومات كذلك، فقد اصطلح عليها بالدول أيضاً.

[۲۹] (۳)« رنق»: صفة مشبهة من مادة« رنق» بمعنى الكدر.

[۳۰] (۴)« اجاجم»: شديد الملوحة تلدغ حرارته الفم.

[۳۱] (۵)« صبر»: جمع« صبرة» على وزن كلمة أو جمع صبر على وزن فقر عصارة شجرة مرّة، كما يطلق أحياناً على نفس الشجرة.

[۳۲] (۶)« سمام»: جمع« سم» المواد التى إذا خالطت بدن الإنسان أفسدته وأهلكته.

[۳۳] (۷)« رمام»: جمع« رمة» بالضم القطعة البالية من العظم أو الحبل.

[۳۴] (۸)« موفور»: من مادة« وفور» الكثير من الشيء.

[۳۵] (۹)« منكوب»: من مادة« نكبة» بمعنى المصاب.

[۳۶] (۱۰)« محروب»: من مادة« حرب» القتال والحرب.

[۳۷] (۱)« عديد»: بمعنى« العدد»، كما ورد بمعنى الشبيه والمثيل وأريد بها المعنى الأول فى عبارة الخطبة.

[۳۸] (۲)« أكثف»: تفضيل« كثيف» بمعنى الكثير.

[۳۹] (۳)« سخت»: من مادة« السخاوة» بمعنى العطاء.

[۴۰] (۴)« أرهقت»: من مادة« إرهاق» ستر الشيء بالقوّة، أرهقتهم بمعنى غشيتهم.

[۴۱] (۵)« قوادح»: جمع« قادحة» بمعنى الآفة.

[۴۲] (۶)« أوهقت»: من مادة« وهق» حلقة توضع على رقبة الحيوان.

[۴۳] (۱)« قوارع»: جمع« قارعة» بمعنى المحن والدواهى.

[۴۴] (۲)« ضعضعت»: من مادة« ضعضعة» بمعنى الذلة والهوان، كما تأتى بمعنى الإبادة.

[۴۵] (۳)« عفرت»: من مادة« التعفير» كبتهم على مناخرهم فى العفر وهو التراب.

[۴۶] (۴)« المناسم»: جمع« منسم» يكسر الميم وهو مقدم خف البعير.

[۴۷] (۵)« ريب المنون»: الريب الشك الذى يكشف عنه الغطاء آخر لأمر ويبلغ اليقين، والمنون يعنى الموت، وريب المنون الموت المحتمل ويراد بها أحياناً مكاره الدهر التى تكون فى البداية مشكوكة ثم يحصل بها اليقين.

[۴۸] (۶)« أخلد»: من مادة« إخلاد» وأصلها من الخلود، والعبارة أخلد إليها بمعنى الركون، أى أنّ أصحاب الدنيا قد أبدوا منتهى الرغبة بالدنيا وكأنّهم التصقوا بها.

[۴۹] (۱)« ضنك»: بمعنى« الضيق» والشدّة وهى مفردة تستعمل بصيغة المفرد دائماً.

[۵۰] (۱) اصول الكافى ۲/ ۱۲۸.

[۵۱] (۲) المصدر السابق/ ۳۱۹.

[۵۲] (۱)« ظاعنون»: من مادة« ظعن» على وزن دفن بمعنى السفر والرحيل.

[۵۳] (۱) سورة العنكبوت/ ۵۷.

[۵۴] (۲) سورة الرحمن/ ۲۷- ۲۸.

[۵۵] (۳) سورة الحجر/ ۹۹.

[۵۶] (۴) سورة فصلت/ ۱۵.

[۵۷] (۵)« ركبانا»: صرّح بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ العرب إعتادت الاصطلاح بالركبان على من يركب مختاراً وله التصرف فى مركوبه، فان نزلوا سموا ضيفان، أمّا الموتى الذين يحملون إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً ولا ضيفان.

[۵۸] (۶)« الاجداث»: جمع« جدث» على وزن قفص بمعنى القبور.

[۵۹] (۷) سورة القمر/ ۱۹- ۲۰.

[۶۰] (۱)« صفيح»: وردت هنا بمعنى وجه الأرض، من مادة« صفح» على وزن مدح.

[۶۱] (۲)« أجنان»: جمع« جنن» على وزن كفن بمعنى القبر، وأصلها بمعنى التغطية والستر، ولما كان القبر يستر بدن الميت فقد اطلق عليه الجنن.

[۶۲] (۳)« رفات»: بمعنى كل شيء بالى ومتعفن، كما يراد بها العظام المندقة المحطومة والمتنافرة.

[۶۳] (۴)« ضيماً»: له مفهوم المصدر واسم المصدر ويعنى الظلم.

[۶۴] (۵)« مندبة»: من مادة« ندبة» بمعنى البكاء.

[۶۵] (۶)« جيدوا»: من مادة« جود» على وزن قوم مبنى للمجهول بمعنى مُطروا.

[۶۶] (۷)« جيرة»: جمع« جار» وغالباً ما تجمع جيران.

[۶۷] (۱) منها البراعة ۸/ ۲۵، وردت هذه الأشعار فى حاشية بحار الانوار بعنوان مناجاة للإمام السجاد عليه السلام نقلًا عن البداية والنهاية، لابن كثير(بحار الانوار ۴۶/ ۴۸).

[۶۸] (۱) اختلفت أقوال شرّاح نهج البلاغة لهذه العبارة، ويبدو الأنسب هو ما أوردناه سابقاً.

[۶۹] (۲) سورة طه/ ۵۵.

[۷۰] (۳) سورة الانبياء/ ۱۰۴.

[۷۱] (۱) بحار الانوار ۶/ ۲۶۸.

[۷۲] (۱) سند الخطبة: ورد فى مصادر نهج البلاغة أنّه نقلها« على بن محمد الليثى» صاحب كتاب« عيون الحكم والمواعظ» مع فارق قليل، وقال ابن ميثم البحرانى حين شرحه لهذه الخطبة أنّها جزء من خطبة طويلة أوردها الإمام على عليه السلام بشأن توحيد اللّه سبحانه وتعالى وتنزيهه. ويفيد هذا الكلام أنّه نقل هذه الخطبة من مصدر آخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۴۴).

[۷۳] (۲) كتاب« تمام نهج البلاغة»، ص ۶۵.

[۷۴] (۱) سورة الزمر/ ۴۲.

[۷۵] (۱) وردت إشارة لهذا المعنى فى رواية عن على عليه السلام(بحار الانوار ۶/ ۱۴۲، ح ۶).

[۷۶] (۱) من لا يحضره الفقيه ۱/ ۸۰، ح ۱۲.

[۷۷] (۱) سند الخطبة:

ذكر البعض هذه الخطبة كل من الزمخشرى فى أوائل كتاب« ربيع الأبرار» والآمدى فى كتاب« غرر الحكم» باختلاف طفيف يفيد أنّه نقلها من مصدر آخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۴۷).

[۷۸] (۱) وردت هذه العبارة فى سائر النسخ بهذه الصيغة« دار هانت على ربّها»، بينما يبدو أنّها وردت خطأ فى نسخة صبحى الصالح والتى أقتبست منها هذه النسخة بهذه الصيغة« دارها هانت».

[۷۹] (۲)« لم يصفها»: من مادة« الاصفاء» بمعنى الاختصاص إشارة إلى تفاهة نعم الدنيا بحيث منحها اللّه الجميع.

[۸۰] (۳)« لم يضن»: من مادة« الضن» بمعنى البخل.

[۸۱] (۴)« عتيد»: من مادة« عتاد» على وزن جواب بمعنى حاضر وتأتى بمعنى الإدخار.

[۸۲] (۱) قرأها أغلب شرّاح نهج البلاغة مبنية للمجهول بينما قرأها البعض الآخر مبنيّة للمعلوم ففهموا من العبارة شبيه ما ذكر، والحال يتبيّن من الرجوع إلى المتون اللغوية أن للإغتباط معنى آخر هو السرور وحمد اللّه وشكره على نعمة(انظر لسان العرب والقاموس وسائر المصادر اللغوية).

[۸۳] (۱)« لا توازرون»: من مادة« موازرة» بمعنى التعاون والمساعدة.

[۸۴] (۱)« زوى»: من مادة« زىّ» على وزن حىّ بمعنى الجمع والأخذ والإبعاد والمراد بها فى العبارة الفقدان والإبعاد حيث وردت بصيغة الفعل المجهول مقرونة بالفعل عن.

[۸۵] (۱)« لعقة»: من مادة« لعق» على وزن فرق بمعنى لحس الشىء وتطلق اللعقة على القليل من الطعام الذى يجعله الإنسان بأصبعه أو ملعقة صغيرة على لسانه ويبتلعه بسرعة، وهى كناية عن الشىء المختصر.

[۸۶] (۱) سند الخطبة:

ورد قسم مهم من هـذه الخطبـة فى كتاب« تحف العقول» الـذى يحتمل تأليفه قبل نهج البلاغة، وقد نقل الزمخشـرى مقطعها الأول فى أوائـل كتـابه« ربيع الابـرار» والقسم الآـخر فى أوائل المجلـد الثانى من ذلك الكتاب، ويتضـح من الفرق بين نقله ونقل السـيد الرضـى قدس سره أنّه إقتبسها من مصدر آخر غير نهج البلاغة، كما نقلها مع اختلاف طفيف القاضى القضاعى(وهو من علماء القرن الخامس ومن مقربى أحد خلفاء الدولة الفاطمية فى مصـر) فى كتابه« دسـتور معالم الحكم» والمرحوم الشـيخ الطوسى فى الآمالى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۵۲).

[۸۷] (۱) مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۵۲.

[۸۸] (۱)« بطاء»: جمع« بطيئة» ضد السريعة.

[۸۹] (۱) ثواب الأعمال،(حيث نقل شـرح نهـج البلاغة، للعلّامة الخوئى ۸/ ۵۷) وهـذا هو الحـديث الأول الذى ورد فى كتاب ثواب الأعمال.

[۹۰] (۱) سورة يوسف/ ۵۳.

[۹۱] (۱) سورة البقرة/ ۱۷۹.

[۹۲] (۱) سورة يوسف/ ۲۳.

[۹۳] (۲)« حمت»: من مادة« حماية» بمعنى المنع، ولذلك يقال الحامى للذى يمنع عن الآخرين الخصوم والأعداء.

[۹۴] (۳)« هواجر»: جمع« هاجرة» وسط النهار فى الجو الحار.

[۹۵] (۱) أعظم الفضائل« نصب»: بمعنى العناء والتعب.

[۹۶] (۲)« الرىّ»: بمعنى الارتواء من الماء.

[۹۷] (۳) نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۳(همّام).

[۹۸] (۱)« توسى»: من مادة« اسو» بمعنى علاج الجرح.

[۹۹] (۲)« ينقع»: من مادة« نقع» على وزن نفع بمعنى إرواء وارتواء.

[۱۰۰] (۱) بحار الانوار ۶/ ۱۳۲.

[۱۰۱] (۲)« زلّ»: من مادة« زل» على وزن حل بمعنى الانزلاق والسقوط.

[۱۰۲] (۳)« ريّ»: بمعنى الارتواء.

[۱۰۳] (۱) بحار الانوار ۷/ ۱۶۶.

[۱۰۴] (۱) بحار الانوار ۷۵/ ۲۳۸.

[۱۰۵] (۱) نهج البلاغة، الكلمات القصار ۳۲.

[۱۰۶] (۲) بحار الانوار ۸/ ۱۹۱، ح ۱۶۸.

[۱۰۷] (۱) سورة البقرة/ ۲۶۱.

[۱۰۸] (۲) سورة التوبة/ ۱۱۱.

[۱۰۹] (۳) سورة آل عمران/ ۷۷.

[۱۱۰] (۱) الواقع أنّ العبارة« إنّ الـذى أمرتم به ..» إشارة إلى الأحكام التكليفية الخمسة، والعبارة« ما أحل لكم ...» ناظرةإلى الأحكام الوضعية، وعليه فلا داعى لأنّ نعتبر العبارتين مترادفتين للتأكيد كما ذهب إلى ذلك بعض شرّاح نهج البلاغة.

[۱۱۱] (۲) سورة الحج/ ۷۸.

[۱۱۲] (۳) بحار الانوار ۲۲/ ۲۶۴.

[۱۱۳] (۴) سورة النحل/ ۱۱۴- ۱۱۵.

[۱۱۴] (۱) يعتقد بعض شرّاح نهج البلاغة أنّ« طلبه» فى العبارة المذكورة ليست نائب فاعل للمضمون ونائب الفاعل هو« الرزق» التى وردت فى العبارات السابقة، وإلّا أدنى تأمل يكشف أنّ هذا المطلب ينقض نسق العبارتين المذكورتين(المضمون لكم ... المفروض عليكم) والحال يقتضى الانسجام بين هاتين العبارتين أن يكون كل من« طلب» و« عمل» نائب فاعل أحدهما للمضمون والآخرى للمفروض، وعليه يصبح معنى الجملة« لا ينبغى أن تولون الأهميّة للشىء الذى ضمنه لكم اللّه وتغفلون عمّا وجب عليكم من عمل» بعبارة أخرى فانّ الطلب هنا بمعنى تحصيل وإعداد الرزق من جانب اللّه تعالى.

[۱۱۵] (۲)« دخل»: يعنى الفساد فى مثل هذه الأمور ودخل على وزن دعل بمعنى الأمور الفاسدة التى تتسلل داخل‌الإنسان فتؤثر على عقله.

[۱۱۶] (۳) اصول الكافى ۱/ ۳۰.

[۱۱۷] (۱)« بغتة»: من مادة« بغت» على وزن وقت يعنى الشىء الذى يحدث فجأة.

[۱۱۸] (۲) بحار الانوار ۷۵/ ۱۶.

[۱۱۹] (۱) سورة آل عمران/ ۱۰۲.

[۱۲۰] (۱) سورة القصص/ ۷۷.

[۱۲۱] (۲) وسائل الشيعة ۱۲/ ۱۹.

[۱۲۲] (۱) بحار الانوار ۷/ ۱۴۰.

[۱۲۳] (۲) المصدر السابق.

[۱۲۴] (۳) المصدر السابق ۴۰/ ۳۲۷.

[۱۲۵] (۱) سند الخطبة:

رواها قبل السيد الرضى المرحوم الشيخ الصدوق فى كتابه« من لا يحضره الفقيه» فى آداب صلاة الاستسقاء مع اختلاف كبير وإضافات تدلّ على أنّ ما نقله السيد الرضى فى نهج البلاغة هو بعض ما اختاره من تلك الخطبة« من لا يحضره الفقيه ۲/ ۲۳۵» كما نقلها المرحوم الشيخ الطوسى فى« التهذيب ج ۲، ص ۱۵۱» وفى« المصباح المتهجد» فى آداب صلاة الاستسقاء مع اختلاف وما ورد فى نقل السيد الرضى فى نهج البلاغة ممّا يدلّ على وجود مصدر آخر اعتمده الشيخ، ونقلها من علماء العامّة الزمخشرى فى« ربيع الابرار» وابن الأثير فى« النهاية»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۵۶).

[۱۲۶] (۱)« انصاحت»: من مادة« صوح» على وزن صوم بمعنى الانشقاق وقيل بمعنى الجفاف والتشقق والزوال‌الملازمة لبعضها البعض الآخر.

[۱۲۷] (۲)« اغبرت»: من مادة« غبار» وهى هنا إشارة إلى الجدب الذى يؤدّى إلى جفاف الأرض.

[۱۲۸] (۳)« هامت»: من مادة« هيم» على وزن حيف بمعنى الحيرة وتستعمل أحياناً بشأن الإنسان أو الحيوان الذى لا يدرى أين يذهب من شدّة العطش.

[۱۲۹] (۴)« مرابض»: جمع« مربض» موضع الماشية ومبرك الغنم.

[۱۳۰] (۵)« عجت»: من مادة« عجيج» بمعنى الصراخ والصياح بأعلى الصوت.

[۱۳۱] (۱)« ثكالى»: جمع« ثكلى» المرأة التى مات إبنها.

[۱۳۲] (۲)« آنة»: من مادة« أنين» وعادة ما تطلق على الشاة التى تتألم.

[۱۳۳] (۳)« حانة»: من مادة« حنين» التى تطلق على الجمل حين يتألم.

[۱۳۴] (۴)« موالج»: جمع« مولج» مدخل الشيء.

[۱۳۵] (۵)« اعتكرت»: من مادة« عكر» على وزن مكر بمعنى الهجوم.

[۱۳۶] (۶)« سنين»: اسم جمع السنوات، لكنّها ترد عادة فى العبارات كالعبارة المذكورة بمعنى القحط والجفاف(ورد معنيان لسنين فى قاموس اللغة أحدهما بمعنى السنة والآخر بمعنى الجفاف والقحط).

[۱۳۷] (۷)« أخلفتنا»: من مادة« خلاف» بمعنى المخالفة.

[۱۳۸] (۸)« مخايل»: جمع« مخيلة» على وزن قبيلة بمعنى الغيوم التى يأمل الإنسان بنزول المطر منها لكنّها ليست بماطرة.

[۱۳۹] (۹)« جود»: لفتح الجيم جمع« جائد» المطر الكثير والجود بالضم بمعنى السخاء والهبة.

[۱۴۰] (۱)« مبتئس»: من مادة« بؤس» على وزن قرص الفقر وشدة الحاجة.

[۱۴۱] (۲)« البلاغ»: بمعنى الكفاية وحل المشكلة.

[۱۴۲] (۳)« سوام»: وسائمة الحيوان الذى يرعى فى الصحراء.

[۱۴۳] (۴) سورة نوح/ ۱۰- ۱۱.

[۱۴۴] (۵) سورة الأعراف/ ۹۶.

[۱۴۵] (۱)« منبعق»: من مادة« انبعاق» بمعنى انشقاق ولما كانت الغيوم حين نزول المطر تبدو منشقة وتجرى منهاالأمطار فقد استخدمت هذه المفردة بشأن نزول المطر.

[۱۴۶] (۲)« مغدق»: من مادة« غدق» على وزن شفق الماء الوفير وتستعمل كناية بشأن السنوات المفعمة بالخير والبركة.

[۱۴۷] (۳)« مونق»: من مادة« أنق» على وزن شفق بمعنى السرور والاعجاب بالشيء.

[۱۴۸] (۴)« سحّ»: بمعنى انسياب الماء الوفير وبصورة مستمرة.

[۱۴۹] (۵)« وابل»: المطر الشديد الضخم القطر.

[۱۵۰] (۱)« مريع»: من مادة« مرع» على وزن كثيف النبات.

[۱۵۱] (۲)« ثامر»: بمعنى ذو ثمر.

[۱۵۲] (۳)« ناصر»: بمعنى ذو نضرة.

[۱۵۳] (۴)« تنعش»: من مادة« نعش» على وزن فرش بمعنى الإثارة و اقامة.

[۱۵۴] (۵)« نجاد»: من مادة« نجود» على وزن سجود ما ارتفع من الأرض حيث تصطلح العرب بالنجد على الأرض المرتفعة.

[۱۵۵] (۶)« وهاد»: جمع« وهدة» على وزن غفلة ما انخفض من الأرض.

[۱۵۶] (۷)« يخصب»: من مادة« خصب» على وزن فكر كثير النبات.

[۱۵۷] (۸)« جناب»: ناحية الدار أو المدينة.

[۱۵۸] (۹)« تندى»: من مادة« نداوة» الرطوبة و هى هنا كناية عن الجود والسخاء.

[۱۵۹] (۱۰)« أقاصى»: جمع« أقصى» النقطة البعيدة.

[۱۶۰] (۱۱)« ضواحى»: جمع« ضاحية» المنطقة الخارجة عن المدينة.

[۱۶۱] (۱۲)« مرملة»: من مادة« إرمال» الفقر ونفاد المتاع والزاد.

[۱۶۲] (۱)« مخضلة»: من مادة« خضل» على وزن عمل الليل والرطوبة وتستخدم كناية للسنوات المليئة بالأمطارونزول البركة.

[۱۶۳] (۲)« هاطلة»: من مادة« هطل» على وزن سطل السيول والقطرات الضخمة.

[۱۶۴] (۳)« الودق»: حبات المطر، كما تطلق على ذرات الماء الصغيرة التى تتعلق كغبار فى الجو حين نزول المطر، والمعنى الأول هنا

أنسب.

[۱۶۵] (۴)« يحفز»: من مادة« حفز» على وزن نبض الدفع بشدّة.

[۱۶۶] (۵)« خلّب»: بمعنى خارع من مادة« الخلّابة» وهى هنا إشارة إلى الغيوم ذات البرق والرعد الخالية من المطر.

[۱۶۷] (۶)« جهام»: بالفتح السحاب الذى لا مطر فيه.

[۱۶۸] (۷)« قزع»: القطع الصغيرة المتفرقة من السحب.

[۱۶۹] (۸)« رباب»: السحاب الأبيض(الذى لا مطر فيه).

[۱۷۰] (۹)« شفان»: الرياح الباردة أو الجو البارد المقرون بالرطوبة(لسان العرب ومعجم دهخدا) وأصلها شفون على وزن فنون النظر بطرف العين أو النظرة باعتراض، ولعل اطلاقها هنا على الرياح الشديدة لأنّها تسبب انزاعاج الطرف المقابل.

[۱۷۱] (۱۰)« ذهاب»: جمع« ذهبة» بالكسر الأمطار القليلة.

[۱۷۲] (۱۱)« امراع»: بمعنى كثير البركة.

[۱۷۳] (۱۲)« مجدب»: من مادة الجفاف بسبب قطع الماء ويقال مجدب لمن اصيب بالجفاف والقحط.

[۱۷۴] (۱)« المسنت»: هو المقحط.

[۱۷۵] (۲) إقتباس من الآية الشريفة:« وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِىُّ الْحَمِيدُ»(سورة الشورى/ ۴۸).

[۱۷۶] (۱) ذكرت آداب صلاة الاستسقاء فى أغلب المصادر الفقهية وكتب الحديث ومنها جواهر الكلام ۱۲/ ۱۲۷ وتحرير الوسيلة للإمام الخمينى، ج ۱ و ج ۵، ص ۱۶۲ من وسائل الشيعة.

[۱۷۷] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۲۷۲؛ بحار الانوار ۸۸/ ۳۲۹.

[۱۷۸] (۲) سورة الاعراف/ ۹۴.

[۱۷۹] (۱) سورة الروم/ ۴۱.

[۱۸۰] (۲) بحار الانوار ۷۶/ ۲۱، ح ۱۳.

[۱۸۱] (۳) وسائل الشيعة ۱۳/ ۲۵۶.

[۱۸۲] (۱) سند الخطبة:

تتضمن الخطبة إشارة إلى موضوع خلافة الحجاج للكوفة وما إرتكب فيها من جرائم، وقد نقل أغلب المؤرخين والمحدّثين هذا الجانب من الخطبة ومنهم ابن عبد ربه فى العقد الفريد، والمسعودى فى مروج الذهب، والأزهرى فى تهذيب اللغة، وابن الفقيه فى كتاب البلدان، وابن أثير فى النهاية، والديلمى فى الإرشاد(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۵۹).

[۱۸۳] (۱) سورة النساء/ ۴۱.

[۱۸۴] (۱)« وان»: من مادة« ونى» على وزن وحى بمعنى الضعف والتثاقل، ويقال الوانى لمن يتباطىء فى الأعمال.

[۱۸۵] (۲)« معذر»: من مادة« عذر» تقال لمن يعتذر ولا يثبت له عذر.

[۱۸۶] (۱)« طوى»: من مادة« طى» بمعنى الكتمان والاخفاء واريد بها هنا الكتمان.

[۱۸۷] (۲)« صعدات»: جمع« صعيد» بمعنى بقعة الأرض والتراب والمواضع المرتفعة من الأرض، وهى هنا إشارة إلى الصحراء والجبل والسهل، وصرّح البعض بأنّ صعدات جمع صعد على وزن دهل وصعدات جمع الجموع.

[۱۸۸] (۳)« تلتدمون»: من مادة« لدم» على وزن لفظ بمعنى الضرب وإلتدام بمعنى ضرب النساء صدورهن للنياحة.

[۱۸۹] (۱)« خالف»: من مادة« خلوف» من يخلف فى الأهل والمال حين الخروج إلى السفر أو الحرب، كما وردت‌بمعنى الفرد الكثير الخلاف، إلّاأنّ المراد هنا هو المعنى الأول.

[۱۹۰] (۲)« تاه»: من مادة« تيه» الحيرة والقلق.

[۱۹۱] (۱)« ميامين»: جمع« ميمون» بمعنى مبارك.

[۱۹۲] (۲)« مراجيح»: جمع« مرجاح» على وزن مثقال ذو حلم.

[۱۹۳] (۳)« متاريك»: جمع« متراك» على وزن مسواك من يترك الشيء تماماً.

[۱۹۴] (۴)« قدم»: من« مادة» قدوم بمعنى السبق، وهى هنا إمّا ظرف بمعنى فى مسار السبق وإمّا معنى جمعى بمعنى السابقون.

[۱۹۵] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۹۷.

[۱۹۶] (۲) المصدر السابق، الخطبة ۷۰.

[۱۹۷] (۳) المصدر السابق، الخطبة ۲۷.

[۱۹۸] (۱)« الذيال»: من ماده« ذيل» آخر كل شيء وتصطلح العرب بالذيال على الشخص الذى تخط ذيال ثوبه علىالأرض، ولما كان هذا العمل يقوم به المتكبرون من الأفراد، فقد أطلقت الذيال على الأفراد الذين يتصفون بالكبر والأنانيه.

[۱۹۹] (۲)« الميّال»: من مادة« ميل» الفرد الطائش.

[۲۰۰] (۳)« وذحة»: كما سيرد فى المتن بعرة الشاة أو بولها والذى يلتصق بصوفها، كما ورد بمعنى الخنفساء، إلّاأنّ ابن أبى الحديد صرّح بأنّ المعنى الثانى لم يرد فى أى من لغات العرب، والحال إذا رجعنا إلى متون اللغة لرأينا أنّ أغلب أرباب اللغة ذكروا هذا المعنى لمفردة الوذحة.

[۲۰۱] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۷/ ۲۷۹.

[۲۰۲] (۲) مروج الذهب ۳/ ۱۲۵.

[۲۰۳] (۱) مروج الذهب ۳۶/ ۱۶۶؛ وتاريخ ابن الجوزى حسب نقل سفينة البحار، وسيرة الأئمة،/ ۲۴۴؛ وشرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى ۶/ ۱۲.

[۲۰۴] (۱) سند الخطبة:

ورد فى مصادر نهج البلاغة أنّ أى مصدر غير نهج البلاغة لم يتعرض لنقل هذه الخطبة، ويكتفى بالإشارة إلى كلام ابن أبى الحديد فى آخر هذه الخطبة وقال: جاء فى بعض الروايات« أصل اخوانكم» بدلًا من« أوصل إخوانكم» ويستفاد إجمالًا من هذا الكلام أنّ هناك مصدراً آخر لابن أبى الحديد فى هذه الخطبة.

[۲۰۵] (۲) تمام نهج البلاغة، ص ۶۵۹.

[۲۰۶] (۱) ورد الفعل تكرمون بصيغة الفعل الثلاثى المجرد المعلوم الذى يعنى الإكرام والاحترام، وهى هنا بمعنىانتظار الإكرام.

[۲۰۷] (۱) سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة المؤرخ المعروف الطبرى فى كتابه« تاريخ الامم والملوك»، وابن قتيبة الدينورى فى كتاب« الإمام والسياسية»، وابن أبى الحديد الذى قال فى شرح هذه الخطبة، قال على عليه السلام هذا الكلام بعد معركة الجمل، كما نقلها المدائنى، والواقدى فى كتبهما(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۶۱).

[۲۰۸] (۱)« جنن»: جمع« جنة» على وزن قوّة الوقاية.

[۲۰۹] (۲)« بطانة»: من مادة« بطن» صاحب السر وخاصة الرجل.

[۲۱۰] (۱) الغدير ۱/ ۳۷۱.

[۲۱۱] (۱) سند الخطبة:

نقلت مصادر أخرى هذه الخطبة وكذلك فسّر ابن الأثير فى« النهاية» بعض المفردات من هذه الخطبة، كما أشار إلى بعض عباراتها.

قال ابن أبى الحديد فى شرح لهذه الخطبة أنّ الإمام خطبها بعد معركة صفين والنهروان بعد غارات أهل الشام على مناطق البلاد الإسلامية، وهذا يفيد وجود مصدر آخر لابن أبى الحديد غير الذى إعتمده السيد الرضى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۶۳).

[۲۱۲] (۱) هنالك خلاف بين شرّاح نهج البلاغة بشأن هذه الجملة هل هى جملة خبرية تخبر عن وضع جماعةالكوفة الضعيفة والمسلوبة الإرادة على أنّهم سلكوا سبيلًا لا يدعهم يتوفقون فى حياتهم أبداً، أم أنّها جملة إنشائية ونوع من الاشمئزاز، يبدو المعنى الثانى هو الأنسب.

[۲۱۳] (۱)« سددتم»: من مادة« سد» المعروف المعنى ولما كان السد هو البناء المحكم فالتسديد يعنى الإحكامِوالترسيخ وسدده وفقه للسداد.

[۲۱۴] (۲)« كتيبة»: طائفة من الجيش قال بعض أرباب اللغة يتراوح عددها من مئة إلى ألف.

[۲۱۵] (۳)« تقلقل»: الحركة من جانب إلى آخر.

[۲۱۶] (۴)« قدح»: بكسر القاف السهم أو القطعة من الخشب وقيل أيضاً هو السهم قبل أن يراش وينصل.

[۲۱۷] (۵)« جفير»: الكنانة التى توضع جانب الفرس وتوضع فيها السهام.

[۲۱۸] (۶)« الفراغ»: بمعنى الخالى.

[۲۱۹] (۱)« استحار»: من مادة« تحير وحيرة» بمعنى التردد والاضطراب وتطلق على السحب الثقيلة التى لا تدعها الرياح تتحرك فى مسارها وكأنّها تبقى مضطربة مترددة.

[۲۲۰] (۱)« حمّ»: من مادة« حم» على وزن غم بمعنى قدّر، وعليه فمفهوم العبارة قد حم لى لو قدر لى مثل هذا الأمر، أو إنّ وفقت لهذا الأمر.

[۲۲۱] (۲) نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۶.

[۲۲۲] (۱) للأسف وحسب علمنا فانّ شرّاح نهج البلاغة لم يطرقوا هذا البحث ويردوا على هذه الأسئلة، وشذ منهم أحد أعلام القرن السادس هو المرحوم البيهقى الذى أجاب عن السؤال الثالث بأنّ الإمام عليه السلام قال: ذلك بغض النظر عن مقام الإمامة، وإلّا فانّ مقام الإمامة يقتضى من الإمام أن يكون بين الناس مهما كانت الشرائط، وبعبارة أخرى فانّ الإمام عليه السلام قال لولا مقام الإمامة وكنت حراً فى هذا الأمر لتركتكم.

[۲۲۳] (۲)« حيادين»: من مادة« حيد» على وزن حرف بمعنى الانحراف ويقال الحيّاد، لمن ينحرف كثيراً عن جادةالحق.

[۲۲۴] (۳)« رواغين»: من مادة« روغ» على وزن ذوق بمعنى الذهاب إلى هذا الطرف وذاك وهى كناية عن المكر والحيلة، ومن هنا تستخدم هذه المفردة بشأن الثعلب، فيقال(راغ الثعلب).

[۲۲۵] (۱) الغارات ۲/ ۶۲۷.

[۲۲۶] (۱) سند الخطبة:

جاء فى كتاب مصادر نهج البلاغة أنّ سليم بن قيس الذى عاش قبل السيد الرضى نقل القسم الأول من هذه الخطبة فى كتابه، كما وردت سائر أجزائها بصورة متفرقة فى كتاب« غرر الحكم»، ولما كان هناك تفاوت بين بعض عبارتها، فانّ ذلك يعنى أنّها أخذت من كتاب آخر غير نهج البلاغة، كما قال ابن أبى الحديد فى شرح بعض عبارات هذه الخطبة نقلها جماعة بشكل آخر وهذا يشير إلى أنّه كان لديه مصدراً آخر(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۶۴).

[۲۲۷] (۱) سورة الأحزاب/ ۲۳.

[۲۲۸] (۱) بحار الانوار ۳۶/ ۳۱۱.

[۲۲۹] (۲) للوقوف على مصادر هذا الحديث الشريف راجع كتاب نفحات القرآن ۹/ ۶۲- ۷۱.

[۲۳۰] (۱) سورة الشورى/ ۱۳.

[۲۳۱] (۲) سورة النحل/ ۹۶.

[۲۳۲] (۳) سورة الطارق/ ۹.

[۲۳۳] (۴)« عازب»: من مادة« عزوب» بمعنى الابتعاد وعازب بمعنى بعيد.

[۲۳۴] (۵)« أعوز»: من مادة« عوز» على وزن مرض وعوز الشيء بمعنى لم‌يوجد ويراد به عدم وجودالشيء عندالحاجة.

[۲۳۵] (۱)« صديد»: الماء الساخن، كما ورد بمعنى ماء الجرح الرقيق.

[۲۳۶] (۲) سورة التوبة/ ۸۱.

[۲۳۷] (۳) سورة ق/ ۳۰.

[۲۳۸] (۴) سورة الحاقة/ ۳۰- ۳۲.

[۲۳۹] (۵) سورة إبراهيم/ ۱۶.

[۲۴۰] (۱) سند الخطبة:

وردت هذه الخطبة فى عدّة كتب ألفت قبل المرحوم السيد الرضى مثل كتاب« العقد الفريد» لابن عبد ربّه و« الاختصاص» للشيخ المفيد، والكتب التى الفت بعده« الكتب التى تفيد عباراتها أنّها نقلت الخطبة من مصادر أخرى غير نهج البلاغة» مثل« مطالب السؤال» لمحمد بن طلحة الشافعى، و« الاحتجاج» للطبرسى، و« ربيع الابرار» للزمخشرى مع اختلاف.

[۲۴۱] (۱)« عقدة»: ما حصل عليه« التعاقد» والمراد بها هنا الرأى الصحيح والعهد على الطاعة.

[۲۴۲] (۱)« ضلع»: من مادة« ضلع» على وزن سبب بمعنى الميل نحو الشيء، وتعنى هنا الشبه والمثل.

[۲۴۳] (۱)« داء»: من مادة« دوى» بمعنى المرض الشديد.

[۲۴۴] (۲)« كلت»: من مادة« كلول» على وزن ملول بمعنى الضعف.

[۲۴۵] (۳)« نزعة»: من مادة« تزع» على وزن جمع نازع بمعنى السحب.

[۲۴۶] (۴)« أشطان»: جمع« شطن» على وزن وطن الحبل الطويل الذى يسحب به الماء من البئر.

[۲۴۷] (۵)« ركى»: جمع« ركيّة» البئر.

[۲۴۸] (۶) بحار الانوار ۱۴/ ۳۲۳، ح ۳۶.

[۲۴۹] (۱)« هيجوا»: فعل مجهول من مادة« هيجان» وتعنى هنا أنّهم كانوا يندفعون إلى الجهاد.

[۲۵۰] (۲)« ولهوا»: من مادة« وَلَهَ» على وزن فرح شدّة الشوق أوالحزن.

[۲۵۱] (۳)« لقاح»: من مادة« لقوح» الناقة.

[۲۵۲] (۴)« اغماد»: جمع« غمد» على وزن هند موضع السيف.

[۲۵۳] (۵)« زحف»: تعنى فى الأصل المشى مع الثقل.

[۲۵۴] (۱)« مره»: أمره من مضت عينه أو وجعت.

[۲۵۵] (۲)« خمص»: جمع« أخمص» ضامر البطن.

[۲۵۶] (۳)« ذبل»: جمع« ذابل» الجفاف والتيبس.

[۲۵۷] (۴)« صفر»: جمع« أصفر» شاحب اللون.

[۲۵۸] (۵)« سهر»: البقاء واعياً فى الليل.

[۲۵۹] (۱)« يسنّ»: من مادة« سناء» بمعنى الضياء وإن استعملت فى باب التفعيل وردت بمعنى يسهّل.

[۲۶۰] (۱) سورة البقرة/ ۱۶۸.

[۲۶۱] (۲) سورة البقرة/ ۲۰۸؛ سورة الانعام/ ۱۴۲؛ سورة نور/ ۲۱.

[۲۶۲] (۳) سورة المائدة/ ۹۱.

[۲۶۳] (۴)« اصدقوا»: من مادة« صدق» على وزن عطف بمعنى الإعراض.

[۲۶۴] (۵) نزغات»: جمع« نزغة» على وزن ضربة وساوس.

[۲۶۵] (۶)« نفثات»: جمع« نفثة» تعنى هنا الوسوسة.

[۲۶۶] (۷)« اعقلوها»: من مادة« عقل» على وزن دغل احبسوها على أنفسكم لا تتركوها فتضيع منكم، والعقل‌ربط رجل الناقة.

[۲۶۷] (۱) سند الخطبة:

نقل المرحوم الطبرسى فى كتاب الاحتجاج أقصر ممّا ورد فى هذه الخطبة ممّا يدل على أنّه أخذها من مصدر آخر، وقال ابن أبى الحديد إنّ هذا الكلام وإن كان متصلًا لكنّه يتألف فى الواقع من ثلاثة أقسام منفصلة، وقد جرت عادة السيد الرضى على انتخاب الأفصح من الكلمات وحذف سائر الكلمات(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۷۱).

[۲۶۸] (۱)« نشد»: من مادة« نشد» بمعنى النداء والسؤال والطلب وهنا بمعنى الاستشهاد.

[۲۶۹] (۲) هل هذه الجملة للسيد الرضى أم كلام روای الخطبة الذى نقل عنه السيد الرضى، لا يعلم بالضبط، لكن من المسلم به أنّ كلام الإمام عليه السلام أكثر ممّا ورد فى نهج البلاغة وقد اعتاد السيد الرضى على اقتطاف أفصح وأبلغه.

[۲۷۰] (۳)« غيلة»: بمعنى« غدر».

[۲۷۱] (۴)« استقالوا»: من مادة استقالة بمعنى عودة الشىء.

[۲۷۲] (۵)« تنفيس»: بمعنى الكف والحل.

[۲۷۳] (۱) فى ضلال نهج البلاغة، للمرحوم محمد جواد مغنية، ذيل الخطبة التى بحثها ۲/ ۲۲۲.

[۲۷۴] (۱)« مضض»: الألم والحرقة.

[۲۷۵] (۲)« يلمّ»: من مادة« لمّ» على وزن غمّ بمعنى جمع، وتأتى أحياناً بمعنى الجمع والإصلاح.

[۲۷۶] (۳)« شعث»: وردت فى الأصل بمعنى ما يقع عليه الغبار، ثم يطلق على نوع من التشتت والتفرق.

[۲۷۷] (۴) سورة الحجرات/ ۹.

[۲۷۸] (۱) سند الخطبة:

يمكن التعرف على هذا الكلام بصورة متفرقة فى سائر الكتب، ومنها:

۱- الكافى فى باب فضل الجهاد.

۲- العقد الفريد لابن عبد ربه.

۳- الجمل للشيخ المفيد نقلًا عن كتاب الجمل للواقدى.

۴- الإرساد للشيخ المفيد.

۵- تجارب الامم لابن مسكويه طبق نقل تأسيس الشيعة.

۶- الآمالى للشيخ الطوسى.

(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۷۳).

[۲۷۹] (۱)« رباطة جأش»: جأش على وزن عرش والرباطة الربط بإحكام، فالمراد بالعبارة قوّة القلب عند لقاء العدو، حيث يراد بالجأش القلب والصدر.

[۲۸۰] (۲)« نجدة»: من مادة« نجد» على وزن مجد، بمعنى الشجاعة.

[۲۸۱] (۱) مرّ علينا بالتفصيل بحث الموت الحتمى والمعلّق فى المجلد الثالث من هذا الكتاب.

[۲۸۲] (۱)« ميتة»: بكسر الميم بمعنى كيفية الموت، والميتة بفتح الميم الشخص الميت(بدلًا من الالتفات هنا إلىميت مذكر ومؤنث ميتة).

[۲۸۳] (۱) مستدرك الوسائل ۱۱/ ۱۳، ح ۲۱.

[۲۸۴] (۲) المصدر السابق، ح ۲.

[۲۸۵] (۱)« كشيش الضباب»: بمعنى الصوت الذى لا يرتفع كثيراً ويطلق على صوت الضفدع، والضب وصوت الناقة.

[۲۸۶] (۱)« ضيم»: بمعنى الظلم.

[۲۸۷] (۲)« متلوم»: من مادة« تلوم» بمعنى الانتظار والتباطىء والتوقف.

[۲۸۸] (۱) سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة نصر بن مزاحم المتوفى عام ۲۰۲ ق فى كتاب صفين، كما نقلها المؤرخ المشهور الطبرى فى تاريخه عن أبى مخنف فى حوادث عام ۳۷ ه، كما وردت فى كتاب الجهاد عن الكافى وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۷۷).

[۲۸۹] (۱) سورة الصف/ ۴.

[۲۹۰] (۲) الكافى ۵/ ۳۹، ح ۴.

[۲۹۱] (۱)« الداع»: بمعنى لابس الدرع من مادة درع على وزن فعل.

[۲۹۲] (۲)« الحاسر»: من لا درع له من مادة حسر على وزن عصر بمعنى العرى.

[۲۹۳] (۳)« أضراس»: جمع« ضرس» على وزن حرس الإنسان وردت بمعنى سن العقل.

[۲۹۴] (۴)« أنبى : من مادة« نبو» على وزن عفو بمعنى عدم العمل.

[۲۹۵] (۵)« الهام»: جمع« هامة» على وزن قامة رأس الإنسان أو رأس أى موجود حى.

[۲۹۶] (۶)« التووا»: من مادة« التواء» بمعنى الانعطاف أو الميل لهذا الجانب وذاك.

[۲۹۷] (۷)« أمور»: من مادة« مور» على وزن غور بمعنى الحركة السريعة، كما وردت بمعنين الذهاب الإياب والاضطراب وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[۲۹۸] (۱) فسرّت هذه المفردة سابقاً.

[۲۹۹] (۲) منتهى الآمال، ج ۱، وقائع العام الهجرى الثانى.

[۳۰۰] (۳)« تخلّوا»: من مادة« تخلية» بمعنى الإخلاء والترك، وعليه فالصحيح فتح الخاء لأنّها من باب التفعيل.

[۳۰۱] (۴)« ذمار»: بكسر الذال ما يلزم الرجل حفظه وحمايته.

[۳۰۲] (۱)« الحقائق»: جمع« حاقة» على وزن جادة النازلة الشديدة.

[۳۰۳] (۲)« حفافى»: مثنى« حفاف» على وزن كتاب بمعنى جانب الشىء وحفافيها هنا إشارة إلى جانبى الراية يمينهاوشمالها.

[۳۰۴] (۳) الكامل لابن الأثير ۲/ ۲۱۹، وتفسير الثعلبى(طبق نقل غاية المرام،/ ۴۶۷) وصحيح مسلم، ج ۴ كتاب الفضائل الصحبة الحديث ۳۲؛ صحيح البخارى ۵/ ۱۷۱ باب غزوة خيبر(طبعاً ذكرت الجملة الأخيرة فقط بشأن على عليه السلام فى صحيح البخارى مسلم).

[۳۰۵] (۱) شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى ۱۳/ ۵۵۸.

[۳۰۶] (۲)« قرن»: الكفؤ وعدل الإنسان فى الشجاعة فى ميدان القتال ويطلق أحياناً القرن على كل كفو، وقد اشتق فىالأصل من قرن

بفتح القاف والاقتران الذى يعنى الاقتراب بين شيئين أو عدة أشياء، ومن هنا يقال للزمان الطويل قرن حيث تكون فيه طائفة من الأجيال مع بعضها.

[۳۰۷] (۳)« آسى»: من مادة« وسى» على وزن مشى بمعنى عاون والمواساة تعنى المعاضدة ومساعدة كل واحد الآخر.

[۳۰۸] (۱)« لهاميم»: جمع« لهموم» على وزن حلقوم الجواد السابق من الإنسان والخيل.

[۳۰۹] (۲)« سنام»: أعلى الجمل ثم اطلق على كل شىء بارز.

[۳۱۰] (۳)« موجدة»: من مادة« وجد» علث وزن نجد بمعنى الغضب، كما ورد بمعنى الحزن والمعنى الأول هو الأنسب هنا.

[۳۱۱] (۴)« محجوز»: من مادة« حجز» بمعنى المنع.

[۳۱۲] (۵) سورة آل عمران/ ۱۵۴.

[۳۱۳] (۶)« رائح»: من مادة« رواح» الاندفاع بسرعة خلف شىء.

[۳۱۴] (۷)« العوالى»: جمع« العالية» تعنى أسنة الرماح، كما تعنى الرمح.

[۳۱۵] (۱) نهج البلاغة، الرسالة ۲۳.

[۳۱۶] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۶ الحديث(الجنّة تحت ظلال السيوف)، كما ورد الحديث فى بحار الانوار ۹۷/ ۱۳.

[۳۱۷] (۱)« افضض»: من مادة« فضّ» على وزن خط بمعنى الهزيمة.

[۳۱۸] (۲)« أبسل»: من مادة« بسل» على وزن نسل بمعنى المنع من الشىء أو القهر والغلبة والإبسال بمعنى التسليم للهلكة والعبارة إشارة إلى هذا المعنى.

[۳۱۹] (۱)« دراك»: من مادة« درك» متتابع متوال وكأن كل واحد منهم يدرك الآخر ويصله، وعليه فانّ طعن الدراكبمعنى السهام التى تطلق تبعاً على العدو.

[۳۲۰] (۲)« يطيح»: من مادة« إطاحة» بمعنى الاسقاط.

[۳۲۱] (۳)« يندر»: من مادة« اندار» بمعنى يسقط، كما يطلق على طرح شىء من الحساب.

[۳۲۲] (۴)« مناسر»: جمع« منسر» على وزن محفل القطعة من الجيش تكون أمام الجيش العظيم ويطلق عليهاالطليعة، ومنسر على وزن منبر بمعنى منقار الطيور.

[۳۲۳] (۵)« كتائب»: جمع« كتيبة» طائفة من الجيش من مئة إلى ألف.

[۳۲۴] (۶)« الحلائب»: جمع« حليبة أو حلوبة» بمعنى الجماعة التى تجتمع على صوب، كما تطلق على الخيّالة.

[۳۲۵] (۷)« الخميس»: بمعنى الجيش الكامل الذى يتألف من خمسة أقسام، المقدّمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة.

[۳۲۶] (۸) سيأتى تفسير كلمة« تدعق» فى كلام السيد الرضى.

[۳۲۷] (۹) سيأتى تفسير كلمة« نواحر» فى كلام السيد الرضى.

[۳۲۸] (۱۰)« أعنان»: قال صاحب لسان العرب جمع« عنن» على وزن كفن بمعنى نواحى الشىء وأطرافه.

[۳۲۹] (۱۱)« مسارب»: جمع« مسربة» بمعنى المرعى وكذلك مسارح بمعنى المرعى، إلّاأن بعض شرّاح نهج البلاغة ذهب إلى أنّ المسارب ما يسرب فيه المال والمرعى، والمسارح ما يسرح فيه والفرق بين مسرح ومسرب أنّ السروح إنّما يكون فى أول النهار وليس ذلك بشرط فى السروب.(شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۹).

[۳۳۰] (۱) سند الخطبة:

تطرق المؤرخ المعروف الطبرى فى حوادث عام ۳۷ ه إلى هذه الخطبة وشأن صدورها وخلاصته أنّ الإمام عليه السلام أورد هذا الكلام فى الخوارج حين حاججهم ابن عباس، حيث أمر الإمام عليه السلام ابن عباس بالسكوت، ثم حمد اللَّه وأثنى عليه وقال لهم:

« من إمامكم؟ قالوا: ابن الكواء، قال: لم خالفتمونى، قالوا: لقبولك التحكيم فى صفين، فقال: ناشدتكم اللّه ألم تطالبونى بالكفّ عن القتال حين رفعت المصاحف على أسنة الرماح، فقلت: لكم إنى أعلم بهم منكم، فلا- دين لهم ولا- قرآن، فلم تسمعوا قولى وأبيتم إلّاالتحكيم فقبلت، لكنّى اشترطت عليهم أن يحكموا القرآن وإلّا لا نستجيب لحكمهم؟

قالوا: أمن العدل تحكيم الأفراد فى دماء المسلمين؟ قال عليه السلام: إننا لم نحكم الرجال بل حكمنا القرآن.

ثم أورد الطبرى جانباً من الخطبة، كما نقلها باختلاف طفيف السبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص، والمرحوم المفيد فى الإرشاد، والطبرسى فى الاحتجاج.

[۳۳۱] (۱)« مستور»: الشىء الخفى، إلّاأن هذه المفردة وردت مسطورة فى بعض النسخ من مادة سطر وردت صفةللخط فى العبارة وهى أنسب.

[۳۳۲] (۲)« دفتين»: مثنى« دفة» بمعنى جانب كل شىء ويقال دفتين لجانبى الكتاب أو القرآن.

[۳۳۳] (۱) سورة الحجرات/ ۹.

[۳۳۴] (۲) سورة النساء/ ۵۹.

[۳۳۵] (۱) كما ورد فى سند هذه الخطبة.

[۳۳۶] (۲) مسند الإمام الشهيد ۲/ ۴۳، وقد نقل هذا الأمر فى الأصل مقتل الحسين، للمقرّم وقد نقله عن تذكرة الخواص لابن الجوزى(مقتل الحسين/ ۲۳۳).

[۳۳۷] (۱) سورة يوسف/ ۶۷.

[۳۳۸] (۱)« يتثبت»: من مادة« ثبت» بمعنى التحقيق.

[۳۳۹] (۲)« هدنة»: من مادة« هدون» على وزن قرون بمعنى الهدوء والسكون، وتستعمل عادة بمعنى المصالحة بعدالقتال أو وقف اطلاق النار.

[۳۴۰] (۳)« أكظام»: جمع« كظم» على وزن عزم وجمع كظم على وزن قلم بمعنى مخرج النَفَس.

[۳۴۱] (۴) منهاج البراعة، للعلّامة الخوئى ۸/ ۱۸۰.

[۳۴۲] (۵)« كرث»: من مادة« كرث» بمعنى شدّة الغم.

[۳۴۳] (۱) سورة النساء/ ۱۵۰.

[۳۴۴] (۲) شرح نهج البلاغة، للمرحوم التسترى ۱۰/ ۲۶۳؛ تاريخ الطبرى ۴/ ۵۰ طبعة الأعلمى بيروت.

[۳۴۵] (۳)« يتاه»: من مادة« تيه» على وزن قيد بمعنى الحيرة والاضطراب، ويقال التيه للصحراء التى يحتار فيها الإنسان.

[۳۴۶] (۴)« اتيتم»: من مادة« إتيان» لها معانى مختلفة وتعنى هنا الانخداع والتسليم للباطل.

[۳۴۷] (۵)« موزعين»: من مادة« ايزاع» بمعنى التشجيع وإيجاد الرغبة فى شىء وترد بمعنى الإلهام والتوفيق، والمعنى الأول هو ا لمراد بها فى هذه العبارة.

[۳۴۸] (۶)« نكب»: جمع« ناكب» من مادة نكب على وزن نفى الانحراف عن الشىء.

[۳۴۹] (۱)« زوافر»: جمع« زافرة» من مادة على وزن فقر بمعنى الألم والصراخ، ولما كان أعوان الإنسان بصفتهمالمواسين فى الألم والأنين فقد اطلقت مفردة الزافرة على النصير وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[۳۵۰] (۲)« حشاش»: جمع« حاش» من مادة حش على وزن شك بمعنى إيقاد النار، والمراد بها هنا الأفراد الذين يسددون أولى الضربات للعدو.

[۳۵۱] (۳)« برح»: بفتح الباء الشدّة والغضب.

[۳۵۲] (۴)« نجاء»: ونجوى الهمس فى الاذن والشىء الذى يقال للآخرين سراً.

[۳۵۳] (۱) ورد فى أغلب التواريخ أنّ كتّاب الإمام عليه السلام كتبوا أميرالمؤمنين إلى جانب إسمه، فاعترض عمرو بن‌العاص وقال: لو علمناك أميراً للمؤمنين فلابد أن يكون من يعاديك أميراً للفاسقين، لابدّ من محو هذه الكلمة، فأطرق على عليه السلام وذكر صلح الحديبية فقال:« اللَّه أكبر لقد كتبت محمد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فاعترض الكفّار وطالبوا بمحو رسول اللَّه، فلم أفعل، فأشار علىَّ النبى أن أمحوها ثم محاها بنفسه دفعاً للفتنة، فغضب عمرو بن العاص وقال تشبهنا بالكفّار فلن أبق فى هذا المجلس- فقال عليه السلام: أسأل اللَّه أن يطهر مجلسى من مثلك، ثم استمر الكلام حول كتابة لقب أمير المؤمنين حيث رأى البعض عدم محوها وإن شهرت السيوف، ولكن محيت تلك الكلمة آخر الأمر(انظر تاريخ الطبرى ۴/ ۳۷ والتواريخ الأخرى).

[۳۵۴] (۲) بحار الانوار ۳۲/ ۵۴۲؛ وقد ورد هذا العهد فى تاريخ الطبرى ۴/ ۳۸ مع بعض الاختلاف.

[۳۵۵] (۱) سورة سبأ/ ۲۴.

[۳۵۶] (۱) سورة الأحزاب/ ۲۱.

[۳۵۷] (۲) سورة المائدة/ ۹۰.

[۳۵۸] (۳) الاحتجاج للطبرى ۱/ ۴۴۲،(يتصرف ونقل بالمعنى) ووردت فى مناقب ابن المغازلى/ ۴۰۶ مع اضافة، وبحار الانوار ۳۳/ ۳۷۷ مع اختلاف.

[۳۵۹] (۱) سند الخطبة:

هذه الخطبة جزء من خطبة طويلة للإمام عليه السلام فى تقسيم بيت المال لما اعترض عليه، ويبدو أنّها مرتبطة بالخطبة ۱۴۲، والجزءان من خطبة واحدة، وقد نقلها الكثيرون ممن عاشوا قبل السيد الرضى وبعده ومنهم: ابن قتيبة فى الإمامة السياسة، وابن شعبة فى تحف العقول، والكلينى فى فروع الدين، والشيخ المفيد فى كتاب المجالس، والمرحوم الشيخ الطوسى فى كتاب الآمالى(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۸۲).

[۳۶۰] (۱)« أطور»: من مادة« طور» على وزن غور بمعنى حام حول الشىء، والمفردة طور وجمعها أطوار وردت‌بمعنى نوع وحالة وصيغة.

[۳۶۱] (۲)« سمير»: من مادة« سمر» على وزن تمر حديث الليل، وقال البعض أن المعنى الأصلى لهذه المادة هو الاختلاط بالنور والظلمة، ولما كانت أحاديث الليل تتم أحياناً فى ظلّ النور، فقد ستخدمت هذه المفردة بشأن أحاديث الليل، وإن اطلق الأسمر على بعض الأفراد فذلك لأنّ بياض بشرتهم مشوب باللون الغامق.

[۳۶۲] (۳)« أمّ»: من مادة« أم» على ورن غم بمعنى القصد، والعبارة(ما أمّ نجم فى السماء نجماً) كناية عن طلوع النجوم وغروبها متتابعة، وكأنّ كل نجم يقصد متابعة الآخر.

[۳۶۳] (۱)« خدين»: من مادة« خدن» بمعنى الصداقة وخدن على وزن اذن بمعنى الصديق وجمع ذلك أخدان.

[۳۶۴] (۱) مرّت تفاصيل ذلك فى شرحنا للخطبة الشقشقية.

[۳۶۵] (۲) انظر الخطبة ۲۳۲.

[۳۶۶] (۳) ابو عبدالرحمن السلمى من مشاهير التابعين، ولم يكن من الصحابة وقال البعض كان بادىء الأمر من‌خواص أميرالمؤمنين عليه السلام(الكنى والالقاب).

[۳۶۷] (۴) كتاب منتخب ذيل المذيل، ص ۱۴۷ نقلًا عن العلّامة التسترى فى شرحه لنهج البلاغة ۶/ ۴۹۱.

[۳۶۸] (۱) ورد عن معاوية أنّه قال:« واللَّهِ لأستَمِيلنّ بالأموالِ أَهلَ ثُقاتِ علىٍّ ولاقسِمَنَّ فِيهِم المالَ حتّى تَغلِبَ دُنياىعَلَى آخِرَتِهِ» شرح نهج البلاغة للعلّامة التسترى ۶/ ۴۹۱.

[۳۶۹] (۱) سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة المؤرخ المعروف الطبرى فى حوادث سنة ۳۷ ه عن أبى مخنف باختلاف طفيف، وابن الأثير فى كتاب النهاية وأشار إلى المفردة(بجر).(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۸۵).

[۳۷۰] (۱)« عواتق»: جمع« عاتق» قسم من الجسم يقع بين الرقبة والكتف.

[۳۷۱] (۱) أصول الكافى ۲/ ۳۸۹، باب وجوه الكفر، ح ۱.

[۳۷۲] (۱) سورة التوبة/ ۶.

[۳۷۳] (۲) سرح ابن أبى الحديد ۲/ ۲۷۹- ۲۸۱.

[۳۷۴] (۳) انظر نفحات الولاية ۲/ ۳۷۷.

[۳۷۵] (۱) وسائل الشيعة ۱۷/ ۳۷۷.

[۳۷۶] (۱) سورة المجادلة/ ۱۹.

[۳۷۷] (۱) سورة الكهف/ ۱۰۳- ۱۰۴.

[۳۷۸] (۲) الاستيعاب ۳/ ۳۶.

[۳۷۹] (۳) شرح نهج البلاغة لمغنية ۲/ ۲۴۷، كما وردت فى كتاب الغدير عدّة روايات من المصادر المعتبرة للعامّة بخصوص معرفة المؤمن يحبّ على عليه السلام والمنافق ببغضه(الغدير ۳/ ۱۸۳).

[۳۸۰] (۱)« النمط»: هو الطائفة من الناس التى لها هدف واحد، كما تستعمل هذه المفردة أحياناً بمعنى الاسلوب‌والطريق.

[۳۸۱] (۲) بحار الانوار ۶/ ۱۷۸.

[۳۸۲] (۳)« السواد»: تعنى فى الأصل اللون الأسود، ولما كانت الجماعة الكثيرة والأشجار المتشابكة والكثيرة تبدوسواء من بعيد فقد وردت هذه المفردة بهذين المعنيين، وقد جاءت فى هذه الخطبة بمعنى الجماعة.

[۳۸۳] (۴)« شاذ»: من مادة« شذوذ» بمعنى القلّة والندرة ويطلق الشاذ على من يتخلف عن الجماعة وينفرد لوحده.

[۳۸۴] (۵) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۱۲۳.

[۳۸۵] (۱) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ۱۰۹.

[۳۸۶] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۱.

[۳۸۷] (۲) سورة المائدة/ ۱۰۸.

[۳۸۸] (۱) مروج الذهب، طبق نقل سفينة البحار مفردة الخوارج.

[۳۸۹] (۲) قاموس دهخدا، ذيل مفردة الخوارج.

[۳۹۰] (۱) الملل والنحل لآية اللّه السبحانى ۵/ ۲۴۲ و ۲۴۹.

[۳۹۱] (۱)« بجر»: بضم الباء الشر والأمر العظيم، كما ورد بمعنى اتساع البطن وملأها.

[۳۹۲] (۲)« ختلت»: من مادة« ختل» على وزن قتل بمعنى المكر والخداع.

[۳۹۳] (۳)« الصمد»: بمعنى المكان المرتفع، كما يرد بمعنى القصد وعدم الاعتماد وهذا هو المعنى المراد فى العبارة.

[۳۹۴] (۴)« سوء»: مفتوح مفعول سبق الذى ورد فى أول العبارة ومفهوم الجملة قبل أن يبدى هؤلاء الرأى الظالم والفاسد قد اشترطنا عليهم إننا سوف لن نقبل رأيهم إن حاد عن الحق.

[۳۹۵] (۱) ورد شبه هذا المعنى مع إختلاف طفيف فى الخطبة ۱۷۷.

[۳۹۶] (۲) دومة الجندل منطقة قرب تبوك انتخبت كموضع للتحكيم.

[۳۹۷] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱۰/ ۵۶ بتصرف.

[۳۹۸] (۱) سند الخطبة:

جاء فى كتاب مصادر نهج البلاغة أنّ هذا الكلام جزء من خطبة طويلة لإمام عليه السلام فى البصرة بعد موقعة الجمل، وقد نقل المرحوم ابن ميثم البحرانى فى‌شرح نهج البلاغة أجزاء منها، والمخاطب هو الأحنف بن قيس من أشراف قومه والمعروف بحكمته وسابقته، وترتبط هذه الخطبة بالخطبة رقم ۱۱۰ التى شرحت سابقاً(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۸۸).

[۳۹۹] (۱) المراد بالأحنف بن قيس من أشراف البصرة وأحد صحابة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وورد فى الحديث أنّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله سأل اللَّه له المغفرة، فكان يثق بدعائه رغم أنّه رجل شريف وكريم، كما وجهه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى البصرة لنشر الإسلام، شهد صفين فى عسكر أمير المؤمنين على عليه السلام ولم يشهد الجمل بوصيّة منه عليه السلام حيث قال: إن لم أشهد المعركة فلى أن أمنع عنك ستة آلاف سيف فوافقه عليه السلام.

سفينة البحار مادة حنف واسد الغابة ۱/ ۵۵، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۲/ ۲۴۹.

[۴۰۰] (۲)« لجب»: بمعنى الصياح وتطلق أحياناً على أصوات الخيل والمقاتلين.

[۴۰۱] (۳)« قعقعة»: الصوت الذى ينبعث من احتكاك الأشياء اليابسة كالجام الذى ورد فى الخطبة.

[۴۰۲] (۴)« حمحمة»: بمعنى صوت الفرس التى لا تبلغ الصهيل المرتفع.

[۴۰۳] (۵)« نعام»: حويان المعروف.

[۴۰۴] (۱)« كاب»: من مادة« كب» على وزن خط تعنى فى الأصل طرح الشىء على وجهه فى الأرض.

[۴۰۵] (۱) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۷۷.

[۴۰۶] (۱) بحار الانوار ۶۳/ ۱۹۷.

[۴۰۷] (۲) مروج الذهب ۴/ ۱۲۰.

[۴۰۸] (۳) الكنى والألقاب ۲/ ۴۰۲.

[۴۰۹] (۴) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۱۲۸.

[۴۱۰] (۵) المصدر السابق.

[۴۱۱] (۱)« المجان»: جمع« مجن» ومجنة الترس.

[۴۱۲] (۲)« المطرقة»: من مادة« طرق» على وزن برق بمعنى دق الشىء بالمطرقة أو مطلق الدق، وعليه فالمطرقة الشىء الذى دقّ بالمطرقة.

[۴۱۳] (۱)« السرقة»: بمعنى الحرير الفاخر أو الحرير الأبيض، وقال أغلب أرباب اللغة أصلها فارسى أخذ من السرّه بمعنى الحسن والخالص.

[۴۱۴] (۲)« الديباج»: بمعنى القماش الحريرى الملون، كما يستعمل أحياناً بمعنى كل قماش حسن النقش، وأصله فارسى أيضاً.

[۴۱۵] (۳)« يعتقبون»: من مادة« اعتقاب» يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

[۴۱۶] (۴)« اعتاق»: جمع« عتيق» بمعنى كل شىء حسن وقيّم وتستعمل فى الخيل الأصيلة.

[۴۱۷] (۵)« استحرار»: من مادة« حرارة» بمعنى الشدّة والحدّة.

[۴۱۸] (۶)« المفلت»: من مادة« فلت» على وزن فرد بمعنى الهروب والفرار وتطلق مفردة المفلت على من ينجو من الشدّة.

[۴۱۹] (۷)« المأسور»: بمعنى الأسير.

[۴۲۰] (۸) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۸/ ۲۱۸.

[۴۲۱] (۱) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۸/ ۲۱۸- ۲۵۲، وقاموس دهخدا مفرد المغول.

[۴۲۲] (۱) سورة لقمان/ ۳۴.

[۴۲۳] (۲)« يعى»: من مادة« وعى» على وزن سعى بمعنى حفظ الشىء فى القلب، أو بعبارة أخرى التعلم والايداع فىالحافظة.

[۴۲۴] (۳)« تضطم»: من مادة« ضم» بمعنى جمع الشىء.

[۴۲۵] (۴)« جوانح»: جمع« جانحة» الأضلاع تحت الترائب ممّا يلى الصدر.

[۴۲۶] (۱) تفسير نور الثقلين، ووردت أحاديث سبعة أقلّاً فى هذا المضمار فى ذيل الآية الشريفة.

[۴۲۷] (۱) اصول الكافى ۱/ ۲۵۷، ح ۳ من باب« نادر فيه ذكر الغيب».

[۴۲۸] (۱) سند الخطبة:

ورد فى مصادر نهج البلاغة أنّ هذه الخطبة وإن كانت فى رعاية العدل فى الكيل والميزان، لكن لا يرى مطلب بهذا الخصوص فى هذه الخطبة سوى إشارة قال فيها الإمام عليه السلام:« اين المتورعون فى مكاسبهم»، وهذا يدلّ على أنّها جزء من خطبة طويلة أشارت إلى هذه المسألة المهمة، إلّاأنّ المرحوم السيد الرضى كعادته يختار منها ويترك بقيتها، رواها الزمخشرى فى« ربيع الأبرار»، كما ورد قسم منها فى« غرر الحكم»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۹۰).

[۴۲۹] (۲) مكاييل جمع مكيال، والموازين جمع الميزان.

[۴۳۰] (۱)« أثوياء»: جمع« ثوى» على وزن قوى بمعنى الضيف وفى الأصل من مادة« ثواء» بمعنى الإقامة فى مكان.

[۴۳۱] (۲) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۸/ ۲۴۷.

[۴۳۲] (۳)« دائب»: من مادة« دؤوب» على وزن غروب المداوم فى العمل.

[۴۳۳] (۴)« كادح»: من مادة« كدح» على وزن مدح الساعى بجهد ومشقة فى القيام بعمل.

[۴۳۴] (۱)« فريسة»: من مادة« فرس» على وزن قرض بمعنى الصيد.

[۴۳۵] (۲) اصول الكافى ۸/ ۵۵۱.

[۴۳۶] (۳)« طرف»: وردت أحياناً بمعنى العين، وأخرى حركة جفن العين، كما استعملت بمعنى النظر لأنّ الأجفانتتحرك حين النظر.

[۴۳۷] (۴)« يكابد»: من مادة« كبد» بمعنى تحمل المشقة وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة، كما وردت بمعنى الجعل فى المشقة.

[۴۳۸] (۵)« الوفر»: بمعنى الوفير والكثير.

[۴۳۹] (۱)« الوقر»: بمعنى الثقل.

[۴۴۰] (۲)« طرف»: وردت أحياناً بمعنى العين، وأخرى حركة جفن العين، كما استعملت بمعنى النظر لأنّ الأجفانتتحرك حين النظر.

[۴۴۱] (۱)« سمحاء»: جمع« سميح» الشخص الرؤوف وصاحب الكرم، وقيل من يبذل حين وفرة النعمة وضيقها.

[۴۴۲] (۲)« متورع»: من مادة« ورع» بمعنى اجتناب الذنب والشبهة.

[۴۴۳] (۱)« ظعنوا»: من مادة« ظعن» السفر والرحيل.

[۴۴۴] (۲)« المنغصة»: من مادة« نغص» على وزن نقص الكدر وعدم الصفاء ماء الشرب، ثم اطلقت على كدورة العيش ومنه العيش المنغص.

[۴۴۵] (۳) وردت هذه المفردة فى أغلب شروح نهج البلاغة خلقتم التى لا- تختلف كثيراً عن« خُلِّفتُم» كما لم تذكر إلّافى العبارة إلّابذمهم.

[۴۴۶] (۴)« حثالة»: تعنى فى الأصل راسب الدهن ثم استعملت بشأن الأفراد الأراذل الذين لا شخصية لهم.

[۴۴۷] (۱) بحار الانوار ۶۶/ ۷۲، ح ۲۶.

[۴۴۸] (۲) كنز العمال ۳/ ۶۶، ح ۵۵۲۲.

[۴۴۹] (۱) سند الخطبة:

ذكرها المرحوم الكلينى فى كتاب« روضة الكافى» باختلاف طفيف ويستفاد من ذيلها أن ليس على عليه السلام شيعه إلى الربذة فقط، بل شيعه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام وعمار(وعقيل حسب بعض الروايات)، وبعبارات رائعة سيأتى بيانها فى الأبحاث القادمة(الكافى ۸/ ۲۰۶، ح ۲۵)، قال صاحب مصادر نهج البلاغة بعد الإشارة إلى رواية الكافى نقلها ابن أبى الحديد عن كتاب« السقيفة» لأحمد بن عبدالعزيز الجوهرى(مصار نهج البلاغة ۲/ ۲۹۱).

[۴۵۰] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۲۵۲.

[۴۵۱] (۱) وعليه تفسير« ما» بالموصولة بمعنى الدين لأنّهم أرادوا أن يستفيدوا من دين أبى ذر لصالح دنياهم، فحال‌أبو ذر دون ذلك، كما يحتمل أن يكون الدين بصورة مطلقة، إلّاأنّ هناك تقديراً فى العبارة حيث يكون المعنى ما أحوجهم إلى الدين، الدين الذى حذرت عليه من إفسادهم له.

[۴۵۲] (۲)« رتق»: إلتحام شيء بآخر وتعنى فى العبارة إغلاق طرق الخلاص والفرار.

[۴۵۳] (۳) سورة الطلاق/ ۲- ۳.

[۴۵۴] (۱)« قرضت»: من مادة« قرض» تعنى فى الأصل قطع الشيء ومن هنا يقال المقراض للمقص، كما يقال‌القرض لما يعطى من مال، ووردت فى العبارة المذكورة بمعنى قطعت منها جزءاً من المال لنفسك، ومهادنة الظالمين.

[۴۵۵] (۲) روت أغلب المصادر« جندب وجنادة» بضم الجيم، وكنيته أبو ذر، حيث كان له ولد بهذا الاسم.

[۴۵۶] (۱) بحار الانوار ۲۲/ ۲۹۸.

[۴۵۷] (۲) سورة التوبة/ ۳۴.

[۴۵۸] (۱) بحار الانوار ۲۲/ ۳۹۸.

[۴۵۹] (۲) ورد فى معجم البلدان أنّ الربذة من القرى الواقعة أطراف المدينة حيث تبعد عنها ثلاثة أميال(حدود ۱۵۰ كيلومتر).

[۴۶۰] (۳) لخصت هذه المطالب من عدّة كتب معروفة كشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، وشرح المرحوم التسترى، وشرح المرحوم الخوئى، وبحار الانوار.

[۴۶۱] (۴) الأعلام للزركلى، ذيل كلمة جندب.

[۴۶۲] (۱) الغدير ۸/ ۳۴۳.

[۴۶۳] (۲) سورة النور/ ۳۳.

[۴۶۴] (۳) سورة التوبة/ ۳۴.

[۴۶۵] (۴) الغدير ۸/ ۳۱۲ و ۳۶۳.

[۴۶۶] (۱) الأعلام للزركلى ۲/ ۱۴۰.

[۴۶۷] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۲۵۷.

[۴۶۸] (۲) اسد الغابة ۱/ ۳۰۱.

[۴۶۹] (۱) الكافى ۸/ ۲۰۸، بتصرف، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۲۵۳.

[۴۷۰] (۱) سند الخطبة:

أشار ابن الجوزى فى« تذكرة الخواص» إلى هذه الخطبة وقال: ابتدأ الإمام هذه الخطبة حين استوى على منبر الكوفة بالقول: الحمد للّه‌وأومن به ثم خطب الخطبة، وأورد القاضى نعمان الفصل الأخير من الخطبة فى المجلد الثانى من« دعائم الإسلام»، كما أشار إلى

بعضـها ابن أثير فى« النهاية» فى مادة ظار ومادة دعا(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۹۵) وتدلّ هذه المصادر على أنّ الخطبة وردت فى عدّة كتب قبل السيد الرضى.

[۴۷۱] (۱)« أظـأر»: من مـادة« ظأر» على وزن ضـرب تعنى فى الأصل المراقبـة والمواظبـة على الشـىء ولما كان عمل القابلـة الإرضاع ومراقبة الطفل فقد استعملت هذه المفردة لها.

[۴۷۲] (۲)« المعزى»: بمعنى السخلة فى مقابل الضأن بمعنى الخروف.

[۴۷۳] (۳)« وعوعة»: بمعنى الضراخ والضجة والزئير، وتطلق على الأموات المتداخلة.

[۴۷۴] (۴)« اطلع»: لها معنى اللازم وهو الطلوع والظهور وكذلك معنى المتعدى، وهنا بالنظر لسرار مفعولها فقد وردت متعدية، والباء فى بكم للاستعانة أو السبب.

[۴۷۵] (۵)« سرار»: من مادة« سر» تعنى فى الأصل آخر ليلة من الشهر« ليلة المحاق التام) ويراد بها شدّة الظلمة.

[۴۷۶] (۱)« منافسـة»: تعنى فى الاصـل سـعى فردين يريـد كل منهما الظفر بشـىء نفيس يمتلكه الآخر، فالواقع هى مسابقـة شـريفة بين فردين من أجـل بلوغ كمـال من الكمالات، ولكن قـد تسـتعمل هـذه المفردة فى الموارد السـلبية، كمـا تسـتعمل بشـأن الأفراد الـذين يتسابقون من أجل نيل المال والمقام، والمراد بها فى الخطبة المعنى الثانى.

[۴۷۷] (۱) يبدو أنّ هذه المفردة« لَنَرِدَ» من مادة وورد قد وردت خطأ فى نسـخة نهج البلاغة لصبحى والصحيح لنردبالتشديد من مادة الرد بمعنى الإعادة، كما وردت كذلك فى أغلب نسخ نهج البلاغة.

[۴۷۸] (۲) سورة الجمعة/ ۲.

[۴۷۹] (۳) سورة الحديد/ ۲۵.

[۴۸۰] (۴) سورة الحج/ ۴۱.

[۴۸۱] (۱) ورد شـرح إسـلام على عليه السـلام وأنّه أول من أسلم فى أغلب مصادر الفريقين والرد على التخرصات فى المجلد الثالث من هذا الكتاب، والمجلد التاسع، ص ۳۲۶ من نفحات القرآن.

[۴۸۲] (۱)« النهمة»: تعنى فى الأصل الحاجة وشدّة الحب لشىء والمبالغة فى الحرص عليه.

[۴۸۳] (۱)« الجافى»: من مادة« جفاء» تعنى قى الأصل العنف وأخذ الشىء.

[۴۸۴] (۲) سورة آل عمران/ ۱۵۹.

[۴۸۵] (۳)« الحائف»: من مادة« حيف» بمعنى الظلم والجور وتعنى فى الأصل الانحراف فى الحكم التمييز.

[۴۸۶] (۴)« دول»: جمع« دولة» بمعنى المال.

[۴۸۷] (۵)« المقـاطع»: جمـع« مقطـع» بمعنى أخر كـل شـىء، كمـا تطلق هـذه المفردة أحيانـاً على الحـدود الإلهيّـة الـتى تنتهى بجرم المجرمين وقد وردت بهذا المعنى فى العبارة، وفى إشارة إلى أنّ القاضى إن كان مرتشياً فانّه لا يأذن باجراء حدود اللّه تعالى.

[۴۸۸] (۱) سند الخطبة:

نقلها بصورة متفرقـة الآمـدى- من علماء القرن الخامس- فى كتاب« الغرر»، ويفهم من اختلافها مع ما ورد فى نهـج البلاغـة أنّها كانت فى مصدر آخر غير نهج البلاغة، كما أشار ابن الأثير المتوفى عام ۶۰۶ ه فى« النهاية» إلى جوانب من هذه الخطبة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۹۸).

[۴۸۹] (۱) اللام فى« خفية» بمعنى فى أو بمعنى مع وكذلك اللام فى« لكل سريرة».

[۴۹۰] (۲)« نجيب»: من مادة« نجابة» الإنسان أوالشىء المصطفى والنفيس.

[۴۹۱] (۳)« بعيث»: من مادة« بعثة» بمعنى مبعوث.

[۴۹۲] (۱) اسـمع فعل وداعى فاعل وضـميره يعود إلى الموت ومفعوله محذوف وهو جميع الناس، أى إنّ داعى الموت أوصل صوته ليسمع الجميع.

[۴۹۳] (۲)« حادى»: من مادة« حداء» من يسوق الجمال بسرعة والعبارة فعل وفاعل ومفعول محذوف كالجملة السابقة.

[۴۹۴] (۱) هذه الأنواع العشـرة من التأكيد هى:« ان» وضـمير الشأن« إن» اعتبرنا الضـمير فى« أنّه» ضمير الشأن والجملةالاسمية والقسم بلفظ الجلالة والجد والألف واللام التى دخلت عليه ولا اللعب والحق ولا الكذب والاستفادة من الحصر فى العبارة(ما هو إلّا ...).

[۴۹۵] (۲)« ازعج»: من مادة« ازعاج» بمعنى الاقتلاع والاخراج.

[۴۹۶] (۱)« مشـد»: من مـادة« شـيد» على وزن بيـد، لها معنيان: الأول بمعنى الارتفاع والآخر بمعنى الجص ومن هنايطلق على القصور المرتفعـة والعاليـة التى تعانق السـماء باقصور المشـيدة، كما تطلق على القصور المحكمـة لتبقى محصـنة من حوادث الـدهر(فى مقابل مساكن المستضعفين التى تبنى عادة من الطين).

[۴۹۷] (۱)« برز»: من مادة« بروز» بمعنى الظهور والسـبقة، وتوضـيح ذلك أنّ هـذه المفردة تكون أحياناً على هيئـة ثلاثى مجرّد(على وزن ضـرب) بمعنى الظهور، وأحيانـاً أخرى من بـاب تفعيـل(على وزن صـرّف) بمعنى السـبقة، وقـد اسـتعملت فى العبارة الثانى، وإن وردت بصيغة الثلاثى المجرد فى بعض النسخ.

[۴۹۸] (۲)« مهل»: له معنى الاسم المصدرى وتعنى الوفق والمداراة، كما تستعمل بمعنى الفرصة للقيام بالعمل الصالح.

[۴۹۹] (۳)« هبـل»: نعنى أحيانـاً الهلكـة وفقـدان الشـىء أحيانـاً، وأخرى بمعنى الغنيمـة والاهتبـال بمعنى الخدعـة، كمـايعنى الاغتنام والاستيلاء على شىء، والمعنى الثانى هوالمراد بالعبارة.

[۵۰۰] (۱)« أوفاز»: جمع« وفز» على وزن نبض السرعة والعجلة والاستعداد للسفر.

[۵۰۱] (۲)« الزيّال»: بمعنى الفراق والعبارة« قربوا الظهور للزيّال» تعنى أعـدوا المراكب للرحيل من الدنيا ولازمةذلك الإتيان بالأعمال الصالحة والتوبة من الذنوب وأداء حقوق المخلوق والخالق.

[۵۰۲] (۱) سند الخطبة:

لم يجـد كاتب مصادر نهـج البلاغـة سـنداً آخر لهـذه الخطبـة، سوى ما قاله ابن أبى الحديد من أنّ ما ورد فى هذه الخطبة جزء اقتطفه السـيد الرضى من خطبة طويلة، فيراه دليلًا على أنّه أصل الخطبة وإن لم يشر إلى سندها، ولكن يحتمل أن يكون كلام ابن أبى الحديد استنباطاً لهذه الخطبة فى نهج البلاغة، لأنّ السيد الرضى بيّن من خلال تعبيره« منها ومنها» والذى كرره فى هذه الخطبة أنّه قطعها، كما أنّ عدم إرتباط أجزائها يفيد أنّ أصل الخطبة طويل جدّاً، وقد ذكرها الآمدى فى« الغرر» ويحتمل أنّه نقلها من مصدر آخر.

[۵۰۳] (۱)« أزمة»: جمع زمام اللجام.

[۵۰۴] (۲)« مقاليـد»: قال أغلب أرباب اللغة مقليد وقال البعض الآخر جمع مقلاد بمعنى مفتاح، وقال صاحب« لسانالعرب» أنّ أصـلها فارسـى كليد الذى يعنى المفتاح، كما قال صاحب« لسان العرب» تأتى أحياناً بمعنى الخزائن إلّاأنّ المعنى الأول أنسب وأكثر إنسـجاماً مع العبارة أزمة فى الجملة السابقة وقذفت فى هذه الجملة.

[۵۰۵] (۳)« غدو»: جمع« غدوة» بمعنى الصـباح، و« الآصال» جمع أصل على وزن رسل وهى جمع من مادة أصل بمعنى العصـر وآخر النهار واعتبر بعض أرباب اللغة الآصال والأصل جمع أصيل.

[۵۰۶] (۱) سورة الرحمن/ ۶.

[۵۰۷] (۲)« قـدحت»: من مادة« قـدح» على وزن مـدح بمعنى ضـرب الحجر بالسـندان لتوليد شـعلة النار والتى كانت شائدة سابقاً، ثم وردت بمعنى اشتعلت.

[۵۰۸] (۳)« قضبان»: جمع قضيب بمعنى عضن الشجرة وقضب على وزن نبظ بمعنى الفاكهة.

[۵۰۹] (۴)« يانعة»: من مادة« ينع» على وزن منع بمعنى نضج الفاكهة.

[۵۱۰] (۵) سورة القصص/ ۷۰.

[۵۱۱] (۶) سورة الزمر/ ۶۳.

[۵۱۲] (۷) سورة الحج/ ۱۸.

[۵۱۳] (۱) سورة يس/ ۸۰.

[۵۱۴] (۲) سورة الانعام/ ۱۴۱.

[۵۱۵] (۱)« أظهر»: جمع« ظهر» كل شيء، والتعبير بين أظهركم تعنى فى أغلب الموارد الدفاع عن الشيء، وذلك لأنّالأفراد إن أرادوا الدفاع عن منطقة ولوا إليها ظهورهم وإلتفوا حولها واستقبلوا العدو، ثم استعملت هذه المفردة حين يكون الشخص وسط جماعة سواء دافعوا عنه أم لم يدافعوا، وهذا هوالمعنى المراد بها فى العبارة.

[۵۱۶] (۲)« يعيى»: من مادة« عى» على وزن حى بمعنى التعب والعجز، وقال الراغب فى المفردات تعنى فى الأصل العجز الذى يعرض لجسم الإنسان إثر كثرة المشى، ثم اطلقت على كل تعب وعجز.

[۵۱۷] (۳) ورد هذا الكلام فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:« هو فى كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»(بحار الانوار ۲/ ۲۸۰).

[۵۱۸] (۱) سورة آل عمران/ ۱۶۰.

[۵۱۹] (۱)« فترة»: وفتور تعنى فى الأصل الهدوء والاستقرار وتأتى أحياناً بمعنى الضعف والفتور، وتطلق على الفاصلة بين حركتين أو حادثتين أو انقلابين، ومن هنا عبروا بالفترة عن الفاصلة بين ظهور الانبياء.

[۵۲۰] (۲)« قفى»: من مادة« قفا» بمعنى ظهر، كما ورد بمعنى خلف الشيء فى المجيء.

[۵۲۱] (۳)« العادلين»: جمع« عادل» من مادة عدل على وزن فكر بمعنى المعادل والشبيه والمثيل وإن وردت من مادة عدل على وزن نظم عنت العدالة، ومن مادة العدول بمعنى الانحراف والرجوع عن الشيء، وعليه فالعادل على ثلاثة معانى، وأريد بها المعنى الأول فى الخطبة(لابدّ من الالتفات إلى أنّ المعنى الأول يتعدى عادة بالباء والمعنى الثالث بواسطة عن).

[۵۲۲] (۱) سورة البقرة/ ۲۵۶.

[۵۲۳] (۱) سورة الروم/ ۷.

[۵۲۴] (۲) سورة البقرة/ ۱۹۷.

[۵۲۵] (۱) نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۴.

[۵۲۶] (۲) بحار الانوار ۴۴/ ۳۸۳.

[۵۲۷] (۳) نهج البلاغة، قصار الكلمات ۴۱۵.

[۵۲۸] (۱) سورة الجمعة/ ۶.

[۵۲۹] (۲) سورة الواقعة/ ۸۸- ۸۹.

[۵۳۰] (۳) شرح نهج البلاغة، لابن ميثم ۳/ ۱۵۷.

[۵۳۱] (۴) بحار الانوار ۶۹/ ۶۹.

[۵۳۲] (۵)« ريّ»: له معنى مصدرى هو الارتواء.

[۵۳۳] (۶)« الضمآن»: من مادة« ظمأ» على وزن طمع بمعنى العطش.

[۵۳۴] (۱) نهج البلاغة، قصار الكلمات ۴۶۶.

[۵۳۵] (۲) سورة البقرة/ ۲۶۹.

[۵۳۶] (۳) هذا الاحتمال مختار ابن أبى الحديد والمرحوم الشارح الخوئى ومحمد عبده.

[۵۳۷] (۱) سورة البقرة/ ۱۲۹، ۱۵۱؛ وآل عمران/ ۴۸، ۸۱ و ...

[۵۳۸] (۲) سورة الانعام/ ۱۰۴.

[۵۳۹] (۱) سورة النساء/ ۸۲.

[۵۴۰] (۲)« غل»: من مادة« غلول» أو غلل على وزن أفول وأجل تعنى فى الأصل النفوذ التدريجى والخفى للماء فى‌جذور الأشجار، ثم اطلق الغل الذى له معنى(الاسم المصدرى) على الخيانة لأنّها تحصل بصورة تدريجية وخفية.

[۵۴۱] (۳)« دمن»: جمع« دمنة» على وزن فتنة بمعنى السرقين، كما يطلق على الحقد القديم.

[۵۴۲] (۱)« تاه»: من مادة« تيه» بمعنى الحيرة ومن مادة« توه» على وزن لوح بمعنى الهلكة، ويبدو المعنى الثانى فى‌العبارة هو الأنسب.

[۵۴۳] (۲)« غرور»: إن قرأ بالضم فهو الخداع والمكر، وإن قرأ بالفتح أفاد الوصف وعنى الشخص الخادع وقد أطلقه القرآن على الشيطان، وقد ورد بالصيغة الأولى فى النسخة المعروفة لصبحى الصالح، بينما ورد بالصيغة الثانية فى أغلب النسخ، وتبدو الصيغة الثانية أنسب على ضوء تناسق العبارات.

[۵۴۴] (۳) سورة النور/ ۲۱.

[۵۴۵] (۴) سورة النساء/ ۸۳

[۵۴۶] (۱) سند الخطبة:

نقل هذا الكلام عن الإمام عليه السلام باختلاف طفيف ابن الأثير فى النهاية فى مادة كنف وأبو عبيد فى كتاب الأموال(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۲)

[۵۴۷] (۲) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى ۳/ ۱۶۲.

[۵۴۸] (۳) شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد ۸/ ۲۹۸.

[۵۴۹] (۱) شرح نهج البلاغة، للتسترى ۷/ ۴۲۱- ۴۲۳، بتصرف.

[۵۵۰] (۱)« حوزة»: من مادة« حوز» على وزن موز تعنى الجمع والاتصال والإمتلاك وعادة ما تطلق الحوزة على كل‌مجموعة.

[۵۵۱] (۲) سورة التوبة/ ۳۳.

[۵۵۲] (۱) العبارة« والذى نصرهم ...» مبتدأ وخبرها« حى لا يموت».

[۵۵۳] (۲)« تنكب»: من مادة« نكب» على وزن نخل بمعنى الانحراف عن المسير، وفى هذه العبارة بمعنى الهزيمةوالقتل.

[۵۵۴] (۳)« كانفة»: من مادة« كنف» على وزن ظرف بمعنى الحفظ، وعليه كانفة تقال للشخص أو الشىء العاصم الذى يحفظ الأفراد.

[۵۵۵] (۱)« محرب»: من مادة« حرب» بمعنى المقاتل والشجاع.

[۵۵۶] (۲)« احفز»: من مادة« حفز» على وزن نبض الدافع والسوق الشديد.

[۵۵۷] (۳)« بلاء»: بمعنى الاختبار وأهل البلاء أهل المهارة فى الحرب.

[۵۵۸] (۴)« ردء»: بالكسر من مادة« ردء» على وزن عبد بمعنى المساعدة وعليه فردء بمعنى النصير والعضيد والسند.

[۵۵۹] (۵)« مثابة»: من مادة« ثوب» على وزن قوم بمعنى رجوع الشىء إلى حالته الاولى ومثابة بمعنى المرجع ومن يعاد إليه.

[۵۶۰] (۱) تحف العقول/ ۳۷۴.

[۵۶۱] (۱) سند الخطبة:

لم ينقل صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة من نقل هذه الخطبة سوى أحمد بن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح، لكنّه أورد بعض

التوضيحات بشأن وورد الخطبة عن كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد.

[۵۶۲] (۱) المغيرة بن الأخنس وأبوه أحد المنافقين وهو غير المغيرة بن شعبة المعروف بنفاقه وعداوته لأهل‌البيت عليهم السلام.

[۵۶۳] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۸/ ۳۰۱- ۳۰۲؛ والفتوح لابن أعثم الكوفى ۱/ ۱۶ طبقاً لنقل شرح نهج بالبلاغة للمرحوم التسترى ۹/ ۲۶۱.

[۵۶۴] (۱) يقال إنّ عداء آل المغيرة استمر ضد على عليه السلام حتى شهد ولده عبد اللَّه‌المعركة الجمل فقتل فيها(شرح نهج البلاغة للمرحوم التسترى ۹/ ۲۶۶).

[۵۶۵] (۱) سورة ابراهيم/ ۲۶.

[۵۶۶] (۲)« منهض»: من مادة« نهض» القيام من المكان ومنهض من باب إفعال الشخص الذى يساعد غيره لينهض.

[۵۶۷] (۳) سورة محمّد/ ۷.

[۵۶۸] (۴) سورة غافر/ ۵۱.

[۵۶۹] (۵)« نواك»: من مادة« نوا» والكاف ضمير متصل تعنى فى الأصل غاية المسافر بعيدة كانت أم قريبة.

[۵۷۰] (۶) فالعبارة لا أبقى اللَّه عليك تطلق حين اللعن ليبعد عن رحمة اللَّه، والعبارة إن بقيت تعنى لا رحمك اللَّه إن رحمتنى، فهى فى الواقع استخفاف بالمخاطب، فافعل ما شئت إنّك لا تقدر على شىء.

[۵۷۱] (۱) سند الخطبة:

قال المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله فى كتاب« الإرشاد» أنّ الإمام على عليه السلام أورد هذا الكلام إمتنع البعض عن بيعة الإمام عليه السلام- حسب رواية الشعبى- ومنهم عبداللَّه بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت واسامة بن زيد، فخطب الإمام عليه السلام لبيان أحقيّة بيعته(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۶) وهكذا نقل هذه الخطبة الشيخ المفيد فى إرشاده وقد عاش قبل السيد الرضى، وكذلك أشار إليها ابن الأثير فى كتاب« النهاية» فى مادة(فلت).

[۵۷۲] (۱) صحيح‌البخارى ۶/ ۲۵۰۵ طبعة دارالنشر بيروت وصحيح ابن‌جبان ۲/ ۱۴۸، طبع مؤسسة‌الرسالة.

[۵۷۳] (۲) بحار الانوار ۱۰/ ۲۴۸(نقلًا عن مناقب ابن شهر آشوب).

[۵۷۴] (۱)« خزامة»: بالكسر حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويشهل قياده، وقال البعض‌إن كان جنس الحلقة من النحاس قيل لها البرة وإن كانت من الشعر فهى الخزامة.

[۵۷۵] (۲)« منهل»: من مادة« نهل» على وزن جهل بمعنى الشربة الأولى ويطلق المنهل على الموضع الذى يمكن الاستفادة منه من ماء النهر(لابدّ من الالتفات إلى أنّ سطح ماء أغلب الأنهار أكثر انخفاضاً من الساحل وعادة ما يشقون بعض الأماكن لوصول الماء ليبلغه الناس والحيوانات بسهولة ويقال لمسير هذه الأماكن الشريعة وآخرها المنهل.

[۵۷۶] (۳) سورة الحديد/ ۲۵.

[۵۷۷] (۱) سند الخطبة:

رواها ابن عبد البر من علماء العامّة للقرن الخامس فى كتاب« الاستيعاب» فى شرح سيرة طلحة، كما رواها ابن الأثير من علماء القرن السابع فى« اسد الغابة»، ونقلها المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله فى كتاب« الجمل» عن الواقدى، كما فسّر بعض أجزاءها ابن أبى الحديد عن أبى مخنف وكذلك ابن الأثير فى كتاب« العوذ»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۹).

[۵۷۸] (۱)« نصف»: بكسر النون وضمها الإنصاف.

[۵۷۹] (۱) أوردنا شرحاً تاماً للعبارة« إنّ معى لبصيرتى» فى هذا الكتاب ۱/ ۴۸۱.

[۵۸۰] (۲)« شغب»: مصدر وبمعنى تهييج الشر والفساد.

[۵۸۱] (۳) منهاج البراعة ۸/ ۳۳۸؛ الاحتجاج ۱/ ۱۶۵.

[۵۸۲] (۱) أورد ابن الأثير فى المجلد الثانى، ص ۳۱۵ عن الكامل شرحاً مفصلًا لقضية نباح كلاب الحوأب وصراخ عائشة وعزمها على الرجوع وشهادة البعض على كذب من قال تلك المنطقة هى الحوأب.

[۵۸۳] (۲) تاريخ دمشق ۳۲/ ۱۷۱، طبعه بيروت؛ كنز العمال ۱۲/ ۲۱۱ طبعة حيدر آباد(مطابق نقل أحقاق الحق ۱۷/ ۱۶۶).

[۵۸۴] (۱)« افرطن»: من مادة« افراط» تعنى فى الأصل تجاوز الحدّ، لكنّها وردت أحياناً بمعنى القيام بالحدّ الأكثر من العمل وقد جاءت بهذا المعنى فى العبارة، يعنى سأملأ حوض المعركة للخصوم(طبعاً المراد حوض المنية) بحيث لا يبقى أمامهم من سبيل للنجاة، وبناءاً على هذا فلا مجال لطرح مثل هذا السؤال أو يمكن للإمام عليه السلام أن يفرط فى شىء.

[۵۸۵] (۲)« ماتح»: من مادة« متح» على وزن مدح بمعنى سحب الماء من الأعلى كسحب الماء من البئر بواسطة الدلو، وعليه فالماتح تطلق على من يطرح الدلو بواسطة الحبل فى البئر ويسحب منه الماء.

[۵۸۶] (۳)« ريّ»: اسم مصدرى ومصدره« رى» على وزن حى والباء للمعية.

[۵۸۷] (۴)« يعبون»: من مادة« عبّ» بمعنى شرب الماء أو مانع أخر دون تنفس.

[۵۸۸] (۵)« حسى»: السهل من الأرض الذى يتجمع فيه الماء.

[۵۸۹] (۱)« العوذ»: بضم العين جمع« عائذ» الإنسان أو الحيوان الذى يلد حديثاً.

[۵۹۰] (۲)« المطافيل»: جمع« مطفل» على وزن مسلم ذات الطفل من الإنسان والوحش، وعليه فالعوذ والمطافيل قريبة المعنى وهما هنا للتأكيد.

[۵۹۱] (۱)« ألبا»: من مادة« تأليب» بمعنى الافساد وإثارة الناس.

[۵۹۲] (۲)« استتبت»: من مادة« ثوب» على وزن صوم بمعنى رجوع الرميض إلى العافية ومفهوم العبارة أنى أردت من طلحة والزبير الرجوع عن انحرافهما.

[۵۹۳] (۳)« استأنيت»: من مادة« أناة» على وزن قناة بمعنى الصبر والانتظار ومفهوم الجملة أنّى كنت أنتظر تأثير اقتراحى عليهما فيعودا إلى رشدهما ويسلكا سبيل العافية والسلامة، لكن من المؤسف ...

[۵۹۴] (۴)« وقاع»: بمعنى الحرب وتستعمل هذه المفردة أحياناً بمعنى المصدر وأخرى الجمع« وقيعة».

[۵۹۵] (۵)« غمطا»: من مادة« غمط» على وزن غصب بمعنى استصغار الشىء وكفران النعمة والعبارة المذكورة إشارةإلى أنّ طلحة والزبير استخفا بما منحتهم من فرصة وكفرا بالنعمة.

[۵۹۶] (۱) السياسة والإمامة ۱/ ۳۸.

[۵۹۷] (۲) شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد ۹/ ۳۶.

[۵۹۸] (۳) فى ظلال نهج البلاغة ۲/ ۲۹۴.

[۵۹۹] (۴) الكامل لابن الأثير ۳/ ۲۰۶؛ تاريخ الطبرى ۳/ ۴۷۷.

[۶۰۰] (۵) ج ۱ شرح الخطبة الثالثة عشرة، ج ۲ شرح الخطبة الثلاثون والحادية والثلاثون ج ۳، ص ۲۰۹- ۳۰۱.

[۶۰۱] (۱) سند الخطبة:

ورد فى مصادر نهج البلاغة أنّه نقل جانباً من هذه الخطبة عن الآمدى فى« غرر الحكم» وقال بالنظر إلى أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة اعتبروا القسم الأول إشارة إلى قيام الإمام المهدى عليه السلام فانّ ذلك يدل على أنّهم نقلوا الخطبة من مصدر آخر أشار إلى هذه القيام(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۲) لكننا لا نعتقد بتوجيه هذا الاستنتاج، ولعلهم استنبطوا ذلك من خلال بعض القرائن الواردة فى الخطبة.

[۶۰۲] (۱) يعطف من مادة عطف على وزن فتح بمعنى الميل والرغبة أو الترغيب بشيء، وقد تستعمل أحياناً بصيغةالمتعدى فتعنى الترغيب، كما تتعدى أحياناً بحرف إلى فتعنى الرغبة فى شيء، وتتعدى أيضاً بحرف على فتعنى الرجوع إلى الشيء وأخيراً تتعدى بحرف عن فتعنى الانصراف عن الشيء.

[۶۰۳] (۱) سورة الجاثية/ ۲۳.

[۶۰۴] (۲) بحار الانوار ۱/ ۱۹.

[۶۰۵] (۱)« نواجذ»: جمع« ناجذ» أقصى الأضراس أو الأنياب، كما فسّر بجميع الأسنان وهذا هو المعنى المراد منهافى العبارة.

[۶۰۶] (۲)« أخلاف»: جمع« خلف» بالكسر بمعنى حلمة ضرع الناقة، كما وردت بمعنى حلمة ضرع سائر الحيوانات كالبقرة والشاة.

[۶۰۷] (۳)« علقم»: برعم شديد المرارة يطلق عليه الحنظل، وتطلق هذه الكلمة على كل شيء مرّ.

[۶۰۸] (۱)« أفاليذ»: جمع« أفلاذ» وهذا جمع« فلذ» على وزن فكر بمعنى كبد الناقة، أو كبد كل إنسان أو حيوان،: وفلذةتعنى قطعة من الكبد، والمراد بها فى هذه العبارة الأشياء النفيسة والكنوز والمعادن الثمينة فى جوف الأرض.

[۶۰۹] (۲) شرح نهج البلاغة لعلّامة الخوئى ۸/ ۳۵۳.

[۶۱۰] (۳) بحار الأنوار ۵۲/ ۳۹۰.

[۶۱۱] (۱)« نعق»: من مادة« نعق» على وزن كعب تعنى فى الأصل صوت الغراب أوالصوت الذى يخرج من الشاة حين يذودها الراعى وتشير هنا إلى زعيق الظالم فى الشام.

[۶۱۲] (۲)« فحص»: من مادة« فحص» على وزن بحث تعنى فى الأصل البحث، كما وردت بمعنى البسط وهذا هو المعنى المراد بها فى الخطبة.

[۶۱۳] (۳)« ضواحى»: جمع« ضاحية» من مادة« ضحو» على وزن سهو بمعنى التعرض للشمس كما تطلق الضواحى على المناطق أطراف المدن.

[۶۱۴] (۴)« كوفان»: اسم آخر للكوفة وتعنى فى الأصل تلال الرمل الحمراء الدائرية.

[۶۱۵] (۱)« ضروس»: من مادة« ضرس» بمعنى عض الشيء والضغط عليه، وتطلق الضروس على الناقة السيئةالخلق التى تعض حالبها.

[۶۱۶] (۲)« فغرت»: من مادة« فغر» على وزن فقر بمعنى فتح الفم، وهى هنا كناية عن الحرص فى الاستيلاء على كل شيء، وافغر اسم فاعل من هذه المادة.

[۶۱۷] (۳)« جولة»: من مادة« جول» على وزن قول بمعنى الحركة والدوران حول مكان، وهى كناية عن السعىوالجهد المتواصل.

[۶۱۸] (۴)« الصولة»: من مادة« صول» على وزن قول بمعنى الحملة فى الحرب أو القفز على شيء.

[۶۱۹] (۵)« ليشردنكم»: من مادة« تشريد» بمعنى النفى والطرد والتفريق.

[۶۲۰] (۱) بحار الانوار ۵۲/ ۱۸۶- ۱۸۷ بتصرف.

[۶۲۱] (۲)« يؤوب»: من مادة« أوب» الرجوع من السفر أو مطلق الرجوع.

[۶۲۲] (۳)« عوازب»: جمع« عازبة» فى الأصل من مادة« عزبة» من لا زوجة له، لكنها وردت أحياناً بمعنى الخفاء والابتعاد، وهذا هو المراد بها فى العبارة.

[۶۲۳] (۴)« أحلام»: جمع حلم بمعنى العقل.

[۶۲۴] (۵)« يسنى»: من مادة« سنو» تعنى فى لأصل رى الأرض من الغيوم، ثم استعملت بمعنى مطلق التسهيل من أجل القيام بعمل.

[۶۲۵] (۱) سند الخطبة:

نقل هذه الخطبة الطبرى فى تاريخه فى شرح حوادث عام ۲۳ ه(عام قتل عمر) وقال ابن أبى الحديد هذا جزء من خطبة خطبها على

علیه السلام فی أصحاب الشوری بعد وفاة عمر، وقد ورد فی الکلمات القصار رقم ۲۲« لنا حق ...» وهو جزء من هذه الخطبة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۲).

[۶۲۶] (۲) نفحات الولایة ۱/ ۲۴۴.

[۶۲۷] (۱) سورة المائدة/ ۵۵.

[۶۲۸] (۲) سورة الدهر/ ۸.

[۶۲۹] (۳) سورة البقرة/ ۲۷۴.

[۶۳۰] (۴)« تنتضی»: من مادة« نضو» و« نضی» علی وزن نظم بمعنی سل السیف، أوالخروج من البیت وشحوباللون وما شباه ذلک، والمراد بها فی العبارة المعنی الأول.

[۶۳۱] (۱) شرح نهج البلاغة ابن أبی الحدید ۱۱/ ۱۱.

[۶۳۲] (۱) سند الخطبة:

ذکر الآمدی فی کتاب« غرر الحکم» مع فارق وما ورد فی نهج البلاغة وهذا یدل علی أنّ مصدره غیر نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۱۴)، کما وردت هذه الخطبة فی بعض المصادر کجزء من خطبة تعرف بالدیباج(کتاب تمام نهج البلاغة).

[۶۳۳] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۹/ ۱۶۲.

[۶۳۴] (۲) جامع السعادات ۳/ ۳۰۲؛ بحار الانوار ۷۲/ ۲۵۷.

[۶۳۵] (۳) جامع السعادات/ ۳۰۳.

[۶۳۶] (۱) بحار الانوار ۷۵/ ۲۵۹.

[۶۳۷] (۲) جامع السعادات ۳/ ۳۰۵.

[۶۳۸] (۱) للمؤلف.

[۶۳۹] (۱) سند الخطبة:

نقلها القاضی القضاعی فی کتاب« دستور معالم الحکم»، کما نقل جزءاً منها علی بن هذیل فی کتاب« عین الأدب والسیاسة»، وکذلک المرحوم الصدوق فی« الخصال» وابن عبد ربه فی« العقد الفرید»،(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۱۵)

[۶۴۰] (۱)« سداد»: بمعنی الصحیح من الکلام والعمل وتستعمل هذه المفردة کمصدر واسم مصدر، ویبدو أنّها قریبةمن مادة سد بمعنی الجدار المحکم الذی یقام ضد السیول وما شابه ذلک، لأنّ للکلام الحق استحکام خاص.

[۶۴۱] (۱)« یحیل»: من مادة« إحالة» کل تغیر أو حرکة تخرج عن الحق والاستقامة وتحیل إلی الانحراف و الاعوجاج.

[۶۴۲] (۲)« یبور»: من مادة« بوار» تعنی فی الأصل شدّة کساد الشیء وحیث یبعث ذلک علی الفساد حسبما ورد فی المثل کسد حیا فسد فقد اطلقت هذه المفردة علی الفساد ومن ثم الهلکة.

[۶۴۳] (۱) بحار الانوار ۷۲/ ۱۹۶.

[۶۴۴] (۱) سند الخطبة:

ذکرها المرحوم الکلینی فی کتاب« الکافی»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۰۲)، والمرحوم الشیخ المفید والشیخ الطوسی فی الآمالی وابن قتیبة فی کتاب« الإمامة والسیاسة»، والجدیر بالذکر أنّه یستفاد من بعض المصادر المذکورة مثل کتب الکافی أنّ هذه الخطبة هی استمرار للخطبة ۱۲۶(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۲۸۲ بتصرف).

[۶۴۵] (۱)« محمدة»: بمعنی الحمد والثناء وهو ضد الذم.

[۶۴۶] (۱) بحار الانوار ۷۴/ ۱۷۸.

[۶۴۷] (۲) منهاج البراعة ۷/ ۴۳۹.

[۶۴۸] (۱)« العانى»: من ماد« عنى» بمعنى الشدّة والتعب، وعدها البعض من شرّاح نهج البلاغة مرادفة لأسير، ويبدوأنّ معناها واسع يشمل كل إنسان يعيش التعب والإرهاق.

[۶۴۹] (۲)« الغارم»: من مادة« غرامة» من عليه الديون.

[۶۵۰] (۳) الكافى ۴/ ۱۰.

[۶۵۱] (۱) المصدر السابق ۲/ ۴۰۱، ح ۸.

[۶۵۲] (۲)« النوائب»: جمع« النائبة» تعنى الحوادث الأليمة التى تصيب الإنسان، ولكن فسّرها بعض أرباب اللغةبمطلق الحوادث سواء المطلوبة منها أو غير مطلوبة.

[۶۵۳] (۳) كشف الغمة ۲/ ۲۴۲.

[۶۵۴] (۱) الإرشاد ۱/ ۳۰۳؛ وبحار الانوار ۷۴/ ۴۳۳.

[۶۵۵] (۲) ميزان الحكمة، ۱۲۶۱۱.

[۶۵۶] (۱) سند الخطبة:

وردت هذه الخطبة حسب تصريح صاحب مصادر نهج البلاغة فى كتاب« أعلام النبوة» للديلمى عن الإمام الصادق عليه السلام عن أميرالمؤمنين على عليه السلام، وفى« النهاية» لابن الأثير فى مادة بطن بمناسبة المفردة بطنان التى وردت فى آخر الخطبة،(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۱۹) كما وردت فى بحار الانوار، ج ۸۸ عن« أعلام» النبوة للديلمى، لكن لم يتضح على وجه الدقة فى أى قرن عاش الديلمى مؤلف الكتاب.

[۶۵۷] (۱)« تقلكم»: من مادة« اقلال» بمعنى حمل الشىء وأخذه، ولمّا كان الإنسان يعيش على الأرض فكأنّها تحملهعلى أكتافها، وقد وردت تحملكم بدلًا من تقلكم فى أغلب شروح نهج البلاغة والتى تفيد نفس المعنى.

[۶۵۸] (۱) سورة ابراهيم/ ۲۴.

[۶۵۹] (۱)« درور»: من مادة« درّ» على وزن جرّ بمعنى تقاطر الحليب من الثدى، ثم استعملت فى المطر وأمثاله، و« درور الرزق» بمعنى نزول الرزق من اللّه تعالى.

[۶۶۰] (۱)« استقال»: من مادة« إستقالة» بمعنى معونة من وقع على الأرض للقيام، ثم اطلقت على فسخ المعاملة أوطلب العفو على الذنب.

[۶۶۱] (۱) الكافى ۲/ ۳۷۴، ح ۲.

[۶۶۲] (۲) سورة الأعراف/ ۹۶.

[۶۶۳] (۱) تفسير نهج الصادقين ۱۰/ ۱۹(بتصرف، وقد ورد هذا الحديث بصورة مختصرة عن الإمام المجتبى عليه السلام)(مجمع البيان ۱۰/ ۳۶۱).

[۶۶۴] (۱)« الأكنان»: جمع« كن» على وزن« جن» بمعنى واسطة الحفظ والصون ومن هنا تطلق الأكنان على الغيران.

[۶۶۵] (۲) راجع الخطبة ۱۵۵ بشأن آداب صلاة الاستسقاء.

[۶۶۶] (۳)« السنين»: جمع« سنة» وإن استعملت مع مفردة الهلكة أو الأخذ عنت الجدب والقحط.

[۶۶۷] (۴)« الوعرة»: بالتسكين كناية عن صعوبة الحياة.

[۶۶۸] (۵)« أجاءت»: من مادة« مجيىء» من باب إفعال بمعنى ألجأته.

[۶۶۹] (۶)« مقاحط»: جمع« مقحطة» من مادة« قحط» بمعنى سنين الجدب.

[۶۷۰] (۷)« مجدبـة»: من مادة« جـدب» على وزن جعل قلّة النعمـة، وعليه المجدبة تطلق على السـنين التى يعانى فيهاالناس من الشدّة فىغ أرزاقهم.

[۶۷۱] (۸)« تلاحمت»: من مادة« تلاحم» بمعنى الاتصال.

[۶۷۲] (۱) فى ظلال نهج البلاغة ۲/ ۳۱۹.

[۶۷۳] (۲)« واجم»: من مادة« وجم» على وزن نجم من اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

[۶۷۴] (۳)« معشبة»: من مادة« عشب» على وزن شرف نمو النبات.

[۶۷۵] (۴)« الحيا»: بمعنى المطر ووفرة النعمة.

[۶۷۶] (۵)« القيعان»: جمع« قاع وقاعة» الأرض السهلة الواسعة كما تطلق أحياناً على الأرض التى تتجمع فيها المياه.

[۶۷۷] (۶) والجدير بالذكر قد نزلت الآن(حين كتابتى لهذه السطور فى العاشر من رمضان عام ۱۴۲۳ ه) أمطار مفعمة بالبركة والخير بعد جفاف طويل، ويبدو أنّ هذا المطر ينطوى إن شاء اللّه تعالى على جميع الصفات التى ذكرها الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة.

[۶۷۸] (۱) سند الخطبة:

أورد الآمدى جانباً من هذه الخطبة فى كتابه« غرر الحكم» وفيها إضافات لما فى نهج البلاغة مما يدلّ على أنّه استقاها من مصدر أخر غير نهج البلاغة(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۲۲).

[۶۷۹] (۱)« الاعذار»: مصدر باب إفعال من مادة« عذر» بمعنى إتمام الحجة.

[۶۸۰] (۱)« بواء»: تعنى فى الأصل العودة والنزول ثم أطلقت على العقوبة المستمرة والمتواصلة وهذا هو المعنى المراد بها فى الخطبة.

[۶۸۱] (۱) سورة الانفال/ ۲۸.

[۶۸۲] (۲) نهج البلاغة، قصار الكلمات ۹۳.

[۶۸۳] (۳) وسائل الشيعة ۱/ ۳۶، من أبواب مقدمة العبادات، الباب ۶، ح ۶.

[۶۸۴] (۱) نقل الدكتور الذهبى فى كتابه« التفسير والمفسرون» عن ابن عباس:« مَا أَخَذتُ مِنْ تَفسِيرِ القُرآنِ إلَّا مِنْعَلىٍّ بِن أَبى طَالِبٍ» ج ۱، ص ۸۹، كما روى عن ابن عباس أنّه قال:« وَمَا عِلمِى وَعِلْمُ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ فِى عَلْمِ عَلىٍّ إلّا كَقَطَرَةٍ فِى سَبعَةِ أَبحُرٍ»(الغدير ۲/ ۴۵ فى شرح ديوان حسان).

[۶۸۵] (۲) ذكرنا أسناد حديث ثقلين فى نفحات القرآن ۹/ ۶۲- ۷۱.

[۶۸۶] (۱) روى هـذا الحـديث جمع من حفاظ العامّـة كابن عبد البر فى« الاستيعاب»، والقاضـى فى« الموقف»، وابن أبى الحديد فى« شرح نهج البلاغة»، وابن طلحة الشافعى فى« مطالب السئول»،(الغدير ۳/ ۶۹، وابن عساكر فى(التاريخ المختصر لدمشق ۱۷/ ۳۰۱).

[۶۸۷] (۲) ورد هذا الحديث فى كنزل العمال ۱۳/ ۱۱۴، ح ۳۶۳۷۲.

[۶۸۸] (۳) سورة الرعد/ ۴۳.

[۶۸۹] (۴) انظرو مصـادر هـذا الحـديث فى كتب العامّـة فى إحقـاق الحق ۳/ ۲۸۰، كمـا وردت روايـات بهـذا الخصوص فى شواهد التنزيل للحسكانى ۱/ ۳۰۷- ۳۱۰.

[۶۹۰] (۵) ذكرنا شرح هذا الموضوع فى المجلد الرابع من هذا الكتاب ذيل الخطبة ۹۳.

[۶۹۱] (۶) المرحوم العلّامـة الأمينى أورد هذه العبارات بمصادر دقيقة من كتب العامّة(الغدير ۳/ ۹۷) تحت عنوان آراء الصحابة بعلى عليه السلام.

[۶۹۲] (۱) التفسير والمفسرون ۱/ ۸۹.

[۶۹۳] (۲) صحيح مسلم ۳/ ۱۴۵۳؛ طبع بيروت دار التراث العربى.

[۶۹۴] (۳) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۱، جزء ۹، طبع دار الجيل بيروت.

[۶۹۵] (۴) صحيح الترمذى ۴/ ۵۰۱ طبع دار التراث الاحياء العربى بيروت.

[۶۹۶] (۵) صحيح أبى داود ۴/ ۱۰۶(كتاب المهدى).

[۶۹۷] (۱) مسند أحمد ۵/ ۸۹- ۹۰- ۱۰۱.

[۶۹۸] (۲) انظر كتاب منتخب الأثر/ ۱۲؛ إحقاق الحق/ ۱۳.

[۶۹۹] (۳) فضائل الصحابة ۲/ ۶۲۸، ح ۱۰۷۳.

[۷۰۰] (۱)« آجن»: من مادة« اجن» على وزن فجر الماء المتغير اللون والطعم والرائحة.

[۷۰۱] (۲)« بسيء به» من مادة بسوء ألفه وإستأنس به.

[۷۰۲] (۳)« خلائق»: أحياناً جمع« خلق» بمعنى المخلوق وأخرى جمع« خليقة» بمعنى الخلق والملكة وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة.

[۷۰۳] (۴)« مزبد»: من مادة« زبد» رغوة الماء وما شابه ذلك ومزبد اسم فاعل.

[۷۰۴] (۵)« تيار»: يعنى فى الأصل الموج الشديد الذى يقذف الماء خارج البحر، ويطلق أحياناً على مطلق الموج.

[۷۰۵] (۶)« الهشيم»: من مادة« هشم» تطلق على النباتات الجافة المتكسرة.

[۷۰۶] (۷)« يحفل»: من مادة« حفول» بمعنى الاعتناء بالشيء وعليه فلا يحفل تعنى لا يهتم.

[۷۰۷] (۱)« لامحة»: من مادة« لمح» على وزن لمس تعنى فى الأصل لمعان البرق، ثم جاءت بمعنى النظرة الخاطفة، كما وردت بمعنى النظر إلى الشيء وهذا هو المعنى المراد بها فى العبارة.

[۷۰۸] (۲)« حطام»: الشيء المكسور الفانى الذى لا قيمة له ويقال حطام الدنيا لأموالها بسبب فنائها وزوالها سريعاً.

[۷۰۹] (۳)« تشاحوا»: من مادة تشاح واصلها الشح بمعنى البخل المقرون بالحرص ويقال تشاح حيث يتنازع فردانأو طائفتان من أجل الحصول على الشيء.

[۷۱۰] (۱)« نفروا»: من مادة« نفر» و« نفور» بمعنى الابتعاد عن الشيء والفرار منه.

[۷۱۱] (۱) سند الخطبة:

أورد ابن شعبة الحرانى فى كتابه« تحف العقول» جانباً من هذه الخطبة ضمن خطبة تعرف باسم الوسيلة، كما ذكرها المرحوم الشيخ المفيد رحمه الله فى كتاب« الإرشاد» مع اختلاف طفيف، كما نقلها المرحوم الشيخ الطوسى فى الأمالى وأشار أبو العتاهية فى أشعاره إلى مضمون بعض عبارات هذه الخطبة ويحتمل أنّه أخذها من كلام الإمام عليه السلام، ووردت أجزاء من هذه الخطبة فى الكلمات القصار فى كلمة رقم ۱۹۱.(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۲۳)

[۷۱۲] (۱)« غرض»: الهدف الذى يرمى بالسهام.

[۷۱۳] (۲)« شرق»: له معنى مصدرى يعنى الاختناق بالماء.

[۷۱۴] (۳)« غصص»: له معنى مصدرى ويعنى الاختناق بالطعام.

[۷۱۵] (۱)« يحلق»: من مادة« خلوق» بمعنى يبلى ويخلق من مادة خلق المراد المعنى الأول فى الخطبة.

[۷۱۶] (۲)« محصودة»: من مادة« حصد و حصاد» على وزن غصب بمعنى حصاد الشيء.

[۷۱۷] (۱) فى ظلال نهج البلاغة ۴/ ۳۸۹.

[۷۱۸] (۱)« المهيع»: من مادة« هيع» على وزن رأى بمعنى الطريق الواسع والواضح.

[۷۱۹] (۲)« عوازم»: جمع« عازمة أو عوزم» على وزن جوهر تعنى فى الأصل المسن من الإنسان أوالحيوان وتطلق على كل شيء

قديم، وتعنى هنا الأمور التى كانت موجودة منذ زمان النبى وأصالتها ثابتة فى الدين.

[۷۲۰] (۳) وردت حدثات بكسر الدال فى النسخة المعروفة لصبحى الصالح فلها معنى اسم الفاعل، وردت مفتوحة فى أغلب النسخ بمعنى الحدوث وهذا هوالصحيح.

[۷۲۱] (۱) ورد مثل هذا المعنى فى الأمالى للشيخ المفيد رحمه الله، ص ۱۸۸ مع اختلاف طفيف كما ورد فى مصادر العامّة(الموسوعة الفقهية الكويتية ۸/ ۲۴).

[۷۲۲] (۱) سند الخطبة:

روى جانباً من هذه الخطبة أبو حنيفة الدينورى فى كتاب« الأخبار الطوال» وأحمد بن أعثم الكوفى فى كتاب« الفتوح» والطبرى فى تاريخه والمعروف فى حوادث عام ۲۷ ه(الصحيح عام ۲۱ ه كما ورد فى تاريخ الطبرى) وذكرها الشيخ المفيد رحمه الله فى« الإرشاد»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۲۵).

[۷۲۳] (۲) شرح ابن أبى الحديد ۹/ ۹۷.

[۷۲۴] (۱) إرشاد المفيد، ص ۱۲۰ بتصرف.

[۷۲۵] (۱) سورة التوبة/ ۳۳.

[۷۲۶] (۲) سورة غافر/ ۵۱.

[۷۲۷] (۳) وإن كان لهذه المفردة مفهوم كلى لكنّها تعنى هنا السلك ينظم فيه الخرز.

[۷۲۸] (۴)« خرز»: بمعنى حبات السبحة وتكون نفيسة، كما تكون عادية ويصنع منها المسبحة وأصلها« الخرز» على وزن الفرض بمعنى ثقب الجلد أو شىء أخر.

[۷۲۹] (۵)« حذافير»: جمع« حذفور و حذفار» على وزن مضمار بمعنى جانب الشىء وناحيته وحذافير بمعنىجميع الجوانب.

[۷۳۰] (۱)« اصل»: من مادة« صلى» على وزن سعى بمعنى دخول النار أو الاحتراق فيها، وإن استعملت فى بابالأفعال عن القذف فى النار، والعبارة إشارة إلى أنّ الجيش حين ينشغل بالحرب عليك بالابتعاد عنهم حتى لا يتمكن العدو من إصابتك.

[۷۳۱] (۲)« شخصت»: من مادة« شخوص» على وزن خلوص تعنى فى الأصل الخروج من المنزل أو المدينة، ولماكان الإنسان يظهر حين الخروج فقد أطلقت على قامة الإنسان والمرتفعات التى تلوح من بعيد، ويقال للمسافر شاخص حيث يبيّن حين دخوله المدينة، وتطلق هذه المفرادة على كل شىء مرتفع.

[۷۳۲] (۳)« عورات»: جمع« عورة» تعنى فى الأصل العيب والعار ولما كان إظهار الآلة الجنسية مدعاة للعيب والعارفقد اطلقت عليها العرب العورة، ولكن لهذه المفردة معنى أوسع وأشمل وهى النقطة التى يمكن اختراقها وما يخشاه الإنسان ويقلق منه، وحيث كانت حدود كل بلد من المناطق التى يمكن إلحاق الصدر بها والمقلقة فقد استعملت بهذا المجال، إلّاأنّها لا تعنى الحدود خلافاً لما أورده أغلب شرّاح نهج البلاغة، والمراد بها النقاط المضطربة داخل البلد الإسلامى والتى يمكن هجوم المنافقين عليها، والشاهد على ذلك العبارة ما تدع وراءك، لأنّ الجيش حين يتحرك نحو عدو خارجى لا يبقى خلفه سوى الجبهة الداخلية للبلاد.

[۷۳۳] (۱)« كلب»: بمعنى الأذى.

[۷۳۴] (۱) القادسية كانت من المدن الإيرانية الغربية ولم تكن تبعد كثيراً عن الكوفة(ذكر البعض أنّها تبعد تسعين كليومتراً) وهى الآن من مدن العراق.

[۷۳۵] (۱) نهاوند مدينة معروفة غرب ايران وهى الآن تابعة لمحافظة همدان ولا تبعد عنها كثيراً.

[۷۳۶] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۹/ ۹۶- ۱۰۲؛ وتاريخ الطبرى ۳/ ۲۰۲.

[۷۳۷] (۱) سند الخطبة:

نقلها قبل السيد الرضى باختلاف طفيف المرحوم الكلينى فى كتاب روضة الكافى، وقد اشير فى الخطبة ۲۳۷ إلى جزء من هذه الخطبة كما وردت إشارة إلى جانب منها فى قصار الكلمات، الكلمة ۹۸(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۳۱).

[۷۳۸] (۱) الكافى ۸/ ۳۸۶.

[۷۳۹] (۲)« تجلى»: من مادة« تجلى» وأصل جلو على وزن دلو بمعنى الظهور والبروز، وتجلى اللَّه بمعنى أنّ آياتهعلى درجة من الوضوح وكأنّه يمكن رؤيته من خلالها.

[۷۴۰] (۱) قال الشاعر:

وله فى كل شىء آيةتدلّ على أنّه واحد [۷۴۱] (۲)« محق»: من مادة« محق» على وزن خلق بمعنى المحو الكامل أو إزالة بركة الشىء.

[۷۴۲] (۳)« المثلات»: جمع« مثلة» على وزن عضلة بمعنى العقوبة.

[۷۴۳] (۴)« احتصد»: من مادة« حصد» بمعنى القطف.

[۷۴۴] (۱)« سلعة»: المتاع والبضاعة.

[۷۴۵] (۲)« أبور»: من مادة« بوار» شدّة كساد الشىء والأرض البائر والبوار الميتة الخالية من النبات.

[۷۴۶] (۳)« أنفق»: فعل تفضيل من مادة« نفاق» لها معانى مختلفة وارید بها هنا غلاء السلعة ورواجها.

[۷۴۷] (۴)« تناسا»: من مادة نسيان.

[۷۴۸] (۵)« طريدان»: مثنى« طريد» من مادة طرد ومعناها معروف.

[۷۴۹] (۶)« منفيان»: من مادة« نفى» بمعنى الابعاد.

[۷۵۰] (۱)« يؤوى»: من مادة« ايواء» بمعنى الملاذ والملجأ.

[۷۵۱] (۲)« زبر»: بالفتح الكتابة(وقد جاء بالمعنى المصدرى واسم المصدر).

[۷۵۲] (۱)« مثلوا»: من مادة« تمثيل» وأصلها« المثلة» بمعنى التنكيل والتشنيع.

[۷۵۳] (۲)« فريـة»: من مادة« فرى» على وزن فرد تعنى فى الأصل القطع، ولما كان قطع الشىء يؤدّى إلى فساده غالباً، فهى تطلق على كل خلاف ومنه الكذب والتهمة.

[۷۵۴] (۳) روى ذلك المرحوم العلّامة الحلى فى كتاب« كشف الحق» عن كتاب« الهاوية»(شرح نهج البلاغة للعلّامةالخوئى ۹/ ۷۰).

[۷۵۵] (۱) بحار الانوار ۴۴/ ۱۲۴.

[۷۵۶] (۱) بحار الانوار ۴۴/ ۱۲۴.

[۷۵۷] (۱) الخطبة ۴۲؛ بحار الانوار ۷۰/ ۹۱.

[۷۵۸] (۱)« قارعة»: من مادة« قرع» على وزن فرع بمعنى ضرب شىء بآخر وتطلق القارعة على كل حادثة مهمّة ومهلكة.

[۷۵۹] (۲)« النقمـة»: تعنى فى الأصل استقباح الشىء بحيث تحصل أحياناً باللسان وأخرى بصورة عقوبة علمية، ومن هنا غالباً ما تستعمل هذه المفردة بمعنى العقوبة.

[۷۶۰] (۱)« البارىء»: من مادة برء على وزن قفل لها معنيان: الأول: بمعنى الخالق والايجاد ومن هنا يقال للَّهالبارىء، والآخر: بمعنى الابتعاد عن الشىء ولذلك تستخدم بمعنى العافية والبعد عن المرض وهذا هو المعنى المراد بها فى عبارة الخطبة.

[۷۶۱] (۲) سورة المدثر/ ۵۰- ۵۱.

[۷۶۲] (۱) سورة الأعراف/ ۱۶۹.

[۷۶۳] (۱) بحار الانوار ۶/ ۱۷۹.

[۷۶۴] (۱) سند الخطبة:

قال ابن أبی الحدید فی شرحه لنهج البلاغة روی هذه الخطبة قبل السید الرضی أبو مخنف فی کتاب« الجمل»، کما رواها باختلاف« لابدّ من الالتفات إلی أنّ هذا الاختلاف لیس بقلیل) المرحوم الشیخ المفید رحمه الله فی کتاب« الإرشاد»(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۳۲)

[۷۶۵] (۱)« یمتان»: من مادة« مت» علی وزن خط تعنی فی الأصل سحب الحب وحیث یسبب هذا العمل إقترابالدلو فقد وردت هذه المفردة بمعنی الإقتراب والتقرب وهذا هوالمعنی المراد بها فی الخطبة.

[۷۶۶] (۲)« ضبّ»: لها عدة معانٍ ومنها سحب الماء والحقد والحیوان المعروف.

[۷۶۷] (۱)« المحتسب»: من مادة« حسبة» بمعنی الإتیان بالعمل حسبة للّهوإرادة الثواب منه سبحانه، ووردت مفردة المحتسب بمعنی المأمور الذی یکلف من الحکومة للإشراف علی إجراء أحکام الدین ولعل ذلک لأنّه یقوم بالعمل للّه، أو أنّ هدفه حساب عمل الناس.

[۷۶۸] (۲) وردت هذه الروایة فی أغلب مصادر العامّة ومنها مسند أحمد بن حنبل وصحیح مسلم وطبقات ابن سعد ومصادر أخری(انظر إحقاق الحق ۸/ ۴۲۲).

[۷۶۹] (۳) تاریخ بغداد ۱۳/ ۱۸۷ طبع دار الفکر.

[۷۷۰] (۱)« اللدم»: تعنی فیالأصل ضرب الشیء بأخر دون شدّة الصوت.

[۷۷۱] (۱) ورد هذا المعنی فی مروج الذهب فی شرح معرکة الجمل وأضاف المسعودی ولم یتم تقسیم صلاة الجماعة بهذه البساطة، بل حدث ذلک بعد حوار طویل ونزاع طلحة والزبیر(مروج الذهب ۲/ ۳۶۷ طبعة دار المعرفة بیروت).

[۷۷۲] (۲) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۹/ ۱۱۰.

[۷۷۳] (۱) سند الخطبة:

رواها المرحوم الکلینی فی الکافی ۱/ ۲۹۹؛ والمسعودی فی مروج الذهب بصورة مختصرة، وابن عساکر فی کتاب مقتل أمیرالمؤمنین، ویتفق الجمیع علی أنّ الخطبة بعد ضربة ابن ملجم وقبل شهادة الإمام علیه السلام، وقد ذکر صاحب مصادر نهج البلاغة أسناد الخطبة فی قسم الرسائل حیث جاء جانب مهم من هذه الخطبة فی الرسالة رقم ۳۳(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۴۷).

[۷۷۴] (۱)« مساق»: مصدر میمی أو اسم مکان من مادة« سوق» بمعنی الغایة التی یصلها الإنسان، أو بعبارة أخری آخر الطریق.

[۷۷۵] (۲) شرح نهج البلاغة لابن میثم البحرانی، ومنهاج البراعة للخوئی.

[۷۷۶] (۱)« اطردت»: من مادة« طرد» بمعنی الاخراج، واطردت الأیّام طویتها واحداً بعد الآخر.

[۷۷۷] (۲) اصول الکافی، ج ۱ باب« أنّ الأئمة یعلمون متی یموتون» الحدیث ۴.

[۷۷۸] (۳) المصدر السابق.

[۷۷۹] (۱)« خلاکم الذم»: مثل بین العرب مفهومه لیس هناک من ذم لکم لأنّکم تقومون بوظیفتکم، وقیل أنّ أول من قال هذه العبارة(قصیر بن سعد) غلام(خزیمة)(أحد ملوکالعرب) والذی قتل علی ید الزباء، فقال قصیر لابن شقشقة الملک خذ بثأر حزیمة، فقال: أنّی لی به وإنّه لأسرع من العقاب، فقال له قصیر:(اطلب وخلاک ذم)،(شرح نهج البلاغة للبیهقی من علماء القرن السادس، ص ۲۳۹ ذیل الخطبة التی نبحثها).

[۷۸۰] (۱) سورة البقرة/ ۲۸۶.

[۷۸۱] (۲) سورة الطلاق/ ۷.

[۷۸۲] (۳) اصول الکافی ۱/ ۴۷، ح ۱.

[۷۸۳] (۴) المصدر السابق/ ۱۱.

[۷۸۴] (۱) سورة آل عمران/ ۱۴۴.

[۷۸۵] (۱)« وطأة»: بمعنى محل القدم وتأتى بصيغة كناية بمعنى الضغط الشديد.

[۷۸۶] (۲)« مزلّه»: من مادة« زلل» على وزن ضرر بمعنى محل الزلل.

[۷۸۷] (۳)« تدحض»: من مادة« دحض» على وزن محض بمعنى الزلل أيضاً.

[۷۸۸] (۴)« أفياء»: جمع« فيىء» على وزن شيء بمعنى الظل.

[۷۸۹] (۵)« مهاب»: من مادة هبوب بمعنى حركة الرياح ومهاب جمع مهب محل هبوب الرياح.

[۷۹۰] (۶)« متلفق»: بمعنى القطع المتصلة من مادة لفق على وزن لفظ الجمع.

[۷۹۱] (۷)« عفا»: من مادة« عفو» بمعنى ترك، ولكن ما كان ترك الشيء يؤدّى إلى ذهابه وإندراسه، فقد وردت فى هذه العبارة وأمثالها بمعنى الإندراس.

[۷۹۲] (۱)« مخط»: من مادة« خط» بمعنى محل الخطوط.

[۷۹۳] (۲)« خلاء»: بمعنى خالية.

[۷۹۴] (۳)« حراك»: وحركة لها معنى واحد.

[۷۹۵] (۴)« هدو»: على وزن غلو بمعنى السكون وعدم القدرة على الحركة.

[۷۹۶] (۵)« خفوت»: بمعنى السكون والتوقف عن الحركة.

[۷۹۷] (۶)« اطراق»: خفض العين لضعف الأجفان.

[۷۹۸] (۷)« مرصد»: من مادة« ارصاد» بمعنى الاستعداد والانتظار.

[۷۹۹] (۱) سند الخطبة:

السند الوحيد الذى ورد فى كتاب مصادر نهج البلاغة هو كتاب المسترشد للطبرى الذى نقل أقساماً من أخر هذه الخطبة باختلاف، ويفهم من رواية الطبرى أنّ هذه الخطبة أطول مما نقل المرحوم السيد الرضى وقد إكتفى السيد الرضى رحمه الله حسب طريقته ببعض مقاطعها(مصادر نهج البلاغة ۲/ ۳۳۷).

[۸۰۰] (۱)« مرصد»: من مادة رصد على وزن« صمد» تعنى فى الأصل مراقبة الشيء، ويطلق المرصد على الشيء الذى يراقب وينتظر.

[۸۰۱] (۱)« تباشير»: بمعنى البشارة وأوائل كل شيء(والذى يشير فى الواقع بوروده) وتباشير الصبح بمعنى أوائله، وذهب البعض إلى أنّ تباشير جمع تبشير، ولكن يستفاد من تعبيرات البعض أنّها مفرد أو جمع لا مفرد له.

[۸۰۲] (۲)« أبان»: بمعنى بداية ووقت كل شيء.

[۸۰۳] (۳)« يحذو»: من مادة حذو على وزن حذف بمعنى الاتباع.

[۸۰۴] (۴)« ربق»: بكسر فسيكون حبل فيه عدّة هرا، كل عروة ربقة تشدّ فيه البهم.

[۸۰۵] (۵)« يصدع»: من مادة« صدع» تعنى فى اللغة مطلق الشق، أو شق الأجسام المحكمة، كما وردت بمعنىالاظهار حيث يظهر باطن الشيء بالشق.

[۸۰۶] (۶)« شعب»: بمعنى جماعة عظيمة من الناس وتستعمل اليوم بمعنى الامة.

[۸۰۷] (۷)« قائف»: من مادة« قوف» على وزن خوف بمعنى البحث عن آثار الشيء، ويقال القائف لمن يتتبع آثار الأشياء أوالأفراد، وهذا هو معنى معرفة القيافة.

[۸۰۸] (۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۹/ ۱۲۸.

[۸۰۹] (۲)« ليشحذن»: من مادة« شحذ» تعنى فى الأصل حدّ السكين، إلّاأنّها وردت بمعنى حدّ الذكاء والاستعداد.

[۸۱۰] (۳)« القين»: بمعنى الحداد، ولهذه المفردة معنى مصدرى يعنى الحدادة والإعداد.

[۸۱۱] (۴)« يغبقون»: من مادة غبوق بمعنى يسقو بالماء فى مقابل صبوح بمعنى يشرب وقت الصباح ومصدرها غبق على وزن غبن.

[۸۱۲] (۵) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۹/ ۱۲۹.

[۸۱۳] (۱) ومن ذلك كتاب للعالم المعروف الشوكانى تحت عنوان التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر(راجع كتاب نفحات القرآن ۱۰/ ۴۲۳).

[۸۱۴] (۲) مسند أحمد ۳/ ۳۶.

[۸۱۵] (۳) سنن أبى داود ۴/ ۱۵۲.

[۸۱۶] (۱)« غير»: جمع« غيرة» بكسر ففتح بمعنى حوادث الدهر والتغيرات التى توجب تغير النعم، وقال البعض غير مفرد ولا جمع.

[۸۱۷] (۱)« اخلولق»: من مادة« خلق» أحد معانيها القدم، وتعنى هنا الانتهاء لأنّ لازمة القدم انتهاء العمر الشىء.

[۸۱۸] (۲)« اشالوا»: من مادة« شول» على وزن قول تعنى فى الأصل رفع الشىء كرفع الحيوان لذيله، وتعنى هناالكف عن القتال.

[۸۱۹] (۳)« لقاح»: تعنى بداية الحرب.

[۸۲۰] (۱)« غالتهم»: من مادة« غول» على وزن قول تعنى فى الأصل الفساد الذى ينفذ فى الشىء بصورة خفية، ومن‌هنا يقال غيلة للأغتيال والقتل السرى، ووردت هذه المفردة بمعنى الهلكة والتضاد بعوامل خفية، ولما كانت الضلالة بمعنى الهلكة المعنوية فقد جاءت بهذا المعنى وهو المراد فى العبارة.

[۸۲۱] (۲)« ولائج»: جمع« وليجة» بمعنى نظير ومثيل وشبه وخاصة الرجل من أهله.

[۸۲۲] (۱) سورة الشورى/ ۲۳.

[۸۲۳] (۲)« رص»: بمعنى الصاق شىء بآخر ويطلق المرصوص على كل بناء محكم، ورص العبارة المذكورة بمعنى‌مرصوص، وعبارة الإمام رص أساسه من قبيل إضافة الصفة على الموصوف يعنى الأساس المحكم للولاية.

[۸۲۴] (۳)« غمزة»: من مادة غمز على وزن أمر بمعنى إزالة آثار الشىء، ثم اطلق على الماء الوفير الذى يغطى شيئاًويزيل آثاره، وفى الخطبة إشارة إلى الأفراد الذين غطوا فى الغفلة والضلالة.

[۸۲۵] (۴)« ماروا»: من مادة« مور» على وزن فور بمعنى الحركة السريعة والاضطراب.

[۸۲۶] (۱) سورة القصص/ ۴.

[۸۲۷] (۱) يمكن الوقوف على شرح كلام ابن أبى الحديد واعترافاته وتوجيهاته الضعيفة فى شرح نهج البلاغة ۹/ ۱۳۴.

[۸۲۸] (۲) صحيح البخارى ۸/ ۲۱۷، ح ۱۶۵(باب ما جاء فى حوض النبى).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع" القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ١٣٤٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹